



كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بني ملال



جامعة السلطان مولاي سليمان
بني ملال

مركز الدراسات في الدكتوراه الآداب والعلوم الإنسانية

تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث الجهوي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

"الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا

أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"

لمؤلفه الحسن بن محمد الهدّاجي المَعْداني (ت1180هـ/1766م)

تحقيق ودراسة

الجزء الثاني

إشراف الأستاذ:

الدكتور محمد العمالي

إعداد الطالب:

محمد العنزي

رقم التسجيل: 03/15HRR

السنة الجامعية

2021-2020

[فصل المناقب والكرامات]¹

وهذا أول الشروع في المقصود بالذات، من ذكر المناقب والكرامات، والآيات
البيانات، التي أظهرها الله سبحانه على يد هذا الولي الكبير، والعلم الشهير، صاحب
المواهب والأحوال، ومن شهدت بسيادته الفحول من أكابر الرجال، العارف الناصح
الزاهد الصالح، سيدنا ومولانا أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح، كان، ممن
جمع الله له العلم والصلاح، وانتفع به من الخلائق من سبقت له السعادة والفلاح.
فأقول، ومن الله أرجو بلوغ المنى والسؤل: "اعلم أيها المحب أن كرامات هذا الشيخ كثيرة،
ومناقبه جمة غزيرة، وآياته شهيرة، أوضح من شمس الظهيرة، لا يمكن إحصاؤها، ولا
عدها واستقصاؤها، ولنتعرض هنا لهذه النبذة اليسيرة، تبركا بمواهبه الخطيرة، لأن
كراماته رضي الله عنه، لم تجتمع قبل هذا في كتاب، ولا تعرض لها أحد من أهل العلم
وذوي الألباب، واقتصرت منها على ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا،
الخليفة على التحقيق، ومن عمته الهداية والتوفيق، واختاره الله لخدمة نبيه محمد
عليه السلام، حتى صارت له أفضل أنيس ورفيق، سيدنا وأستاذنا وعمدتنا وملاذنا أبو
المواهب سيدنا المعطى، ونفعنا ببركاته، وما تلقيته من الثقات والسرات الأعيان، ومن
حضره من الأحبة في الله والإخوان، ومن أراد الوقوف على مناقبه وفضائله ومواهبه
وخصائله، فليطلبها عند الأصحاب، فإن كل من لقيته منهم، يحدث عنه بعجاب
العجاب، كأنها طالعتها في كتاب. فإذا سألت غيره ذكر لك ما يبهر العقول، وتعلم بذلك
أنه باب الله المفتوح لمن أراد الدخول، وأعظم وسيلة لمن أراد القرب من مولاه والوصول.

¹ حرصا منا على عقد نوع من التوازن بين محتويات البحث اضطررنا إلى وضع هذا العنوان ليكون منطلقا إلى
بداية الجزء الثاني، انسجاما مع المباحث المنضوية تحته.

وتلك عادة الله مع أوليائه وأحظيائه وأصفيائه، من ستره لذلك عليهم في الحياة، ونشر محاسنهم بعد الوفاة غيرة منه سبحانه على قلوبهم، ولعدم تكرار مشروبهم ليلا يفتنوا بالخلق في حياتهم، وللتنويه بعظيم منزلتهم بعد مماتهم، ﴿كَلِمًا فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَوِيُّ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾¹. وما أحسن قول من قال:

[الطويل]

رِجَالٌ أَطَاعُوا اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ	فَمَا بَاشَرُوا اللَّذَاتِ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ
يُرَاعُونَ نَجْمَ اللَّيْلِ لَا يَرْفُدُونَهُ	بِإِدْمَانِ أَسْبَابِ التَّعَبُّدِ وَالصَّبْرِ/124
فَأَبْدَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ هَوْنًا مُقِيمَةً	وَأَزْوَاجُهُمْ تَسْرِي إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
فَهَذَا نَعِيمِي الْقَوْمِ إِنْ كُنْتَ تَبْتَغِي	وَيَنْقُلُ عَنْ مَوْلَاكَ آدَابَ مَنْ يَدْرِي
لَقَدْ نَالَ أَقْوَامٌ نَعِيمًا مُعْجَلًا	لَمَّا خَصَّهُم بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَالشُّكْرِ ²

ومن كراماته قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه: ما حدثني به الشريف الأصيل، الماجد الأثيل، الطاهر النسب النظيف، مولانا الشريف، قال: "كان المرابط الأجل، السيد عبد الرحمان بن العسري، بن العارف الأكبر، والعلم الأشهر، سيدي أبي يعزى، نفعنا الله به، في زمان السلطان الأجل، مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وشى به أخوه السيد محمد بن العسري، لحضرة السلطان المذكور، ونسب إليه أمورا لا تليق بمنصبه، فقال له السلطان: نزعناه من ذلك الحرم والزاوية المباركة، ووليناك الأمر في الزاوية، فلما وصل السيد المذكور من حضرة الأمير للزاوية، وبيده كتاب السلطان قدس الله روحه، نزع أخاه السيد عبد الرحمان، وتولى

¹ سورة المائدة، الآية 54 - سورة الجمعة، الآية: 4.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 386/9.

أمر الزاوية، بالأمر المولوي، فقدم السيد عبد الرحمان، بعد عزله لسيدنا الصالح، نفعنا الله به، بأبي الجعد¹ شاكيا عليه بما فعل معه أخوه السيد محمد، المذكور، قال الشريف: فوجدني السيد عبد الرحمان، جالسا مع الشيخ سيدنا الصالح، بباب داره والمعروف لجلوسه، فأخذ يشكو عليه بما فعل أخوه المذكور، إلى أن ذكر له جميع ما كان من شكواه به للسلطان، وما نسب إليه في حضرته، ونزع السلطان له، من الزاوية وتوليته لأخيه السيد محمد، ثم صاح الشيخ سيدنا الصالح، وقال له: أخوك محمد لا يكون هبوطه بخير، وإن خرجت له سالمة يعنى. ثم بعد ذلك أراد السيد عبد الرحمان، المذكور الرجوع لداره، فذكر ذلك للشيخ، فقال له نفعنا الله به: لا تفعل، بل اقدم لقصبة تادلة² للشريف الأمثل مولانا أحمد بن مولانا إسماعيل؛ لأنه كان خليفة هنالك على يد والده، فإنه رأى سيدي أبا يعزى في منامه، وبوصولك إليه، يعطيك ثلاثمائة مثقال، ويعطيك شيئا آخر، فلما سمع المرابط المذكور مقالة الشيخ قدم في الحين

¹ أبو الجعد: ويقال بوجود مركز حضري شمال غربي قصبة تادلا فوق تراب بني زمور في وسط سهل صخري قليل الماء. قامت شهرته على وجود الزاوية الشرقاوية ولم يكن عدد سكانه يبلغ ألفين عندما مر به دوفوكو عام 1883، عشرين من اليهود. وقد وصفها مارتى Marty عام 1908 وقدر سكانها بثلاثة آلاف، لا يحيط بهم سور، وإن كانت الأزقة ذات أبواب كبرى. ونواة هذا التجمع هي الزاوية حيث سكنت العائلات الشرقاوية وتحيط بها أحياء الخدام، وكان بالمدينة مسجدان كبيران وأربع قببات لأضرحة أجداد سيدي بن داود. كان بهذه المدينة في بداية القرن تسعة أحياء تنسب لسيدي الغزواني وسيدي المكناسي وسيدي العربي وسيدي عبد القادر وسيدي عبد السلام وسيدي الغراري ولبني زمور، وكان منها حي سيدي علي أهلا بالشرقاويين. أما حي الملاح فكان به ما يزيد عن ثمانين دارا. ينظر: المالكي الملكي، مادة "بجعد"، معلمة المغرب، الجزء (3)، سنة 1410هـ/1989، ص: 1041-1042.

² قصبة تادلة (مركز) تقع قصبة تادلة في القسم الشمالي الشرقي من سهل تادلة، عند مفترق الطرق الرئيسية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش والطريق رقم 13 الرابطة بين بني ملال والدار البيضاء. تنفرد بموضع طبغرافي مرتفع، أكسها طابعا هضبيا، أمر المولى إسماعيل ببناء القصبة، حيث أقام فيها نجله مع حوالي 3000 جندي من جيش البخاري، قصد حراسة قنطرة عبور موكب السلطان على نهر أم الربيع، كما لعب هذا المركز دورا عسكريا حمائيا يتجلى في مراقبة تحركات بعض القبائل المتمردة. ينظر: عبد الرحيم بنعلي، مادة "قصبة تادلة"، معلمة المغرب، الجزء (19) سنة 1425هـ/2004م، ص: 6636-6637.

لقصبة تادلة، فلما وصل إليها نزل على طرف الوادي للاستراحة، فبينما هو هنالك، فإذا بالشريف مولانا أحمد خارج من قصبته، فنظر للوادي، فرأى الجماعة نازلة به، فقال لأصحابه: أنظروا من القوم الجالسون على الوادي، فأتى إليهم أصحاب الشريف مسرعين، فسألوهم عن نسبهم، فقالوا: هذا من أولاد سيدي أبي يعزى، ونحن أصحابه واسمه /125/ سيدي عبد الرحمان، فرجعوا إلى الشريف، وأخبروه بحالهم ونسبهم، فقال لهم مولانا أحمد: إرجعوا إليهم، واجلسوا معهم حتى نأتيهم، فرجع أصحاب الشريف، وجلسوا مع السيد عبد الرحمان، وأصحابه، ثم بعد ذلك قدم إليهم مولاي أحمد، في أصحابه وسلم عليهم، وقال لرئيس دولته القائد عبد الكريم بن رحمون¹: أين الذي غيرك؟ فأخرج له ثلاث شكائر²، في كل واحدة مائة مثقال، فأعطى الجميع للسيد عبد الرحمان المذكور، ثم إن قبيلة ورديفة³ دفعوا هدية للشريف مولانا أحمد، قدس الله روحه، فقال لهم: ادفعوا لولد سيدي أبي يعزى، أربعين غرارة⁴ من القمح وعشرة قناطر من السمن للزاوية، واحملوها إلى الزاوية على بهائمكم، وذلك من زكاتكم

¹ كان الباشا عبد الكريم بن رحمون السوسي وزيرا لمولاي إسماعيل بتادلة وطلب من سيدي سعيد بن أبي القاسم العميري فقما يصلي به ويعلم أولاده دينهم. ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 132 (أ).
² مفردها شكارا، وتعني في الاستعمال المغربي، الوعاء الجلدي الذي يستعمل في نقل وخزن الأشياء الصلبة: فواكه جافة، كتب وغيرها ارتبط استعمالها إلى غاية بداية القرن العشرين بالنقود وبالمال عموما. ينظر: محمد حجاج الطويل: مادة "الشكارا"، معلمة المغرب، الجزء (16)، ص 5400-5401.

³ ورديفة، بطن من بطون بني جابر الذين استوطنوا سفح جبل تادلة، وهم من القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب في عهد الموحدين، وكانت رئاستهم على عهد بني مرين. وبالنظر إلى الجد المشترك كانت لفظة ورديفة تعني جل قبائل تادلة العليا، أي أولاد بحر كبير، وأولاد بحر صغير، السماعلة، بني خيرات: منتسبة بذلك إلى علي ورديف أو وردغ. ينظر: صالح شكاك، مادة "ورديفة" معلمة المغرب، الجزء (22)، سنة 1426هـ-2005م، ص: 7572.

⁴ غرائر، جمع غرارة، وهي وحدة قياس وزن الحبوب، الجبلية المغربية حتى زمن قريب، يوازيها، في بعض الجهات السهلية، ما يعرف بـ "العبرة"؛ ويتراوح وزنها بين 16 و18 كلغ. ينظر: الهامش رقم (6) محمد الخليفتي، الدرر الجبلية، ج 64/1.

وأعشاركم، ثم قال للسيد عبد الرحمان: أنت لا تأخذ من ذلك شيئاً، يعني: من الزرع والسمن، وأمر ورديفة يعطونه خمس عشرة غرارة من القمح، وخمسة قناطير من السمن، ويحملون له ذلك إلى داره من الأعشار والزكاة أيضاً، فظهر بذلك كله مصداق قول الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به في المال، وكذلك ظهر في الزرع والسمن مصداق قوله أيضاً: ويعطيك شيئاً آخر، ولم يكن الشريف مولانا أحمد، ذكر رؤياه لأحد أصلاً، وإنما ذلك من كشف الشيخ نفعنا الله به آمين. قال الشريف المنقول عنه الحكاية: فبقيت بعد ذلك أنتظر ما يقع بالسيد محمد بن العسري، ومقالة الشيخ فيه: إن خرجت له سالمة يعنى، فتأخر ذلك زماناً وأنا أقول في نفسي: أين مقالة سيدي صالح في هذا المرابط؟ إلى أن توفي السلطان مولانا إسماعيل، وتولى الخلافة ولده الشريف الأصيل، مولاي أحمد المذكور صاحب تادلة، فقدم إليه السيد محمد بن العسري المذكور أولاً، فأمر مولانا أحمد بإعمائه، فأخذ أصحابه في علاج قلع عينيه، وهو يصيح ويقوم ويقعد بهم، إلى أن أطفأوا الجير في عينيه، فعني وظهر بذلك مصداق قول الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، إن خرجت له سالمة يعنى، أجازنا الله من غير دعواتهم الصالحة آمين، بجاه سيد المرسلين والأولياء من المؤمنين.

ومن كراماته قدس الله روحه، وأسكنه من أعلى الجنان فسيحه: ما حدثني به سيدنا الإمام، القدوة البركة الهمام، سيدنا المعطى، أدام الله وجوده، قال لي: "حدثني الفقيه الأجل، الأستاذ الأمثل، السيد محمد بن سعيد الوكيل العميري، قال: التقيت مع رجل من بني مسكين¹، وأخبرني بأن أصحاب الباشا الغازي¹ حين كان بقصبة بولعوان²،

¹ بني مسكين، قبيلة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية ضمن مجال اتحادية الشاوية الممتدة بين وادي أم الربيع جنوباً ووادي الشراط شمالاً. وتنشر مواطن بني مسكين بين قبائل أولاد بوزيري وأولاد سيدي بنداود في الغرب

قبضوه من السوق في جملة عشرين رجلا، وجعلوه مع العدة المذكورة في سلسلة من حديد،/126/ ولم يكن للرجل ذنب، وإنما قبضوه في جملة العدد، وقدموا بهم على الغازي في القصبه المذكورة، فأمر أصحابه بقتلهم، قال الرجل: ثم إنه أخذ يستغيث بسيدنا الصالح، نفعنا الله به، فوقعت عليه شبه ضباية ووجد نفسه مسرحا من الحديد، ففر ولم يره أحد من بركة الشيخ، وقتل الجميع. قال سيدنا وقدوتنا سيدنا المعطى المذكور: وكان أخبرني بالحكاية قبل الفقيه المذكور، الحاج أحمد بوعلال من الشاوية، وكان من جملة من حضر الواقعة من أصحاب الغازي، وكان يتحافظ من قتل الأرواح، وهو من جملة من أمره الغازي بقتل العدة المذكورة، وكان هو أيضا يستغيث بسيدنا الصالح يحفظه من مباشرة القتل، ثم سمع الرجل وهو في السلسلة يستغيث أيضا بالشيخ، قال: ثم ضربهم المخازنية رشة واحدة بالرصاص، وحفظ الله الحاج المذكور من الضرب، ثم بعد أن فرغوا من الضرب وجدوا في القتلى تسعة عشر رجلا،

والشمال الغربي والسراغنة والرحامنة في الجنوب، حيث يفصل بينهما وادي أم الربيع. ويحدها من الشمال مزاب وورديفة ومن الشرق بني عمير وبني موسى. ينظر: أحمد عمالك، مادة "بني مسكين"، معلمة المغرب، الجزء (5)، سنة 1413هـ-1992م، ص: 1567-1565.

¹ الباشا الغازي أحد أركان ديوان الشرطة في دولة السلطان العلوي المولى إسماعيل، اضطلع إلى جانب عدد من القادة والعمال ممن كانوا أعمدة الجهاز المخزني الجهوي في جنوب المغرب، بأدوار على قدر كبير من الأهمية سواء على مستوى استتباب الأمن وتثبيت سلطة الدولة وتوسيع دائرة نفوذها المخزني بين القبائل القاصية والدانية، أو على مستوى تعقب وملاحقة كل من يروم المساس برموزها أو عدم الامتثال لمطالبها، تولى الباشا غازي إدارة الحكم في مدينة مراكش وإقليمها بعد وفاة الباشا عبد الكريم بن منصور التكني. ينظر: الفقيه الإدريسي، مادة الباشا الغازي"، معلمة المغرب، الجزء (7)، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1410هـ-1989- الطبعة الثانية، 1435هـ-2014م، ص: 6274-6275.

² قصبة بولعوان، أو بولاعوان أو بو الأعوان، قصبة أثرية كبرى بنيت على الضفة الجنوبية لنهر أم الربيع في ارتفاع 109م بناها الخليفة عبد المومن بن علي، وجدد بناءها المولى إسماعيل فجعلها قاعدة عسكرية لحراسة دكالة وهي على طراز القصابي الأخرى حيث تضم أبراجا وتحصينات وجميع المرافق التي يحتاجها الجيش من مسجد ومخازن الخ. وكان بها 500 بيت من الأشراف والأفاضل كما كانت بها دار للضيافة مفتوحة في وجه الغرباء. تقع على بعد 81ك.م من الجديدة و32ك.م من إيمفوت. ينظر: الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص: 218-219.

وهتوا في الواحد الذي نقص من العدد كيف وقع فيه. قال سيدنا: فترددت في أمره لأنه يدعي محبة في جانب الشيخ، وفي جملة المخزن إلى أن أخبرني الفقيه المذكور بما أخبره به صاحب النازلة بنفسه، فعلمت صدق الرجل في مقالته، وإنها كانت من كرامات الشيخ".

ومن كراماته قدس الله سره: ما حدثني به سيدنا المذكور، أدام الله النفع به على ممر الأيام والدهور. قال: "كان ولد الحاج أحمد الرفالي¹ وهو الشيخ حمّ من أصحاب سيدي أحمد بن عبد القادر المباركي، وله محبة مع الشيخ نفعنا الله به، وكان شيخا على إخوانه، ثم إن الأمير كلفه بمال عظيم يعطيه له لا يطيقه، فبعث ولده الحاج أحمد للشيخ سيدي الصالح، ومنه لسيدي أحمد بن عبد القادر، فلما وصل الحاج المذكور لسيدنا الصالح وجده خارج القرية قريبا منها فلاذ به، وذكر له ما نزل بأبيه، ثم إن الشيخ نفعنا الله به أخذه حال عظيم، ونزع كساءه وغطاه بها، كأنه يشير إلى حفظه مما نزل به، ثم قال له: امض للسيد أحمد بن عبد القادر فمضى إليه، ثم ظهر لطف الله على أبيه، وفرج الله ما نزل به من بركته وإشارته حيث غطاه بردائه كأنه إشارة إلى أنه لا يصيبه شيء مما كلف به".

ومن كراماته أيضا أشرق الله نوره وسناه، وأسكنه من الفرايس فسيحه وعلاه: ما حدثني به سيدنا وملاذنا أيضا آدم الله علاه، قال لي: "كان للشيخ حمّ المذكور أعلاه، غنم ومعز كثيرة العدد، وبلادهم كثيرة الأسود، فجعل لغنمه زريبة² وأصحابه معها،

¹ الحاج أحمد الرفالي كان من أصحاب الشيخ محمد المعطي بن الصالح. وقد هبط من الجبل إلى الوطا لرعي غنمه. ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 145 (ب)؛ ومحمد المعطي الشرقاوي، سفر الإجازات والمرائي، تحقيق عبد المجيد بوكاري، ص 115.

² الزريبة: حظيرة الغنم من خشب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، "مادة زرب".

وجعل لها أبوابا، وعين لكل ولي من أهل الوقب بابا، فقال: هذا لسيدنا الصالح، وهذا لسيدي أحمد بن عبد القادر، وهذا لسيدي العياشي، ثم دخل أسد الزريبة ليلا، فصاح /127/ أصحاب مالكمها عليه، فقال لهم: لا عليكم فتفقدوا المال فوجدوا الأسد أخذ كبشا، ثم قال الشيخ حَمُّ المذكور لأصحابه: انظروا من أي الأبواب دخل، فنظروا، فقالوا له: من باب سيدنا الصالح، ومن الغد وجدوا الكبش الذي أخذ الأسد في الغنم، فأتوا الشيخ حَمُّ، فقالوا له: إن الكبش الذي أخذه الأسد أصبح في الغنم، فقال لهم: علمت أنه يرده، ولكن لم فرط سيدي الصالح حتى دخل الأسد من بابه، فلا بد أن أصل إليه، فقدم على الشيخ وذكر له القضية.

ومن كراماته وأرضاه، وجعل في الجنة قراره ومثواه: ما حدثني به المرابط الأصيل سيدي عبد السلام بن الشرقي بن العروسي أحد أولاد الشيخ البركة المقتدى به، وبأحواله في السكون والحركة سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، قال: "كنت في ابتداء سكناي بداري الجديدة توفرت لي دراهم وليس لي بهيمة كبيرة أركب عليها، وكانت الهائم في البلد بلغت قيمة عظيمة، وفي الغرب أرفق من البلد عندنا فأردت السفر للغرب لشراء بهيمة والدراهم عندي قليلة، ثم أتيت الشيخ سيدنا الصالح أستشيره في السفر المذكور، فلما جلست بين يديه، وذكرت له ذلك سكت عني ساعة، ثم قال: تريد أن تسافر للغرب، فقلت له: يا سيدي على مشورتك، فقال لي: اجلس في دارك حتى تأتيك البهيمة لبابك وتشتريها، فامتثلت أمره، وكان ذلك وقت المصيف، وبقيت في انتظار ذلك مدة ثم ناداني يوما، وقال لي: استوص بعلي وإدريس الدمناتي خيرا، وحل بينه وبين ابن عمك بومروان، فإنه ربما يصله بشيء، فقلت له: يا سيدي على بركة الله امتثالاً لأمرك، وادع لنا الله يهديه لئلا يكون ذلك سببا للفتن بيننا، لأن ابن عمنا كانت معه شدة في أخلاقه، فقدمت لابن عمنا المذكور، وقلت له: إن كان لك حق على فلان، أنا أمكنك

منه، وإن لم يكن لك عليه شيء فاتركه عنك، وكانت بين الرجلين معاملة، فإن سيدي الصالح أوصاني عليه، فبقي الأمر على ذلك ما شاء الله ثم إن الرجل المذكور دق باب داري في وسط النهار في شدة الحر بعنف، فقلت لامرأة كانت تخدمنا: انظري من يدق الباب؟، فقالت: علي بن إدريس، فقلت في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، رجل أوصاني عليه سيدنا الصالح، ولعله وصله ابن عمنا السيد أبو مروان وأتى إلي شاكيًا بما أصابه، فخرجت إليه، فقلت له: وصلك ابن عمنا، فقال: لا ولكن أتيتك تشتري مني بغلة عندي ويطلبها لي بعض من أستحي منه مرارا، فقلت له: "بغلتك تعرفها اشتريتها بسبعة عشر مثقالا، وأنا ليس عندي ذلك العدد /128/ فقال لي: اذكر ما شئت، فقلت له: سيدي الصالح أوصاني عليك، وأنا لا أشتري منك بقليل ولا كثير، لأنني إن اشتريت منك، ربما تقول حشمتك في بغلتك وبعثها لي بأقل مما تريد، وذكرت له أعذارا، فلم يقبل مني شيئا من ذلك وَلَحَّ¹ علي في شرائها، فقلت في نفسي: أعطيه أبخس ثمن ليتركني عنه، فقلت له: أعطيك تسعة مثاقيل² فيها إن أردت، فقال لي: بعثها لك بذلك، فهِتُّتُ في أمره، وقلت له: لا يكون بيننا بيع ولا شراء ولا يتم إلا بحضرة سيدي الصالح وموافقته، فقال لي: على بركة الله، ثم قدمنا لسيدي الصالح، وذكرت له قضية الرجل وإني لا أشتري منه بقليل ولا كثير، فقال للرجل: ما تريد يا فلان؟ فقال له: بعث عن طيب نفس، فقال لي الشيخ:

¹ هكذا في الأصل. والصواب: "وَلَحَّ".

² كان المثقال منذ إصلاح 1766 مستعملا كوحدة أساسية فضية، بدل الدرهم الذي تقلص استعماله، ومنذ هذا التاريخ لم تعرف سجلات المخزن في مختلف الحسابات إلا المثاقيل معروفة بالأواقي والموزونات والفلوس، واستمر هذا الاستعمال بقية القرن الثامن عشر وإلى نهاية القرن التاسع عشر ويعتبر المثقال في هذا الإصلاح الوحدة الأساسية لصرف العملة وهو من النقود الذاتية. ويتألف من عشرة دراهم شرعية (أو أواق). في هذا العهد، وتزن حوالي 29 كراما.. ينظر: عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب، الرباط، ص: 60.

امض معه للسيد محمد بن ياسين، وادفع له ماله بحضرتة ولا يقبض له، ولو موزونة¹، فوصلت للفقير المذكور، ودفعت للرجل ماله بمحضره، ودفع لي البغلة، وتعجب الناس منها تباع بتلك القيمة، لأنها من أحسن جنسها، فقلت: هذا من بركة سيدنا الصالح، ومصداق قوله: اجلس بدارك حتى تأتيك الهيمة لبابك، نفعنا الله به، ورضي عنه، أمين".

ومن كراماته، وأرضاه، ورضي عنا برضاه: ما حدثنا به الفقير محمد بن داود الشجدالي المباركي، قال: "كنت نازلاً مع إخواني بدارع الشبرق، ولي ثور من أحسن البقر، ثم سرق لي، فاهتممت بأمره ثم لما جن الليل، وأردت المنام، استغثت بسيدنا الصالح، نفعنا الله به، وقلت: العار عليك إن ذهب ثوري، وبقيت خيمتي في الدار. ثم لما أصبح الصباح، ذهبت في طلبه، واتسعت الأرض علي، ولم أدر أين أتوجه، فبينما أنا عند البير المسعى هنالك ببير التياح وهو مشهور، فإذا برجل عليه ثياب بيض، يسير من البير فتبعته لأسأله، فكلما أسرعته إليه لأدركه يفرمني إلى أن خرج الطريق، وصعد لربوة عظيمة، ووقف بأعلاها فتبعته، فلما وصلت للمحل الذي كان واقفا فيه، طلبته فلم أجده، فصرت ألتفت يمينا وشمالا في طلبه، فما رأيته، فبينما أنا كذلك إذ رأيت رجلين آتيين مع الطريق على بعد مني، فقلت: أنتظرهما لأسألهما لعل أن يكون عندهما خبر. فلما قربا مني، نظرت إليهما، فإذا بثوري يسوقانه بينهما، فسرت قريهما رجاء أن

¹ الموزونة: قطعة فضية صغيرة كانت تطلق على كل درهم ينقص وزنه عن الوزن الشرعي، وساد هذا الاستعمال إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر بعد إصلاح سيدي محمد بن عبد الله سنة 1766هـ. فأصبح مصطلح الموزونة لا يطلق إلا على ربع الدرهم الشرعي وليس على مطلق الدراهم الناقصة. وظل هذا التحديد للموزونة طوال القرن التاسع عشر. وفي بداية القرن العشرين (سنة 1903) جعل السلطان مولاي عبد العزيز الموزونة عبارة عن قطعة نحاسية، وتقابل سنتيما واحدا، طبقا للنظام الأوربي وكان الريال العيزي يتألف من 500 موزونة. ينظر: عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، ص: 54-55.

ندرك عمارة لأنني خفت عل نفسي إن دفعت عليهما، والبلاد خالية لا أنيس بها، ثم إنهما ارتابا مني، وقالوا لي: اذهب عنا ولا تتبعنا. ثم طردني واحد منهم، وبقي الآخر مع الثور، ثم ضربني بعمارة مدفع، ثم صحت عليهما، وصرت أصيح بأعلى صوتي رجاء من يغيثني، وقلت لهما: الثور لي، سرقتماهُ لي، ثم إنهما أزالا تليسا¹ كان /129/ على الثور، وفرا وتركوا الثور لي، فأتيت به أولادي وأخبرتهم بما وقع لي، مع سيدنا الصالح، نفعنا الله به، وأنه الذي أرشدني، وأنا أتبعه إلى المكان المذكور، فطلبتة، فلم أجده، كأنه يشير علي بالوقوف بذلك المحل، إلى أن يأتيني ثوري، فكان الأمر كذلك ببركته."

ومن كراماته: لا زالت الرحمات ترى عليه، والركائب تخضع لديه، ما تلقيته من غير واحد، وإن الفقيه الأجل، الصالح الأمثل، السيد أبا يعزى بن الخطاب، قاضي قبيلة بني حسن²، في وقته، قال: "كانت لي زوجة لا تلد، فقدمت بها وبأمي لزيارة الشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به، فلما كنا بالطريق بواد ببلاد زعير³، رأيت لصوصا على ربوة، فنزل إلينا اثنان منهم بسيوفهما، فتقدمت إليهما لأتلقى ما يصدر منهما من غير معاينة أُمي

¹ تليس: الذي يوضع على الهيمة به الحبوب ونحوها، من صوف أو شعر. أحمد الصبيحي السلاوي، معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي، تقديم وتخرّيج، محمد حجي، منشورات الخزنة العلمية الصبيحية، سلا، المغرب، ص: 107.

² بني حسن، اتحادية قبائل استقرت، مع مطلع القرن العشرين، بالمنطقة الواقعة بسهل الغرب، بين مشارف غابة المعمورة جنوبا والضفة اليسرى لنهر سبو شمالا ومقدمة جبال الريف شرقا والمحيط الأطلسي غربا، في تلك البقعة من أرض المغرب التي كانت تعرف قديما "بأزغار" والتي قال عنها مارمول كربخال في كتابه "أفريقيا": "وهذا أغنى إقليم بأفريقيا قمحا وماشية وصوفا وسمنا وجلدا...". ينظر: إسماعيل العلوي، مادة "بني حسن"، معلمة المغرب، الجزء (5)، سنة 1413هـ-1992م، ص: 1518-1522.

³ زعير، قبيلة كبرى مستقرة جنوب الرباط، تكون زعير مجموعة قبيلة كبرى مجاورة لمدينتي الرباط وسلا، تتصل من الغرب والجنوب الغربي بقبائل الشاوية وقبائل تادلا مثل ورديفة وبني خيران والسماعلة. ومن الشمال والشمال الشرقي بقبائل السهول وزمور ومن الجنوب الشرقي بزيان. ينظر: علال الخديبي، مادة "زعير"، معلمة المغرب، الجزء (14) سنة 1422هـ-2001م، ص: 4667-4672.

وزوجتي، وتحققت منهما الهلاك لنفسي، فلما قربت منهما نكصا على عقبيهما، ولم أدر ما السبب. فالتفت يمينا وشمالا فلم أر أحدا، ثم إن رجلا جذبني من خلفي فالتفت إليه، فإذا هو الشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به، راكبا على فرس، وبيده رمح، فقال لي ﷺ: لم قدمت وحدك؟ قلت له: يا سيدي قدر الله علي، فقال لي: جِدَّ في السير، وصار أمامي إلى أن قربت للعمران، فطلبته فلم أجده. ولما وصلت إل داره الكريمة، أردت أن أذكر القضية للحاضرين بين يديه، فأشار إلي، قبل أن أتكلم وقال لي: أسكت، فسكتت".

ومن كراماته: ما حدث به رجل من أصحاب الشيخ الجليل الصالح العارف الأثيل، سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، نفعنا الله به، وكان الرجل رفيقا لسيدنا الصالح، قال: "أتيت إلى الشيخ سيدي الصالح، وقلت له: يا سيدي إني توحشت سيدي أحمد بن ناصر، فقال لي: أنا لك كهو. فلم أقنع منه بذلك، ثم كررت عليه القول المذكور، فقال لي: "إن سيدي أحمد بن ناصر هنا، فقلت له: أين هو؟ فقال لي: وهل تعرف سيدي أحمد إذا رأيته؟ فقلت له: نعم يا سيدي، فقال لي: أنظر إلى هذا الرجل، وكان جالسا معه على اللوح المعروف لسيدنا الصالح بباب داره للجلوس عليه له، فنظرت إلى الرجل فإذا هو سيدي أحمد جالس معه، فارتاحت نفسي واطمأنت وذهب ألمها وسكنت. وحدثنا بهذه القضية رجل آخر من أصحاب الشيخ وزاد على الرواية الأولى، قال: فذهب الرجل إلى العدول، وكتب عندهم رسما أشهد فيه على نفسه إنه ملك رقبته للشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به، آمين".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الدَّيْنُ الخَيْرُ الأفضَل، التَّالِي لكتاب الله عز وجل، السيد عبد المومن/130/البوغادي¹، قال: "كنت قرب الفجر بالمدرسة التي قرب الجامع الكبير، من أبي الجعد، فإذا بالشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، ينادي علي: يا عبد المومن، فخرجت لباب المدرسة لظني إنه به، فطلبت فلم أجده هنالك، فوقفت بالباب، فإذا به ينادي ثانيا، فزدت، فلم أجد شيئا، ثم وقفت. فلم أزل أسمع صوته وأتبعه إلى أن وصلت لباب داره المباركة، فأمرني بالدخول فدخلت إليه، فإذا به يتوضأ، وقد فرغ له الماء، فقال لي: ناولني شيئا من الماء من البير، فأتينا إلى البير، فإذا به يفيض، فظننت أنه صهريج من الماء، فناولته الماء، ثم سألت عنه، فإذا هو ببير، وفاض من بركته، فحصلت لي كرامتان: الأولى سماع صوته من داره مع بعد ما بين المدرسة والدار؛ بحيث لا يسمع الصوت منها، والثانية فيضان البير، حيث أمرني بمناولة الماء منه ببركته. وهذه الحكاية التي وقعت لهذا الفقيه مع الشيخ مثلها ما وقع لسيدي أبي جعفر² مع شيخه الكامل سيدي أبي يعزى التي ذكرها في "التشوف"، قال: "سمعت حجاج بن يوسف يقول: كنت كثيرا ما أجالس أبا جعفر فأسمعه، يقول: نعم، ويرفع بها صوته، فإذا سألته عن ذلك، قال لي: إن الشيخ أبا يعزى ناداني من جبل إيروخان"³.

¹ لعله يقصد الفقيه عبد المومن البغادي الوردغي، فهو من أبناء المنطقة، مارس التعليم بالزاوية ودرّس بها، وترقى في حياته العلمية. ينظر: محمد العبدوني، يتيمية العقود الوسطى، ص: 145 (أ)؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/ 222.

² أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود، كان ساكنا بتاغزوت على وادي أم الربيع من تادلة، ووصفه ابن الزيات بأنه كان عبدا صالحا، وأنه كان تلميذا للشيخ أبي يعزى يلنور وأنه زاره بإيروجان مائة مرة. مات عام 608هـ بتاغزوت ترجمته في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 403؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 382.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 403.

ومن كراماته أدام الله سره، وأشاع في الملا الأعلى ذكره: ما حدثني به الإمام الهمام، وقدوة الأنام، سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى، نفعنا الله به، قال: "ورد على الشيخ سيدنا الوالد رجل من أصحابه، يريد أن يودع عنده زرعاً له، فلما كلمه في ذلك، قال لي الوالد نفعنا الله به: اذهب معه إلى فلان، لرجل سماه من الفقراء إخواننا، وقل له: يضعه عنده بعد كيله، وإيتني بالزمام، فذهبت إلى الرجل، وذكرت له أمر الشيخ فاكتاله، فوجد فيه عشر غرائر، فذهب صاحب الزرع، وغاب بعد ذلك مدة طويلة، ولما رأى المودع عنده طول غيبته، استهلك الزرع بالأكل والبيع، ولم يبق منه إلا ما يقرب من الغرارة الواحدة، ثم بعد ذلك قدم صاحب الزرع من الغرب يطلبه ممن كان عنده، فصار يلاطفه مدة إلى أن مر الفقير بسيدنا الصالح يوماً، فقال له بعنف: أعط للرجل زرعه، فأدخله بأوعيته إلى المحل الذي كان فيه الزرع، وقال له: كل الزرع وهو يعلم أنه استهلكه، فأخذ صاحب الزرع في الكيل إلى أن ملأ جميع أوعيته، وبقي الزرع في الغرفة، ثم خرج صاحب الزرع للشيخ فظن المودع عنده، أنه خرج شاكياً به وأنه لم يجد زرعه على الكمال فتبعه، فلما أقبل الفقير على الشيخ، قال له بعنف: اذهب إلى دارك ثم رجع له، فقال له: مثل ذلك، ثم لقيه صاحب الزرع، فقال له: قد استوفيت جميع ما كان لي عندك، قطع الله /131/ يدك، هلا أخذت ذلك الزرع، فإن سيدي الصالح، خلص عنك قبل هذه الساعة".

ومن كراماته: ما وقع له مع رجل من أولاده سيدي أبي زكرياء، كان بقصبة تادلة، وأراد السفر مع الرفقة للغرب، فطلب منهم أن ينتظروه، حتى يتوادع مع الشيخ سيدنا الصالح بأبي الجعد، ويرجع إليهم، ثم قدم الرجل للشيخ ليتوادع معه، فكلما أراد أن يتوادع معه، يقول له: "اصبر فلم يوادعه إلا بعد أن خرجت الرفقة من قصبة تادلة عنه، وبقي الرجل وحده مع صاحب له، وله بهائم بأحمالها ثم خرجا بهائمها طامعين في

القافلة التي خرجت لعلهما يدركانها، فتبعهما جماعة اللصوص راكبين على خيلهم، فكانوا كلما أرادوا أكل ما عندهم حيث يجدون فسحة في الطريق، يحضر في الحين من يشوش عليهم، ويحول بينهم، ولا زالوا في طلبهم نحو من ثلاثة أيام وهم على الحالة المذكورة، ولم يدركوا القافلة. فبينما هم سائرون بقرب جبل، ولم يروا أحدا، ركض رجل من اللصوص فرسه، وجاء إليهما وفي يده مدفع يريد أن يضربهما برصاصة فيه، فإذا بالشيخ صاح عليهم من فوق ربوة مرتفعة بقوله: هاهاه مرتين أو ثلاثا، فلما سمعوا صوته، رجعوا عنهما، وكان ذلك ثالث الأيام وهم يتبعونهما ولم يظهروا بعد ذلك وسلم الرجلان من بركة الشيخ نفعنا الله به، فانظر هذه العناية الربانية، لهذا الشيخ والحماية السلطانية".

ومن كراماته: أن المطر حبس عن الناس في بعض السنين، حتى اشتد بهم الأمر من ذلك، ثم إن الشيخ، قال لبعض أصحابه: "أخرج وانظر هل في السماء سحب؟ فخرج ثم رجع، وقال: يا سيدي ليس فيه سحب، ثم جلس الشيخ هنيهة ثم قال له: أخرج أيضا وانظر هل في السماء سحب؟ فخرج ثم رجع وقال له: لم أرفيها شيئا، ثم بعد ساعة، قال له: اخرج وانظر أيضا، فخرج فرأى في السماء قزعة¹ في طرف الجو، ثم رجع وأخبر الشيخ بذلك، فما لبث إلا قليلا ثم انتشرت وانهدت عليهم الأمطار، وارتفعت عن الناس الهموم والأحزان والأكدار. ثم لما رأى الشيخ ذلك صاح، وقال: صدق الله وكذب صالح، وصدرت منه هذه المقالة تواضعا مع مولاه، كما هو شأن العارفين الكاملين مع الله، إذا

¹ قزعة: القزعة: قطع من السحاب رفاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة. أي قطعة من الغيم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "قزعة".

رأوا المواهب، خافوا من العواقب، ولم يأمنوا مكر الله، أداء لعظيم حق الربوبية الجليلة المقدار، وخوفا من عدله الذي تتضاءل إليه الجبال الكبار، كما سبق".

ومن كراماته أيضا أدام الله علاه، وأشرق في سماء المجد¹ سناه: ما حدثني به سيدنا أدام الله وجوده، وغنم زائريه ووفوده، ما وقع له مع رجل من ورديفة، يقال /132/ له: "عبد الكبير السميري، وكان من أصحاب الشيخ سيدنا الصالح، فوشى به بعض الظلمة للقائد عبد الكريم بن رحمون، بدعوة كاذبة، فتوعده عليها، وقال القائد المذكور في جملة كلامه: "إن مكنتي الله منه، نفني ماله"، فلما سمع الرجل المذكور مقالة القائد المذكور فيه، خاف على نفسه وقدم للشيخ شاكيا بما نزل به من الباطل، فنادى الشيخ رجلا من إخوانه المرابطين أولاد الشيخ الأكبر، والطود الأشهر، سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، وقال له: اذهب مع عبد الكبير لعبد الكريم بن رحمون، وقل له: يتركه عنه، وقوله: يفنى ماله، يفنى هو وأخوه سليمان وأخوه محمد، ويفنى سيدهم الذي اجتمعوا عليه، ويبقى عبد الكبير بعدهم. وكان مع الشيخ حال، فذهب المرابط مع الرجل المذكور، فلما كانا بوادي كيكاط قريب من القصبة التادلية، لقيهما بعض أصحاب المخزن، فأخذ من عبد الكبير أربعين مثقالا كانت عنده، ولما وصلا للقائد المذكور، وأنهى له المرابط مقالة الشيخ نفعنا الله به، السابقة، صاح القائد منها، وعظم عليه أمرها لما يعلمه من صدق مقالة الشيخ، لأنه لا صدر منه ذلك إلا عن حال صادق، وقد شاهد للشيخ كرامات قبلها، وكانت له نية صالحة في جانب الشيخ، ثم قال الحاكم لعبد الكبير المذكور: اذهب عنا ولا يلزمك شيء، قبح الله من سعى بك إلينا، حتى سمعنا من الشيخ هذه المقالة العظيمة بسببك، فقال له عبد الكبير: إن فلانا من أصحاب

¹ في النسختين (ج) و(د): "المعالي".

المخزن أخذ لي أربعين مثقالا في الطريق، فأحضره الحاكم في الحين وردها منه إليه. ثم توفي القائد المذكور وإخوانه وسيده بعد أن تولى سيدهم الخلافة بعد الأمير وبقي عبد الكبير بعدهم مع كبر سنه إذ ذاك وقد مات الجميع، وكان على أحسن حال، ويقول: هذا من بركة الشيخ سيدنا الصالح ودعوته الصالحة، نفعنا الله به. وتلقيت من رواية أخرى أن الأربعين مثقالا أزيلت له في الموضوع المذكور في مرة أخرى قبل أن يأتي معه المرابط المذكور، ولكن ذلك في شأن هذه القضية".

ومن كراماته: ما وقع له مع عبد الكبير المذكور أيضا، وكان من أمره أنه دفن قُلة¹ من الدراهم بقرب واد الزم² من بلادهم، فتعاهدها مرة، فوجدها قد رفعت من محلها، فأتى الشيخ نفعنا الله به، فوجده مريضا بداره فطلب من سيدنا، ونعمة الله المهداة إلينا، سيدنا المعطى أن ينهي خبره وما نزل به للشيخ، فدخل سيدنا المعطى على الشيخ، وذكر له مقالة الرجل، فقال له الشيخ: "قل له: يذهب للفقير السيد محمد بن يوسف، فذكر للرجل مقالة الشيخ، فقال له الرجل: قل لسيدي: لا أذهب إلى أحد، وإنما أتيت لك، فرجع سيدنا المعطى للشيخ وذكر له /133/ مقالة الرجل، فقال له نفعنا الله به:

¹ القلة تنطق في البادية المغربية "كلة" وهي من الأواني الفخارية وتستعمل في الغالب بجلب الماء إلى المنزل أو الخيمة وتفرغ في أواني أخرى كبيرة مثل الخواوي، وأحيانا خاصة عند سكان الخيام و"النوايل" وما شابهها، يحتفظ بالماء في القلة، وتوضع في ركن ظليل لتحفظ بالماء باردا، توضع على جانبها في حضرة عميقة إذ ليس للقلة قاعدة تقع عليها، وللقلة مقبض واحد يتم ربطها بحبل يخترقه على ظهر الفتاة أو المرأة التي تستقي، وفي حالة استعمال الدواب وخاصة الحمير لحمل القل يستعمل (شواري) خاص مصنوع من أعواد الدفلى أو ما شابهها من المتوفر في المنطقة، ويملا بالقش أو التبن للحفاظ عليها أثناء النقل. ينظر: محمد حجاج الطويل، مادة "القلة"، معلمة المغرب، الجزء (20)، سنة 1425هـ-2004م، ص: 6678.

² وادي زم، يعتقد أن اسم المدينة يعني وادي السباع على اعتبار أن كلمة إيزم بالأمازيغية تعني السبع. وكانت وادي زم في الأصل قصبية من القصب التي شيدت في عهد السلطان مولاي إسماعيل وورد اسمها ميثوتا هنا وهناك في بعض المصادر. ينظر: صالح شكاك، مادة "وادي زم"، معلمة المغرب، الجزء (22)، سنة 1426هـ-2005م، ص:

قل له: يذهب إلى الفقيه السيد محمد بن يوسف فإنها بين رجليه، فذكرت مقالة الشيخ للرجل فذهب للفقيه المذكور والتزم له نحو الستين أوقية¹ في الفتوح، وذهب لخيمته، فلقيه الخبر بظهور ماله قبل أن يصل إليها ببركة الشيخ نفعنا الله به، وإنما بعثه الشيخ للفقيه المذكور ليتستر به، لأنه كانت تلك عادته، إذا فعل أمرا تستر بغيره، ونسبه إليه، وذلك شأن العارفين، والكُمَّل الواصلين، وقد تقدم التعريف بالفقيه المذكور، وإنه كان كثير المرافقة مع الشيخ."

ومن كراماته نفعنا الله به: ما وقع له مع الفقيه السيد محمد بن يوسف المذكور أعلاه، كان جالسا مع الشيخ بباب داره المعروف لجلوسه قرب المغرب، وكان الفقيه صائما ومن عادته، أنه كان يحب الحلاوة، فقال للشيخ: "هل عندك شيء من العسل نفطر به؟ فأمر الشيخ مقدمه، وقال له: أنظر هل بقي شيء من العسل في الخزانة؟ فمضى الرجل، ثم رجع، فقال له: يا سيدي لم أجد شيئا، فقال له: ارجع فرجع فلم يجد شيئا، فتخرج الفقيه، وقال للشيخ: كل ما عندك تعطيه للضيوف، ولا تترك لنا شيئا، فقال الشيخ لصاحبه: أخرج إلى الباب، وانظر هل بالزنقة من أحد؟ فخرج ورجع، فقال له: يا سيدي ما رأيت أحدا، فقال له: ارجع وانظر من بها، فرجع إلى الزنقة فإذا هو برجل من أصحاب الشيخ، ومعه قلة عظيمة من العسل، قدم بها للشيخ يزوره بها،

¹ أوقية الوزن تعتبر وحدة من وحدات الوزن بالمغرب، وكان نظام الأوزان يتميز بالتنوع، وتندرج وحدات الوزن من أصغر وحدة وهي "حبة الشعير" فالدرهم الشرعي، فالمثقال من عشرة دراهم، فالأوقية، فالرطل، فالقنطار. وبهنا من هذه الأوزان الأوقية التي تساوي 16 جزءا من الرطل، أو ما يعبر عنه بنصف ثمن الرطل. وقد استعملت الأوقية وحدة نقدية في التعامل الإسلامي، ووردت في الحديث النبوي وفي كتابات الفقهاء، ونصوص الموثقين. ينظر: عمر أفا، مادة "أوقية"، معلمة المغرب، الجزء (3)، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1410هـ-1989م، الطبعة الثانية، 1435هـ-2014م، ص: 904-906.

فدخل بها، ووضعها بين يديه، فقال الفقيه المذكور للشيخ عند رؤيته لها: لا تبخل على الناس، فإن الله يعطيك جميع ما تطلبه له".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله وجوده، قال: "كان بعض الفقراء من إخواننا أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، وكان من أصحاب الشيخ سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، أخذنا عليه الورد، وكان بالبلد رجل له أخوة مع المرابط المذكور في شيخه المذكور وبينهما ألفة، وكان للرجل محبة في جانب الوالد سيدنا الصالح، نفعنا الله به، وكان الرجل يوما يتكلم مع المرابط المذكور في محله ومنزله إلى أن قال له المرابط: من شيخ سيدك الصالح؟ فلما أقبل الرجل على سيدنا الصالح، قال له: أين كنت؟ فأخذ الرجل في الاعتذار له، واستحي أن يذكر له مقالة المرابط في جانبه، فقال له الشيخ: أنا كاليتيم كل الصالحين وضعوا أيديهم على رأسي، ولا تعد لذلك الموضوع الذي كنت فيه، يعرض له الشيخ نفعنا الله به بمقالة المرابط التي قالها له".

ومن كراماته: /134/ ما حدثني به سيدنا أدام الله النفع به، قال: "كان الفقيه الأستاذ السيد عبد الرحمان الوجيني، من قبيلة بني موسى¹، نزل به فقر عظيم، وكلما اشتكى بذلك على الشيخ، يقول له: اصبر لحكم ربك، فإنك بأعيننا إلى أن ناوله الشيخ أبياتا من نظمه نفعنا الله به، وأمره بقراءتها، ففتح الله عليه في الحين، وكثر ماله، ببركة الشيخ نفعنا الله به، وهذه الأبيات التي ناوله إياها:

¹ بني موسى: اتحادية قبائل عربية، من بين اتحاديات تادلا. ظلوا خاضعين للسلطة المركزية في الغالب. زاد عدد كواينهم بالتدرج وبلغ 5.824 حسب تقديرات سنة 1920/1338. أقيمت الاتحادية على ضفتي أم الربيع بين بني عمير شمالا والسراغنة غربا وأيت عتاب جنوبا وأيت الربع في الشرق. تميزت بلادهم بالانبساط وتكاد تخلو من كل عوائق تضاريسية. تضم اتحادية بني موسى ثلاث قبائل هي: بني وجين وعددهم 3.013 خيمة. فرعوا إلى أربع فخذات هي أولاد النمة، وأولاد إبراهيم، (أولاد لحسن وأولاد الغزواني). وأولاد عياد، وسكونة. ينظر: المكي المالكي، مادة "بني موسى" معلمة المغرب، ج 5 / 1580-1581.

[الرجز]

يَا بَاسِطَ الرَّزْقِ عَلَى خَلْقِهِ
يَا جَابِرَ الْكَسْرِ وَمَنْ إِنْ يُقْلُ
وَاقْضِ بِفَضْلِ مِنْكَ مَا هَالِنِي
قَدْ ضِغْتُ مِنْ فَقْرِي وَمِنْ فَاقَتِي
يَا ذَا الَّذِي يُعْطِي بِلَا مِنَّةٍ
بِالذَّاتِ بِالْأَسْمَاءِ وَمَا قَدْ حَوَى
بِالْمُصْطَفَى الْهَادِي الشَّفِيعِ لَنَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ عَدَّ الْحَصَى

يَا مَالِكَ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
لِشَيْءٍ كُنْ كَانَ أَغْنِيَنِي يَا كَرِيمِ
مَنْ ضَلَعَ الدَّيْنِ فَأَنْتَ الرَّحِيمِ
أَسْرَنِي الدَّيْنُ فَكُنْ لِلْغَرِيمِ
رُحْمَاكَ فِي الْآسِي الْمُسِيءِ الْعَدِيمِ
مَنْ آيَةٍ تُتْلَى الْكِتَابُ الْحَكِيمِ
ذِي السَّنَنِ الْأَسْنَا الْقَوِي الْقَوِيمِ
وَعَدَدَ الرَّمْلِ وَهَبِ النَّسِيمِ¹

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله مجادته، وعافيته وسلامته، قال: "كان الفقيه السيد عبد الرحمان المذكور، لما كثر ماله، وصلح حاله، نازلا بقرب أبي الجعد، ولما صلحت أحواله، قدم إليه إخوانه بنو وجين، يطلبون الشيخ في انتقال الفقيه إليهم، وقالوا له: نريد من سيدنا أن يوافق للفقيه على الانتقال إلينا، فقال لهم الشيخ: لا يذهب معكم، فرجعوا لبلادهم، وبقي الفقيه على حالته في موضعه، فلم يمض إلا زمان يسير بعد ذلك وأمر عليهم السلطان بالسبيل، فأتاهم جيش الأمير وأهلك منهم خلقا كثيرا ونهب الأموال، ونجا الفقيه المذكور ببركة الشيخ وإشارته عليه بالجلوس في مكانه، وعلموا أنه لذلك منعه من الرحيل معهم".

ومن كراماته أيضا أبقى الله النفع به على الدوام: ما حدثني به سيدنا أدام الله علاه، ما وقع له مع الفقيه النزيه، الدّين الخير الوجيه، السيد العربي الإسحاق، قال:

¹ الأبيات المذكورة بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 137 (ب)

"كان الفقيه المذكور جالسا مع الشيخ سيدنا الصالح، بباب داره المعلوم، لجلوسه صباحا، فخرج له من داره طعام في أنية على عادته، ما يستعمل في الحواضر صباحا. فأمره بالمناولة معه، فبينما/135/ هم في أثناء الأكل، إذ صاح الشيخ نفعنا الله به، ورفع الإناء من بينهم، ورمى به للهواء إلى أن قرب من السقف ثم رجع الإناء فوق بيد الشيخ نفعنا الله به، ولم يسقط شيء من الطعام الذي فيه، ثم أمرني سيدنا بسؤال الفقيه صاحب المسألة إن قدم علينا. ثم لما قدم الفقيه المذكور للزيارة، تلاقيت معه وسألته عن القضية، فقال لي: مثل ما ذكر لي سيدنا إلا أنه قال لي: كان الطعام الذي في الإناء كسكسوا وهو شعير، وسبب فعل الشيخ ما ذكر وصياحه أن الطعام لم يكن فيه لحم، فاعتذرت لي عن ذلك، فقلت له: يا سيدي تفضل الله سبحانه علي بالأكل مع لحمك الذي حرمه الله على النار، وتعتذرت لي عن اللحم الذي يستحيل إلى كذا مما هو معلوم، فصاح، ورمى بالإناء إلى أن قرب من السقف، ورجع بحاله، وفي هذه المرة أو في غيرها، قال لي: أنا ومولانا إسماعيل كفردتي الرحي، إذا غابت واحدة لا ينتفع بالأخرى. ولما أردت موادعته، قال لي نفعنا الله به: أدخل يدك تحت هيدورتي، فأدخلتها، فوجدت حجرا من الجاوي المكي¹ تحتها، فأعطاني إياه، وقال لي: جمعنا الله في مستقر رحمته، فمات نفعنا الله به، قرب ذلك في صفر ومات السلطان مولانا إسماعيل في رجب بعده من تلك

¹ الجاوي، (بخور) ينطق به في المغرب بتشديد الجيم. من عادة المغاربة تعطير أجسامهم وملابسهم ومسكنهم وأماكن إقامتهم أو مساجدهم وأضرحتهم وزواياهم وخاصة في الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية. وقد كان تبخير الأماكن، شأنه شأن تعطير الملابس لازما من لوازم الحياة الدينية والاجتماعية في المغرب، ولا يمكن مطلقا تصور حياة الناس وخاصة في الحواضر بدونهما. وكان أبرز أنواع البخور المستعملة في هذه الحواضر بخور الجاوي (جاوي). ينظر: محمد بوسلام، مادة "الجاوي (بخور)"، معلمة المغرب، الجزء (9)، سنة 1419هـ-1998م، ص:

السنة، فعلمت أنه، أشار لي إلى وفاته، وأن وفاته ووفاة السلطان مولانا إسماعيل متقاربان".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله علاه عن الفقيه الأجل سيدي العربي المذكور أيضا، قال: "أردت زيارة الشيخ سيدنا الصالح، فتفكرت فيما أهديه له من كتيبي، فقلت في نفسي: نأتي بكتاب "المستصفى"¹ للإمام الغزالي، ثم قلت في نفسي: لعلي أحتاج إليه للقراءة، وأردت أن أجعل عوضه "ديوان" ابن نباتة²؛ لأن الشيخ كان يحب الأدب. ثم تذكرت قوله تعالى: ﴿لَنْ نُنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾³، فقلت: لا أذهب إلا بكتاب المستصفى، لأنه أحب كتيبي إلي، فأتيت به للشيخ نفعنا الله به، فلما وطئت إليه، دفعت له الكتاب فتصفح، ثم لما أردت موادعته بباب داره على عادته مع الزوار، تناول الكتاب من فوق اللوح المعروف هنالك، وقال لي: خذ هذا الكتاب يصلح بك؛ لأنك في عنفوان القراءة. وإن كان عندك ديوان ابن نباتة، ابعثه إلي، فعلمت أنه كاشف بما كان وقع في نفسي أولا، نفعنا الله به، ثم تلاقيت مع الفقيه صاحب القضية، فسألته عنها، فأخبرني بمثل ما سبق، وزادني أدام الله مجادته، قال لي: ولما كنا قادمين مع من

¹ المستصفى: كتاب في أصول الفقه، وضعه الغزالي. وهو ثالث ثلاثة تعد المصادر الأولى في الأصول على طريقة الشافعية، والآخران هما المعتمد والبرهان، وقد بنى المستصفى على أقطاب رائعة: أولها الأحكام، وثانيها الأدلة الكلية، وثالثها طرق استنباط الأحكام من الأدلة، ورابعها الصفات اللازمة في المجتهد الذي يستنبط الأحكام، ينظر: الموسوعة العربية، ص: 3114.

² أبو بكر جمال الدين، ابن نباتة، شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميا فارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. وهو من ذرية الخطيب "عبد الرحيم بن محمد" ابن نباتة. سكن الشام سنة 715 هـ. له ديوان شعر، و"شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون"، و"المختار من شعر ابن الرومي" وغيرها. ترجمته في: الزركلي، الأعلام، ج 38/7.

³ سورة آل عمران، الآية: 91.

معنا من الطلبة وغيرهم، قرب واد بوكروم^{1/136} تكلمنا في سن عمنا أحمد الشاوي²، وكان ولده معنا، وفي سن سيدنا الصالح أيهما أكبر سنا، واختلفنا في ذلك، ثم لما وصلنا إلى سيدنا الصالح، وجلسنا بين يديه، سألنا عن ولد عمنا أحمد من هو؟ فقلنا له: يا سيدي ولد عمنا أحمد الشاوي، فقال لنا: وهل ترك غيره؟ فقلنا له: لا، فقال: عمك أحمد الشاوي أكبر مني سنا، فعلمنا أنه كاشف على ما كنا تكلمنا به في طريقنا، وهي كرامة أخرى. وحين رد إلي كتاب المستصفي، قال لي: هذا الكتاب لي، يشير إلى أنه قبله مني، ولكن أنا حبسته عليك تقرأ فيه ولا تبعه ولا تهبه لغيرك. وودعني بعد أن قال لي: إن كان عندك "ديوان" ابن نباتة ابعثه لي".

ومن كراماته أعلى الله مقامه: ما حدثني به سيدنا أدام الله النفع به عن السيد محمد بن أبي يعزى المعداني الحسني، قال: قال: "خرجت مع الشيخ سيدنا الصالح، قاصدين النعمان في المحل المعروف قرب تاشرافت³ من بلاد ورديفة، وهو نفعنا

¹ وادي أبي كروم (وادي المرابطين أو الصلحاء)، وهو نهر صغير يلتقي مع وادي تاشرافت غرب أبي الجعد، ليكونا معا أحد روافد نهر أم الربيع من الجهة اليمنى، وتوجد قريبا منه قباب عدد من الصلحاء: سيدي عمر، وسيدي حمو... ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/46.

² أحمد الشاوي، لقبا التادلي نسبة، المراكشي وطنا، كان عارفا بالفقه والنحو، ترجمته في العباس ابن إبراهيم، الإعلام، الجزء 2، 401.

³ تاشرافت، منطقة يقع مركزها على الطريق الرئيسية رقم 13 المؤدية إلى مدينة الدار البيضاء، بعيدة عنها بحوالي 165 كلم، ولا يفصلها عن مدينة واد زم سوى أحد عشر كيلومترا وعن مدينة بني ملال 66 كيلومترا. ويحدها من الشرق جماعتا بني بتاو وبني زرنتل ومن الغرب جماعة بني اسمير أما من الشمال فتحدها جماعتا الشكران والمعادنة. ويرجع الأصل في تسمية هذه الجماعة بتاشرافت إلى الواد الموجود بها والذي يعتبر المجال المفضل للنزهة والاستقرار، السبب الذي سمح لمجموعة من الأولياء والشرفاء، أن يقطنوا بجواره، لذا توجد بهذه الجماعة أضرحة من بينها ضريح سيدي حمو وابنه سيدي الزعري والد سيدي بلكاسم أبي الولي الصالح سيدي محمد الشرقي، ثم ضريح سيدي حمزة وسيدي الركاكي وغيرها من الأضرحة، وانطلاقا من هذه الوضعية سمي الوادي بالشريفية أو تاشرافت. ينظر: عبد الرحيم بنعلي، مادة "تاشرافت"، معلمة المغرب، الجزء (6)، سنة 1413هـ-1992م، ص: 2060-2061.

الله به، راكب على فرس أنثى، فبينما نحن في أثناء الطريق، إذا بالشيخ أخذ في ذكر مناقب الصالحين رضوان الله عليهم، ثم صاح، بالاسم المعظم وهو الله، فبركت الفرس إلى الأرض تحته كأنها أرنب مدة، ولم تبق لها حركة، إلى أن سكن الشيخ نفعنا الله به، ثم قامت الفرس، واستقلت كما كانت".

ومن كراماته قدس الله روحه: ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى أيضا عن الخير التاج، الحاج محمد القباج، قال لي: "كان الحاج محمد المذكور جالسا مع الشيخ، بباب داره المعروف لجلوسه، وإذا بجرانة خرجت من جهة الخوابي اللائي كن بباب الشيخ للماء، إلى أن قبلت نعله الكريمة، ثم رجعت، فقال الشيخ نفعنا الله به للحاج المذكور: هل تقدر على حملها، أي: المقبلية للنعل؟ فقال له: نعم يا سيدي أقدر على حملها، فقال له سيدنا الصالح: لا تقدر على ذلك، فإنها من أولئك الناس، يعني من الجان".

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به سيدنا، ثم أمرني ، بسؤال المرابط الأجل سيدي أحمد زروق من أولاد البركة، المقتدى به في السكون والحركة، سيدي محمد بن مبارك، نفعنا الله به، فسألته، فقال لي: "سمع الفقيهان الجليلان الفاضلان سيدي إبراهيم بن يوسف¹ والسيد أحمد الشاوي رحمهما الله تعالى بأن الشيخ الكامل سيدنا الصالح، أخذ المصافحة عن الشيخ عبد المومن الجني، وهو أخذ ذلك عن النبي، وليس بينه وبين النبي عليه السلام إلا واسطة الجني المذكور، فاتفق الفقيهان رحمهما الله تعالى، على أنهما يأتيان للشيخ سيدنا /137/ الصالح ويطلبان منه المصافحة بالسند المذكور، ثم أتيا

¹ إبراهيم بن يوسف، هو ابن الفقيه محمد بن يوسف، كان من أطر الزاوية ومن كبار فقهاء وعلماء القطر التادلي. ترجمته في: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1 / 198-199.

إليه، فلما جلسا بين يديه، قال لهما الشيخ: ما تريدان؟ فقالا له: أردنا المصافحة، ولم يعينا له سندا فيها، وقد كانت عنده بأسانيد مختلفة كما سبق، فقال لهما: هل مصافحة الجني؟ قالوا: نعم، فصافحهما وأذن لهما نفعنا الله به آمين".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه الدَّيْنُ الخَيْرُ الوجيه، السيد الغزواني بن الصغير العميري، قال لي: "كان طلبة الجبَّارات قدموا للشيخ سيدنا الصالح بقصد الزيارة، ثم إن الشيخ قال لهم: سيروا إلى إخوانكم، وودعهم من غير طلب، ولا عزم على الخروج، فقالوا: ما ودعنا الشيخ إلا لأمر حدث عند إخواننا في دوارنا، فخرجوا في الحين، فينما هم في الطريق إذ لقيهم الخبر، وأن أصحابهم اقتتلوا مع أولاد عامر من بني مسكين، ومات بينهم أربع رقاب: اثنان من الجهة، فعظم الأمر على الطلبة حين سمعوا ذلك خوفا من السلطان، إذ عادته أنه يعاقب من وقع عنده مثل ذلك بالعقوبة الشديدة، ثم رجعوا على أثرهم للشيخ وأخبروه بالفتنة التي وقعت عند إخوانهم وخوفهم من السلطان، فلما سمع الشيخ مقالتهم وخوفهم من السلطان، جمع ثوبه وجلس عليه، وقال لهم: ها أنا جلست عليها، ومن قدر على إخراجها فليفعل، لكن تَرْفُدُونَ¹ عشرين كبشا صدقة، فتطوعوا له بذلك، وذهبوا فلم تنقل الفتنة، ولم يكن تصرف فيها لمن له الأحكام المخزنية، فلما أمنوا وسكنت نفوسهم، جمعوا الغنم بطيب نفس إلى أن بقي لهم واحد كمال العشرين، لم يتيسر لهم، فقالوا لرجل منهم: أنت وقفت عليك نوبة الذبيحة للمخزن الذي يرد علينا، فأعطنا تلك الشاة التي تذيبها له نكمل بها هذا العدد

¹ رَفَدَ: بالكسر: العطاء والصلة. والرَّفْدُ، بالفتح: المصدر. رَفَدَهُ يَرْفُدُهُ رَفْدًا: أعطاه، ورفده وأرفده: أعانه، والاسم منه الرفد. وترافدوا: أعان بعضهم بعضا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "رَفَدَ".

لسيدنا الصالح، وأبرأناك من هذه النوبة¹، فأعطاها لهم، ثم قدموا بالغنم للشيخ نفعنا الله به، ولم يعينوا له شيئا مما فعلوا، فقال لهم ﷺ: اقبضوا هذه الشاة، وعزلها، وافعلوا بها ما شئتم، فإذا بها الشاة التي أخذوها من عند الرجل الذي وقفت عليه النوبة في المخزن، كاشَفَ على أمرها، وما وقع في شأنها نفعنا الله به".

ومن كراماته قدس الله سره: ما حدثني به الفقيه السيد الغزواني المذكور، قال: "تزوجت بامرأة من إخواننا، وكان أبوها له ذكروجاه، ثم إن المرأة كرهت، وأمرني والدها نذهب بها حيث شئتُ، فقدمت للشيخ، وذكرت له أمر المرأة، وما أمرني به والدها، فقال لي: لا يفيد في المرأة شيء مما ذكرت، ثم رجعت إلى أهلي، وطلقت المرأة المذكورة، ثم بعد مدة قدمت لزيارة الشيخ، فسألني /138/ عن المرأة، فقلت له يا سيدي: طلقته، فقال لي: وهل تزوجت؟ فقلت له: نعم يا سيدي، فقال لي: هكذا تزوجت! كالمنكر لذلك. ثم إن المرأة ذهبت تغسل في الوادي في ذلك اليوم نفسه الذي تكلمت فيه مع الشيخ، فلم ترجع إلا محمولة، ونزل بها مرض كثير، فطلبوا مني أن نسامحها، لأن البعض من الناس، قال لهم: لم يكن لألمها سبب إلا فلان غار² عليه سيدنا الصالح نفعنا الله به، ثم بقيت المرأة على حالها مدة، إلى أن أتوا بها محمولة لدار الشيخ، ولاذوا به. وسامحها، فعفيت؛ وذلك كله من بركته".

ومن كراماته: ما حدثني به، الفقيه المذكور أيضا عن ابن خاله المكرم عبد الرحمان من نسبه، قال: "كنت لا أفارق الرجل المذكور لأنني أخذت عنه الرماية، إلى أن

¹ النوبة: الفرصة: ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة "نوب".

² غار: جاء في لسان العرب، وغارهم الله بخير ومطرغيرهم غيرا وغيارا ويغورهم: أصابهم مطر وخصب، والاسم الغيرة، وغار الغيث الأرض يغيرها أي سقاها. وغار الرجل يغوره ويغيره غيرا: نفعه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "غير".

حضر له التوفيق من الله، وقدم للشيخ سيدنا الصالح، وأخذ عنه الأوراد، ثم بعد ذلك غرته نفسه، ووقع في معصية، ثم ندم وقدم للشيخ شاكيا بمعصيته التي وقعت منه، فلما جلس بين يديه، وأراد أن يذكر له ما وقع منه، قال له الشيخ: اسكت وتب إلى الله تعالى، فتاب، وحسنت حاله بعد ذلك، من بركته.

ومن كراماته أيضا نفع الله به العباد: ما حدثني به، الفقيه السيد عبد الله بن الغزواني العميري الجباري، قال: "كنت ساكنا بآيت عتاب¹، ثم فقدمت لزيارة الشيخ سيدنا الصالح مع جماعة من الطلبة، وكنا جمعنا دراهم لزيارة الشيخ نفعنا الله به، قدرها خمس وعشرون أوقية، ثم أعطانا بعض من له تصرف في الأحكام المخزنية ثلاث أواق، قال: هذه زيارة الشيخ. ثم إن الطلبة، قالوا: كيف يقبل الشيخ دراهم هذا الرجل؟ فقالوا: اعرفوها. وجعلناها في وسط الدراهم، فلما وصلنا للشيخ نفعنا الله به، ووضعنا الدراهم بين يديه جعلها في يده الكريمة، وأخذ يعزلها، فما كان من دراهم الطلبة يضعه في الأرض، وما كان من دراهم الرجل يقبضه في يده، إلى أن جمع دراهمه كلها بيده، ثم ردها للطلبة، وقال لهم: اذهبوا بها للسوق وكلوها، ولم يأخذ منها موزونة واحدة نفعنا الله به".

ومن كراماته أشرق الله سناه: ما حدثني به أخونا في الله الفقير علي بن أبي يعزى الشكدالي، قال: "كنت نازلا ببلاد ورديفة، في جملة من أصحاب الشيخ، فخرج أصحاب الشريف الأصيل مولانا أحمد الذهبي بن السلطان الأجل مولانا إسماعيل، قدس الله

¹ آيت عتاب قبيلة بربرية، ينتمي لسانها إلى مجال الاتصال بين مصمودة وصنهاجة، وتقع مواطنها في هضاب الأطلس المتوسط الغربي، على الضفة اليمنى لوادي العبيد. وتتوسط قبائل هنتيفة وآيت مساض، في الجنوب والجنوب الشرقي، وآيت بوزيد، في الشرق، وبني عياط في الشمال. ينظر: أحمد عمالك، مادة "آيت عتاب"، معلمة المغرب، الجزء (18)، سنة 1424هـ-2003م، ص: 5972-5973.

روحه على الأعشار، ومعهم كاتبه السيد سعيد الملاي، فأتيت إليه مع مقدم الشيخ الفقير عيسى، وتكلما معه في أصحاب الشيخ إلى أن تفاصلنا معه بسبعين أوقية /139/ على أزواج أصحاب الشيخ، ثم أتى إليه محمد بن التازي العشاقى، وزمّم له أزواج أصحاب الشيخ سبعين زوجا، وقال له: كيف يعطون عليها سبعين أوقية؟ فنادانا الكاتب وأعطانا الزمام، فبعثناه للشيخ مع رجل من أصحابنا، فلما دفعه له وذكر له ما وقع، وعين له الرجل صاحب الزمام. قال الشيخ: يا الله هو زمّمهم الله تعالى لا يلحقه ليوم القبض، فعن قريب أتى الحجام يزيل له الدم من ذراعه، فانتفخ ذراعه إلى أن مات منه، من بركة الشيخ ودعوته، ولم يصل للقبض".

ومن كراماته أدام الله أسراره، وأشرق في سماء المعالي أنواره: ما حدثني به أخونا علي المذكور، قال: "كنت نازلا ببلاد ورديفة، وأتى أصحاب الشريف المذكور أيضا، والكاتب المذكور السيد سعيد الملاي معهم، فأتوا إلي بعد المغرب للمبيت، ففرحت بهم، ثم غضبوا بعد ذلك لكلام واش زاد فيهم، ثم من الغد قدمت للشيخ شاكيا بهم، فلقيني الفقيه الأجل سيدي إبراهيم بن يوسف في الطريق، فردني عن الشكوى بهم، وردني إليهم، وأصلح ما بيننا، وكان الكاتب حين غضب مع أصحاب الشريف، قال لي: والله لا أقبض منك إلا ثلاثين غرارة في الأعشار، ثم ذكرت بعد ذلك مقالته للشيخ نفعنا الله به، وكان الكاتب أعور، فقال لي الشيخ: الله يعميه من العين الأخرى، فلما قدم الكاتب المذكور على الشريف مولانا أحمد في قصبته، حلف يمينا عليه ليعمين له العين الباقية، فعماه منها بدعوته".

¹ زمم: زَمَّ الشيء يَزْمُهُ زَمًّا فانزَمَّ: شده. والزمام: ما زم به، والجمع أزمّة. والزمام: الحبل الذي يجعل في البرة والخشبة، وقد زَمَّ البعير بالزمام. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "زمم". وقد استعملت هنا بمعنى: التقييد والكتابة.

ومن كراماته : ما حدثني به الشريف الأصيل السيد أحمد زروق المباركي، قال: "كان في صغره، قبل بلوغه يعتره قرين¹ يصرعه كثيرا، إلى أن ورد عليهم في بلادهم يوما العارف بالله سيدنا الصالح، نفعنا الله به، فصرعه القرين، فأتى إليه به والده الأحمطى، الخيّر المرتضى، سيدي محمد الحاج، فلما أحضره بين يديه، أذن في أذنه، قال: فما أكمل الأذان حتى أفاق من سكره، وعفي من ذلك اليوم، ولم يعد إليه القرين بعد ذلك من بركته نفعنا الله به، آمين".

ومن كراماته أعلى الله مقامه: ما حدثني به الفقيه السيد عبد القادر بن الصالح الشرقاوي، قال: "كنت أقرأ في نزلة والدي بوادي بوكروم، وفي يوم الأربعاء، قدمت على سيدنا الصالح أسأله عن النعت السببي، لأنني وقفت فيه على كلام نفيس عند السعد، وأتيت لاختيار ما عنده. ثم إنني لما وصلت إليه ابتدأني بالمسألة التي أردت أن أسأله عنها، فقال لي قبل أن أكلمه: "ما تقول في قولك: زيد ذاهب أبوه، فعلمت أنه كاشف عما في نفسي، فتطلبت الكلام الذي كنت حقيقته في المسألة/140 لأجيبه فلم أجد شيئا من ذلك، ولم تبق عندي منه بقية، كأنني ما سمعت المسألة أصلا، فعلمت أن ذلك أصابني منه".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه الدّين السيد صالح النفاتي الفكري الشكدالي، قال: "كنت عند الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به وأصحابنا نازلون عند السدرة² المحررة، من سهب الزيار، ثم ناداني الشيخ نفعنا الله به عند العصر، وقال لي: أين

¹ القرين، ج: قرناء، الشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة "قرن".
² سدر: السدر: شجرة النبق واحدها سدرة وجمعها سدرات، والسدر من الشجر سدران: أحدهما بري لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقه للغسل، والسدر الثاني ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "سدر".

أصحابكم ينزلون؟، فقلت له يا سيدي: بالموضع الفلاني، فقال لي نفعنا الله به: اطلب اللطف، وكررها علي، فقلت في نفسي: هذه إشارة من الشيخ على أصحابنا لعلمهم يصيبهم شيء، ثم من الغد أصبح أصحابنا بأبي الجعد على سيدنا، وذكروا أن غنمهم أكلها بعض اللصوص من قبيلة ورديفة، ضربوا عليهم، وكانت السنة غالية، فعلمت أن الشيخ نفعنا الله به، لذلك أشار بقوله: أطلب اللطف وكذلك بسؤاله عنهم".

ومن كراماته أدام الله مجادته: ما حدثني به السيد الصالح المذكور عن أخينا في الله الفقير جابر، قال: "كنت بباب الشيخ سيدنا الصالح، ثم إنه خرج من الدار، وقال له: بابنا هذا من وقف عليه حرّم الله جسده على النار، أو أدخله الجنة، الشك من الناقل عن أخينا جابر رحمه الله تعالى".

ومما حدثني به الفقيه المذكور عن الحاج الحسن السكوري، وكان من أصحاب الشيخ الإمام سيدي أحمد بن ناصر نفعنا الله به، قال: "كان في مرض موته، قال: رأيت الرحمة تنزل من الباري جل جلاله، وقائل يقول: رب أنزل رحمته على سيدي الصالح يرحم بها عباده".

ومن كراماته أشرق الله أنواره: ما وقع له مع القائد المحجوب¹، وكان خليفة بتادلة من تحت الشريف مولانا أحمد بن إسماعيل، وترد عليه كتب من عند سيدي الصالح، نفعنا الله به، يشفع فيها للناس عنده على عاداته، وإن من نزل به شيء من جهة المخزن يأتي إليه، ويطلبه الشفاعة فكتب للحاكم، ثم إن الحاكم المذكور لما تكاثرت عليه

¹ القائد المحجوب كان هو الباشا عند مولاي أحمد بن إسماعيل بتادلة ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 153 (ب).

البروات¹ من عند الشيخ، وقدم إليه صاحب الشيخ أخونا بلعيد العوني² بكتاب من عند الشيخ على أناس وكان الشيخ يبعثه بكتبه، فلما دفع الكتاب للحاكم، قال له: دار الحكومة إن كانت لسيدنا الصالح يأتي إليها، وإن كانت لي فليتركها إلينا، فقدم الفقير بلعيد للشيخ، وذكر له مقالة الحاكم المذكور، فقال له الشيخ نفعنا الله به، لا أجلس فيها أنا، ولا يجلس فيها هو أيضا، فمن الغد عزل الحاكم المذكور من الحكومة وصارت لغيره".

ومن كراماته: ما حدثني به المسن أخونا أبو يعزى الفكروني، قال: "كنت جالسا مع /141/ الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، ببابه الكريم المعلوم لجلوسه، وهو جالس على اللوح المعروف بالباب، ومعه أخونا في الله الفقير يعقوب، وكان من أصحاب الصالح الإمام العارف الهمام سيدي الحسن اليوسي، ومعه نحو ثلاثة رجال، فإذا بحمامة نزلت على دفة بابه، نفعنا الله به، ونحن ننظر إليها، وتكلمت بأصوات الحمام، ما فهمنا شيئا منها، وقد استغربنا نزولها على ذلك الموضع، ثم إن سيدنا الصالح نفعنا الله به، مد يده وكتب بطاقة، ثم قام وهي بيده إلى أن جعلها تحت جناح الحمامة، ثم طارت، فسأله أخونا يعقوب عن شأن تلك الحمامة، فقال له: ذلك السيد أتانا من بغداد نزل عندهم بلاء، وأتى يَتَسَبَّبُ عندنا".

ومن كراماته ونفعنا به: ما حدثني به الفقيه المذكور أعلاه، أيضا، وهو أخونا أبو يعزى، قال: "كنت نازلا قرب الزم، من بلاد ورديفة، وسُرقت نُقْرَة أهلي، وقدمت لسيدنا

¹ من اللسان العامي، يقصد به "الرسائل".

² كان مكلفا بمهمة إيصال كتب الشيخ، وترأس وفد رسله إلى القصبة التادلية مركز إقامة الوالي أو الأمير. ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/222.

الصالح على ذلك، فلما كنت بِمَطْلُوسٌ، قلت لمن كان معي: اشهدوا علي، إن لم يرد علي سيدي الصالح متاعي عمري لا آتي داره، ثم لما وصلت إليه نفعنا الله به، قال لي قبل أن أتكلم: اذهب للشيخ سيدي محمد الشرقي، فذهبت إليه، وزرته، ثم رجعت إليه، فلما وقفت أمامه، قال لي: تعرف ما تقول يا ظالم؟ تقول: إن لم يرد علي الصالح متاعي عمري لا أقف في داره، وهل أنا ذرّاوي؟ فقلت له يا سيدي: كل من عرف شيخا، أو قائدا، أو صالحا، تعنى به، وأنا عرفتك. ثم نادى السيد أبا القاسم بن الباهي الهلومي، وقال له: اذهب مع أبي يعزى لإخوانه الفُكَاوَنَة وقل لهم: يردوا عليه متاعه، ومن رده فالله يبقي عليه ستره، وإن لم يردوا عليه فالله يسلط على من أخذه السحيق والنحيق، وأنا أجلت لهم ثلاثة أيام. فذهب الرجل معي لإخوانه، وبرّحوا¹ على ذلك، فصاروا يضحكون مني ويقولون: من يرد له النقرة؟ فلما كان الليل، وأنا نائم وقف الشيخ نفعنا الله به، علي في خيمتي، فقال لي: إن أصبح متاعك أمام خيمتك فذاك، وإن لم يصبح فهو في قِدرَة عند العرعارة الفلانية، ثم لما استيقظت، وجدت متاعي أمام خيمتي، ولم يضع منه شيء، ولا علمت من أتى به، وكل ذلك من بركته، رزقنا الله رضاه. ومنحنا سره ونداه، آمين. ما هي بأول بركته".

¹ البراح، بفتح الباء وتشديد الراء المفتوحة - يستعمل في العربية الدارجة والأمازيغية بنفس اللفظ والمعنى، ويقابله في الفصحى كلمة (المنادي). فالبراح هو الشخص الذي يتولى مهمة الإعلام، وذلك بإطلاق النداء بأعلى صوته في الأسواق والمواسم وأمام المساجد وساحات المدينة ودروبها، وفي مختلف القرى والمداشر. وكان يعلن ما جد من الأحداث العامة منها والمحلية، وما يتخذة المخزن أو مجلس القبيلة أو الهيئة الحضرية من القرارات والمواقف، كما يعلن أحيانا عن حاجات الأسر والأفراد. ينظر: عمر أفا، مادة "البراح"، معلمة المغرب، 1411هـ-1991م، الجزء (4)، ص: 1151-1152.

ومن كراماته أدام الله سره، ما حدثني به أخونا في الله الفقير عبد السلام الجيلي، قال: "كنت أنزل بخيمتي مع الناس، تخوفا من المخزن، إلى أن نزلت مع بعض مجاط¹، وكان بيدي مال ماش، وتأدوا من ذلك، فقدمت للشيخ سيدي الصالح، وشكوت له ذلك، وقلت له يا سيدي: "الناس يشكون من بهائي، ويتخوفون من المخزن /142/ بسبب ذلك، فقال لي: إنزل بخيمتك وحدك حتى ينزل الناس عليك، فنزلت بخيمتي وحدي، وصار الناس ينزلون علي، فقلت له يا سيدي: كيف أنتسب؟ فقال لي نفعنا الله به: قل: عَزِبَ الصالح، فظهرت بركته علينا".

ومن كراماته رضي الله وأرضاه، وجعل في أعالي الفراديس قراره ومثواه: ما حدثني به الفقيه النبيه، الأحب الوجيه، السيد محمد بن مولود الزموري، عن رجل ينتسب للقراءة من بني عمير، قال: حدثني الرجل المذكور أن زوجته خرجت من خيمته للخلاء، وتبعها ولده منها، وهو صغير، فردته فأبى، فقالت المرأة في تخويف الصبي: إيوَ له يا الذيب، فاختطف الصبي من حينه، ولم تدر من ذهب به، فعظمت المصيبة عليهم، فأتى والده المذكور لسيدنا الصالح، واشتكى عليه بما وقع له من مصيبة ولده، فكتب له الشيخ سيدنا الصالح للولي سيدي علي وحسين، وقال له في كتابه: إن الذيب اختطف ولد هذا الرجل، فانظره له، فلما وصل الرجل بالكتاب للشيخ سيدي علي وحسين، أمره

¹ مجاط، إحدى قبائل الأطلس الصغير الغربي، تحدها شمالا: قبائل إيذا وسملال، وآيت وافقا وإيدار وبعقيل جنوبا: إفران وآيتحربيل، شرقا: آيت عبد الله أوسعيد، غربا: آيت رخا وأولاد جزار. والكلمة تصحيف للاسم الأمازيغي إيمجاج، جمع أمجوض، وتعني الأقرع/ الأصلع، ويضاف إليها تيزلي من فعل "ءيزلم" أي الاسم كما تتداوله الروايات له علاقة بما تتصف به طبغرافية المنطقة، حيث التضاريس الجبلية الوعرة، وتربة تميل إلى الحمرة مع أراضي عارية من الغطاء النباتي. واسم مجاط تحمله عدد من المجموعات البشرية، كل واحدة تستقر بمجال، ومن جملتها: مجاط ناحية مكناس ومجاط ناحية تادلة، ومجاط ساحل الساقية الحمراء، ومجاط الأطلس الصغير. ينظر: أحمد بومزكو "مادة" مجاط"، معلمة المغرب، 1425هـ-2004م، الجزء (20)، ص: 693.

بالتوجه للعين التي بأزرو تحت البرج¹، وقال له: قف هنالك ولا تخف من شيء حتى يأتيك السلطان بجنوده وآلاته، فتعرض له، وادفع له هذا الكتاب، وهو كتاب سيدنا الصالح، فأتى الرجل للموضع المذكور نهارا، ووقف هنالك، فإذا بالسلطان بجنوده وآلاته على الحالة التي ذكر له الشيخ سيدي علي وحسين، فتقدم إليه، ودفع له الكتاب، فقال له السلطان: مرحبا برائحة سيدي الصالح بن المعطي وبصاحبه، مرحبا برائحة سيدي علي وحسين، ثم قبل الكتاب وقرأه، وقال: أين الذيب؟ فقالوا له أصحابه: ببغداد، فأمرهم بإحضاره، وأحضر بين يديه في الحين، فقال له: أين الصبي ولد هذا الرجل الذي عندك؟ قال: هو عندي ببغداد، فأمره بإحضاره. فأحضر الصبي بين يدي الأمير في الحين في رجله فردة بلغة، والرجل الأخرى حافية، لا شيء بها، فقال له السلطان: لم أخذت هذا الولد؟ قال: أمه أمرتني بذلك، وقالت: خذه يا الذيب، فأخذته، فقال له: وأين فردته؟ قال: لم أجد عنده إلا التي برجله، والأخرى عند أمه، فدفع الصبي لوالده، وأتى به، فقال بعد الحكاية: يسألني الله عن هذا الأمر، وأنه كذلك وقع لي، وولدي حي الآن".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا، قال لي: "كان رجل من أصحاب سيدنا الصالح بأبي الجعد، وخرج ذات يوم بحمارة له، يحتطب عليها في كُدأبْدَاوُود، ثم تسلط عليه من قتله، وأخفوه تحت كركور من الحجر، ولم يظهر خبره

¹ البرج بالمغرب، بناء عال محصن، قد يكون لاحقا بغيره من البنايات (أسوار، أبواب الأسوار...)، أو منعزلا عنها، ويتخذ أشكالا مختلفة، فنجده مربع الشكل، أو مستطيلا، أو دائريا أو متعدد الأضلاع كما تختلف مادة بنائه فتكون حجرا أو آجرا أو طابية، أو بعض هذه المواد مشتركة. وتدعم بناية البرج كما تدعم الجدران العادية بمواد أخرى أهمها الخشب. وللبرج في الحضارة الإسلامية تاريخ طويل وحافل، ووجود مستمر اقترن بالفتوحات والتنظيمات الدفاعية التي اعتمدها المسلمون لحماية وحراسة الأراضي والتحكم فيها. ينظر: عبد العزيز توري، مادة "البرج"، معلمة المغرب، 1411هـ-1991م، الجزء (4)، ص: 1142-1145.

إلا في اليوم الثاني من موته، ولم يعلم قاتله، ثم إن سيدنا الصالح أتى من داره ومر على باب المدرسة، وأنا بها /143/ كنت أقرأ بها حينئذ، والناس تابعون له، ولا يتكلم مع أحد، فتبعته من جملتهم إلى أن وصل لباب الجامع الكبير الموالي للحمام. ولم يدر أحد ما يريد، فخرج رجل من دارهنالك بقرب الباب المذكور، فقال الشيخ للناس: اقبضوه. هذا الذي قتل صاحبي، فقبضوه، وقال للناس: ادخلوا لداره، فإن حمامة المقتول بها، فدخلوا للدار فوجدوا الحمامة بها، كما قال الشيخ، ثم رجع نفعنا الله به، والناس خلفه، ومر بدار المرابط السيد عبد القادر بن التونسي، ثم مر على مراح البقر على ديار أولاد السيد العروسي، وخرج لريف أولاد سيدي أحمد الحارثي، إلى أن أتى لدار قرب جامعهم المعلوم، فدخل إليها وأخرج فقيرا منهم، وقال للناس: اقبضوه، فإنه قتل صاحبي فقبضوه، وقال: أدخلوا لداره، وخرجوا حائك صاحبي، فدخلوا فوجدوا في الدار حائك صاحبه المقتول بدمه، مملوا به، فهت الناس من ذلك، ثم أقر الرجلان المقبوضان بأنهما قتلا الرجل المذكور، ثم قال لهم الشيخ: اذهبوا بهما لقصبة تادلة للحاكم يقتلهم، فذهبوا بهما، فقتل الرجل الأول، وسجن الفقير، حتى طال سجنه، ثم سُرح.

ومن كراماته ما حدثني به الفقيه المذكور: قال: "كنت أقرأ على الفقيه الأجل سيدي عبد القادر بن أبي القاسم، وأنا من جملة المسافرين الذين عنده للقراءة، بجامعه المعروف له، ثم إن الفقيه سرقت داره ذات ليلة، فلما أصبح الصباح، أخذنا في قراءة دولة سيدي خليل على الفقيه المذكور، فإذا بالسيد الصالح دخل علينا، فقام الفقيه حافيا، فقال له الشيخ نفعنا الله به: سرقوك، قال: نعم يا سيدي، ثم خرج سيدنا الصالح، ولم يتبعه الفقيه، وتبعه الناس وأنا فيمن تبعه إلى أن أتى لدار المرابط سيدي الهزميري، فخرج إليه، فقال له: تسرق يا ظالم الفقيه السيد عبد القادر؟ فقال: يا سيدي سرقته، فقال له: رد له متاعه، فرد ما عنده، ثم قدم الشيخ من عنده لريف

الفقراء أولاد سيدي الطنجي، وناداهم، فقال لهم: تسرقون الفقيه يا ظلام، فقالوا: سرقناه يا سيدي وقد حضر نحو الاثنين، فأمرهم برد متاعه، فردوا له جميع ما بقي من السرقة في الحين".

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا، أن والده السيد مولوداً، سرقت له بقرة، وشك في مصلة وادعى عليهم بها، وصالحوه ثم رجع عليهم ثانياً، وصالحوه، ثم رجع عليهم، ودعاهم للأحكام بالقصبة التادلية، ثم إن بعض المرابطين من إخوان الشيخ، وكان يدافع عن المتهمين، قال له مع أولئك الأقوام: "دعوناك للسيد الصالح، فقدم والدي معهم، وهو خائف من الشيخ أن يبرئهم لأن الوالد /144/ لم يكن عنده تحقيق بأنهم الذين سرقوه، وإنما كان اتهمهم، فلما أقبلوا على الشيخ: بجماعتهم صاح عليهم، وقال المرابط: اذهب نحو من ثلاث مرات، ومد بها صوته، وقال له: بتلك الشيبة يأتونك السراق بالبقرة، ويذبحونها وتآكل لحمها، وتتوسد جلدها، وكان من قدر الله أن المرابط بات عند أولئك الأقوام في دوارهم وأتوا بالبقرة وذبحوها، وأكل من لحمها، وتوسد جلدها. فرجعوا من عند الشيخ ودعاهم الوالد للقصبة، فلما كانوا بالطريق بطالع كُرَيَّان، قال المرابط لوالدي: دخلنا عليك ولم تكبر على أصحابنا، فقال له الوالد: لو أقروا لي لسلمت لهم، فقال المرابط: وأين كلام سيدنا الصالح؟ وهل ترموه والله إلا أثوابها، وذبحوها، وأكلت منها، وتوسدت جلدها كما قال نفعنا الله به، وإن أنكروا فأنا أشهد عليهم، فسامحهم الوالد عند ذلك، وظهر مصداق قوله".

ومن كراماته وأرضاه ما وقع له مع رجل من اكطاية¹، وكان نازلاً ببلاد زعير مع بعض أهل البادية، فرحلوا على عادتهم ومروا بعقبة تسمى كدية اللحم، معروفة بتلك البلاد لصعوبتها، والطريق فيها تمر على شفا جرف، وقد حمل الرجل رجله على ثور له، وركب أولاده عليه أيضاً، ثم إن رجل الثور نزلت في المحل المخوف، فخاف الرجل على ثوره وأولاده من السقوط، فاستغاث بالشيخ سيدنا الصالح عليه السلام، فقال له الشيخ: "ها أنا جداءك، فسمع هو ومن حضر صوته، ولم يروا شخصه، فحفظ الله ثوره وأولاده مع بعد السلامة منه، وقد حقق الرجل صوت الشيخ لمعرفته به، إذ كان والده من أصحابه".

ومن كراماته: ما حدثني به الشريف الأصيل الأحب الأثيل، السيد أحمد زروق من أولاد سيدي محمد بن مبارك، عن الفقيه الأجل الدين الأمل، السيد سحنون بن الولي العالم سيدي محمد بن يوسف، قال الفقيه المذكور: "كنت عند سيدنا الصالح بأبي الجعد أريد أن نوادعه، ونذهب لقصبة تادلة، أريد السفر لمدينة فاس، وكانت الطريق بين أبي الجعد والقصبة شديدة الخوف، لا يسلكها إلا من كان في رفقة كثيرة، ثم لما اجتمعت الرفقة بعثت له لنوادعه، فقال للرسول: قل له: ينتظرنى ولازلت أبعث إليه، ويأمرني بالانتظار إلى أن ذهبت الرفقة عني، ولم يبق أحد معي، ثم خرج معي خارج القرية، وودعني فقصدت لقصبة تادلة، وفي القلب ما يعلمه الله من الخوف في الطريق، وليس معي أحد. فكلما وصلت لمحل مخوف، التفت خلفي، فنجدته رضي الله /145/ عنه في محله الذي ودعني فيه، وأزال الله عني جميع ما بيني وبينه من الحجب، ويظهر لي أنه قريب مني جداً ثم أجد السير إلى أن يشتد علي الخوف، فألتفت فأجده على الحالة

¹ كطاية قبيلة من آيت الربع. ينظر: محمد بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال، 1854-1916، ص: 264.

الأولى إلى أن قربت من قصبة تادلة، بعد أن قطعت الوادي المعروف بِكَيْكَاطُ، وأمنت نفسي، فالتفتت إليه، فلم أره وغاب عني، رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا تحت ظله، وممن دخل في حماه".

ومن كراماته ونفعنا به: ما حدثني به سيدنا ومولانا سيدنا المعطى، عن الفقير محمد الهرفالي، قال: "قدمت من هرفالة¹، بقصد زيارة سيدنا الصالح ومنه لزيارة سيدي أبي يعزى، نفعنا الله بهما، ثم إني لما أخذت في أهبة السفر أتاني رجل من أولاد البركة العارف بالله العابد سيدي علي بن إبراهيم، نفعنا الله به، بسليخة تمر، وقال لي: نريد أن تذهب بها أمانة مني لسيدنا الصالح، فأتيت بها، فلما وصلت دفعتها إليه، وقلت له: يا سيدي بعثها لك سيدي فلان من أولاد سيدي علي بن إبراهيم، ثم بعد ذلك ودعني لزيارة سيدي أبي يعزى نفعنا الله به، فلما رجعت من زيارتي لسيدنا الصالح، وأردت موادعته لأرجع لداري، ناولني السليخة التي كنت أتيتها بها من عند المرابط المذكور، وقال لي: قل له: يفرقها على أولاده، ثم لما قدمت لأهلي لقيني المرابط المذكور الذي بعث معي الأمانة، فسألني عن أمانته، فقلت له: وصلت لسيدي الصالح، وفرح بها، فسر الفقير بذلك، وحمد الله سبحانه ظنا منه أن الأمر كما ذكرت له. ثم ناولته أمانته، وقلت له: يقول لك سيدي الصالح: قسمها على أولادك، فقال المرابط: الله أكبر! ردها لكونها أعطانيها بعض من له الأحكام المخزنية بصيرة منه ونفعنا به، أمين".

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به سيدنا المذكور أدام الله علاه عن الفقيه الأجل سيدي محمد بن عبد الخالق من أولاد الشيخ الأجل سيدي عبد النبي، كان الفقيه

¹ هرفالة من بين أفخاذ صنهاجة الظل الذين يوجدون بين آيت اعتاب وبني موسى. ينظر: البيدق، الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، ص: 56.

المذكور نازلا بأبي الجعد في أيام بعض الولاة. وأراد إخوانه أن يكلفوه بشيء من المغرم، فعزم الفقيه المذكور على الانتقال لبلاد بني مسكين فرارا مما أرادوا منه، لأنه يعرف بعض الولاة في البلدة المذكورة، ثم أتى الفقيه المذكور لسيدنا الصالح يستشيريه على الانتقال، ولما رجع من عنده وبعد من دار الشيخ، فإذا بالشيخ سيدنا الصالح ينادي عليه، يا محمد، اجلس في بلادك، فلم يدر الفقيه المذكور هل هو المراد بالنداء أو غيره، لأن من يتسمى باسمه كثير، ثم ناداه الشيخ نفعنا الله به، يا محمد بن عبد الخالق اجلس في بلادك/146، فعلم أنه المراد بنداء الشيخ، فجلس ولم يربعد ذلك مكروها، ولم يطالب بشيء من بركته.

ومن كراماته أيضا أسى الله سيادته: ما حدثني به الشريف السيد أحمد زروق المباركي، رحمة الله عليه، عن الفقيه الأجل، الدين الخير الأمل، سيدي إبراهيم بن يوسف، قال: "كنا جالسين مع الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، في مجلس إقراء السبكي في الأصول، حتى ورد علينا رجل في المجلس وسلم عليه، وقال له الشيخ: من أين كان قدومك؟، فقال الرجل: قدمت من الغرب، فقال له الشيخ: ما الخبر؟ فقال له الرجل: السلطان أعطى بلاد تامسنا¹ للقائد غانم²، فصاح الشيخ نفعنا الله به، عند

¹ تامسنا، منطقة اقترن اسمها في كتب تاريخ المغرب الوسيط بإمارة برغواطة، جعل هذا الاقتران بعض الدارسين يجعلون منطقة تامسنا مطابقة لإمارة برغواطة. وتامسنا اسم بربري أطلق على المنطقة كما أطلق نفس الاسم، (بصيغة المذكر) وغير بعيد عن المنطقة، على إحدى البحيرات (أمسنا). وتعني راحة اليد وما شابهها من بسيط الأرض. جعل الحسن الوزان في وصف أفريقيا لتامسنا حدودا طبيعية هي أبو رقراق شمالا، وأم الربيع جنوبا، والمحيط الأطلسي غربا والأطلس غربا، والأطلس المتوسط شرقا. ينظر: محمد حجاج الطويل، مادة "تامسنا"، دار الأمان، الرباط، معلمة المغرب، الجزء (7)، الطبعة الثانية، 1435هـ-2014م، ص: 2180-2182.

² ورد ذكره في: أحمد الناصري، الاستقصا، ج 139/7 عندما تحدث عن "ثورة أهل فاس بعاملهم مسعود الروسي وانتفاضهم على السلطان أبي الحسن".

سماعه مقالة الرجل، وقال: والله لا عملناها له، فلم يتم للقائد المذكور إعطاء السلطان وانحل الأمر، ولم يتصرف في البلاد المذكورة أصلا من بركته".

وحدثني المرابط المذكور بذلك عن الفقيه سيدي أحمد الشاوي، وقد كان حاضرا في المجلس المذكور. ومن هذا المعنى أيضا، ما حدثني به الفقيه الأجل، محبنا وأخونا في الله عز وجل، السيد محمد بن عبد الكريم العبدوني¹، قال لي: "كنت أقرأ على الشيخ سيدنا الصالح بباب داره كتاب الجرومية، فإذا برجل ورد عليه من ناحية مراكش، فقال له الشيخ: ما الخبر؟ فقال له الرجل: سمعنا بأن السلطان رد الباشا غازي إلى بلاد تامسنا، فقال له الشيخ نفعنا الله به: والله لا رددناه إليها، وقد كان الباشا المذكور قبل ذلك مؤلّا على البلاد المذكورة، فلم تكمل له هذه الولاية الثانية، ولم يصل للبلاد أصلا من بركته بعد ولايته".

ومن كراماته أيضا أدام الله عنايته: ما حدثني به سيدنا الإمام، القدوة الهمام، سيدنا المعطي، قال لي: "توفيت زوجة عمنا الصالح العلامة، الخاشع الفهامة، سيدي محمد بن العارف الإمام، المقدم في العلوم ورئيس أئمة الإسلام، سيدي محمد المعطي نفعنا الله به، ليلا من النفاس، وكانت لها منزلة في قلب عمنا المذكور تخوفنا عليه بسبب

¹ محمد بن عبد الكريم العبدوني المشهور باسم "الفقيه بن عبد الكريم" ويمثل مع الحسن الهداجي مفخرة الزاوية، باعتبارهما من خيرة ما أنجبتة حلقات الدراسة بها. التحق محمد بن عبد الكريم بمدرسة الزاوية، وهو صغير السن واستمر مواظبا على دروس أشياخها خاصة محمد الصالح ومن بعده محمد المعطي إلى أن أصبح واحدا من أبرز علماءها وفقهائها، كما لازم الشيخين معا وسلك عليهما طريق التصوف، خاصة الشيخ المعطي الذي قال عنه: إنه لم يفارقه مدة اثنين وأربعين سنة، إذ كان يجد فيه شيخه، التلميذ المصغي، والمريد الطيع المتفاني في محبته وخدمته، والأنيس له في خلوته ووحدته، خاصة عند ما كان مشغلا بتأليف كتابه "الذخيرة". وكان رفيقه أثناء تنقله وترحاله، مسجلا لمختلف اللحظات الحاسمة في حياة هاته الشخصية. كما جاء ذلك مسطرا في مؤلفه "اليتيمة" الذي يعتبر من أهم مؤلفات وتراث الزاوية الفكري. توفي سنة 1189 هـ ترجمته في: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/224-225.

موتها، فقدم إليه الوالد سيدنا الصالح وقدمت معه ليلا لما يعلم من عظمة المصيبة على العم، فلما وصل الشيخ لدار عمنا دخل بيتا فيه خزانة، وجلس مستقبل القبلة يذكر الله كالغائب في ذلك وعمنا يتأوه من مصيبة زوجه المذكورة، إلى أن كان آخر الليل، فقال الشيخ نفعنا الله به: منتشدا:

[البسيط]

يَا رَاقِدًا بِاللَّيْلِ مَسْرُورًا بِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ يَطْرُقْنَ أَسْحَارًا¹

فلم يفقه الحاضرون إشارة الشيخ؛ فإذا بأصحاب الأمير باتوا قرب البلاد، أمرهم بإخلائها وإخراج أهلها /147/ منها، ولم يشعر أهل البلاد بذلك، فلما قرب الفجر، خرج الناس على عادتهم للماء يتوضأون، فإذا بأصحاب الأمير عليهم، وقبضوهم، فعند ذلك فهم الناس إشارة الشيخ نفعنا الله به، وتروعت البلاد من ذلك كثيرا.

ومن كراماته أدام الله سيادته: ما حدثني به سيدنا المذكور: عن الفقير الدين السيد الغزواني بن (الحسن العجلاني)، عن الفقيه الأرضي الدين الخير المرتضى، سيدي محمد بن التومي الزمراني، قال: "كان الشيخ سيدنا الصالح، قاصدا الغرب، فلما كان في أثناء الطريق نزل بمكان، ونزل أمامه طائر، وصار الطائر يلفظ والشيخ نفعنا الله به، يكتب إلى أن فرغ. فسأله الفقيه المذكور عن ذلك، فقال له الشيخ: ذاك الطائر قدم من

¹ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: محمد بن حازم الباهلي، ديوان الباهلي، صنعه، محمد خير البقاعي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1981-1982م، ص: 56. وهو أبو جعفر محمد بن حازم بن عمرو الباهلي، الشاعر، ولد بالبصرة. ونشأ ببغداد، له أشعار معروفة وأخبار متداولة، وهو من شعراء الدولة العباسية، توفي سنة 195هـ، ترجمته في: أبي الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج 14/60-72.

مدينة بالهند، أو قال: وراء الهند، تسمى موخة. وكان يخبرني بخبرها، وأنا أقيد عنه ذلك".

ومن كراماته أدام الله علاه: ما حدثني به سيدنا أيضا بعد أن تلقيته قبل ذلك من المرابط السيد أحمد زروق أيضا، قال: "كان رجل يسمى بالفقير علي من سوس الأقصى من إداونضيف¹ يسرح معز سيدنا الوالد سيدي الصالح نحو أربع سنين، فسألته يوما عن حاله، وسبب إتيانه وتغريبه من بلاده وانتقاله، وعن سبب صحبته مع الوالد، فقال لي: كنت ببلادي، ثم خرجت منها يوما، وأقسمت بالله، لا جعلت شيخي إلا من يأخذ بيدي، ويقول لي: أنا أعطيك الورد من غير طلب، فأخذت في السير إلى أن وصلت بمراكش، وأقمت بها سنين، ثم خرجت منها بجبال الزيب²، فأقمت بها سنين أخدم صنعة النقاشة، ثم أتيت من تلك الجبال لزيارة الشيخ أبي يعزى، نفعنا الله به، فلما وصلت ضريحه المبارك، فإذا بسيدي الصالح نازل بدويرية قرب قبته المباركة، قدم زائرا، فسمعت به، ولم أكن أعرفه قبل ذلك، ولا رأيته أصلا، ثم جلست يوما في أثناء إقامتي بصحن روضة سيدي أبي يعزى في جماعة من الناس، فخرج علينا سيدي الصالح من تلك الدويرية التي هو نازل بها، وبيده سطله فيها ماء للوضوء، فأشار إلي من بين القوم، فأتيت إليه، فناولني الإناء الذي بيده، وخرجت معه على أثره إلى أن خرج من

¹ إداونظيف، قبيلة في الأطلس الصغير الأوسط يحدها شرقا وجنوبا إداونزال وشمالا أرغن وغربا إدا وزدوت وإداوكنسوس، وهو غير إداوكنيضيف التي تعد من اتحادية هلاله (إلالن)، اشتهر إداونظيف باستغلال بعض المعادن بطرق تقليدية، وكانوا يصنعون منها خناجر مقوسة ذات شهر واسعة. ينظر: أحمد التوفيق، مادة "إداونظيف"، معلمة المغرب، الجزء (1)، سنة، 1410هـ-1989م، ص: 230.

² ورد ذكره في: أحمد الناصري، الاستقصا. قال: "وكان السلطان المول عبد الله قد وجه عامله، القائد أبا العباس أحمد الكعيدي عاملا على عرب الحياينة وأهل جبل الزيب لجباية الزكوات والأعشار، فلما توسط بلاد الحياينة عدوا عليه فقتلوه". ج 7/153.

القرية، ففضى حاجته، ثم توضأ. ولما أكمل وضوءه، قال لي نفعنا الله به: ايت نعطيك الورد، فأخذته عنه، ولأزلت عنده إلى الآن، قال سيدنا المعطى نفعنا الله به: ثم بعد ذلك ودعه الوالد لبلاده، وصار يأتي لزيارة الشيخ نفعنا الله به في كل سنة، ويودعه الشيخ لبلاده، إلى أن قدم سنة زائراً للشيخ على عادته، وطال مقامه عنده، فسألته عن سبب طول إقامته هذه المرة، فقال لي: كلما أردت موادة الشيخ، يقول لي: اصبر ولعل أجلي قرب، ولذلك قبضني الشيخ رضي/148/ الله عنه، فبقي عند الوالد نحو الأربعة أشهر، ثم ودعه لبلاده، ولم يظهر عندنا بعد ذلك إلى أن قدمت يوماً لقصبة تادلة، فلقيت رجلاً من بلاده، فسألته عنه، فأخبرني بوفاته، وقال لي: لما قدم من عند الشيخ للبلاد، مرض وصار يدعو الناس لموادة، وأخبرهم بأنه يموت، فصاروا يضحكون من قوله، ويقولون: لعله خرج عقله، ثم توفي من الغد رحمه الله تعالى".

ومن كراماته، ونفعنا به: ما حدثني به سيدنا أعزه الله، قال: "حدثني رجل من أهل توات¹، قال: كنت بمدينة الرسول، قدمت حاجاً، ثم أخذت يوماً في إصلاح أكاف² دابتي، فأصابني مخيظ في ركبتي، فمرضت منه مرضاً شديداً، واعتراني نحول وضعف بسببه إلى أن صرت لا أتحرك إلا حبوا مع قلة ما بيدي، ثم فتح الله علي في زقاق أتكلف الوصول إليه كل يوم، فأجد فيه فلوساً في قراطيس، أنفق منها على نفسي، ولم أدر من أين تأتي، فتعدت ذلك زماناً في كل يوم أجد ذلك إلى أن بعث إلي رجل من توات بدينار تصدق به

¹ توات من بين أهم واحات جنوب شرق المغرب آنذاك. وقد ضمها السعديون قبل سنة 1530م، لأهميتها في ملتقى الطرق التجارية، ومحطة رئيسة في طريق القوافل المغربية المتوجهة إلى بلاد السودان أو العائدة منه. وقد دخلت تحت النفوذ العلوي سنة 1645م، فأصبح الاهتمام بها كبيراً في عهد مولاي إسماعيل، فكان عماله يترددون عليها بانتظام، فيما بين 1676م و1727م، لجباية الضرائب، ومراقبة تجارة الذهب. ينظر: الهامش رقم (2)، محمد الخليلي، الدرّة الجليلية، ج 1/124.

² إكاف الحمار، ووكافه: برذعته والأكاف: صانعه. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة "أكف".

علي، ووصلتي فتطلّبت الفلوس على عادتي بذلك الزقاق، فلم أجد شيئاً وانقطع عني ذلك، فتحيرت بسببه، لأنني لم يكن عندي شيء إلا ما يفتح علي من ذلك المحل، ثم لقيت رجلاً بعد ذلك عليه سمة الخير، فسألني عن حالي، فذكرت له قضيتي وسبب مرضي، فقال لي: قل: يا مدينة الرسول هذا عهد الله بيني وبينك لا خرجت منك إلا إذا ودعتني بعراضك، فإنك تعافى إنشاء الله، ففعلت ما أمرني به، فعافاني الله سبحانه، ولا زلت بالمدينة المشرفة إلى أن وقف علي مناما سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وقال لي: أنت في وديعة الله، والسيد محمد الشرقي، وكنت قبل ذلك لا أعرفه ولا أسمع به، فقدمت للمغرب إلى أن وصلت لمدينة فاس، فسألت عن الشيخ سيدي محمد الشرقي، أين هو بالمغرب؟ فقل لي: هو بأرض تادلة، ثم انصرفت من مدينة فاس لبلاد توات، إلى أن أخذت ما أحتاج إليه في أهبي، ثم قدمت لزيارة الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، فلما وصلت لضريحه المبارك، أقمت فيه نحو من سبعة أيام، لم يتكلم معي أحد، ثم سألت الشيخ سيدي محمد الشرقي، وقلت: بحرمة رسول الله ﷺ، تعين لي العمارة من أولادك لأنتفع به، فخرج لي عمود من نور من قبة الشيخ نفعنا الله به، يقظة وامتد ولازلت أتبع النور، وهو ينتشر أمامي إلى أن ضرب النور بباب دار سيدنا الصالح، وانقطع عني، فعلمت أنه المراد فإذا بسيدي الصالح نفعنا الله به، واقف كأنه ينتظرني فأخذت عنه. ولا زال في صحبته إلى أن توفي رحمه الله تعالى".

ومن كراماته /149/ قدس الله سره، ما حدثني به سيدنا رزقنا الله رضاه، بعد أن حدثني به المرابط، السيد أحمد زروق حفيد سيدي محمد بن مبارك، قال: "حدثنا السيد الغزواني العجلاني الشجدالي، قال: خرجت مع جماعة قاصدين سيدي أبا يعزى، نفعنا الله به لقبض دراهم كانت لنا هنا. فلما أردنا الرجوع لبلادنا أصابنا في طريقنا مطر عظيم، وبرد شديد، إلى أن أضربنا البرد الغاية، فقلنا في طريقنا: إن كان سيدنا الصالح

كما نعتقده، فليعطينا عند وصولنا إليه بركوكش¹ بالسمن، فلما وصلنا إليه نفعنا الله به، أشفق منا، وأمر بإيقاد النار لنا، وأمر بإخراج طعام لنا من داره، فلما وضع بين أيدينا، فإذا به الطعام الذي طلبناه له، ونحن في الطريق، فعلمنا أنه كاشف على ما تكلمنا به في طريقنا نفعنا الله به".

ومن كراماته أيضا أشرق الله أنواره: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله علاه، ورزقنا في الدارين رضاه، عن رجل، يقال له: "أخونا الحاج سلامة الشجدالي من أولاد حدو. كان الرجل المذكور، ذهب لحج بيت الله الحرام مع رجلين بيدهما شيء من الدنيا، ولم يكن بيد الرجل شيء، ولم يزل في رفقتهما إلى أن وصلوا لمصر، ثم إنهما افتراقا عنه، فبات مهموما، وكانت له محبة في جانب الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، فإذا بالشيخ وقف عليه، وقال له: "تلك على الأرض ورزقك على الله تعالى، فمن الغد لقيه بعض أهل الرفاهية والأموال من أهل مصر، فحببه الله إليه، وأعطاه مفاتيح خزائنه كلها، وجعله عليها، وخرج معه لحج بيت الله الحرام، ولأزال معه في أرغد عيش من بركة الشيخ نفعنا الله به".

ومن كراماته أيضا، شرف الله مكانته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله وجوده، قال: "كان المرابط الأجل الدين الخير الأفضل، سيدي هاشم بن محمد نزيل بزو² من

¹ بركوكش: نوع من الكسكس الغليظ يطبخ في الحليب أو المرق. ينظر: أحمد محمد الصبيحي السلاوي، معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي، ص: 219.

² بزو، قرية كبيرة عريقة في القدم، تقع شرقي مدينة مراكش، على بعد حوالي مائة وعشرين كلم، ضمن قبيلة هنتيفة السهل، غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي العبيد. وعلى الرغم من محاولة تأويل لفظ بزو فإنه يظل غامض الدلالة. فقد ذهب البعض إلى أنه بربري الأصل، مركب من أز-بو، ومعناه: كل وانصرف، فتم بعد ذلك تحريك مواقع الحروف لتصبح: أبزو. وظن البعض الآخر أنها تحريف ل بونزو، أي صاحب الملك، فتحت لتصبح بزو. وقد اشتهرت منذ القديم، كمركز تجاري، بسبب موقعها في طريق القوافل الواصلة بين دمنات وفاس. ومن

أولاد البركة العارف بالله العابد سيدي علي بن إبراهيم، نفعنا الله به، وكانت له أتباع وأصحاب، وكان من أصحاب الشريف الأصيل، والعارف الأثيل، سيدي العياشي نجل البركة العارف الكبير، والعلم الشهير، سيدي محمد بن مبارك، نفعنا الله به، وقدم المرابط بطائفته لأبي الجعد، ولم يشعر به الشيخ سيدنا الصالح، وبات بأصحابه عند المرابط الأرضي، الدين الخير المرتضى، سيدي أحمد بن الشرقي بن ولي الله تعالى العارف سيدي محمد المفضل¹ نفعنا الله به، ثم بعد صلاة الصبح من الغد قدم للفقيه الأحظي، الناسك الأرضي، سيدي محمد بن يوسف ليتوسط له في ملاقة الشيخ سيدنا الصالح لما يعلمه من مكانته معه، وكان الفقيه المذكور، تقدمت له عشرة مع الشيخ الشريف سيدي العياشي أيضا. فتقدم /150/ سيدي محمد بن يوسف لباب دار سيدنا الصالح ليستأذنه على المرابط المذكور، وكان الباب مسدودا، وسيدنا الصالح، نفعنا الله به، جالس على اللوح المعروف ببابه منحدر كأنه يسأل شيئا، فمد الفقيه يده للباب ليفتحه، فصاح عليه الشيخ سيدنا الصالح من داخل الباب، بقوله: ارجعوا فارجعوا، لا

المعلوم أن هذه كانت ملتقى ثلاث طرق: طريق سجلماسة. تدغة-دمنات، وطريق درعة-دمنات، وطريق مراكش-دمنات فبزو. تعززت مكانة بزو في خضم الأزمة العامة التي كادت تعصف بالمغرب في بداية القرن العاشر/السادس عشر. فبعد استقرار البرتغاليين بتيط سنة 1513م، اضطرت عدد من بني أمغار إلى الهجرة إلى المناطق الداخلية، حيث أسسوا زوايا في مختلف القرى، منها بزو. وفي القرن الثاني عشر (18م) صارت أغبالو أحد المراكز الصوفية ببزو. فقد انخرط بعض رجالها في سلك الطريقة الناصرية. ينظر: أحمد عمالك، مادة "بزو"، معلمة المغرب، الجزء الرابع، 1411هـ-1991م، ص: 1233-1235.

¹ أبو عبد الله محمد المفضل بن أحمد المرسي من أحفاد الولي محمد الشرقي كان فقيها مشاركا وأستاذا محققا أخذ فنون القراءات وعلومها وتجويدها وتفهمها على الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن القاضي الذي أجازه في ذلك، أما شيخه الذي اخذ عنه، وانتسب إليه في الطريق، فهو الولي الفاضل، سيدي محمد الحفيان الرتي السجلماسي..بالإضافة إلى أساتذة آخرين مثل الفقيه مبارك السوسي والمحجوب الموسوي وغيرهما. هاجر بدوره إلى أحواز سلا، بعد أن كان مقيما بزواوية جده... وعندما توفي حمل ودفن بداخل المدينة المذكورة قرب المسجد الأعظم عام 1071هـ. ترجمته في: أحمد بوكاري، الزاوية الشرفاوية، ج 1/186-188.

تدخلوها حتى يوزن لكم، ثم قال: نحن اليوم محركون، فقال الفقيه سيدي محمد بن يوسف: سبحانه الله! وكان قدم رجلا وبقيت الأخرى، ولم يقدر على زيادة خطوة واحدة، مما أدركه من مهابته مع كثرة مداخلته مع الشيخ نفعنا الله به، والله درمن قال:

[الوافر]

عِبَادُ اللَّهِ قَدْ سَعِدُوا وَفَازُوا	وَنَالُوا رَحْمَةَ الْمَوْلَى وَحَازُوا
رِجَالٌ طَلَّقُوا الدُّنْيَا ثَلَاثًا	وَلَوْ جَاَزَ الرَّجُوعُ لَمَا اسْتَجَازُوا
بَدَا عَلِمُ النَّجَاةِ فَمَيَّزُوهُ	يُحَرِّكُهُمْ بِدَارٌ وَأَنْحِفَازُ
فَبَعْضٌ تُشْرِقُ الْأَمْصَارُ مِنْهُمْ	وَبَعْضٌ تَسْتَنْيرُ بِهِ الْحِفَاازُ ¹
تَمَيَّزَ كُلُّ ذِي دُنْيَا بِدُنْيَا	وَهُمْ لَهُمْ بِدِينِهِمْ امْتِيَاازُ
وَمَا عَزُّوا بِمَخْلُوقٍ وَلَكِنْ	لَهُمْ بِالْخَالِقِ الْأَعْلَى اعْتِيَاازُ
أَرَدْتُ لِحَاقِهِمْ فَعَجَزْتُ عَنْهُ	وَحَدْتُ عَنِ الْإِجَاازَةِ إِذْ أَجَاازُوا
أَتَطْمَعُ بِاللِّحَاقِ وَلَا نُهُوضُ	وَتَفْرَحُ بِالرَّحِيلِ وَلَا جَاازُ؟
وَأَنْتَ أَخُوهُمْ نَسَبًا وَلَكِنْ	طِرَاازٌ فَوْقَ ذَلِكَ الطِّيَاازُ
دَعِ الدُّنْيَا فَلَسْتَ لَهَا بِنَدِيٍّ	وَهَلْ تَخْفَى الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَاازُ؟ ²

ومن كراماته أشرق الله أسراره: ما حدثني به سيدنا أدام الله سعادته، بعد أن تلقيته من الشريف الأصيل أخينا في الله السيد أحمد زروق أيضا، قال: "لما ادعى الشريف الأصيل مولاي محمد بن السلطان الأعظم، والجناب الأفخم، مولانا إسماعيل، قدس الله أرواحهما، الملك، وقام فيه على والده، وتوجهت إليه قبائل تادلة كلها، لأنهم

¹ في النسختين (ج) و(د): "المفااز".

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمدالعبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 27 (أ) و(ب).

سمعوا من بعض صلحاء الوقت ممن يقتدى به، أن الشريف مولاي محمد هو الملك، فزاد ذلك في أمر الشريف، وقوى أمره في قلوب الناس، وقال: "ذاك الولي هو الملك من أحب أو كره"، ولما صدرت هذه المقالة لقبائل تادلة من هذا الولي، قال بعض الناس: حضر لذلك السيد الحاج علي بن منصور، وكان من أصحاب الشيخ سيدنا الصالح، فلما سمع مقالته لأهل تادلة، أقسم لهم بالله، وأنه لا يكون من مولاي محمد ولا ممن تبعه كائنة، ولا يستقيم له أمر،/151/ فقاموا إليه مسرعين، وأرادوا قتله لمخالفته لمقالة الشيخ المذكور، لأنه كان له عندهم شأن عظيم، وهو حقيق بذلك، فلم ينج منهم السيد علي إلا بمشقة، فرحلت قبائل تادلة كلها لأبي عكبة¹ الموضع المعروف على وادي العبيد متوجهين للقاء الأمير مولاي محمد المذكور، وكان بقصبة تادلة الشريف الأصيل مولاي أحمد بن مولانا إسماعيل خليفة بها على يد والده، ولم يلتفت له أحد من القبائل كلها من أهل تادلة، مع كونه بين أظهرهم، وثوقا منهم بما سمعوا من مقالة المرابط، وما رأوا من تناسق مولاي محمد، واستقامة أمره، ولما رحلت قبيلة بني معدان، قال لهم بعض أشياخهم: لا أرحل إلا بعد مشورتى لسيدنا الصالح، فقالوا له إخوانه: قال سيدي فلان: مولاي محمد هو السلطان يشيرون إلى المرابط المذكور سابقا، فقال لهم: لا بد من مشورتى لسيدي الصالح، فقدم بإبله حاملة متاعه ليودعه بالزاوية. فلما وصل لقرب البير المعروف لسيدنا الصالح، وكان هنالك جنان حصر بهائمهنالك، وقدم لسيدنا الصالح، فأخبره بخبر القبائل ورحيلهم، وبما سمعوا من سيدي فلان، وأن مولاي محمد هو السلطان، فأجابه سيدنا الصالح، بقوله: ارجع بمتاعك إلى محلك، ثم قال: ما يربح

¹ أبو عكبة: يقصد بذلك مشرع أبي عكبة، أحد مشارع وادي العبيد من تادلا، وقعت بالقرب منه وقعة أبي عكبة التي تعد من أعظم الوقعات التي كانت بين الوطاسيين والسعديين.. وتسمى هذه السنة سنة أبي عكبة. ينظر: أحمد الناصري، الاستقصا، ج 4 / 153.

لا هو- يعني: الشريف المذكور- ولا من يعرفه، فرد متاعه، ورجع لمكانه، ثم وقع للشريف المذكور ما هو معلوم من قبضه بعد حروب، وإتيانهم به لأبيه، وفعل به والده ما كان سببا لموته واشتدت الوطأة والأمر على كل من عرفه، وضافت الأرض بقبائل تادلة، وتخوفوا من الشريف مولاي أحمد الذي كان خليفة عليهم في بلادهم لما صدر منهم من الإعراض عنه، وهم الشريف بالفتك فيهم مجازاة عما وقع منهم، فقدموا للشيخ سيدنا الصالح يطلبون منه الشفاعة لهم عند الشريف المذكور، فبعث إليه الشيخ بالشفاعة فيهم، فقبل شفاعته، وتجاوز عنهم".

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به سيدنا أكرم الله مثواه، قال: "كان عندنا في البلاد الفقيه الأجل السيد عبد الله بن الشرقي يقرئ الطلبة، ثم تزوج امرأة من بني زمور¹، ثم قام عليه الشيخ عيسى بن عبد القادر، وكان من أعيان قبيلته، وادعى على الفقيه المذكور أن المرأة التي تزوج بها كان أبوها زوجها من الشيخ المذكور قبله، فقدموا للشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، فقال لذلك الشيخ: اترك عنك هذا الفقيه فأبى ثم ذهب، فمن الغد انتفخت رجله ولم يستطع المشي عليها، فقدم على الشيخ في أسوأ حال، فقال له: ما عندك؟ فقال له الرجل: الرجل التي قدمت عليك بها أمس مع الفقيه، وكنت أفجر عليك، انتفخت، فقال له: تب إلى الله، ودعا له، لأن الحلم/152/ من شأنه نفعنا الله به".

¹ بني زمور، قبيلة كبرى بمنطقة تادلا تضم فرقا من العرب والأمازيغ تجاور سفوح الأطلس المتوسط، يحدها شمالا مجرى واد كرو وبلاد زيان، وشرقا منطقة سيدي لامين، وجنوبا قبيلة آيت الريع وبني عمير، وغربا ورديفة والسماعلة، وبينما تتكون جهاتها الشمالية من المرتفعات المغطاة بالأدغال والأشجار الشوكية فإن باقي المناطق تغلب عليها الطبيعة الجرداء. قبائلها الأربع في بداية القرن العشرين هي: أولاد يوسف وبني بتاو والشوكران والرواشد. تعد بجعد حاضرة بني زمور. وكانت تربط بعض فرقتهم مثل أولاد مومن روابط أخوة بالرضاع (تاطا) مع فرق من أمازيغ الأطلس المتوسط. ينظر: المالكي الملكي، مادة "بني زمور"، معلمة المغرب، الجزء (5) ص: 1530.

ومن كراماته أيضا دامت مجادته، وشاع صيته بين الصالحين، وكملت سيادته، ما وقع له مع رجل من بني حسن يسمى القائد الشرقي العمري، وكان الرجل يخدم الشيخ نفعنا الله به، وكان راكبا في المخزن مع الشريف الأجل مولانا أحمد بن أمير المومنين إسماعيل، قدس الله روحه بتادله، ثم إن الرجل المذكور أراد الخروج من المخزن فقدم من قصبة تادله للشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، يستشيره في ذلك، وكان الرجل المذكور له حظوة ومكانة عند مولانا أحمد، فلما وصل للشيخ وذكر له ما أراد من الخروج من المخزن، قال له: "الله يخير لك ويختار في الأمور كلها، فقال له الرجل: يا سيدي ما نأمن برقبتي حتى تقول لي: ها أنت ثوبي ولحمي، فصاح الشيخ نفعنا الله به، عند ذلك صدر ذلك منه عن حال عظيم، ثم قال له: ها أنت بين ثوبي ولحمي، وأشار له بالخروج من تلك الخطة، فودعه الرجل وصار لبلاد عمر من بني احسن، بفرس المخزن وآلة الحرب التي كانت عنده لمحل في البلاد المذكورة، يقال له: ولجة السيد محمد بن سليمان، وهي ذات شعاب وغيظ، فأقام بها ما شاء الله تعالى، ثم تذكره الشريف مولاي أحمد الذي كان راكبا معه وكان في جملة أصحابه، فسأل عنه، فأخبر بأنه بالمحل الفلاني، فصرف له الشريف أصحابه فقبضوه وجعلوا عليه كبلا، وأتوا به إلى أن وصلوا لبلاد أذنون من بلاد ورديفة، فباتوا به عند البعض من ورديفة وهو بكبله على رجليه، والحراس مجتهدون في حفظه ليلا، وغطوه بكساء غليظ. وجلس الحراس على أطرافها مبالغة في حفظه، وخوفا من الشريف مولاي أحمد، إن فرلهم، ثم تذكر الرجل في حالته التي هو عليها، ومقالة الشيخ سيدنا الصالح، وضمائه له، فبكى بكاء شديدا، ثم قال: ها أنا مغدور في حجرك بين يديك يا سيدي، فأين قولك لي: ها أنت بين ثوبي

ولحمي، فلو لم تقل لي ذلك، ما خرجت من موضعي حتى ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾¹. ثم بعد ذلك أخذته سنة دون النوم، وإذا بالشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، ضربه برجله، وقال له بصوت خفيف: الشرقي العمري، قم سرحك الله، قال: فقامت فزعا فوجدت الكبل نزع من رجل واحدة، وبقي في الرجل الأخرى، والحراس جالسون حولي، والمخازنية أخذون في شيء اللحم، قال: فدخلني الخوف، ورددت الكبل على رجلي كما كان، وغطيت رأسي وأنا مستيقظ، فإذا أنا بالشيخ نفعنا الله به، صاح علي صيحة عظيمة أعظم من الأولى، حتى ظننت أن الناس كلهم سمعوه، ثم ضربني برجله المباركة ضربة أشد من الأولى ثم قال لي: الشرقي/153/ العمري، قم سرحك الله قم أطلقك الله، ثم جلست، فوجدت الحراس كلهم أخذهم النوم، والكبل منزوع من رجليّ معا، والمخازنية جالسون، ثم قامت على قدمي ورفعت ثيابي والسكين والدائرة²، وتركت الفرس والمدفع، وخرجت من بين القوم وهم مستيقظون، ومررت بسرعة بين الخيام، فإذا بكلب في وسط الترعة³، فقام علي فالتفت إليه، فإذا أنا برجل صاح عليه في الترعة، فنظرت إليه فإذا به سيدنا الصالح، نفعنا الله به، قائمٌ. وسكت الكلب، فأتيت إلى طالع بقرب الدوار الذي كنت به مسجونا، فجلست فيه، وقلت في نفسي: والله لا هربت وأنا سيدي سرحني فجلست قليلا، ثم قام عندهم صياح في الدوار الذي كنت فيه، وخرج الناس في طلبي، وأنا جالس على الطالع المذكور، أنظر إليهم وهم يمرون بقربي، وكانت الليلة مقمرة كالنهار، ثم مروا بقربي أيضا عند رجوعهم ولم يروني من بركته، ثم قامت حافيا فلم أستطع المشي حافيا، فقلت: يا سيدي الحفَى أضربني، فنبهني الله سبحانه إلى

¹ سورة الأنفال، الآية: 45

² لوازم يتمنطق بها الفارس عند ركوبه الفرس في المواسم.

³ الترعة: الباب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، "مادة ترع".

دوار لبعض ورديفة كنت أعرفه ينزل قرب ذلك المكان، وكان به شيخ من أشياخ المخزن، كنت أعرفه قبل ذلك، ونعرف محل نزول خيمته، فأتيت إلى خيمة الرجل المذكور، ودخلتها فوجدته نائما في فراشه، فأيقظته من نومه، ثم قال لي: من أنت؟ قلت له: أنا صاحبك فلان، فقام ونادى على أولاده، وقام بحقي وذبح لي شاة، أكرمني جزاه الله خيرا، ثم نمت عنده إلى أن توسط الليل، وقلت له: نريد المسير. وأخبرته بما جرى لي مع سيدنا الصالح، فقال لأولاده: اركبوا خيلكم مع صاحبي حتى توصلوه إل تلماغت¹، وأعطاني فرسا أركب عليه، وأعطاني بلغة جديدة لم يلبسها قط، ثم صار أولاده معي، إلى أن وصلنا للمكان الذي ذكر والدهم، وهذا كله من بركته وأرضاه، وجعل الجنة متقلَّبُهُ ومثواه، وجعلنا في حرزه الحصين وحماه، آمين يا رب العالمين".

ومن كراماته أدام الله جاهه: ما حدثني به سيدنا أكرمه الله يوم لقائه، عن الفقيه الأجل الدِّين الخير الأمثل، سيدي أحمد الشاوي رحمه الله، قال: "كنت مع سيدنا ومولانا الصالح في زيارة الولي الشهير سيدي حمزة² نفعنا الله به، فلما جلسنا تجاه ضريحه المبارك، فإذا به نفعنا الله به، بسط هيدورة لسيدنا الصالح ليجلس عليها، فجلس

¹ تلماغت، نكتب أيضا "تالمغات" و"تالماخت" بالخاء، كما ترد أحيانا معربة هكذا "لماغة"، تطلق تالماغت من جهة على منطقة زراعية غنية تقع الآن بزعر جنوب مدينة الرباط، ومن جهة أخرى على فرقة من قبيلة زعير ما تزال معروفة حتى اليوم. ينظر: رشيد السلامي، مادة "تلماغت"، معلمة المغرب، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثانية 1435هـ-2014م، الجزء (7)، ص: 2166-2167.

² الشيخ حمزة بن يعيش بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن ميمون بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن الشيخ الإمام مولاي يعقوب بن يوسف الكانوني . وكان من الأولياء الصالحين. وقبره مشهور معلوم عند أهل البلد بتاشرافت وهو واد معلوم ببلد ورديفة يسمى عند عامة أهل البلد بذلك وعند خاصتهم بوادي الشرفاء. ينظر: محمد العبدوني، اليتيمة، ص: 45 (ب)؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 244.

سيدنا الصالح عليها، وكان ذلك من صاحب الضريح إجلالا للشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله بالجميع بجاه نبينا المشفع الشفيح، سيدنا ومولانا محمد ومجد وعظيم، أمين".

ومن كراماته : ما حدثني به سيدنا وملاذنا ثم تلقيته من صاحب القضية/154/

أيضا، وهو الشيخ محمد أزروال به عرف اليموري، قال: "تلف لنا جمل بحمله في الرحيل، فأتيت الشيخ سيدنا الصالح، فوجدت جماعة من إخواننا آيت يمور¹ بين يديه للزيارة، فقلت له: يا سيدي ذهب جملي برحله، وأتيت إليك، والله إن لم أجده حتى نجعل لك كركورا بين العرب والبربر يعرفه كل أحد، فالتفتت الجماعة إلي كالمُنكرين لمقاتلي، فقال لهم الشيخ نفعنا الله به: أتركوه عنكم، فإن مزاحمة الصالحين مليحة، ثم قال لي: تصدق بموزونة لسيدي علي بن عبد الله، فإنك لا تصل إلى خيمتك إلا وينادي عليك رجل في الطريق من ربوة عالية ويخبرك برد جملك، فذهبت بعد أن تصدقت بموزونة، فبينما أنا بقرب أهلي فإذا برجل يناديني من مكان عال كما قال الشيخ نفعنا الله به، ويقول لي: يا فلان البشارة، فإن جملك رجع، فنظرت للرجل فإذا به من سمكت كان نازلا معنا. هكذا تلقيتها من صاحبها بعد أن أخبرني بها سيدنا، وقال لي: إن لقيت صاحبها اسمعها منه أيضا".

¹ آيت ايمور، قبيلة يقع موطنها حاليا بسهل الحوز في الجنوب الغربي لمدينة مراكش بين قبيلة الأعراب في الجنوب وكل من قبيلة تامسكلت والأودايا وأسكجور وتاسلطان في الشمال. وكلمة إيمور في البربرية لها معان متعددة، فهي قد تعني العصا والسهم والمقلع والحماية والحلف. إلا أن أحد المصادر جعلهم ينحدرون من إيمور أحد أبناء سيدول بن جالوت الذي أصلح من مراكش. بينما يرى عبد العظيم الأزموري أن أيتامور ينحدرون من أصول عربية، لكن الظاهر استنادا إلى النصوص والرواية الشفوية، أنهم من صميم صنهاجة، وأثارهم وبصمات أقدامهم لازالت قائمة في أعالي غريس. ومع ذلك فإن البحث عن أصلهم يكتنفه كثير من الاضطراب والغموض. ينظر: عبد العزيز بوغصاب، مادة "إيمور"، معلمة المغرب، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثانية، 1435هـ-2014م، الجزء (3) ص: 792-794.

ومن كراماته: ما حدثني به المرابط الأصيل سيدي أحمد زروق عن الفقيهين الجليلين، الدَّيْنَيْنِ الْخَيْرَيْنِ، الناسكين سيدي إبراهيم بن يوسف وسيدي أحمد الشاوي، قالوا: "كنا مجتمعين فأتى الفقيه الأجل الخير الأمثل، سيدي عبد القادر بن أبي القاسم الشجدالي منشأً، الزيري¹ نسبا، وكانت السنة غالية الأسعار، قليلة الأمطار، تراكمت فيها بسبب ذلك الهموم والأكدار، فقال لنا الفقيه: "أتيت لموادعتكما، فإنني أردت الخروج من هذه البلاد، فقد غلبتني الوقت، وخفت من هذا العام، فقلنا له: حتى نصل معك لسيدنا الصالح، نفعنا الله به، فدخلنا مع الفقيه لبابه المبارك، فوجدناه نفعنا الله به داخل الدار فبعثنا إليه، فأمرنا بانتظاره، فجلسنا في الباب وأخذنا في قراءة البردة إلى أن خرج علينا، وأثر الضوء على أعضائه الكريمة، فلما جلس معنا نفعنا الله به، فقال لنا: ما عندكم؟ فقلنا: الفقيه السيد عبد القادر أتانا يوادعنا، يريد الخروج من البلاد خوفا من هذا العام، فقال له سيدنا الصالح نفعنا الله به: أنت مازلت هنا، وكررها عليه مرتين أو ثلاثا، كالمنكر عليه، ثم قال له: أنت مقبوض عندنا في هذه الشتاء، وكان الشيخ سيدنا الصالح عند خروجه أمر أهل داره بطعام، فما خرج الطعام وفرغنا من أكله حتى انهلَّت الأمطار، وانجلت الهموم والأكدار، بأمر مولانا الواحد القهار، من بركته. وقد كان مجاب الدعوات، ترياقا² مجربا لكشف الشدائد والأزمات؛ وإنما قال للفقيه المذكور: أنت مقبوض عندنا في هذه الشتاء تسترا بذلك كما هو شأن كل عارف بالله وسالك، إذا

¹ عبد القادر بن أبي القاسم الزيري الفقيه العلامة نسبا، التادلي دارا ومنشأ، قرأ عليه الشيخ المعطي بن الصالح النحو والتوحيد، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 8 (أ)، ومحمد المعطي الشرقاوي، سفر الإجازات والمرائي، تحقيق عبد المجيد بوكاري، ، ص: 86.

² الترياق، بكسر التاء: معروف، فارسي معرب، هو دواء السموم لغة في الدرياق، والعرب تسمي الخمر ترياقا وترياقا لأنها تذهب بالهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "ترق".

155/ صدر منه أمر تستر بغيره، ونسب الخارق الصادر منه إليه تواضعا منه لمولاه،
وشكرا لنعمه التي أولاه".

[الكامل]

بَدْرٌ بِبُرْجِ السَّعْدِ عِنْدَ ذَوِي النَّهْيِ قُطْبُ الْمَلَا فَيَاضُهَا الرَّخَّارُ
يَجْلُو دُجَى الْأَفْكَارِ نُورُ شُعَاعِهِ سَيَّانٌ لَيْلٌ عِنْدَنَا وَنَهَارُ
فَلْمُئْمَلِنَ بَدْرَ السَّمَاءِ لِغَيْبِهِ وَأُفْوَلِهِ فَالضَّوُّ فِيهِ مُعَارُ¹

فقد كان شيخ المشايخ، وإمام دائرتها الباذخ، الذي عليه فلکها يدور، ومنه
استمدادها على ممر الأيام والدهور. والله درمن قال:

[الطويل]

هُوَ الْبَحْرُ إِلَّا أَنَّهُ عَذْبٌ مَوْرِدٍ هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ذِي كَسْفٍ²

ومن كراماته قدس الله روحه: ما حدثني به أخونا في الله الفقير علي بن أبي يعزى
الشجدالي³: "قال كنت بباب سيدنا نفعنا الله به حين وقع التكساب الثاني، على يد
قاسم بن المؤذن وأحمد بن لبوط، ثم تراموا على أولاد مبارك من بني شجدال⁴، ادَّعَوْا

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص:260.

² ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص:260.

³ من أصحاب الشيخ أبي يعزى ولده الوالي الصالح يعزى المدفون بأم ابتمد موضع اسمه بالعربية فم القلته من
عمل مراكش، وكان في بدء أمره من أبناء الدنيا وأهل الرفاهية، ولم يسلك طريق أبيه من الفقر، فلما مات أبوه
ظهرت عليه بركاته. وتوفي الشيخ أبو يعزى وترك أولادا. والمعروف منهم الذي يكى به وهو أبو علي يعزى. ترجمته
في: الهامش رقم (547)، يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص 231-232؛ وأحمد الصومعي،
المعزى، ص: 123-124، والمراكشي، الإعلام، ج 10/261.

⁴ بني شكدر إحدى أكبر فرق بني عمير، ينتسبون إلى الولي الصالح شكدرال بن غيلان. يقول العبدوني: "وفي بني
جابر بنو سجدال بن غيلان بن عزيز بن عدي بن الخير بن سليمان بن عبد الجليل بن الحضرم بن قصي بن
المبارك بن عبد الجبار بن محمد بن أبي الدرداء بن سليمان بن عمر بن الخطاب. وتنقسم إلى قسمين بني شكدرال

علمهم، بأنهم أولاد مبيرك، وأنهم عبيد، وقدمت لهم سبعة عشر وصيفا على خيامهم، وفر النساء والرجال ولم يبق إلا المتجالات¹ من النساء، ثم قدم اثنان منهم على سيدنا، فوجداني في الباب، فأخبرت سيدنا بخبرهما فخرج إليهما، وأخذا في البكاء عليه، وكان منهم مقدّم الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به، فقلت له: يا سيدي ليس في هذا ما يسمع عنك بنات مقدم الشيخ يتفضح عليهن العبيد في حياتك، فصاح، ثم رأيت على رأسي شبه الطائر داخل الباب، ثم قال: هذا الأمر قلناه، ومن قدر على رده فليرده، ثم قال: اذهب إلى الشيخ سيدي محمد الشرقي وقص عليه الخبر، وكانت عادته إذا صدر منه أمر تستر بالشيخ في أموره كلها، ثم لما رجعت إليه من عند الشيخ، قال لي: يا فلان أكتّم عني هذا الأمر ولا تفضحه فكتمته، ثم قال لي: قل لأولاد مبارك: لا يعينوا لهم أحدا، يقولون لهم: كلنا أحرار، وكلنا عبيد، فلم تمض إلا أيام يسيرة، وقتل الشريف الخليفة في البلاد، وهو مولانا أحمد الرجلين المذكورين قاسم والذي معه، وسكنت روعة أولاد مبارك من بركته.

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به أخونا علي المذكور، قال: "كان عندنا ولد لي مريض في صدره حصفة شبه الخنزير، تخوفنا عليه منها، ولما أردت القدوم للشيخ، قالت لي أمه: أذكر أمر هذا الولد للشيخ لعله يدعو له، فلما وصلت للشيخ نسيت أمر الولد، فقال لي: وهل عندكم ولد مريض؟ فقلت له: نعم يا سيدي، فسألني عن علته، فذكرت له ما رأينا به، وتخوفنا عليه، فقال: إن رجعت إليه اربط/156/ عليه كرموصة، ففعلت

أهل الغابة، وبني شكдал أهل الواد، من أكبر مراكزها سوق خميس بني شكдал ودوار أولاد مبارك ودوار أولاد بوهرو. ينظر: محمد العبدوني، اليتيمة، ص: 43 (أ): وأحمد محمد قاسمي، تاريخ قبيلة بني عمير والمحيط التادلي، ص: 35.

¹ المتجالات: المرأة التي لا أرب للرجال فيها في الغالب.

ما أمرني به، ثم لما أصبح الصباح اطلعت على تلك الحصفة، فوجدتها خرجت منها لحمة ميتة ببركته، وبرئ الولد من علته، نفعنا الله بمواهبه".

ومن كراماته أكرم الله سيادته، وأدام مجادته: ما حدثني به سيدنا وسندنا، ومن على الله والرسول ثم عليه اعتمادنا سيدنا المعطى أدام الله وجوده، قال: "حدثني الدين الخير الحاج محمد القباج الفاسي، قال: كنت مع الشيخ سيدنا الصالح بمدينة بفاس بدار بدرب الغربية، وكان الطلبة يقرأون على الفقيه سيدي أحمد بن الحاج¹ النحو، واستشكلوا مسألة عند الإقراء، فلما خرجوا من عند الفقيه المذكور، قال الطلبة لبعضهم: نأتوا لهذا السيد، يعنون سيدي صالحا، لعل أن يشفينا في هذه المسألة، فأتوا إليه بالدار التي كان نازلا فيها واستأذنوه في الدخول فأذن لهم، وأخذوا في الحديث معه ونسوا المسألة التي قدموا لأجلها، ولما علم الشيخ نسيانهم، لما أرادوا، قال لهم: ما قرأتم على الفقيه اليوم، فقالوا له: قرأنا كذا، ولم يتفطنوا لمقالته، فقال لهم: ما قلت في مسألة كذا؟ وهي مسألة سؤالهم، فتذكروا المسألة حينئذ، وقالوا: قلنا فيها: كذا وتوقفنا، فقال لهم: المسألة عند الشيخ الأزهرى في موضع كذا، فطلبوها فوجدوها كما ذكر، وعلموا أن ذلك كله من بصيرة الشيخ نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا المعطى، قال: "كان المرابط الأرضى السيد الشرقى بن الرشيد من خيار أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقى، وكان يكرم وفود الشيخ سيدي

¹ أبو الفضل أحمد بن العربي بن محمد بن علي بن محمد بن الحاج الفاسي الحارثي المرادسي السلمى. أحد العلماء المشهورين في العلوم الإسلامية. ولد بفاس عام 1042هـ- وقرأ بها على أكبر الشيوخ، أمثال أبي زيد ابن القاضي، وأبي العباس الأتبار، والقاضي ابن سودة، ومحمد ميارة الكبير، وحمدون المزوار، وأحمد بن جلال التلمساني، وعلي الزرهوني. وقد حضر مجالس الشيخ عبد القادر الفاسي سنين عديدة واستفاد منه معلومات جمة.. وأخذ عنه عبد السلام القادري وأخيه العربي القادري، وعبد السلام جسوس، وابن زاكور، وابن رحال، وابن زكري... وتوفي سنة 1109هـ. ترجمته في: محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب، ص: 136-137.

محمد الشرقي ومحبه سيدنا الصالح، لذلك وكان يعرفه رجلا ن موسى الحداد، وعَبُو الحداد ويأويان إليه كثيرا، فجلس الرجلان معه في بعض الأيام، وكان الشيخ مريضا، فقال لهما السيد الشرقي، المذكور: "نريد نقف على سيدنا الصالح، ويعطيني الكسكسو من صفته كذا، واللحم وخضرة كذا، ثم ذهب إليه، فلما دخل على الشيخ، سأله الشيخ عن سبب قدومه، فقال: قدمت لأنظرك، فقال الشيخ: قدموا له تلك المخفية، فقربوها إليه، فوجدها على تلك الحالة التي اشتربها، فعلم أن الشيخ كاشفه بما قال لأصحابه وأعددها له قبل دخوله عليه، نفعنا الله به وبأمثاله".

ومن كراماته جدد الله عليه سحائب الرحمات، وجعله مفتاحا لحل المعوّصات: ما حدثني به سيدنا المذكور أيضا أدام الله النفع به، قال: "قدم على الشيخ نفعنا الله به، المرابطون أولاد الشيخ الجليل سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي الفقيه السيد الصغير بن عبد الرحمان وجماعة من إخوانه الكبار، فأخذوا يشكون على الشيخ بحالة بلدهم/157، وإذاية جيرانهم لهم، فصاح الشيخ نفعنا الله به، وقال: على بلوى تصيبها، إشارة منه إلى قضية قُفِّ البير التي في سيدي البخاري، حيث جلس عليه النبي ﷺ، واستأذن أبو بكر ثم عمر ثم عثمان في الدخول عليه السلام، فبشر الاثنين الأولين بالجنة إلى أن استأذن عثمان، فقال عليه السلام: بشره بالجنة على بلوى تصيبه، فقال الفقراء: هذه إشارة من الشيخ على مصيبة تنزل في البلاد، ثم رجعوا إلى بلادهم، فبعد أيام قلائل خرج الفقيه السيد المسناوي، وكان من أهل الخير، فقتله آيت اسري¹، فعلموا أن الشيخ لذلك أشار، وكانت عليهم أعظم مصيبة، نزلت بهم في تلك البلاد".

¹ آيت اسري تجمع سكاني بأعتاب يشكل جزء من مشيخة آيت إغص، ويرجع أصلهم إلى القبيلة المشهورة بهذا الاسم والتي تنتهي إلى تجمعات آيت أومالو التي نزحت من الجنوب المغربي، وتوجد مواطنهم فيما بين نهر أم الربيع

ومن كراماته أدام الله النفع به: ما حدثني به الفقير علي بن أبي يعزى، قال: حدثني ابن عمي الفقير علي أحمد بن قاسم، قال: لما أراد الشيخ سيدنا الصالح، السفر لمدينة فاس، حرسها الله، ولم تكن له في داره إلا زوجته المكناسية، أم سيدي محمد وسيدي العربي، قال لهم وهم سبعة رجال من خيار أصحابه: أريدكم أن تعسوا على داري في غيبتي، وجعلوا لكل واحد منهم سبعة أيام، إلى أن كانت النوبة مرة في أخينا أحمد بن قاسم، فأتى معه بسبع أواق دراهم، وقال في نفسه: أنفق على دار سيدي كل يوم بأوقية، ولم يشعر بذلك أحد، ثم أخذ ينفق في أيامه على دار الشيخ بما ذكر، ثم قدم مع جماعة للمدينة بشيء من السمن والعسل والمعز، قال: وجمعنا زيارة للشيخ يستعين بها على أمره، ثم لما أخذنا في أهبة السفر، قال لي: لا تسافر حتى تأتيني، فأتيته بعد أن خرج إخواني، فأعطاني دراهم، فحسبتها، فإذا هي سبع أواق، فقلت له: لمن أدفعها؟ فقال لي نفعنا الله به: هي لك ونسيت ما كنت أنفقت على داره، فقلت له: ما سببها؟ فقال لي: سبع أواق التي كنت أنفقت على دارنا، فقلت له: يا سيدي من أعلمك بذلك، ولم يطلع عليه إلا الله سبحانه، فقال: ليس عندك خبريا بن الحزينة، والله كل من عمل في دارنا شيئا إلا أنا مطلع عليه من هنا. فحلفت له لا أخذتها، فقال لي ﷺ: أكرم عني، فلما وصلت للبلاد لم أذكر ذلك لأحد إلا لأخينا السيد الطنجي، وكان مقدم والده سيدي محمد المعطى نفعنا الله به، ثم لما قدم الشيخ سيدنا الصالح من غيبته، قدمت الجماعة للسلام عليه، وقدم المقدم السيد الطنجي، ولم يقدم معهم أخونا أحمد بن قاسم، فقال الشيخ للمقدم المذكور: قل لأخينا أحمد بن قاسم اطلعت على نقطة من

شمالا ووادي العبيد جنوبا ووادي درنة غربا ومجاري مياه وادي واومنا شرقا. وتتكون بطون هذه القبيلة من آيت عبد اللولي وآيت أم البخث وآيت ورا وآيت محاند. ينظر: عيسى العربي، قبيلة آيت عتاب، ص: 47-48.

سر الصالحين، وأمرت بكتمها، ثم إنك أفشيتها، ثم لما رجعت الجماعة من سلام الشيخ، أخبر المقدم الفقير أحمد بمقالة الشيخ /158/، فقدموا به من الحمر قرب وادي أم الربيع مكتفاً للشيخ إلى أن سامحه ونفعنا به".

ومن كراماته غنم الله زائريه على الدوام: ما حدثني به الفقيه الأحب في الله الوجيه سيدي المحجوب العريفي الموسوي، قال: "كنت بعد العشاء جالسا مع الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، بباب داره المعلوم لجلوسه، فإذا بسائل ينادي يا سيدي الصالح، ضرتني الجوع، فقال سيدي الصالح، لمقدمه المعلم عبد الرحمان السوسي¹: هل عندك شيء من الخبز؟ وقد فات العشاء، أي طعامه، فقال المقدم: لا، ثم سأله، فقال: لا، نحو ثلاث مرات، ثم إن سيدنا الصالح أخرج خبزة كبيرة تعدل أربعا أو خمسا من غيرها من تحته، وقال: أعطوها للسائل. فلما رآها المقدم المذكور، قال له: يا سيدي نعطيه غيرها، فقال له الشيخ نفعنا الله به: لا يأخذ إلا هذه الخبزة، وأعطاهم له".

ومن كراماته وأرضاه، وأسكنه من الجنان فسيحه وأعلاه: ما وقع للفقيه سيدي العربي بن يعقوب العوني، ذكر أنه أكرى ناقة من تامسنا لبعض الناس، ليحمل عليها صوفا إلى قصبه تادلة، فلما وصلوا إلى قصبه تادلة، هربت لهم تلك الناقة، وأخذوا في الجري عليها حتى أعييتهم، وبقي ربهما المذكور تابعا لها على رأي العين وهو يستغيث وينادي يا سيدي صالح، يا سيدي صالح، وكل من لقيها في الطريق وأراد أن يقبضها تفر منه حتى قرب لأبي الجعد، فرأى الناقة واقفة، ورجل أمامها واقف قابض بزمامها، وبيده عكاز، فلما وصل إليه، وجده الشيخ سيدي الصالح، وهو قابض بزمامها حتى مكنها منه،

¹ عبد الرحمان السوسي كان مختصا ومسؤولا عن ضيوف الزاوية عرف ب "المقدم". ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرفاوية، زاوية أبي الجعد دورها الاجتماعي والسياسي، ج 15/2.

فاشغل الرجل يقبل يده، ويقول له: جُزيت خيرا يا سيدي، استغثت بك فأغثتني، فقال له الشيخ: الذي لم يحشمني الله معك يا ولدي".

ومن كراماته أيضا نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا الإمام، العارف الهمام، سيدنا المعطى أدام الله وجوده، وغنم زائريه ووفوده. قال: "حدثني الفقيه النزيه سيدي عبد الخالق بن الأمين قال: خرج سيدي الصالح لقضاء بعض أربه في المكربط على عادته، فبينما هو هناك، فإذا بثور فر من السوق، وهو يجري مع الطريق والناس آخذون في طلبه، فنظر إليه الشيخ، وقال له: قف، أو ما هذا معناه، فوقف الثور إلى أن وصله أربابه وقبضوه، فقال الشيخ نفعنا الله به: هذا الذي تسألوننا".

ومن كراماته قدس الله روحه: ما حدثني به سيدنا، ووسيلتنا إلى ربنا، سيدي المذكور أعلاه عن الفقيه الأجل، الخير الأمل، سيدي أحمد الفتوح، وتلقيته منه أيضا، قال: "خرج سيدنا الصالح ونادى يا أحمد الفتوح، فقال له: نعم يا سيدي، فقال له: وهل ينال صاحب العساس؟/159/ فاستفيد منه أنه عساس المغرب نفعنا الله به".

ومن كراماته: إن رجلا كان لصا بأبي الجعد، وكانت في الوقت مجاعة، فخرج رجل من إخوان الفقيه الأحظى السيد الحسن السيفي¹ لطلب بعض المأرب قرب كهف السيد

¹ الحسن بن محمد البكري الدغبي فقيه مشارك متمكن، اهتم بعلم التنجيم، حسن الكتابة ماهر في الخط يعد من أعلام الوراقين بالمغرب في القرن الثاني عشر (18م). استقر بزواوية بجعد من تادلا، وصحب محمد الصالح الشرقي وأخذ عنه ولازمه مدة إقامته بها واستمر ببجعد بعد وفاة صاحبه وفي إبان ولاية خليفته محمد المعطي صاحب "ذخيرة المحتاج" كما تذكر المصادر الشرقاوية. كان من رفقائه سيدي محمد بن يوسف الدلائي والسيد أحمد بن الصغير السمعلي والفقيه محمد بن الحنيثي السالمي. ويرجح أن يكون قدم إلى بجعد في عهد ولاية محمد الصالح على زاوية أجداده إثر رجوعه إليها من مراكش بعد وفاة والده. وقد كان مقيما بمصرية قرب دار الشيخ المذكور ببجعد كان قطن بها الفقيه أحمد بن فتوح التازي أيام إقامته بالزاوية. وتذكر مصادر زاوية بجعد

الخياط، قرب أبي الجعد، فتبعه الرجل اللص المذكور، وقتله، وخاف أهل البلد من عقوبة الشريف الأصيل مولانا أحمد الذهبي لكونه الخليفة في قصبة تادلة، عن أمر والده المنصور بالله مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، وكان أمر القتل عنده عظيما، يعاقب عليه بالعقوبة الشديدة وكان اللص المذكور مختفيا بدار في طرف المدشر، يأوي إليها إذا رجع من قطع الطريق، ولم يشعر به أحد، فإذا بالشيخ سيدنا الصالح قدم إلى قرب المسجد الكبير ووجد المرابط السيد زين الدين بن المالقي واقفا هنالك، فقال له الشيخ: "اذهب أمامي، وصار الشيخ يتبعه إلى أن دخل الشيخ للدار التي بها الرجل المذكور، ولم تكن العمارة معهودة بها، فدخل عليه، وأخرجه منها، وأخذ أهل البلاد وذهبوا به للشريف المذكور، فقتله، وأمنت البلاد بقتله من عقوبة الشريف خليفة البلد". انتهى. ولعل هذه المسألة هي التي تقدم ذكرها بأزيد من هذا الكلام عن الفقيه السيد محمد بن مولود الزرننتي.

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الفقيه الأجل الدين الأمل سيدي محمد بن عبد الكريم العبدوني، بمحضر سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى، رزقنا الله رضاه عن السيد الدين الخير السيد محمد بن القدومي النسب، قال: "كنت جالسا مع الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، ثم قال لي: قرب لتنظر لي قملا في قميصي، فأخذت أنظر في كمة المبارك، فإذا بكمه صار شبه الأكل، ثم نظرت أسفل الكم فإذا به شيء أكحل كالزيت، ثم صار أعلى الكم لحالته الأولى، فقلت له: يا سيدي ما هذا؟، فقال لي نفعنا الله به، سفينة في البحر أشرفت على الغرق، واستغاثوا،

أن السيفي رحل إلى الشرق رفقة الفقيه علي بن محمد العوني... ينظر: عبد المجيد بوكاري، مادة "الحسن السيفي"، معلمة المغرب، ج: 15، ص: 5210.

فمست القميص فوجدته مبلولا، فعلمت أنه أغاثها نفعنا الله به، وأن ما أصاب القميص من السفينة".

ومن كراماته قدس الله سره، وأشاع في الملاء الأعلى ذكره: ما حدثني به شيخنا الهمام، أبقى الله النفع به، على ممر الليالي والأيام، سيدنا المعطي، نفعنا الله به، قال: "سافرت مع بعض أصحابنا لزيارة الولي الصالح العارف الناصح، مولاي عبد السلام بن مشيش، نفعنا الله به، وأوصيت من كان معي أن لا يعرفوا بي من سألهم عني، فسرنا في الطريق إلى أن خرجنا من وازان¹، وبتنا عند بعض الشرفاء، فبينما نحن عندهم ليلا إذ دخل علينا رجل كبير من الشرفاء/160، فقال لنا: هل سيدي الصالح باق بالحياة أو توفي؟، فقلنا له توفي، فقال: هل ترك أولادا؟، فقلنا: هل تعرف سيدي الصالح وتعرف تلك البلاد؟ فقال: نعم نعرفه ونعرفها، وقد كنت أقرأ على الفقيه سيدي الراضي بتادلة، وقدمت معه يوما لزيارة سيدي الصالح، وكان الفقيه المذكور زوج بنتا له من بعض أولاد سيدي أبي يعزى نفعنا الله به، وفرح بمصاهرتة، فلما جلسنا بين يدي سيدي الصالح وأخذنا في الزيارة، قال الفقيه لسيدي الصالح: زوجت ابنتا لي لبعض أولاد سيدي أبي يعزى، وأظهر السرور بذلك وأخذ يذكر في محاسن أولاد سيدي أبي يعزى، نفعنا الله به، فإذا بسيدي الصالح، صاح، وقال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾²، ﴿وَحَالًا بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ﴾³، ثم خرجنا من عنده، فقال لي الفقيه المذكور:

¹ وازان ارتبط اسم مدينة وزان التي تقع عند ملتقى بلاد جباله وسهل الغرب بالزاوية التي تنسب إليها، والتي أسسها خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الشريف العلمي مولاي عبد الله بن إبراهيم (ت1678). ينظر:

محمد المنصور، مادة "وزان"، معلمة المغرب، 1421-2000 الجزء (12)، ص: 7583-7584.

² سورة سبأ، الآية 54.

³ سورة هود، الآية 43.

هل فهمت ما أشار له سيدي الصالح، فقلت له: وما ذاك، فقال لي: هذه البنت لا يكون شيء من أمرها، ثم بعد ذلك زفت المرأة لزوجها، وأساء عشرتها، ولحق الفقيه بسبب ذلك غيار كثير مع الزوج، وظهر بذلك مصداق إشارة الشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به، وعدت من كراماته".

ومن كراماته أدام الله علاه: ما حدثني به، سيدي وسندي، ومرغوبي ومعتمدي، سيدنا المعطى أيضا، قال: "حدثني العالم الأبر المحب الأغر، السيد محمد بن مبارك الورديني الزموري¹، قال: قدم على الوالد سيدي الصالح، قبل وفاة السلطان مولانا إسماعيل قدس الله روحه وأسكنه من الجنان فسيحه، قال: وأردت أن أشاوره على التزويج بامرأة، وأسأله عن وفاة السلطان مولاي إسماعيل، فلما جلست بين يديه، بدأتي بالكلام قبل أن أذكر إليه شيئا من ذلك، فأشار إلي وفاة السلطان بقول القائل:

إِذَا غَابَ مَلَأُ السَّفِينَةِ بَادَرَتْهَا يَوْمًا الضَّفَادِعُ
وأشار إلى النكاح بقول الشاعر:

[الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةٌ تُدَبِّرُ أَمْرَ بَيْتِهِ فَهُوَ ضَائِعٌ²

ففهمت منه جواب المسألتين، قبل أن أذكرهما إليه بصيرة منه، وكشفا عما في ضميري نفعنا الله به".

¹ أبو عبد الله محمد بن مبارك الورديني الفقيه الإمام العالم العلامة الهمام النوازي البركة أخذ الطريقة عن الشيخ عبد السلام التواتي، والعلم عن ابن رجال وغيره، له طرر على ميارة على لامية الزقاق وعلى مختصر خليل، أخذ عنه التهامي بن أحمد الحمومي وغيره توفي سنة 1154هـ. ترجمته في: مصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 259.

² ورد البيت بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 1/187.

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله مجادته، قال: "حدثني السيد الغزواني من أولاد السيد شنان، وكان رجلا كبير السن، وله متاع وأموال، وكانت فيه محبة للوالد سيدنا الصالح، وكان يأتيه ولا يطيل الغيبة عليه لمحبتة له، فقال له يوما: يا سيدي أنا آتيك، وأخاف على خيمتي من السراق، لأنهم يتهمونني بالمال، فقال له: إن أتوك تقبضهم بعون الله، فلما رجع إلى خيمته أتاه إليها سارق ليلا /161/، فقام معه، وقبضه من بركة الشيخ، مع أنه لا يستطيع ذلك لكبر سنه".

ومن كراماته قدس الله سره: ما حدثني به سيدنا أدام الله عافيته، وأدام علاه وسيادته عن الحاج موسى الحباسي، وكان الرجل المذكور أراد السفر للحج، وقدم لسيدنا الوالد يستشير، وقدم معه أخوه الحاج أحمد، يريد منعه من السفر، وقال للشيخ: "يا سيدي أسعار الشرق غالية في هذه السنة، وكان الشيخ شديد الحب لتلك الأمكنة، وإذا ذكرها إنسان له، وأنه يريد السفر إليها أخذته أحوال، ويصيح شوقا لها، ويفرح بمن يريد السفر إليها، فانصرف الرجلان عنه، ومن الغد بعث إلى الحاج موسى، وقال له: إن أردت أن تسافر لحج بيت الله الحرام، فعلى بركة الله، فإن النيل فاض بالأمس، فرجع الرجل إلى أخيه الحاج أحمد، فأخبره بما أخبره به سيدنا الصالح، فقال له الحاج أحمد: حتى أسمع منه هذا الخبر، فقدمنا معا إليه، ثم قال له الحاج أحمد: أنت قلت لأخي: بحر النيل فاض أمس، قال له: نعم، قال له: من أخبرك هذا الخبر من أمس إلى اليوم؟ فقال له الشيخ: رجل أخبرني، أو قال له: السيد عبد القادر بن شقرون أخبرني بذلك يريد التعمية على الرجل حيث أخبره من جهة الكشف، ولم يتفطن. ثم لما أراد الحاج موسى، السفر ودعه الشيخ، وكتب له كتابا للعارف الكبير، والعلم الشهير، الموفق الرشيد، سيدي محمد بن سعيد، صاحب طرابلس وأمره باستشارته عند السفر من طرابلس، هل يسافر في البر أو في البحر، وما أمره به فعله، فلما وصل الحاج موسى،

المذكور لطرابلس دفع للشيخ المذكور الكتاب، وأنهى إليه من خبر سيدنا الصالح، ما يستطاب، وشاوره عند إرادة السفر، هل يسافر في البر أو في البحر، فقال له الشيخ سيدي محمد بن سعيد: أترك البَحْرَ رَهْوا إنهم جند مغرقون، ثم قال له: ولدنا يسافر في البر تحت أعلام، ويحج من عاموا، فلما رجع لأصحابه، وأخبرهم بمقالة الشيخ، وما عزم عليه في امتثال أمره والرجوع لإشارته، امتنعوا من ذلك، وقالوا: لا قدرة لنا على المرور بتلك الأماكن، ففارقهم وسار في البر، وسافر أصحابه في البحر، ثم إنهم تراكمت عليهم الأمواج، وشاهدوا من أهوال البحر ما فيه للقلب انصداع وانزعاج، وتَعَوَّفُوا عن الحج في ذلك العام، وذهب الرجل مع الركب وحج من عامه ورجع بأمن وسلام، وفي سنة هذا الرجل، قال سيدنا: سافر ولد عمنا المرابط الأجل الحاج محمد بن الشرقي بن المفضل، رحمه الله للحج بوالدته، فلما خرجوا من مصر قاصدين للغرب، قال المرابط للحاج موسى، ما بقي بيدي من المال أظنه لا يفي بالنفقة/162/ للعيال، اذهب إلى فلان لرجل من زعير، كان قاضيا عندهم، وقل له: يسلفني أربعين دينارا ونوَدِّبها له عند وصولنا للبلد، فذهب الحاج موسى إلى ذلك الرجل، فلم يجبه إلى السؤل، ولم ينل منه المأمول، بل لم يجبه بطيب كلام، وأجابه بما فيه للقلب كلام، فرجع الرجل من عنده خائبا، ولنفسه معاتبا، ثم لما كان غسق الليل، وإذا بالقاضي المذكور على خباء الحاج موسى ينادي عليه، وحالته تشهد عليه بأنه خائف ومذعور، فأجابه الحاج موسى، من داخل الخباء¹، فقال له: هل وقف عليك الشيخ سيدي محمد الشرقي، وعاقبك على فعلك؟ فقال القاضي له: نعم وقف علي، وعاقبني شديدا على عدم سلف الدنانير لولده، وها أنا

¹ الخباء من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة "خي".

أتيت لك بها، فخرج إليه، ودفع له خمسين ديناراً بزيادة عشرة على ما كان طلبه منه، وذهب بالدنانير للمرابط المذكور، ببركة الشيخ نفعنا الله به.

قلت: وهذا الفقيه الذي عى به سيدنا الصالح، نفعنا الله به، على الحاج أحمد الحَبَّاسِي، في قوله: أخبرني بذلك السيد عبد القادر بن شقرون، كان من أهل العلم والأدب الكامل، وله معرفة تامة بالطب وغيره من الوسائل، وكانت له محبة في الشيخ يتردد إليه من مكناسة الزيتون، ويتعرض لاقتطاف أزهار روضه الهتون، ينبسط إليه الشيخ نفعنا الله به، أعظم الانبساط، وله في معالجة ما نزل به من الأسقام نشاط واغتباط، يجيبه عن كل ما نزل، ويلاطفه عن كل ما سأل، وقد جعل له منظومة حسنة في أنواع الفواكه والأغذية من الطعام، وبين له ما فيه نفع للبدن، وما يكون سبباً لجلب الأسقام، تشهد له بأنه من أهل المعرفة والتصرف في علم الطب على الدوام، وستأتي هذه المنظومة آخر خاتمة الكتاب، إن شاء الله تعالى، وقد كان هذا الفقيه يعظم الشيخ سيدنا الصالح، ويبجله، ويمثل أوامره، وينشر محاسنه، ويفضله، وقد مدحه بقصائد كثيرة جلييلة خطيرة، فمن ذلك قوله:

[الطويل]

فَأَخَفْتُ سَنَى الْأَقْمَارِ وَالنَّجْمِ وَالْبَرْقِ	أَشْمَسًا أَطَلَّتْ مِنْ عُلَى الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ
لِذَاكَ الْعُلَى مِنْ كُلِّ مُعْتَبِرٍ خِرِقِ	فَخُرَّتْ فَخَرَّتْ دُونَكَ الشُّمُّ رُكَّعًا خُشَعًا
يُضَاهِي رَوْضَهَا الْيَانِيعَ الْعِدْقِ	تَفَرَّدَتْ بِالْعَلْيَاءِ غَيْرَ مُشَارِكِ
فَلِلَّهِ فَرْعٌ أَزْهَرُ طَيِّبُ الْعِرْقِ	وَحَلَيْتَ حَيْدَ الْمَجْدِ غَيْرَ مُعْطَلِّ
وَكَانَتْ قُبَيْلَ الْفَتْحِ مُحْكَمَةَ الرَّقِّ	فَتَقَّتْ شَايِبَ الصَّلَاحِ بِهَمَّةِ
فَجَحِدَتْ بِلَا صَدَعٍ يُعَابُ وَلَا شَقِّ	بِكَ اللَّهُ أَحْيَى الْأَرْضَ بَعْدَ إِمَاتَةٍ
إِلَى الْوَرَعِ الْمَحْمُودِ وَالْعِلْمِ وَالصِّدْقِ/163	جَمَعْتَ عُلُوَّ الْقَدْرِ وَالْجُودِ وَالْتَقَى

وَعَرِضاً مَصُوناً زَانَ أَسْنَى مُرْوَةً
 فَلَوْ لَمْ أَشَاهِدْ مِنْكَ بَحْرَ سَمَاحَةٍ
 لِأَيُّقَنْتُ أَنَّ الْجُودَ وَالِدِينَ عَطَلًا
 أَشَدَّتْ مَنَارَ الْبَدْلِ فِي عِلْمِ الْعُلَا
 وَأَصْبَحْتَ فِي سِلْكِ السُّلُوكِ يَتِيمَةً
 خُلَاصَةَ وَدِّي فِيكَ كَافِيَةً إِذَا
 فَلَازَلْتَ غَوْتًا يَا بَنَ مُعْطِي مُؤَمَّلًا
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّ شَمَالٌ عَلَى
 وَمَا طَرَقَتْ نَوْرَ الرِّيَاضِ غَمَامَةٌ
 وَمَا اهْتَزَّتِ الْأَشْجَارُ مِنْ نَفْحَةِ الصَّبَا
 وَأَفَاضَتْ حَيَاءً فِي سَنَا وَجْهِكَ الطَّلِقِ
 وَدِينًا تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ وَالْحَقِّ
 وَلَمْ يُلَفَّ مِفْضَالًا لِمَتَّسَعِ الْخَرْقِ
 عَلَى حِينِ بُخْلِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْمَذْقِ
 وَأَمْسَيْتَ فِي بَحْرِ النَّدى أَنْفَسَ الْعَلِقِ
 هَمَمْتُ بِتَسْهِيلِ الْفَوَائِدِ وَالرِّزْقِ
 وَغَيْثًا مَرِيعًا شَامِلًا جُمْلَةَ الْخَلْقِ
 وَشِي رَوْضٍ غَبَّ صَوْبٍ مِنَ الْوَدْقِ
 فَأَصْبَحْتَ الْأَعْصَانَ حَالِيَةَ الطَّوْقِ
 وَغَنَّتْ عَلَى الْأُورَاقِ سَاحِقَةُ الْوُزْقِ¹

ومن كراماته: ما حدثني به المسن أخونا علي بن أبي يعزى، قال: "كنت مع سيدنا
 الصالح، فإذا بالشيخ أبي يعزى المملأي الحمداني، وكانت له رياسة، وجاه عظيم، مع
 الشريف الأصيل مولاي أحمد الذهبي بن مولانا إسماعيل، قدس الله أرواحهما، فقال لي
 الشيخ المذكور: شاور علي سيدي الصالح، فشاورته، فأمر له بالدخول، فدخل وأخذ
 يسارره، ولم أدر ما يقول، فإذا بالشيخ نادى علي، وقال لي: قرب أذنك، ففهمت أنه يريد
 أن يأمرني بما يأكل الرجل بين يديه، فلما كانت أذني قربه صاح، وقال: اللكوز اللكوز
 القَرَاص فوق الرأس، ثم قام ودخل للدار، وهو يصلي على النبي ﷺ، ثم رجع الشيخ
 المذكور آخر عشية النهار، وقال لي: خفت من صحبة سيدي الصالح، ولم أدر ما المراد،
 فقلت له: اذكر لي ما كنت تكلمت له به، فقال لي: اشتكيت عليه، وقلت: يا سيدي أهل

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 136 (ب) و137 (أ).

تادلة، وأصحاب مولانا أحمد، يقولون: الشيخ موسى يعطي عشرين قنطارا، ويبقى له ما يعيش به، وأنا خفت من ذلك، وليس هذا القدر عندي، ففهمت بعد حكايته لي هذه المقالة، أن الشيخ يشير إلى ما يقع بالرجل، فكان ذلك الوقت وقت الخريف، وفي إسبال الزرع من العام القابل نزل بالشيخ المذكور ما أشار له سيدنا الصالح، فقبضه مولانا أحمد، وأمر عليه بالقراريص وأنواع العذاب، إلى أن مات تحت ذلك، وظهر مصداق إشارة الشيخ".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به أخونا علي المذكور أعلاه، قال: "لما قرب سجن الشيخ بداره، وعدم قدرته على الخروج كثر أنينه،/164/ وقل خروجه، فقلت له: أنا وأخونا عبد الرحمان مقدم الشيخ يا سيدي كثر أنينك فهلا خرجت للبادية على عادتك رجاء أن تجد راحتك، فقال لي: الوتد في أي محل يُضربُ، فقلت له: لا أدري، فقال لي: الوتد يضرب على الرأس، إشارة منه، إلى أنه من الأوتاد".

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور قبله أيضا، قال لي: "لما سجن الشيخ بداره دخلت عليه، في أول أمره، وجلست معه، فرأيت في ثيابه، برغوثا كثيرا، فقلت في نفسي: يا رب هذا جسد من نور، وسجنته هنا، وسلطت عليه جند البرغوث، ولم أتكلم بذلك، فنظر إلي، فقال لي: ليس هو عندكم، فقلت له: يا سيدي ما تريد؟ قال: البرغوث الذي قلق قلبك، فقلت له: يا سيدي عظم علي أمرك، وشجني، فقال لي: هذا ما وعدني الله به، فعلمت أنه أطلع الله على ما خطر في قلبي، نفعنا الله به.

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور أيضا، قال: "كان بعض أصحاب الشيخ نازلين خلف داره، وأحدثوا فرنا على عادة أهل البادية لخبزهم يسمونه إينور، وكان خلف بيت زوجة الشيخ، فاشتكت عليه دخانا يدخل عليهما من الفرن من شق في

الحائط، فدخل الشيخ على أصحابه، ووجدوا النساء قد أدخلوا خبزهم في الفرن المذكور، ولم ينصرفوا عنه إلا بعد أن أحسوا بدخول الشيخ، فنظر الشيخ للفرن، فسقط من حينه، وخرج الشيخ ولم يتكلم، فرجع النساء عند خروج الشيخ، فوجدوا الفرن قد سقط على الخبز، ففتحوا¹ عنه، فوجدوه تحت التراب، وقد طاب ففهموا أن الشيخ لذلك دخل. فلما أتى إليه أصحابه النازلون، هنالك، قال لهم: حولوا ذلك الفرن من ذلك المحل، فإنه أضرب بأهل دارنا، فعلموا عند ذلك مراده بدخوله رضي الله عنه".

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور أيضا، قال: "لما نزل مرض الفالج بأبيه، وقد أشار له الشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به، بنزوله به، قبل ظهوره بوالده بنحو ست سنين، طلبه والده، وهو مريض به، أن يأتي به لزيارة سيدي الصالح نفعنا الله به، فلما أتى به إليه وأجلسه بين يديه، قال له سيدي الصالح: تأخريا علي والمعلم عبد الرحمان، وقد كان معي، فتأخر عنهما، وأخذ في الكلام بينهما، فإذا بالشيخ صاح، وقال: أنا السابق وأنت اللاحق، ثم تفرقا، ثم بعد ذلك بنحو شهرين توفي سيدي الصالح، فقال لي أبي: قرب أجلي، هذا ما أخبرني به سيدي الصالح يوم ملاقاتي معه في قوله: أنا السابق وأنت اللاحق".

ومن كراماته نفعنا الله به: /165/ ما حدثني به الشيخ عامر بن عامر الحسوني العميري، قال: "رأيت الشيخ سيدنا الصالح، في المنام، وهو جالس على معدن كأنه بوجبر، وهو يأخذ منه، ويعطي للناس، منهم من يأمره بإعمال زلافة، ومنهم من يأمره بإعمال خابية² إلى غير ذلك من الأواني، فلما استيقظت تأملت في نفسي في ذلك الأمر،

¹ في النسختين (ج) و(د): "فبحثوا".

² الخابية: جرة عظيمة، وعاء يحفظ فيه الماء.

فقدف الله في قلبي، بأن تلك الوسيلة يعطيها الشيخ للناس كل بقدر حاله، ثم قدمت للشيخ أريد منه طلب الوسيلة. فلما قدمت إليه لقيته ببابه المعروف لملاقاة الناس، فسلمت عليه، وقلت له: أريد من سيدنا أن يقبلني لله تعالى، فقال لي: قبلناك، ولم يعلمني شيئاً، وقال لي: تبيت هنا في الباب ومن الغد إن شاء الله، أعلمك. فبت في الباب وأرسل لي نفعنا الله به العشاء، ونمت هنالك، فرأيت في النوم كأني أرد الدم من جوفي ساعة، ثم رأيت كأني أرد شيئاً أصفر حتى استغربت من أين خرج ذلك من جوفي. ثم لما طلع النهار أردت الدخول للباب، فمنعني رجل هنالك، فتخاصمت معه، فسمع الشيخ ذلك فقال: ما هذا؟، قالوا له: فلان وفلان تخاصما، فأمر بدخولنا. فلما دخلنا، قال للرجل: ما بينك وبينه؟ فقال له الرجل: هذه نحو العشرة أيام، وأنا أطلب ملاقاتك، ولم يتيسر لي، فتخاصمت معه لتسمعنا ويكون ذلك سبباً لدخولي عليك، فدعا له، ولقني الورد، فعلمت أن تأخيره لي بالأمس إنما هو ليظهرني من الخبث الذي كان بجسدي".

ومن كراماته قدس الله سيّره: ما حدثني به السيد الحاج محمد بن يوسف، قال: "حدثني والدي وأمي وعمتي، أنهم كانوا نازلين بجبل آيت بوزيد،¹ المعلوم بدير تادلة، في أيام السلطان مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، وكان الأسد في تلك السنة كثيراً في الجبل بعد المغرب، يخطف لهم الغنم، ثم إن عمه الشرقي بن يوسف دخل على أهله يوماً بعد المغرب، وقال لهم: أردت الآن القدوم لزيارة الشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به، فراودوه على المقام إلى الصباح، فأبى، وقال لهم: أنزلوا قدركم حتى تجعلوا لي

¹ آيت بوزيد: قبيلة أمازيغية، تقع مواطنها شمالي أزيلال، وشرقي آيت اعتاب، وتتكون من عناصر صنهاجة (آيت واستر) تشكل الأغلبية، وأخرى من هسكورة (آيت مساض)، يزعم عبد العظيم الزموري أنهم شرفاء أدارسة، يرجع أصلهم إلى الشيخ أبي زيد بن علي، الذي اشتق اسم القبيلة من اسمه. ينظر: محمد الخليلي، الدرّة الجليلة، ج2، نقلا عن كلام المحقق بالهامش رقم (4)، ص: 443.

خبزتين، ففعلوا وخرج من ساعته فحين انفصل عن أهله في الجبل، خرج عليه الأسد، وصار يدفع عليه في الطريق المرة بعد المرة، ويحفظه الله منه ببركة الشيخ نفعنا الله به، إلى أن وصل الرجل لوادي أم الربيع¹، فأدركه الجوع، فجلس بطرف الوادي والأسد أمامه، وشرع في الأكل لقممة يأكلها والأخرى يعطيها للأسد، بعد أن خالطه شيء في عقله، فلما فرغ من الأكل ودخل الوادي يقطعه، فاق ببرد الماء، ووجد الأسد يقطع الوادي أيضا، وكانت عنده سكين قصيرة لم تفده مع الأسد شيئا، فلما قطع/166 الوادي قطع عصي طويلة وجردها وصار إذا دفع عليه الأسد ضربه، إلى أن قرب طلوع النهار، ورجع عنه الأسد قرب وادي سريزو المعروف، فلما وصل للشيخ، قال له الشيخ: كيف أنت مع كلفة الأسد؟ ثم رآه الشيخ معه تفاقم في عقله، فقال لأصحابه الذين كانوا يطحنون الرحي: خذوا الرجل وأكثروا له الغطاء عندكم، حتى يرجع له عقله، فأخذه وغطوه إلى أن نام ورجع له عقله وأتوا به للشيخ، فقال له نفعنا الله به: نجاك الله من ذلك الأسد، فقال له: ببركتك سيدي، ثم أتى له بخبزتين وعسل، فاستقلهما الرجل، لأن الجوع بلغ منه الغاية، فشرع يأكل إلى أن شبع والخبز والعسل كأنه يزيد، فقال له الشيخ: كل فقال: يا سيدي شبع، فقال له: أما كنت استقللت ذلك حين وضع لك، فعلم أن الشيخ كاشفه بما خطر له في قلبه، فقال الرجل: أنا تائب لله يا سيدي.

¹ أم الربيع، نهر كبير جدا ينبع من الأطلس بين جبال عالية في حدود تادلا وناحية فاس، ويجرى عبر سهول أدخسان، وتبلغ مساحته 34335 كلم²، وترتب في الصف الرابع بعد مساحات أحواض درعة وملوية وسبو. ويعد أطول الأنهار المغربية بمسافة 555 كلم، أو 604 كلم، أي أطول من نهر ملوية الذي يبلغ 520 كلم. ويشكل حدا فاصلا بين قبائل الشاوية المحاذية له وقبائل دكالة والرحامنة وقبائل السراغنة. ينظر: مصطفى عباد، مادة "أم الربيع" (نهر)، معلمة المغرب، الجزء (3)، ص: 781-785.

ومن كراماته رضي الله عنه وأرضاه وأرضاه، وجعل في أعلى الفرديس قراره ومثواه: ما حدثني به التاجر الحاج التاودي الفلوسي، المعروف بالبلبول الفاسي، قال: "كنت عند قدومي من الحج بأبي الجعد، ولم يفضل بيدي بعد حجي إلا نحو ثلاثين مثقالا، كنت أتسبب بها فطبخت طاجينا من الدجاج المعلوف، وأتيت به للشيخ سيدنا الصالح، فوجدته بمصرية الخير السيد علي العوني المعروفة له قرب دار الشيخ، ومعه العالم الناسك سيدي محمد بن يوسف، والسيد علي العوني¹، فقدمته لهم، فأكلوا، فلما فرغوا من الأكل، قلت له: يا سيدي لا أدري هل أكلتم هذا الطعام مني حلالا أو حراما؟ فقال لي نفعنا الله به: الله، كيف تقول هذا؟ فقلت له: إن أردت أن يكون حلالا فزوجني، فقال للفقيه السيد محمد بن يوسف: زوجه، فقال له: لا أفعل بل زوجه أنت، فقال له: زوجه وأنا أذنت لك، فقال: لا، أنت زوجه وأذن لرأسك، فقال له الشيخ: ارفعوا أيديكم للفتحة، فنحن زوجناه، فقلت له: يا سيدي ليس عندي سوى عشرة مثاقيل أنفقتها من مصر، وقبضت فيها ثلاثين مثقالا هنا وقد خطبت امرأة ابنة خالتي توفي زوجها وترك لها مالا، فقالت: دمي ولكن لا أخذه لأنه ليس بيده شيء، وأردت من سيدي أن يزوجني من امرأة أحسن منها، فقال لي: نحن زوجناك بها، ثم بعد ذلك بعثت كتابي لأختي لمدينة فاس، وقلت لها: زوجيني أحسن من تلك المرأة، فتكلمت مع أهل تلك المرأة وتواعدوا بشرط أن يكون الصداق في ذمتها، لأن أختي كانت مليئة وأنا لا يعرفون عندي شيئا، فشاورتني على ذلك في كتابها، فقلت لها: تحملي لهم بما أرادوا اتكالا مني على كلام/167/ الشيخ، وأما المال فليس بيدي، فزوجتني أختي، وقدمت للمدينة، وشرعت في العرس،

¹ الفقيه علي العوني من خيار أصحاب الشيخ محمد صالح الشرقاوي، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 149 (أ).

وأختي تدفع من عندها، فلما فرغنا من العرس، وفاتت أيام التعريس، قلت لأختي: أذكري لي ما سَرَدْتِ¹ عليّ، فأخذت تذكر لي ما سردت إلي أن اجتمع في ذلك مائة وأربعون مثقالا المائة في النُقْدَة والخادم، والأربعون في العرس والطعام، فاستعظمت ذلك، وقلت لها: أردت أن تبيعي لي دارنا وأنت عالمة بأنني ليس بيدي شيء، فقالت لي: اسكت وأنت بزمام، وهي تقول: لك عندي كذا، ولك عندي كذا، ولك عندي كذا من كذا، وصارت تذكر لي أمورا لم أكن أحسب شيئا منها، إلى أن قطعت جميع ما سردت علي، ودفعت لي زيادة على ذلك اثنين وثلاثين مثقالا، وقالت: هذا كله لك، فعلمت أن ذلك كله من بركة الشيخ، حيث زوجني من الغيب، ولم أكن أعتقد عند أختي شيئا من ذلك، لأنني كنت أبعث لها الشيء القليل، ولا أظن يقف منه شيء. قال الحاج المذكور: وعند إرادتي القدوم لفاس لأعرس بها، قلت للشيخ: يا سيدي القايد بوعلي الروسي² بفاس، يطلبنا، وأردت من سيدي لا أحرِّك ولا أُغرِّم، ولا يلحقني شيء، فقال لي نفعنا الله به: الله يؤمن عليك، فقدمت لفاس، فبعد قدومي بأيام قلائل وشروعي في العرس، سخط السلطان مولاي إسماعيل على القايد بوعلي المذكور، وسجنه بمكناسة أربعة أشهر، وأنا في المدينة لا أعرف أحدا، ولا نرى مكروها، ثم عفا السلطان على القايد المذكور، وقدم للمدينة، وكنت ألاقيه، وألاقي الحرايين كأنه لا يعرفني أحد أصلا؛ وذلك كله من بركة الشيخ نفعنا الله به".

¹ في النسخة (ج): "صرفت".

² أبو علي الحسن الروسي بن عبد الخالق، كان تعيينه على فاس عام 1115/1704، بعد مقتل عبد الخالق الروسي، فقد عمل منذ توليه على تنفيذ الصرامة في الأحكام والتشرد في جباية الأموال مما جعل أهل فاس يستشفعون بالسلطان أكثر من مرة، وقد أدت تجاوزاته أحيانا إلى غضب السلطان وإلى عزله، وبعد وفاة مولاي إسماعيل مباشرة، ثار أهل فاس عليه، وقتل سنة 1139/1727. ينظر: أحمد الناصري، الاستقصا، ج7/94-96: ونفيسة الذهبي، مادة "أبو علي الحسن الروسي" معلمة المغرب، 1422هـ-2001م، الجزء (13)، ص: 4478.

ومن كراماته أدام الله شرفه وعلاه، ما حدثني به الحاج المذكور أيضا، قال: "كنت بأبي الجعد، نازلا بفندق المرابط السيد عبد القادر بن العروسي للتجارة في البر مع جماعة من التجار، وكان رجل يأتينا، ويجلس عندنا، لا نتوهم فيه سرقة، ثم خرجت من بيتي يوما، وجعلت القفل عليه، فلما رجعت وفتحت البيت، وجدت منديلا فيه خمس وعشرون شربة من الشرب الكبير، وتسعة عباريق، وخمسة حزم سرق من بيتي، فأتيت الشيخ سيدنا الصالح، وذكرت له ما سرق من بيتي، فقال لي نفعنا الله به: اصبر. ولأزلت آتية في كل صباح، ويسألني عن السرقة، هل سمعت شيئا؟ فأقول له: لم أسمع شيئا، ولم أذكر ذلك لغيره، ولم يسمعه أحد إلا السيد علي العوني صاحب الشيخ وجدته جالسا معه مرارا، إلى أن أتيت له يوما عند طلوع الشمس، وكنت لم أُصَلِّ الصبح لِعُدْرٍ، فلما رأني نفعنا الله به، قال لي: منس تزالت بالكلام البربري، ومعناها بالعربية: سِرْتُصَلِّي، وعبرلي بذلك لئلا يفضحني بمحضر من كان معه، وبقيت/168/ على تلك الحالة آتية كل صباح ما يزيد على الشهر، وفي كل يوم يقول لي: هل ظهر لك خبر؟ فأجيبه، بقولي: لا ولم يظهر لي منه نفعنا الله به، ما يُوَوِّسُنِي من متاعي، فبينما أنا ذات يوم جالس في السوق وإذا برجل، يقول: أَكَلْتُ قافلة بطريق مراكش فيها من الشرب والكتان ما لا يحصى وَأُتِيَ ببعض ذلك لهذه البلاد عند بني فلان، فقامت من حينئذ إليهم، فوجدت جماعة من الناس وبأيديهم متاعي في منديله، وجدوه عند الرجل الذي كان يجلس عندنا ووجدوا عنده اثني عشر مفتاحا على بيوت أصحابنا الذين كانوا معي بالفندق المذكور، فقلت لهم: هذا متاعي، فقالوا: ليس لك منه شيء، فإنك لم يسمع أحد أنك سرقت، فقلت لهم: شاهدي الشيخ سيدي الصالح، وأعطيتم أمانة في ذلك، وأن الفأر قطع لي ثلاثا من الشراب، ففتشوا المتاع، فوجدوا قطع الفأر في العدة المذكورة، وقدموا معي للشيخ، فأخبرهم بما سرق لي، ودفعوا لي متاعي، وتسبب توطنهم

بالمحتاج أنهم سرق لهم زرع من دارهم، وكانت مجاورة لدار الرجل المذكور، فتبعوا أثر الزرع إلى أن دخل لدار الرجل الذي كان يجلس عندنا، ووجدوه في بيته ووجدوا المنديل معلقا في السقف بحوائجه، وذلك كله من بركة الشيخ نفعنا الله به".

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به الفقيه الأجل السيد محمد بن عبد الكريم العبدوني، قال: "حدثني السيد إبراهيم بن العاتي، عن المقدم عبد الرحمن السوسي، أنه حدثه أن الشيخ سيدي الصالح، قدم إليه بعض الضيوف ليلا، فوجدوا عشاء الزاوية قد فات، فقال الشيخ: انظروا لهؤلاء الناس عشاءهم، ففتشوا في الدار فلم يجدوا شيئا، فقال: اطلعوا إلى الغرفة، فطلعوا، فلم يجدوا شيئا، فقال انظروا في السوق، ففتشوا، فلم يجدوا شيئا، فقال لهم: انظروا عند الجيران من فضل عنده دقيق، من وليمة أو عقيقة أو غير ذلك، نتسلفه حتى نردوه له غدا إن شاء الله، قال: ففتشوا فلم يجدوا شيئا، فقالوا: ما وجدنا شيئا، فقال الشيخ: الله كيف يبيت أضيافنا بغير عشاء، وصاح على المقدم، وقال له: اطلع إلى الغرفة انظر فيها، قال المقدم: فلما طلعت إلى الغرفة وجدت كأن فيها ضبابية، وكأن الدقيق يهبط من سقفها، فبقيت ساعة حتى انجلت تلك الضبابية فوجدت إناء أمامي مملوءا بالدقيق، فرفعت منه، ما عشنا منه الضيفان، وبقي الآخر إلى غد من فضل الله وبركة الشيخ نفعنا الله به".

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا عن السيد إبراهيم المذكور عن المقدم محمد بن أبي يعزى الغرباوي، قال: "أتوا الأضياف/169/ إلى الشيخ سيدنا الصالح، في بعض الليالي، فوجدوا عشاء الزاوية قد فات أيضا، ولم يجدوا سوى فضلة

قليلة في مخفية¹، فقال الشيخ: إيتوني بها، فوضعناها بين يديه، وجعلنا عليها المكب²، واشتغل يتحدث معنا على عشاء أولائك الأضياف وهو يقول: الصالح وعنده المقدم والمؤخر ما خص غير هذا الشيء ما يكون المقدم والمؤخر إلا عند سيدي محمد البصير الذي خدم الزاوية، من مزود سبع سنين. ومات وتركه مملوًّا كما هو، قال، وصاح وقال: ارفعوا المكبَّ، فرفعناه، فوجدنا المخفية مملوَّةً والطعام يتدَّرِدُرُ منها، وهي مملوَّة بلحمها كأنها الآن سقيت، فقال واصلوا للضيافان عشاءهم، ودخل إلى الدار وذلك من فضل الله وبركة الشيخ".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه المذكور عن السيد إبراهيم بن العاتي، أيضاً، قال: "حدثني السيد إبراهيم، المذكور عام وفاة ولد السلطان مولاي محمد بن مولانا إسماعيل، رحمهما الله، قال: سبب توبتي أن والدي وهو الشيخ عبد الله بن العاتي، صرفني بمائة مثقال من الزكاة نوصلها إلى القائد سعيد الطليقي، في مدينة مكناسة، قال: فلما وصلت في الطريق إلى بلاد زعير، وجدت إنسانا مع غنم له يرعاها وفي يده تسبيح³ ولوحة⁴، ووجهه كأنه قطعة قمر، قال: فغرت من حاله، وأنا كنت صعب الطبع، مشتغلا بما لا يعني، قال: فسألته عن أخذ تسبيحه، فقال لي: عن بعض صلحاء بلده مثل السيد العياشي أو غيره، فاشتغلت أقول: الله يا صلحاء بلدنا، الله يا سيادنا كيف جرى بكم، حتى لم تغيروا علينا، انظروا هذا الرجل، كيف جمع الله له بين صلاح حاله ودينه ودينه، وأنا باق نقطع في الأرض ونبلع في السماء، قال: فوصلت إلى

¹ المخفية: قصعة من الطعام تقدم لزوار الزاوية أيام المواسم.

² المكب: يصنع من الدوم ويخبأ فيه الخبز.

³ السبحة: تستعمل للذكر، جمعها سُبْح. تتكون من تسعة وتسعين حبة مع فاصلتين، تاج العروس، مادة سبج.

⁴ يعني بها اللوح الذي يستعمله الطالب في حفظ القرآن بالمسيد.

مكناسة، واشترت جنوي¹ معمرًا، وعملت له مجدولًا بشهوة نفسي، فلما رجعت إلى البلد، مكثت سبعة أيام على حالي، فمشيت يوما مع القافلة، نطلع مطمورة، فبينما أنا أمشي في الطريق، ثم تأخرت عن القافلة لقضاء حاجة، فما أحسست بالشيخ حتى خلط² علي في ذلك الموضع، فضربني لرأسي، فبقيت ساعة وأنا سكران، فلما أفقت كسرت الجنوي بالحجر وكذا حليته ومجدوله، وسرت على حالي للشيخ سيدي الصالح، ورميت بالبلغة وهي جديدة في الخلاء، فلما وصلت إلى الشيخ حافيا ورآني أهملني، كأنه لم يعرفني، فبقيت نحو عشرة أيام، وأنا في بيت الرحي نسقي مع السقائي، ونطحن مع الطحانين، فما حسست بعد العشرة أيام، حتى حدثتني نفسي وقالت لي: لقد اشتغلت بإتلاف نفسك، ما أنت بدنياك ولا بمعرفة هذا السيد، ما سأل عليك ولا عرفك، فهمت بالرجوع إلى مكاني، فبينما أنا في تلك الحالة، فما حسست به حتى خرج إلي، **170/**وقال لي: اجلس ثم حتى نُسَيِّفُكَ³ والله ما كان أعز عندي حين نراك، فلما كان الغد، قال لي: أخبرني بما عليك من المظالم واصلدقي، فأخبرته بكل ما كان علي، فقال لي: اذهب إلى مكانك حتى تستحلهم، ومن لم يطاوعك اعلمني به، فذهبت إليهم، فكلهم سهلوا علي، والله الحمد من بركته، فرجعت إليه، فأخبرته فأعطاني الورد والله الحمد".

ومن كراماته قدس الله روحه: ما حدثني به سيدنا وأستاذنا وعمدتنا وملاذنا، سيدنا المعطى، أدام الله وجوده، قال: "سخط السلطان الأجل مولانا إسماعيل، قدس

¹ جَنُوي: سكين، نسبة إلى جنوة مرسى من مراسي إيطاليا على البحر الأبيض كانت ترد منه للمغرب، وهي من أقدم مراسي البحر الأبيض التي كانت تورد منه وتصدر إليه، يراجع عنه: أحمد الصبيعي السلاوي، معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي، ص: 111.

² من اللسان العامي، يقصد: "وصل".

³ صيْفُط: بمعنى أرسل، الفعل البربري أفض، والصاد تدخل على الفعل في البربرية دلالة على التفعيل المفيد للمبالغة والتكثير، أحمد الصبيعي السلاوي، معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي، ص: 223.

الله روحه، على ولده الشريف مولاي سليمان، وحلف له إن رأيتك في هذا البلد حتى
نقطع رأسك، ففر الشريف من والده لتافاللت¹، وبقي بها سنين، متخوفا من والده، ثم
بعد ذلك، كتب للشيخ سيدنا الصالح يستشيريه فيما نزل به مع والده، فكتب له الشيخ
وأمره بالقدوم على السلطان، فلما وصله الكتاب قدم على مكناسة الزيتون²، وتلاقى مع
والده، ففرح به الغاية، وأعطاه جنانا كبيرا بتاورا³، وقال لزوجته الحرة المصونة السيدة
خناتة⁴، أم ولده الأرضى مولانا عبد الله، وكانت من أحظى أزواج السلطان: اجعليه مع
ولديك مولاي عبد الله، كأنه ولدك، وكل ذلك من بركة الشيخ نفعنا الله به".

¹ تافيلالت: يطلق هذا الاسم على مجموعة من الواحات الواقعة على ضفتي وادي زيز ووادي غريس والنيف،
وتبلغ مساحة هذه الواحات نحو 12 ألف هكتار يقطنها نحو 70 ألف نسمة ويبلغ عدد النخيل بها نحو 360 ألفا،
وتزدهر بهذه الناحية عدة صناعات محلية اشتهرت في القديم بالجودة والإتقان أهمها صناعة دبغ الجلود، فقامت
بها حركة كبرى لمقاومة الاحتلال خلال الحرب العظمى الأولى تزعمها الشريف السملالي أبو القاسم النكادي. ينظر:
الصادق بن العربي، كتاب المغرب، ص: 98.

² مكناسة الزيتون، أو مدينة مكناس، من كبريات المدن المغربية ذات الماضي المجيد تقع قرب جبل زرهون في
موقع جميل يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 522م، تحيط بها السهول الخصبة والبساتين الفيحاء وغيابات الزيتون،
واشتهرت بجودة المناخ وعدوبة المياه وجفاف الطقس، يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرون الهجرية الأولى في مكان
يسمى تاكرارات وفي العصر المريني اتسعت عمارة المدينة وتأسست بها عدة مساجد وحصون ومدارس وأسواق،
والمولى إسماعيل هو الذي اتخذها عاصمة لمملكته، فبنى بها الأسوار والقصور والحدائق والدور والمساجد
والحصون والأبراج. ينظر: الصادق بن العربي، كتاب المغرب، ص: 183.

³ تاورا، بفتح الواو والراء كما ضبط نطقها الأصلي ابن غازي، متحدثا عن تاورا مدينة مكناس، إذ أن المواقع التي
تعرف بهذا الاسم كثيرة؛ فيشير البكري مثلا إلى قرية تورة ومرساها على الطريق بين طنجة وسبتة، والإدرسي إلى
قرية تاورت بالجزائر؛ بينما يتحدث "لاوست" عن قرية تاوار بمسفيوة وقرية تاورت بتكانة، ويفترض كمدلول
يحملة الجذر "أور" (Aur) عند الطوارق هو "الوجود إلى القرب من نقطة الماء". محمد اللحية، مادة "تاورا" معلمة
المغرب، الجزء(7)، ص: 2236-2237.

⁴ خناتة بنت بكار بن علي بن عبد الله المغافري، كانت زوجا للسلطان المولى إسماعيل، وأما للسلطان مولاي عبد
الله، ففقيهة عالمة أدبية دينية. وتوفيت عام 1159هـ، ودفنت بضرخ الأشراف في فاس الجديد، ترجمتها في: محمد
القادري، نشر المثنائي، ج38/4؛ وابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج3/25-34؛ ومحمد الأخضر، الحياة الأدبية في
المغرب، ص: 243-245.

ومن كراماته أيضا: ما حدثني به الفقيه سيدي محمد بن عبد الكريم، المذكور قبل هذا، قال: "كنت مع الشيخ سيدي الصالح، وقدم إليه صاحبه الفقير محمد بن أبي يعزى الشجدالي¹، وكان هو القائم بهائم الشيخ وحرثه، فقال له: يا سيدي هذا إبان الحرث، وليس عندنا ما نحرث به للزاوية، فقال له الشيخ: إن لم يتيسر لك شيء فلا تحرث، فقال له صاحبه المذكور: أردنا أن يكون عندنا كثرة البقر، كما كان عند الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، ذكروا لنا أنه كانت عنده بقر كثيرة تزيد على ما تحتاج إليه الزاوية في الحرث، فقال له الشيخ: أنا لا أريد ذلك، ولا حاجة لي به، ولا أطلبه، وظهر فيه حال، ثم بعد أن سكن حاله، قال لصاحبه: أذكر ما تحتاج له من البقر، قال له: عرضان²، قال له الشيخ: قل يا رب اعطني البقر التي أريد، ثم بالقرب من ذلك اليوم، قدم الرحامنة³ بثور جيد، أتوا به للشيخ في زيارتهم وقدم بعدهم بنو أحسن ببقرة أخرى جيدة، وظهر بذلك مصداق قول الشيخ نفعنا الله به، فذلك من كمال زهده، وإلا فقد نال أقوام بدعوته المباركة الأموال وغيرها، والله در من قال:

[الرمل]

إِنَّ لِلَّهِ رَجَاءً⁴ فُطِنَّا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنًا

¹ كان مشرفا على ثروات الزاوية بالبادية، ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/222.

² من اللسان العامي، يقصد به: "الثور من البقر"

³ الرحامنة، قبيلة حوزية يحد موطنها مجرى وادي أم الربيع شمالا، ومجرى وادي تانسيفت وسلسلة الجبيلات وبلاد مسفيوة جنوبا، ومن الناحية الشرقية قبائل السراغنة وزمران، ومن الجهة الغربية دكالة وأحمر وأراضي الكيش. من مراكزها بن كير، وصخور الرحامنة، وسيدي بوعثمان، ورأس العين. ينظر: عبد الرزاق الصديقي، مادة "الرحامنة"، معلمة المغرب، الجزء (13)، 1410 هـ-1989 م، ص: 4283-4285.

⁴ في النسختين (ج) و(د): "عبادا".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه الأرضي، المرابط المرتضى، سيدي المعطى بن محمد، أحد حفدة الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، قال: "كنت جالسا مع الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، عشية، فقدم علينا صاحب الشيخ سيدي حسين، خليفة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، نفعنا الله به، وكان الشيخ سيدي حسين، مسجوناً عند السلطان مولانا إسماعيل، فقال الرجل المذكور لسيدي صالح: كيف يا سيدي أنتم في الوجود وسيدي حسين مسجون يعطي المال؟ فصاح الشيخ سيدي الصالح، بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْدَسَ الرُّسُلُ وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ﴾²، فلم تمض إلا أيام قلائل وسرَّح السلطان سيدي حسين، وفرج الله عنه، وعلموا صدق إشارة الشيخ نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله النفع به، قال: "ورد على الشيخ سيدنا الصالح، المرابط السيد محمد بن العالم الإمام سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي³، أحد حفدة الوالي الشهير سيدي أحمد بن أبي القاسم، وذكر له أنه ترتبت

¹ وردت هذه الآيات في: ديوان الإمام الشافعي، إعداد وتعليق وتقديم، محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر الجديدة، القاهرة، ص: 145-146 مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ، مثل: "عبادا" عوض "رجالا"، وهو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن أبي عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، ولد سنة 150هـ، وكان أول من تكلم في أصول الفقه، توفي سنة 204هـ، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/163-169.

² سورة يوسف، الآية: 110

³ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التادلي، الصومعي، الفقيه العلامة، كان عالما عابدا فاضلا صالحا، صحب محمد بن عبد الله السوسي، ثم وفد على زاوية الدلاء وأخذ عن علماءها، ثم اتصل بالعارف بالله أحمد بن عبد الله معن، وأحمد اليميني فصحبهما وتأدب بهما، توفي سنة 1122هـ ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج3/211-212؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 354، والعباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج6/47-48.

عليه ديون، فخاف من القائد موسى الجراري¹، خليفة البلد، على يد مولانا أحمد الذهبي، أن يفضحه لكونه متوليا للأحكام، فأنشد له الشيخ:

[المتقارب]

إِذَا أَسْهَرْتُكَ عِيُونَ الْعِدَا فَتَبَّهَ لَهَا عُمَرَاءُ ثُمَّ نَمَّ²

وأمره بالانصراف، فلقيته عند خروجه من عند الشيخ، فذكر لي ما نزل به، فسلفته العدة التي عليه من الدين، ففرج الله عليه من حينه".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا وشيخنا سيدنا المعطى، أيضا، قال: "كان القائد أبو يحيى الجراري³، خليفته بدار الأحكام، عند الشريف الأجل مولاي أحمد بن مولانا إسماعيل، بقصبة تادلة، وكان الشيخ سيدنا الصالح، يشفع عنده للناس بكتابه أو بصاحبه. ويقبل الحاكم المذكور شفاعته، ثم نزع الشريف المذكور من الأحكام، وخلف مكانه القائد المحجوب، وكانت بين الرجلين منافسة في الأحكام، يتولى هذا مرة، ثم يتولى الآخر بعده، وهكذا، وكل ذلك بأمر الشريف الأصيل مولاي أحمد، ثم إن القائد أبا يحيى، لما عزل، وتولى من ذكر مكانه قدم القائد المذكور ليلا للشيخ سيدنا الصالح، مع صاحبه السيد محمد بن عيسى، فقال للشيخ صاحبه المذكور: القائد قدم لسيدنا لأن الشريف عزله من الأحكام، وولاه للقائد المحجوب، فقال له الشيخ: من يعزله؟ كأنه

¹ القائد موسى الجراري، خليفة مولاي أحمد الذهبي وكان هو العامل بتادلة ومتولي أمورها. ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 149 (أ).

² وردت هذه الأبيات في: شاعر الفحام، نظرات في ديوان بشار بن برد، الطبعة الثانية 1983م، ص: 139 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل، "إذا أيقظتك حروب العدا"، عوض: "إذا أسهرتك عيون العدا". وهو بشار بن برد بن يربوخ بن ازدكرد بن شروستان، ويكنى بشار أبا معاذ، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه، ترجمته في: أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج3/74-175.

³ في النسخة (د): "الحوار".

منكر لعزله، فرجع القائد المذكور لداره للقصبية فرحا بما فهمه من الشيخ من رجوعه لدار الأحكام، فلم تمض إلا أيام يسيرة، وردده الشريف لمحلته من دار الأحكام، وظهر بذلك مصداق إشارة الشيخ نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا المذكور أيضا، قال: "كان بنزالة/172/ سيدي أبي القاسم، بوادي أم الربيع، فقيه شرقي، يقال له: السيد عبد الله، يقرأ سيدي خليل، ثم تعلق بامرأة فخطبها وتزوجها، وهي من قبيلة بني زمور¹، فترامى عليه الشيخ عيسى الزموري، وقال له: إن المرأة كنت تزوجتها قبل أن تعقد عليها، فقدم الفقيه للشيخ سيدي الصالح، وشكاه له فقدم الشيخ والقائم الناسك سيدي محمد بن يوسف للشيخ عيسى، لداره المعروفة له بأبي الجعد، يشفعان عنده للفقيه المذكور يتركه عنه، وأخذ، في وعظه، فلم يقبل، فرجعا من عنده، فمن الغد قدم الشيخ عيسى للشيخ سيدنا الصالح، ورجله منفوخة حتى خشي على نفسه منها، فقال له الشيخ حين رآه على تلك الحالة: ما هذا عندك؟ فقال له: يا سيدي الرجل التي قدمت عليها، ولم يستحي منك، انظر ما فعل الله بها، وأنا تائب إلى الله من ذلك، فدعا له الشيخ، وعوفي من بركته".

ومن كراماته: ما وقع له سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، لما خرج النصارى دمرهم الله بثغر سبتة بجنود عديدة، وكانت بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة، وتروع الغرب من ذلك، وأمر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، نضر الله وجهه، بالجهاد في القبائل، وبعث من وصفانه عبيد سيدي البخاري، اثني عشر ألفا، وكانت في تلك السنة مجاعة عظيمة،

¹ بني زمور، قبيلة كبرى بمنطقة تادلا تضم فرقا من العرب والأمازيغ، تجاور سفوح الأطلس المتوسط، يحدها شمالا مجرى واد كرو وبلاد زايان، وشرقا منطقة سيدي لامين، وجنوبا قبيلة آيت الربيع وبني عمير، وغربا ورديفة والسمايلة، قبائلها الأربع في بداية القرن العشرين هي: أولاد يوسف وبني بتاو والشوكران والرواشد. ينظر: المالكي الملكي، مادة "بني زمور"، معلمة المغرب، 1413هـ-1992م، الجزء (5)، ص: 1530.

فأنشد قصيدته المعلومة في الانتصار بصلحاء المغرب، في دفع ما نزل به من ذلك، بعد أن قال لما سمع الخبر المذكور: "لا يخرج النصارى للغرب، وأنا فيه". وحدثني الفقيه الأحمطى السيد محمد مع الله المعداني، قال: "أتى الشيخ نفعنا الله به، من خارج البلد من الزنقة الضيقة التي كانت من داره ودار ولده سيدي محمد، في وقت خروج النصارى بسبته، وقد تروع الغرب كله من خروجهم، وكانت بينهم وبين المسلمين حروب عديدة، وكثر القول والقييل في الناس في شأنهم، ولما خرج الشيخ من الزنقة المذكورة، قال: إذهبوا يا النصارى من غربنا، إذهب يا الجوع من غربنا، وصاح بذلك بأعلى صوته، فلم تمض إلا أيام قليلة، وورد الخبر بانصراف النصارى من سبته، وكف الله إذائهم عن المسلمين ودفع جميع ذلك ببركته، وتحقيق إشارته، وقصيدته التي أنشد في ذلك هي هذه:

[مجزوء الخفيف]

سَادَتِي لِلْجِرَاسَةِ	عَسْعَسٌ ¹ اللَّيْلُ فَانْهَضُوا
أَرْضَهُ كُلَّ سَاعَةٍ	وَاحْرُسُوا الْغَرْبَ بِأَشْرُوا
فِي سُلوِكِ السَّلَامَةِ	وَأَنْشُرُوا لِأَنْخِرَاطِهِ
رَايَةً إِثْرَ رَايَةٍ	وَسَدَادِ تُغُورِهِ
فَهَوَتْ حَتَّ الرِّمَائِيَةِ	فِي حِمَاكُمْ جَعَلْتُهُ
فِي الدُّجَى لِلضَّرَاعَةِ	فَابْسُطُوا كُلَّ رَاخَةِ
أَهْلَهُ مِنْ مَجَاعَةٍ	وَاطْرُدُوا كُلَّ مَادَهِي
بِالرَّخَا فِي الْحَوَانِ	وَاطْرُدُوا أَمْدَادَ الْغَلَا

¹ عسعس الليل: إذا أقبل بظلامه، وعسعست السحابة، إذا دنت من الأرض ليلا، ولا يقال ذلك إلا ليلا. ينظر: أحمد فارس، مقاييس اللغة، مادة "عسى".

عِنْدَ بَيْتِ الشُّكَايَةِ
لَيْسُوا فَوْقَ هَامَتِي
تُنْتَحِي لِلْوَقَايَةِ
جَلِبْتَ كُلُّ رَاحَةٍ
لِلنَّدَى كُلِّ رَاحَةٍ
دَائِمًا فِي الزِّيَادَةِ
رُبُّنَا لِلْهِدَايَةِ
فِي بُرُوجِ السَّعَادَةِ
جَائِزُ كُلِّ غَايَةِ
أَصْبَحْتُ فِي السِّيَاحَةِ
تَنْجَلِي كُلِّ عَاهَةِ
أَثَرُوا فِي السِّرَايَةِ
مَا سَرَى مِنْ إِفَادَةِ
وَيَلْنُورَ سَادَتِي
سَنَنِي وَمَهَابَتِي
يَنْتَعِي مِنْ قَرَابَتِي
بِالشِّفَاءِ كُلِّ عَاهَةِ
مِنْ مُعْضَلَاتِ الضَّلَالَةِ
وَقَدُوا لِلزِّيَارَةِ

فَبِكُمْ يَذْهَبُ الْأَسَى
يَا أَبَاهُ غُبَارُ مَا
وَجِبَالًا شَوَامِخًا
وَكُهُوفًا ظِلَالَهَا
وَبُحُورًا تَوُؤَمَهَا
وَعِيُونَ نَوَالَهَا
وَنُجُومًا أَعَدَّهَا
وَبُدُورًا طَوَالِعَهَا
وَوُجُوهًا جَمَالَهُمْ
وَصِبَاحًا هُمُومَهُمْ
وَأَسَاءَةَ بَطِينَهُمْ
وَسَرَّاءَ بِحَالِهِمْ
فَسَرَى لِمُرِيدِهِمْ
مِثْلَ إِدْرِيسَ وَابْنِهِ
وَابْنَ جَعْفَرَ سَيِّدِي
وَالجَزُولِي وَمَنْ لَهُ
وَعِيَاضَ الَّذِي شَفَا
وَشِفَاءَ الضَّلِيلِ¹
وَمَنَاخَ الوُفُودِ إِنْ

¹ في النسخة (د): "الغيل".

وَسَجِلْمَاسَ سَادَتِي	يَا لَأَبْطَالَ دَرْعَةٍ
شَامِخَاتُ التَّوَابِتِ	وَبُورَاةَ مَقَرِّهَا
أَرْضُ سُوسٍ وَحَاحَةِ	وَكَمَاةَ مَحَلُّهُمْ
خَيْرُ قَوْمٍ وَقَادَةَ	وَرَجَالَ بَتَادِلَا
فَأَسْرِعُوا لِلْإِغَاثَةِ	بَلِّغِ السَّيْلُ لِلزُّبَا
سَادَتِي لِاسْتِجَابَتِي	فَانْهَضُوا بِجُهُوعِكُمْ
خَيْرِ رِثَالٍ لِأَيَّةِ	بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ	فَعَلَيْهِ وَاللَّهِ
كُلِّ جِينٍ وَسَاعَةِ	صَلَوَاتٍ مُدَامَةً
مَا لَهُ مِنْ نَهَائِيَّةٍ ¹	وَسَلَامٍ مُعَنْبَرٍ

ومن كراماته: ما حدثني به بعض الإخوان في الله، قال: "كنت جالسا بباب الشيخ، والشيخ جالس مع الفقيه الأجل سيدي محمد بن يوسف، ومن معه من الأعلام، فإذا بركب قدم من مدينة سلا، ونزلوا بخزائهم قرب بير سيدي الصالح، المعروف هنالك، وفي الركب عدد كثير من الخلق، فلما سمع الشيخ أصواتهم، قال: ما هذا؟ قالوا له: ركب يريد زيارة السيد يوسف أحنصال²، من مدينة سلا، فصاح الشيخ، وقال: ذِيبٌ غَوَتْ فِي

¹ ورد في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، البيت الأول من القصيدة وعلق عليها قائلا "وهي قصيدة طويلة ذكر فيها صلحاء المغرب كلهم. وقد ذكرها ولده سيدنا المعطى في ذخيرته". ينظر: عبد الكريم العبدوني، اليتيمة، ص: 21 (ب) وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 283/1، ذكر منها ستة أبيات فقط.

² يوسف بن سعيد أحنصال تولى مشيخة زاوية أحنصال الواقع مركزها بأيت مطريف من الأطلس الأوسط، وذلك بعد وفاة والده الشيخ أبي عثمان سعيد بتاريخ فاتح رجب من عام 1114هـ، وقد ورث الشيخ يوسف نفوذ زاوية والده وزعامتها لقبائل آيت عطا التي كانت في طور تنقل بطيء تارة، وسريع عنيف تارة أخرى نحو الشمال مع ما كان يقتضيه الصراع مع القبائل التي في سهل تادلا وحوض وادي العبيد كآيت عتاب وآيت مساض وآيت

الجبل وأكله كلاب الوطأ، وكان ذلك منه إشارة لما وقع به يوم قتل بقصبة تادلة، وأكله بعض الكلاب، كما عاين ذلك من أخبر [به] بموته".

ومن كراماته ﷺ: ما حدثني به السيد العربي بن أحمد بن عبد الصادق العجلاني، قال: "خرج والدي المذكور في عام المسغبة² للغرب، وكان العام شديد البرد، وكان والدي بأولاده معه، وأنا من جملتهم. فمررنا بفدان وزرعه قد أثمر، وقد لحقنا الجموع ليلا، فأرادوا أن يأخذوا شيئا من زرع الفدان، ليقتاتوا به؛ فإذا بصوت ينادي عليهم: اهدأوا، يزرهم من فعلهم الذي أرادوا، فخرجنا من الفدان، وتركنا/174/ زرعه، فقال والدي: هذا صوت سيدنا الصالح، ينادي عليكم، ثم سرنا في الطريق، ثم وجدنا سوقا عامرا، فجلسنا في طرفه، ولم نعرف أحدا، وإذا برجل أتانا بخبز كثير، وعنب ووضعه لنا، وانصرف عنا، فأكلنا حتى شبعنا، ولم يعرف الرجل أحدًا، فعلمنا أن ذلك من بركة الشيخ، ثم مررنا إلى أن وصلنا لكثينة ونزلنا بها، فأتانا ولد أخت الوالد وهو أحمد بن محمد بن الدقاق، وقال لوالدي: اعطوني ثيابكم نغسلها لكم، فأعطاه والدي ثياب الخيمة كلها فذهب بالجميع، ولم يرجع، وبقينا في أمر عظيم من الجوع والعري والغربة، فإذا برجل ورد علينا بقراب³ مملوء بالخبز والجبن، وأعطانا ذلك، وأكلنا وخرج مع أخيه

وإيسري وغيرها. وبسبب هذه التحركات القبلية وغيرها ازدادت الأهمية البشرية والسياسية للمنطقة بين منتصف القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ومن الطبيعي، بناء على هذه الأهمية، أن يحرص المخزن على مراقبة تلك التطورات، ويقوم في سياق هذه المراقبة بربط الاتصال بالزعماء ذوي النفوذ لدى المجموعات القبلية، ومن بينهم شيخ زاوية أحنصال، ترجمته في: أحمد التوفيق، مادة "يوسف بن سعيد أحنصال" معلمة المغرب، الجزء (1)، ص: 188-189.

¹ سقط ما بين معقوفتين من الأصل والنسخة (ب).

² مسغبة: مجاعة، ينظر: لسان العرب، مادة "سغب".

³ القراب: غمد السيف والسكين، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "قرب".

السيد محمد لكيطنة وكيل له¹ له الزرع والسمن، وصار ينوب على عيالنا في كل ما يحتاجون إليه، فسألناه عن اسمه، فقال: اسمي عَوَل، ولازال يرحمنا بالنفقة إلى أن ظهر العام، ولحق الصيف، فذهب مع إخواننا للسوق، واشترى لهم الزرع واللحم والسمن، فطلبوه فلم يجدوه، فصار والدي يجري في طرف السوق كالأحمق، فلم يجد له أثرا، فلما رجعنا للبلاد، وأقبل الوالد على الشيخ، قال له الشيخ سيدنا الصالح: واش وصلكم ذلك الرجل، قال له: نعم يا سيدي."

ومن كراماته وأرضاه، ما حدثني به السيد العربي، المذكور أعلاه عن والده أيضا، قال: "قدم والدي مع سيدي الصالح، نفعنا الله به، للغرب، فبينما هم في الطريق مروا بحوش²، فقرأ السيد أحمد، فاتحة عنده، لظنه أن صاحبه من أهل الخير، فقال له سيدنا الصالح: مسكين ابن عبد الصادق، وأينما وجد حوشا قرأ الفاتحة، ولا يدري هل هو لآدمي أو لضار، فبقي ذلك في قلب والدي إلى أن وصلوا لدوار، فقال والدي لإنسان: سألتك بالله، لمن ذلك الحوش؟ فقال له: لكلب ضار كان عزيزا عند مولاه، ففعل به ذلك، فعلم صدق بصيرة الشيخ نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى، قال: "كان السيد أحمد، المذكور، مع الشيخ بمكناسة الزيتون، وهم نازلون في بيت، فأتى سارق، وحل قفل البيت، وسرق سلّهام سيدي الصالح، وبقي السيد أحمد مَتَرَوَّعا من ذلك، ويذكره للشيخ، ويصبره إلى أن مضت أيام، فقال له سيدي الصالح: يا فلان اقدم

¹ كيل: الكيل: المكيال، غيره: الكيل كيل البُرّ ونحوه، وهو مصدر كال الطعام ونحوه يكيل كيلا وميكالا ومكيلا أيضا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "كيل".

² حوش: الحواش: بلاد الجن لا يمر بها أحد من الناس، وقيل: هم حي من الجن. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "حوش".

للسوق الذي تباع فيه الكسوة، لعلك تجد ذلك السلهم الذي سرق لنا، فقدم السيد أحمد للسوق، فوجد السلهم يباع فقبض السارق، وأتى به، فقال له سيدي الصالح: أطلقه ليلا يقتله الأمير، فأطلقه وعلم أن ذلك من بصيرة الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به شيخنا، وسيدنا المذكور، قال: "قدم علينا السيد أحمد العجلاني المذكور، وقال لنا: قدمت لتوادع معكم، فقلنا له: ما هذا الذي تذكر؟ وأنت/175/ صحيح البدن، فقال لنا: وقف علي سيدي الصالح، وقال لي: إيت إلينا، فعلمت أن العمر انقضى، فاستغربنا مقالته، فتوادع معنا، وقدم لأولاده، ومات بقرب ذلك".

ومن كراماته أشرق الله أنواره، وأطلع في سماء المعالي نجومه وأقماره: ما حدثني به سيدي، وإنسان عيني، سيدنا المعطى، نفعنا الله به، قال لي: "كانت لي زوجة، وتوفي أخوها من المرابطين بالصمعة¹ من دير تادلة، وطلبت أن تصل لأهلها، لتعزي في أخيها، وقد أصابها شيء من الحمى، فذكرت ذلك للشيخ، فقال: لو جلست لكان أولى، ثم لما عزمت على القدوم لما نالها من مصيبة أخيها، قال لي: إن أردت ذلك فلا تمنعها، وعلمت أن مراد الشيخ ما ذكره أولاً، لكنه وافقها على ما طلبت، ولم أدر ما السبب في منعه أولاً، وإشاراته بالجلوس، ثم سافرت بها لأهلها امتثالاً لأمر الشيخ الأخير، حيث رآها لم

¹ الصومعة قرية صغيرة بنيت قريباً من مدينة "داي" التاريخية (بني ملال حالياً) وترجع كتب التاريخ شهرتها إلى شهرة إحدى الأسر الدينية والعلمية التي استقرت بها وهي أسرة الشيخ أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي الذي عاش في النصف الثاني من القرن 10هـ، إلا أن زاوية الصومعة -أو مدينة داي- كانت عامرة قبل هذا التاريخ، إذ أنها عرفت نشاطاً دينياً وعلمياً على الأقل منذ القرن 6هـ حيث عاشت بها شخصيات مشهورة، أمثال يعقوب بن هارون الصديني، المتوفى عام 559هـ. ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرفاوية، ج1/159.

تطب نفسها بالجلوس، فلما وصلنا إلى سيدي ميمون¹، بوادي درنة، ركبتهما حصى عظيمة، ثم وصلنا لأهلها بالصمعة، فلم تجلس إلا يومين ونحوها عندهم، وتوفيت ودفنت بقرب أخيها المذكور، فعلمت عند ذلك مراد الشيخ في أمره لها بالجلوس، وأنه رأى ما يصيبها بالقرب بصيرة منه، نفعنا الله به آمين".

ومن هذا المعنى ما وقع له مع المكرم عبد العزيز المعداني الرحوي²، حدثني بذلك سيدنا أيضا، قال: "أراد المعلم عبد العزيز أن يسافر للصمعة، ليطحن بها، فأخرج بهائمه خارج البلد، وأتى للشيخ عند صلاة الصبح ليتوابع معه، فقال له الشيخ: اصبر ثم رجع إليه، فقال له: اصبر؛ ولازال يصبره، وبهائمه خارج البلد، إلى أن قرب الظهر، فإذا به أصابه مرض، ورفع³ عند ذلك لداره، فلم يمكث إلا نحو اليومين، ومات رحمه الله. ولما سمع الشيخ خبر موته، قدم إليه مع بعض أصحابه، وقدمت معهم، فلما وصل إليه ناداه، يا فلان، فلم يجب مرارا، ثم قال لصاحبه: اجعل في فيه قطرة ماء، فجعلها في فيه، ثم ناداه الشيخ نفعنا الله به، ففتح عينيه، وأجابه نفعنا الله به، فقال له الشيخ: سامحنا فيما كنت تأتينا به من الدقيق، فقال: يا سيدي سامحتك، وليس هناك إلا متاعك، ثم توفي ورجع إلى حالته التي كانت عليها قبل وصول الشيخ إليه، نفعنا الله به آمين".

¹ لعله يقصد سيدي بوميمون بأولاد يعيش يوجد قبره وسط حقل غير بعيد عن سيدي ميمون الجرواني على يسار وادي درنة، ويقولون بأن صاحب القبر هو السيد ميمون السابق، ترجمته في: مصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 95.

² عبد العزيز المعداني الرحوي كان من أصحاب الشيخ محمد الصالح، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، 146 (ب).

³ في النسختين (ج) و(د) "رجع".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله وجوده، قال لي: "لما كان الشيخ في مرض موته، قبل الوفاة بيوم، وكان جالسا بمحضر بعض أصحابه، ثم قال: ﴿إِنِّي لِلْحَمْدِ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾¹، فعلمت أنه أشار بذلك لوفاته، ثم قال للفقير الأجل السيد الحسن السيفي: راجع معنى هذه الآية في الجلالين، فقام الفقيه وراجعها ولم يفهم مراد الشيخ، وكانت /176/ تلك عادته نفعنا الله به، إذا صدر منه كلام استدركته بما يغطي معناه على الحاضرين، ثم توفي من صبيحة اليوم الذي بعده، فتحققنا إشارته رضي الله عنه وأرضاه، ورضي عنا برضاه آمين."

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله علاه، وأشرق في سماء المعالي سنه، قال: "كان رجلا من أولاد زمام²، أولاد عريب، إخوان السيد الشرقي، والسيد طلحة³، وكانا من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، فبينما هما في بلادهما المعلومة لهما، إذ أتاهما رجل عليه سمة أهل الخير في ظاهره، وعليه جبة مرقعة، فانقطع بكهف هنالك بوادي أم الربيع للعبادة ليلا ونهارا، إلى أن صلحت فيه نية أهل البلاد، واشتهر بالزيارة عندهم، وكانت عند السيد الشرقي، فرس جيدة جدا، فقال له يوما: "اعطني فرسك لأزور عليها سيدي أبي يعزى، فأعطاها له لما يعتقده من صلاحه، فقدم عليها لأبي الجعد، وبات عند الشيخ من جملة الضيوف، ومن الغد أتى للشيخ

¹ سورة يوسف، الآية: 94

² أولاد زمام: فرقة من أولاد عريف، من قبيلة بني موسى العربية، بالضفة اليمنى لوادي أم الربيع، كما توجد منهم بعض الكوادر على الضفة اليسرى للوادي نفسه، قريبا من نقطة الالتقاء مع رافده وادي داي، ينظر: محمد الخليفي، الدرر الجلييلة، الجزء 2/ 513، نقلا عن كلام المحقق، بالهامش رقم (5).

³ لعله يقصد طلحة بن يحيى بن محمد الجراوي كان بتادلة بجانب أم الربيع. ترجمته في: عبد الرحمان الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف:، 123، ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة تادلة، ص: 292.

يودعه فلما رآه الشيخ نفعنا الله به، صاح به، وقال له: اذهب فخرج من حينه فارا منه، وتقدم لسيدي أبي يعزى، ومن هنالك خرج على بلاد تامسنا، وفر بالفرس وانقطع خبره، وظهرت فضيحتة، وعلم الناس صدق صياح الشيخ، وتذهيبه له، وأنه اطلع على باطنه، ثم بعد ذلك انتقل السيد طلحة، لمدينة مراكش، فمر ذات يوم ببعض طرق المدينة، فلقى الرجل الذي كان فر لهما بفرس أخيه السيد الشرقي، فبعث له للقبيلة وأخبره بذلك، فقدم عليه أخوه، وأتيا بالعدول خفية للرجل، وقال له السيد طلحة: يا سيدي لا بأس لكن هذا أخي، يقول لي: أنت أعطيت عودتي¹، وطلبت منك شهادة الله، من الذي أعطاك العودة منا، فقال له: أخوك الشرقي، هو الذي أعطاها إلي، فخرج العدول وشهدوا عليه بذلك، ورفع لمن له الأحكام بالمدينة المراكشية، وسمروا عليه كبلًا، وصار من جملة الخدامين في الصهريج الكبير المعروف بمدينة مراكش، واتضحت سريرة الرجل، وظهرت كرامة الشيخ فيه نفعنا الله به".

ومن كراماته : ما وقع له مع البعض من السماعلة²، وذلك أنهم كان لهم بير كثير الماء يسمى منول معروف، ببلادهم فأغلقوه على الناس حسدا، ورحلوا، ونزلوا بقرب زرع الشيخ وأذوه بالمرور عليه بالهائم، فرفع صاحب الشيخ شكواه بهم له، نفعنا الله به وأعلمه بخبرهم، وأنهم أغلقوا سيرهم عن الناس، فقال الشيخ: "الله يبيسه³ عنهم. فلما رجعوا إلى بلادهم وفتحوا البير، فلم يجدوا فيه ماء قليلا ولا كثيرا، فأخذوا في كنسه

¹ من اللسان العامي، وفصيحه: "الفرس".

² السماعلة: مجموعة قبلية تنتهي إلى قبائل تادلة رتمة، تستوطن القسم الشمالي الشرقي لدائرة وادي زم، يحملون هذا الاسم نسبة إلى جدتهم: إسماعيل أو السماعلة بن علي ورديع بن جابر الرتمي، ينتمون إلى القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب زمن الموحدين. واستوطن بنو جابر منهم دير الأطلس المتوسط وسهل تادلة. ينظر: صالح شكاك، مادة "السماعلة"، معلمة المغرب، 1423هـ-2002م، الجزء (15)، ص: 5113.

³ من اللسان العامي، يقصد: "يجف".

وإخراج ما فيه من الحجارة والتراب ظلنا منهم/177/ أن ذلك نافع لهم، وأن الماء قل بغير سبب سواه، فلم يفدهم ذلك شيئاً، وبقي البير على تلك الحالة نحو من ستة أشهر، ثم إن بعض الناس أخبرهم بدعاء الشيخ عليه، وأن ذهاب مائه بسبب دعائه، فجاءوا إلى الشيخ ولاذوا به، فلم يتوجه لهم الشيخ إلا بعد مرار، فقال لهم: اذهبوا واذبحوا عليه عزاء، واصنعوا طعاماً على لحمه، وأطعموه للمساكين والفقراء، ولا تطعموا الأغنياء منه شيئاً، واقرأوا القرآن عند فم البير، واختموه خمس ختمات، وردوا في البير كل ما أخرجتهم من داخله من الأحجار وغيرها، وأقسموا على الله أن يرد الماء لموضعه، كما كان، ففعلوا، ما أمرهم به الشيخ نفعنا الله به، فرد الله عليهم الماء من صبيحة ذلك اليوم".

ومن كراماته أدام الله سره: ما حدث به بعض الثقات من أصحابه، قال: "تلف للشيخ نفعنا الله به ذات يوم فرس الاسطرلاب، وفتش عليه حين غاب عليه، فلما لم يجده جعل شيئاً من الطعام صدقة لذلك؛ فوجده بعض الأكلين في لقمة في فيه، فتعجب الناس من ذلك".

ومن كراماته أيضاً: ما وقع له مع زوجته السيدة رقية العميرية، وكان من شأنها، أنها كانت لها سن من أسنانها ناتئة¹ ترفع شاربها إذا ضحكت، وشوشتها، واهتمت بأمرها، ثم إنها ذات يوم مرت بين يدي الشيخ، ووقفت أمامه، فأشار الشيخ بإصبعه إلى تلك السنة من بعيد، فسقط ذلك القدر الناتئ منها، فحمدت المرأة الله على تلك النعمة، وعلى اعتناء الشيخ واهتمامه بأمرها.

¹ نتأ: نتأ الشيء ينتأ نتأ ومنتوءاً: انتبر وانتفخ، وكل ما ارتفع من نبت وغيره، فقد نتأ، وهو ناتئ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "نتأ".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله سلامته، قال: "كان الوالد نائما في بيته مع إحدى أزواجه في زمان البرد، ثم أمرها بإيقاد السراج له، فقالت: البيت مسدود، وكأنها استثقلت القيام، فقال لها: أخرجي من الحائط، فقالت له: كيف أخرج من الحائط؟ كأنها تنكر ذلك عليه، ثم إنه نفعنا الله به، جلس في فراشه، ونفخ على السراج، فشعل وكان الشيخ في زاوية البيت، والقنديل في زاويته الأخرى بعيد من الشيخ جدا، ولما رأت المرأة ذلك تعجبت من فعله، وعلمت أن كرامات الأولياء لا يتعاصى عليها شيء، فقالت له: يا سيدي نقوم ونخرج من الحائط، فقال لها¹: أمرتك قبل هذه الساعة، فلم تفعلي، وأما الآن فلا، فندمت على عدم الامتثال، وعدت المخالفة سببا للحرمان."

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله سروره، وأشرق في سماء المعالي نوره، قال: "ورد على الشيخ رجل من أهل فاس، ومر في طريقه بمدينة سلا، وأتى معه بإناء خل من سلا، وبه المرض الكبير المسمى عند العامة بالبيبش² أعاذنا الله منه، فلما جلس بين يدي الشيخ، قال له: أنتم أهل المدينة، تجدون الخل وتجعلونه في أمتعتكم، يشير له، لما قدم به معه من الخل، فلم يتفطن/178/ الرجل لمراد الشيخ، ثم قال له: أين الخل الذي قدمت به معك؟ إيتني به نحتاجه للمرضى، فقال له الرجل: والله ما علم به أحد عندي، ولا أخبرت به أحدا، ثم خرج وأتى به للشيخ، فأمر الشيخ مقدم

¹ في الأصل: "له". وقد صححناها بحسب ما يقتضيه السياق.

² سماه محمد الخليفة في الدرّة الجليّة "البوبش". وسماه الحسن المعداني، "البيبش"، وعرفه بقوله: "وهو المرض الكبير المسمى عند العامة "البيبش" ويفهم من سياق حديثه أنه مرض جلدي، لعله من الأمراض المعروفة آنذاك. ينظر: الحسن بن محمد المعداني، الروض اليانع الفائح، ص: 179؛ ومحمد الخليلي، الدرّة الجليّة، ج 1/167، نقلا عن كلام المحقق بالهامش رقم (3).

الزاوية يأتيه بطعام للرجل، فأتى له بخبز وعسل وإناء ماء، فقال الشيخ للرجل: كل واشرب، فجعل الرجل كلما أكل لقمة شرب شربة، ثم ودعه الشيخ صباحا، فلما كان في أثناء الطريق عرق عرقا شديدا، فلم يأت اليوم الذي بعده إلا وقد برئ الرجل، ولم تبق بجسمه حبة واحدة ببركة الشيخ نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه القاضي السيد محمد مع الله المعداني، قال: "كان الشيخ سيدنا الصالح، جالسا على حجرة كانت بباب داره، في الزنقة، وكانت سحابة في السماء، وكان به حال، فرفع رأسه إلى السحابة، فقال لها: تنحي عنا، فانكشفت السحابة يمينا وشمالا من حينها، فعلمنا أن ذلك من بركته."

ومن كراماته: ما وقع له، مع بعض المرابطين من أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، وذلك أن الشيخ بنى منزلا بموضع، يقال له: النعماني من بلاد ورديفة، قرب وادي تاشرافت، وكان فيه ماء قليل، فكان الشيخ كلما حفر أصحابه بقرب رأس عينه، ينبع الماء، حتى كثر ماؤه، وجعل الشيخ عليه رحي للطحن، وبنى هنالك مسجدا للصلاة، فإذا بالمرابطين المذكورين، قاموا عليه، وادعوا ملكية ذلك الموضع، فرحل منه، وانتقل بسبب دعواهم وتركه، ففسد جميع ما كان عليه من العمل، وغار ماؤه، ورجع كما كان ولم ينتفع به أحد من أولئك المرابطين إلى الآن، فعلموا أن ذلك من بركة الشيخ، نفعنا الله به، إلى أن صاروا يعرضونه على ولده العارف بالله المرشد لعباد الله سيدنا المعطى، ويلوذون به في قبوله، فلم يقبله منهم نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما ظهر في البير التي بقرب داره المسمى ببيير سيدي الصالح¹، فإنه قد قيل: "إنه حفر بيده فيه شيئاً قليلاً، وبعد حفره، تفل فيه، وهو بير قريب القعر، قريب الماء سهل التناول، قد كاد أن يكون عينا جارية، وكلما قل ماء آبار البلاد كثر ماؤه مع كثرة الواردين عليه، وذلك من بركة الشيخ نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدث به بعض الفضلاء من أولاد الشيخ الشهير، والعارف الكبير سيدي محمد الشرقي، قال: "كنت في حال صغري لا يولد لي، وكنت أصيد الوحش، فأهمني أمر الأولاد، فذهبت ذات يوم للصيد، ونويت أن كل ما قبضته من الصيد نهديه للشيخ رحمته الله، فأتيته بما قبضته، وجئته على حالة الصيادين، فلما وقفت بين يديه، ودفعت له ذلك زهد فيه فرغبته حتى قبله² مني، فعند ذلك حمدت الله، وأثنيت/179/ عليه، واشتد فرحي، ثم طلبته الأولاد، وقلت له: يا سيدي خفت أن أكون عقيماً، فقال لي: اذهب إلى الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، واطلبه كل ما تريد، فقلت له: يا سيدي كيف أدع الحي، وأذهب إلى غيره، فقال لي: إنه حي يسمعك فإن دعائك عنده ينفعك، فأقبلت إلى الشيخ، وطلبت عشرة أولاد، وقلت له: كل ولد يولد لي أسميه على واحد من أولادك، فأكمل الله رجائي في كل ما طلبت، واستجاب لي، في كل ما دعوت، وذلك من بركة الشيخ نفعنا الله به، وكان من عادته إذا طلبه إنسان حاجة، وجهه إلى

¹ بئر سيدي صالح، يقع بالقرب من مدخل درب الزاوية، على الجهة اليسرى. السائد عند الساكنة المحلية أن هذا البئر تم حفره من طرف الشيخ سيدي صالح شيخ الزاوية الشرقاوية في القرن 12هـ/18م والذي قام بحفر هذا البئر لسقي الوافدين على زاويته. لكن ما يميز هذا البئر هو مذاقه العذب الزلال، وهناك من يأتي من مدن أخرى ليشرّب من هذا البئر ويحمل منه إلى مدينته، وغالباً ما تكون النية في ذلك هي نية التبرك والشفاء. (رواية شفوية).

² في النسخة (د): "قبله".

الشيخ سيدي محمد الشرقي، وتقضى حاجته غالبا، وكأنه، يتستر بذلك، أو يتأدب مع الشيخ نفعنا الله بهما".

ومن كراماته: ما ظهر له بعد موته ووفاته، وذلك أن بعض اللصوص تسور على دار ليلا بها ولد لصاحبه الذي كان يحتطب لزاويته المباركة في حياته اسمه عمران، ونهب له بعض ثيابه. وفي تلك الليلة رأت واحدة من بنات الشيخ في المنام أباه سيدنا الصالح، وهو يقول: "حتى لو لد عمران. والله الذي قرب منه، حتى نرصصه. وكرر ذلك مرارا، فلما استيقظت، وأصبح الصباح، سألت عما وقع بولد عمران، فأخبرت الخبر، فقصت رؤياها، ثم لم يمض إلا قليل نحو من خمسة أيام ذهب ذلك اللص للسرقة ليلا، فسقط عليه حائط فمكث يشتكي منه زمانا طويلا حتى أيس منه، ورد الثوب الذي كان نهب لولد عمران".

قلت: وهذا مما يدل على أن الشيخ، يتصرف بعد مماته، كما يتصرف في حياته، وإن معرفة الصالحين، وخدمتهم نافعة، ولا تكون عاقبتها إلا خيرا، والله درمن قال:

[الوافر]

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
وَأَكْرَهُ مَنْ بَضَاعْتُهُ الْمَعَالِي
لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ مِنْهُمْ شَفَاعَةً
وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ¹

ومن كراماته: ما حدث به رجل من أولاد بعض أصحاب الشيخ، وذلك أنه كانت له بهائم وخيمته بالبادية، فنزل بخيمته وحده بمشاوره الشيخ، وله أمتعة، فأتاه اللصوص

¹ وردت هذه الأبيات في: محمد إبراهيم سليم، ديوان الإمام الشافعي، ص: 90 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "تجارته" عوض "بضاعته"، وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 173 مع اختلاف في كلمة واحدة وهي "وأرجو" عوض "لعلي".

ذات ليلة ليسرقوا بعض متاعه، فلما دنوا من الخيمة، وقعت ظلمة، حالت بينهم وبينها، فلم تظهر لهم خيمة، فذهبوا، ثم رجعوا ثانياً إليه، فوقع بهم ما وقع أولاً، حتى تكرر ذلك منهم ليالي فنجاه الله منهم، ثم بعد ذلك أخبره أولئك اللصوص بما وقع بهم معه، فعلم أن ذلك من بركة الشيخ نفعنا الله به.

ومن كراماته: ما حدثني به المرابط السيد محمد الشريف، أحد حفدة الشيخ الهمام سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، قال: "قدمت إلى باب دار الشيخ سيدي الصالح، فوجدت بالباب المقدم عبد الرحمان الذي/180/ كان مقدماً عند الشيخ، فأعطاني خبزة وشيئاً من الحليب، وقال لي: الشيخ أمرني أن نعطيك هذا. فبينما أنا أكل قدم على الباب بعض المرابطين، ممن كان له جاه في الوقت، وكان يؤذي الشيخ سرا، ويقول: الناموس لبعض الناس، وكأنه يشير إلى الشيخ بذلك، فلما وقف بالباب قام إليه المقدم يظهر البرور به، لأنه من أهل الجاه في الوقت، فسمع الشيخ من داخل قرع النعال، فقال: من بالباب؟ فقال المقدم: أنا يا سيدي، قال: من معك؟ قال: سيدي فلان، قال: قل له: يذهب بناموسه إلى محله عني، فرجع الرجل مرعوباً، وعلم أن الشيخ نفعنا الله به، كاشفه بما وقع منه في غيبته. وحدثني بهذه الكرامة أيضاً الفقيه السيد محمد بن عبد الكريم العبدوني، قال: "كان ذلك كله بمحضري أيضاً".

ومن كراماته: ما حدثني به المرابط المذكور أيضاً عن فقيه من أهل رباط الفتح، قال: "كنت بأبي الجعد، مع الفقيه الأجل سيدي الطيب الفلالي¹، عند سيدنا الصالح

¹ أبو عبد الله محمد الطيب الفيلاي بالفقيه، النحوي، اللغوي المشارك في جميع الفنون، تفقه عليه أبو عبد الله محمد المعطي بن الصالح بن المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن الشرقي علم التصريف واللغة والحساب، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 133(أ)، وأحمد بوكاري، الزاوية الشرفاوية، ج 108/1.

بالمصرية¹ المعروفة على باب داره للفقيه سيدي الحسن السيفي، وهي التي كان بها الفقيه السيد أحمد الفتوح بعده، فبينما نحن جلوس بالمصرية المذكورة، وإذا بالشيخ سيدي الصالح، وقف علينا وتسبيحه محرفا كالمجدول، فقال لنا: هل قدم أحد من البحر؟ وكررها علينا، ثم رجع، فقال الفقيه السيد الطيب المذكور: شممت في الشيخ سيدي الصالح رائحة الماء المالح من البحر، ثم بعد بقليل ورد علينا خبر سفينة من سفن مدينة سلا، تكسرت في البحر ونجا بعض أهلها، فعلمنا أن الشيخ سيدي الصالح، أغاث أهلها، وأنه لذلك أشار نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به المرابط المذكور عن رجل من أهل تامسنا الشاوية، قال: "خرجنا بأربعين فارسا، قاصدين قطع الطرقات، وقصدنا لحلة بني موسى، فلما كنا بالغابة قرب بلاد بني موسى، رأوا رجلا بيده مدفع يصيد بالغابة، فبعثوا إليه خمسة من الخيل يتلطفون في قبضه لئلا يفر، فلما قبضوه جردوه وأزالوا جميع مع عنده، ثم قالوا له: أيت الحلة والعمارة؟ فقال لهم: ليس هنا عمارة، فاتهموه في ذلك، فقالوا له: إن لم نخبرنا قتلناك، وكتفوه، وقال لهم: والله لا أخاف منكم وأنا من أصحاب سيدي الصالح، فقالوا له: والله حتى نقتلك ولا نتركك تبيعنا للمخزن، وكان الأمير له حكم عظيم في الوقت فأعطوه لخمسة منهم، وتركوه معهم، وقالوا لهم: اجلسوا معه حتى نرجعوا وما أتينا به فهو بيننا، فلما رجعوا لم يجدوا الرجل معهم، فسألوهم عنه، فقالوا: رأينا عجبا، فإن الرجل كان بأيدينا ثم طلبناه، فما وجدنا له أثرا، ولا علمنا هل هو من الإنس أو غيره، ونجاه الله من بركة الشيخ نفعنا الله به".

¹ المصرية: غرفة كانت تخصص لاستقبال الضيوف وغالبا ما تكون في الطابق العلوي.

قلت: وهذه مثل الكرامة السابقة، التي وقعت لولد بوعلال بين يدي/181/ الباشا الغازي في قصبة بولعوان، حين أمرهم بقتل أولئك الأقوام، ونادى واحد منهم، بالشيخ سيدي الصالح، يستغيث به، فطلبوه في القتلى فلم يجده في عددهم، ثم لقيه بعد ذلك من لقيه وأخبره بإغاثة الشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به له، وسلمه الله من القتل مع أصحابه، والله درمن قال، وأجاد في المقال:

[الطويل]

عَبِيدُ لِمَوْلَاهُمْ (...)¹ وَعَيْرُهُمْ عَبِيدُ الْهَوَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْتَرَى
وَعَلُو لِلتُّرَيَّا فِي ارْتِفَاعِ مَقَامِهِمْ بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ الْبَلَايَا عَنِ الْوَرَى²

ومن كراماته: ما حدثني به المرابط المذكور عن الفقيه الأحظي السيد المحجوب³، قال: "كانت سنة شديدة على الناس، حبست فيها الأمطار، وارتفعت الأسعار، وتراكمت فيها الهموم والأكدار، وتغيرت فيها الأحوال، وتروعت فيها عقول الفحول من الرجال، وأخذ الفقهاء الذين كانوا معنا في البلاد في الوجهة لبلاد الدير للحرث على الماء، وكل من له معرفة هنالك، قدم إليه فتروعت من ذلك، وأردت القدوم لبلاد الماء، ثم قلت: لا أفعل حتى أشاور الشيخ سيدنا الصالح، فقدمت إليه، فوجدته واقفا بباب داره قرب الخوابي اللاتي كانت معدة للماء، فلما وقفت بين يديه بدأ لي بالكلام، قبل أن نتكلم

¹ بياض في الأصل بمقدار كلمة، واستدرك في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية التاسعة عشرة بعد المائة)، وأصبح البيت الشعري على الشكل التالي: (عبيد لمولاهم تعالي وغيرهم)، ص: 72
² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية التاسعة عشرة بعد المائة)، ص: 72.

³ المحجوب المسناوي أحد أساتذة الزاوية ومريدها، أخذ عنه الشيخ محمد العربي بن الشيخ محمد المعطي علم الرسوم كالقرآن والتوحيد، وترجمته في: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/110، ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 228.

بشيء، فقال لي: قَرَّبْ نقرأ لك ما في هذه البطاقة، وفي اليسرى بطاقة، فقربت إليه، فقرأ لي: أما بعد فإن المسألة في ذهنك فلا يهمنك أمرها، فإن الله تعالى يفرجها عن قريب، ثم قال لي : وهذا الذي قرأته عليك هو عن بعض الثقات، فخرجت من عنده مسرورا، فلم يمض يوم أو يومان حتى فاض ماء علينا ليلا وأنا مع أولادي، ولم أشعر به من كثرة المطر، وفرج الله عنا، تلك الشدة، من بركته وشفاعتنا به".

ومن كراماته قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، ما وقع له مع الشريف الأصيل مولاي محرز: كان الشريف المذكور، هرب لأبيه بمال، وأراد أن يقصد مدينة مراکش، وهو راكب على فرس أبيه، فمر بطريقه بأبي الجعد، وكان لا يعرف فيه أصلا، فلحقه¹ الشيخ سيدنا الصالح نفعا الله به، بإحدى طرقه، وكان الشريف لا يعرفه، فقال له الشيخ نفعا الله به: "مرحبا بولد النبي ﷺ، ودعا لداره، ثم إن الشريف حدثته نفسه، بأن الرجل يريد أن يتحَيَّلَ عليه، ليتوصل لأخذ ما عنده، وأنه فهم أنه غريب بالبلد، ثم إن الشيخ حَثَّ عليه إلى أن وصل معه لباب داره، ثم قال له: أدخل الباب، فحدثت للشريف نفسه أن الفراش الذي بالبواب، لعله أن يكون جعله على مطمورة ليتوصل لما عنده، ثم إن الشريف توقف عند الدخول، فإذا بسيدي الصالح، نفعا الله به، أخذ يمشي أمامه على الفراش ونواحيه إلى أن اطمأنت نفس الشريف المذكور بسبب ما فعله الشيخ وهو/182 ينظر إليه، فدخل الشريف وأطعمه الشيخ ولم يعرف الشريف الشيخ إلى أن خرج، وسمع الناس يسمونه باسم سيدي الصالح، فعرفه عند ذلك، لأنه كان يسمع به من قبل أبيه، وفهم حينئذ أن الشيخ سيدنا الصالح، كاشفه، بما حدثته به نفسه قبل ذلك، ونفعا الله به".

¹ في النسختين (ج) و(د) "فلقية".

ومن كراماته وأرضاه: ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى أدام الله علاه، ووقفنا المولى سبحانه ببركته لما فيه رضاه، قال: "كان بجوارنا رجل يسمى بأخينا علي بن عامر، وكان يرتكب أمورا عظاما يخرج ليلا، ويأتي النساء في بيوتهن إلى أن تكرر منه ذلك. ثم لما أراد ليلة أن يخرج على عادته، ولبس ثياب مهنته، ووضع يده على قفل الدار ليفتح الباب، قبض الشيخ سيدنا الصالح على يده، وصاح عليه أين تذهب يا ظالم؟ انتظرنا رجوعك عن فعلك، فلم ترجع. فرجع الرجل خائفا من الشيخ، وثاب وحسنت توبته، من بركة الشيخ نفعنا الله به، وظهرت عليه سمة الخير والدين".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله وجوده، عن الرجل المذكور أعلاه أيضا. وهو أخونا علي بن عامر، قال: "بقي الرجل بجوارنا إلى أن وقع التكساب، فرحل¹ لمراكش واستوطنها. ثم لما أمر من له الأحكام بالمدينة المذكورة بالخدمة في الصهرج الكبير، ولحق أهل مراكش بسبب ذلك كلفة عظيمة، ترك الرجل المذكور أولاده بالمدينة المذكورة، وقدم برأسه لأبي الجعد فرارا من تلك الكلفة، فبقي فيه نحو السنتين، ثم أراد الرجوع لأولاده، فقال الشيخ سيدنا الصالح: إن كانت لك معرفة بأحد هنالك، أردت منك أن تكتب لي إليه توصيه علي، فقال له الشيخ: نعم أكتب، فلما عزم على السفر كتب له كتابا للشيخ الجليل، العارف الكامل الأصيل، سيدي أبي العباس السبتي، نفعنا الله به، ودفعه إليه، وقال له: هذا الرجل نعرفه، وصل هذا الكتاب إليه، قال الرجل: فلما وصلت للمدينة، قبضني أهل الحومة بمجرد دخولي، وأدخلوني السجن إلى أن دفعت لهم، نحو الأربعة مئاقيل، فقلت في نفسي: هذه وصية الشيخ علي، ثم لما خرجت

¹ في النسختين (ج) و(د): "فدخل".

من السجن، وأنا سائر لداري ليلا، فإذا برجل ينادي علي يا فلان، فالتفتت إليه، فناولني صرة ولم أجده، ففتحتها فإذا فيها العدة التي أعطيتها لأهل الحومة من بركته نفعنا الله به".

قلت: وهذا شأنهم رضي الله عنهم، في إخفاء السر وعدم إفشائه، فقد كان بعضهم يسأل ربه أن يبره ويكرمه، فقام ليلة لإحيائها، فنظر إليه بعض أصحابه، فرأى فوق رأسه قنديلا معلقا من النور بشعاع لناظريه، فقال له في ذلك، فقال:

[البسيط]

يا صاحب السرِّ إن السرَّ قد ظهرَ /183/ ولا أريدُ حياةً بعدما اشتَهَرَ
ثم سجد فقبض في سجوده.

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله سيادته، قال: "كان رجل من أولاد عريف¹، قبيلة من بني موسى، تعلق قلبه بامرأة، وشغف بها شغفا شديدا وطلبها للنكاح، فامتنعت منه، وامتنع أهلها، وبلغ من أمره إلى أن صار إذا جلست في محل للبول، أتى إليه، وجلس فيه، فقدم على الشيخ سيدنا الصالح، واشتكى له بالمرأة، وما أصابه من أجلمها، وامتناعها، وامتناع أهلها منه، وحكى له حاله وما وصله من الشغف بها، ووجد الشيخ يبني مصرية بباب داره، فأخذ في الخدمة مع الخدامين إلى أن فرغ من البناء، ثم إن الشيخ كان جالسا مع الفقهاء والطلبة من أصحابه يتحدثون إلى أن تذكره الشيخ فأمر به، فأحضر بين يديه، فقال له: أذكر قضيتك للطلبة، ليعتبروا بذلك، فلما فرغوا من حكاية حاله، وما جرى له من الشغف بالمرأة، وامتناعها وأهلها، تعجب

¹ أولاد أعريف: هم فخذة من قبيلة بني موسى العربية. الواقعة مواطنهم على ضفتي وادي أم الربيع، قرب قنطرة سيدي عيسى بتادلا، قيل إنهم قدموا إلى تلك المنطقة من دير تاخسيت، واندمجوا في القبيلة. ينظر: الهامش رقم (3)، محمد الخليلي، الدرّة الجليلية، الجزء 2/513.

الحاضرون من ذلك. ثم ودعه الشيخ لقبيلته، ورجع إليها، فلما كان في أثناء الطريق مر بذياب فضربه وقتله. وكان الرجل راميا، ثم حملة. فلما وصل لقبيلته لقيته المرأة المذكورة، كأنها كانت تنتظره وأخذت الذيب من يده، وصار أحب الناس إليها، وكمل إربه في نكاحها، ببركة الشيخ نفعنا الله به، والله درمن قال:

[الوافر]

قُلُوبُ الْعَارِفِينَ لَهَا عِيُونٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاطِرُونَ
وَأَلْسِنَةٌ بِسِرِّ قَدْ تُنَاجِي تَغِيبُ عَنِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
وَأَجْنَحَةٌ تَطِيرُ بِغَيْرِ رِيَشٍ تُنَادِي عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَتَرَعَى فِي رِيَاضِ الْقُدْسِ طَوْرًا وَتَشْرَبُ مِنْ بَحَارِ الْعَارِفِينَ
عِبَادٌ قَاصِدُوا بِالسِّرِّ حَتَّى دَنَوْا مِنْهُ وَصَارُوا وَاصِلِينَ¹

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أدام الله النفع به، قال: "قدم شريف بامرأة من ناحية بني مسكين، هاربا بها على وجه الفساد، ولما قرب من أبي الجعد، قال: لا أدخل إلا ليلا، وكان جعل على المرأة لباس الرجال، ثم لما جن الليل دخل بها، فإذا بالشيخ سيدنا الصالح، خارج البلد، فلما رأى الشريف بياضه عرف الشيخ فتنحى عنه، وجعل بينه وبينه حائلا مزبلة عظيمة مرتفعة، بحيث لا ينظره، فإذا بالشيخ، يصيح عليه، ويقول له: من معك يا ظالم؟ فهرب الشريف والمرأة، ثم بعد أيام رأيت في المسجد الكبير يقبل يد الشيخ، ويلوذ به، فلما افترق الشريف مع الشيخ/184

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات علي بيضون، ص 76، وأبي حامد محمد العربي الشريقي، الفتح الوهبي، ص: 533.

سألته عن مراده في التعلق والطلب من الشيخ، فذكر لي هذه الحكاية التي وقعت له مع الشيخ، وقال لي: كنت أطلبه العفو والتجاوز".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله وجوده، عن المكرم عامر بن عزوز المعداني، قال: "خرج بمال من مدينة فاس للظهرة للعرب يشتري غنما. وبات بطريقه عند البعض من جبال¹، وادعى أنه من أصحاب الباشا الغازي، ليتوصل بذلك إلى غرضه من المبيت في القيام بما يحتاج إليه، فأتوا إليه بخمر، فشربه، قال: ظننت أنه رُبُّ. ثم ذهب لمقصوده من السفر، إلى أن قضى أَرَبَه، ثم رجع للمدينة، وسيدي الصالح كان بمدينة فاس، بدار بدرب الغربية، فقال الرجل لزوجته: اصنعي طعاما لسيدي الصالح، نأتي به إليه، فصنعتة المرأة، ولم تجد سمنا، فلما رجع بداره، وجد الطعام على البرمة²، فقال لزوجته: هل فعلت؟ فقالت: لم أفعل غيظا عليه حيث لم تجد السمن. فمد يده لَزَكْرُوم³ البيت وضربها به، فسقطت مغشيا عليها كأنها ميتة، فناداه والدها لم قتلتها يا ظالم؟ فإنها لم تجد سمنا للطعام، فتركها بين النساء، وطلب من ناوله الطعام وأتى به لسيدينا الصالح، فلما وضعه بين يديه نظر إليه كالمنكر في وجهه، وقال له: نَسَافِرُوا، وَنُقُولُوا للناس نحن أصحاب الغازي، وَنَشْرِبُوا الخمر، وَنَضْرِبُوا المرأة على الطعام، ارفع طعامك يا ظالم. والله لا أكله، وعَرَّضَ له بما كان صدر منه في سفره، فيما ذكرناه أولا نفعنا الله به".

¹ جبال: كانت منطقة جبال محسوبة على قبيلة واحدة هي غمارة، أصبحت تتألف حاليا من أكثر من أربعين قبيلة تفرعت عن مصمودة وصنهاجة والبرانس والقبائل القريبة، تستوطن الريف الأوسط والغربي ومقدمة الريف، بعضها استقر بإيعاز من المخزن لضمان سلامة الطريق بين فاس وطنجة. ينظر: بوشتي الفلاح، مادة "جبال"، معلمة المغرب، 1419-1998، الجزء (9)، ص: 2903.

² البرمة: قدر من حجارة، والجمع بَرَمٌ وبِرَامٌ وبُرْمٌ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "برم"

³ زكروم: قفل تقليدي يصنع عند الحداد.

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله مجادته، عن محبنا في الله المكرم محمد القباچ، قال: "أمر القباچ المذكور امرأته تصنع له طعاما للشيخ وهو بالمدينة في المدة المذكورة أعلاه، فامتنعت. ثم إنه شمر ثيابه وأخذ في مناولة الطعام بيده، قال له: رده لزوجتك، فرده إليها، فقال لها: سيدي الصالح بعث لك بهذا الطعام إشارة إلى امتناعك منه، فعلمت أنه كاشفها على امتناعها من مناولة الطعام له".

ومن كراماته قدس الله روحه، ما وقع له مع الفقيه الأجل، القاضي الأمثل، سيدي أبي يعزى بن الخطاب العمري الحسنائي، قال: "قدمت على الشيخ سيدنا الصالح، للزيارة، وقلت له: يا سيدي لك بفضل الله تعالى أولاد، وأردت من سيدي يوصي علي صاحب الحاجة، وارثك وخليفتك، فقال الشيخ لمقدمه: نادي ولدنا المعطى، فناداه المقدم إلى أن وقف بين يديه، فقال له الشيخ، نفعنا الله به: ائتهلاً في الفقيه السيد أبي يعزى وفي أولاده، فإنه عندي رأس المال، نفعنا الله به، وبأسراره".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما وقع له مع الفقيه المذكور أيضا/185/ كان لا يعيش له الأولاد الذكور، وكانت له بنات، فتكلم أخوه عبد العزيز مع بعض الناس إلى أن قال من جملة كلامه: "ما يفعل أخي أبو يعزى بهذه الأموال التي بيده وليس له أولاد إلا البنات، البنات لأولادي، والمال أنا أخذه، فبلغت مقالته للفقيه المذكور، فتألم منها، وقدم لسيدنا الصالح، نفعنا الله به، لأنه شيخه ووسيلته إلى ربه، فلما وصل لأبي الجعد، دخل للرحى المعلومة للشيخ، وقال: لا أصل للشيخ إلا أن نادى علي باسمي، فبقي بذلك المكان إلى العشاء، فإذا بالشيخ أمر المقدم، وقال له بعد أن خرج للشيخ طعامه: ناد على السيد أبي يعزى، فناداني باسمي المقدم، فقلت في نفسي: الضيوف كثيرون، ولعل فيهم من يسمى باسمي لا أحبيبه، إلا إن ناداني بما يعينني. فرجع المقدم للشيخ، وأخبره بأنه لم يجد أحدا، فقال له الشيخ: ارجع وناد السيد أبا يعزى الفقيه

القاضي العمري، فرجع وناداه بذلك فأجابه، وأتى به للشيخ، فوجد الطعام بين يديه، وسلم عليه، فقال له الشيخ: المرید يفعل ما أمره به سيده، فقال له الفقيه: نعم يا سيدي. فأمره بالأكل معه. ثم بعد أن فرغا من الطعام، قال له الشيخ: نقرأ معك شيئاً، قال له: نعم يا سيدي. فأخذ في القراءة معه، ثم قال له الشيخ: قال الله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾¹، وأنا أعطيتك الدنيا والأولاد، ولا تخاف إنشاء الله في الآخرة، وإذا رجعت لمكانك، فتزوج امرأة تسمى بعائشة، فلما رجع الفقيه لمحله تزوج امرأة تسمى بذلك الاسم، فولدت له صبياً سماه على الشيخ. ثم قدم على الشيخ وأخبره بالصبي الذي ولد له، فأعطاه الشيخ نفعنا الله به بلغته، وقال له: خذ هذه البلغة، وإن تزوج ولدك يلبسها يشير له إلى حال الصبي، وأنه يعيش ويتزوج. فبقيت البلغة عنده إلى أن كبر الصبي وتزوج ولبسها وولدت له المرأة المذكورة صبيين آخرين وبنين، وكان له مع غيرها ذكور أيضاً. وكل ذلك من بركة الشيخ نفعنا الله به." ويحسن أن ينشد فيه ما قيل في الشيخ أبي الغيث² في قوله:

[الطويل]

لَنَا سَيِّدٌ كَمْ سَادَ بِالْفَضْلِ سَيِّدًا بِكُلِّ مَكَانٍ ثُمَّ كُلِّ زَمَانٍ
 إِذَا أَهْلُ أَرْضٍ فَاخَرُوا بِشُيُوخِهِمْ أَبُو الْغَيْثِ فِينَا فَخَرُّ كُلِّ يَمَانٍ³

¹ سورة آل عمران، الآية: 152

² أبو الغيث بن جميل اليميني الملقب شمس الشموس، كان من أكابر الأولياء العارفين في اليمن، وله كرامات كثيرة. ترجمته في: يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج 1/469.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، ص: 43.

ومن كراماته: ما وقع له مع الفقيه المذكور أيضا، كانت له غنم كثيرة، ثم إن سارحها غفل عنها يوما وأتى إليها أناس، وأخذوا يكتفون الغنم في الكَلأ، وسيدنا الصالح يطلق ما كتفوا. فلم يعتبروا. ثم إنه، صار على هيئة الطير ولطمهم، فأتوا إلى الفقيه/186/ في غير عقولهم يطلبونه العفو، وقالوا له: "لا نعود لغنمك أبدا، ولو وجدناها وحدها".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما وقع له مع الفقيه المذكور كان بقبيلته، ثم إن القائد عبد المجيد، كلفه السلطان بالقبيلة، فوشى له بعض الناس بالفقيه المذكور فقبضه يعطي قنطارا، وجعل كبلا على يديه وآخر على رجله، وبعثه لمدينة سلا للسجن، وجمع الحاكم المذكور أمواله من غنم، وبقر، وإبل، وخيل، وبغال، على عادة العمال، ثم إن الفقيه لما دخل السجن، أخذ ينادي على شيخه سيدنا الصالح، فإذا بالشيخ دخل عليه في السجن وسرحه مما كان على يديه ورجليه، وفتح له باب السجن، وقال له: "أخرج يا رجل، كل من أكل عليك خبزة من غير خاطرك، ضيق علي في داري، فخرج، فطلبوا الرجل فلم يجدوه، فأتى لخيمته من ليلته، وركب وقدم لحضرة الأمير، واشتكى عليه، بما وقع له، فأمر الأمير برد أمواله عليه، وقال للعامل: إن بقيت لك إبرة من ماله يقطع رأسه. ولما وصل الأمر للعامل، رد عليه أمواله كلها، من بركة الشيخ نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به ولد الفقيه المذكور، قال: "أمر الأمير مولانا عبد الله بن السلطان الجليل مولانا إسماعيل قدس الله أرواحهما، عبید سيدي البخاري، بالحركة لقبيلة بني حسن، ورحلت قبيلتهم ببلاد زعير فرارا من المحلة، وليتحصنوا بها من المحلة، وكان لوالد الفقيه المذكور من المواشي عدد كثير، فلم يجد طاقة للرحيل، فقال لإخوانه: "أنا لا أرحل، فقالوا له: إن لم ترحل معنا، جلسنا معك، فإنك إن لم تخف على مالك مع كثرتة، فأحرى نحن لقله مالنا، فاختنفى الفقيه بدواره كله، ودخل لغابة تسمى

عشرة ستين، معروفة ببلدهم، وأدخل أمواله فيها، وكانت كثيرة السباع، وطووا الخيام، وسكنوا بأولادهم تحت الأشجار، وصارت جيوش العبيد تمر بطرف الغابة، ولم ينظروا شيئاً من الأموال التي فيها، ولا من الناس، مع أنهم عدد كثير، وكلما خرج شيء من المال من الغابة رده لهم الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، ثم وقف الشيخ على الفقيه المذكور بعد أيام، وقال له: ابن خيمتك. وكررها عليه تكراراً، ثم لما استيقظ أمر إخوانه بإخراج خيمته، وبنائها، فقالوا له: تريد أن تهلكنا بذلك، فإن الخيمة كبيرة تظهر من الأمكنة البعيدة، والمحالُّ تمر بنا، فقال لهم: وقف علي الشيخ وأمرني بذلك، فبنى خيمته وبنى إخوانه خيامهم حيث سمعوا منه ذلك، وبقوا على حالتهم في أمن وأمان من بركة الشيخ، لم يتعد على مالهم سبع ولا ذيب ولا رأوا مكروها إلى أن وصل الجيش لقبيلته بني حسن ببلاد زعير، وتقاتلوا معهم، وأكلت المحلة الحلة ورجع الجيش إلى محله، ورجعت القبيلة لبلادها، فوجدوا الفقيه مع إخوانه/187/ بمالهم، ولم يقع لهم شيء من بركة الشيخ، فتعجبوا من ذلك".

ومن كراماته: ما حدثني به أخونا في الله الفقير علي بن أبي يعزى، رحمه الله، قال: "كنت نازلاً ببلاد ورديفة وأتى الصغير، ابن مبارك السوسي للشيخ، خائفاً من المخزن، فأمره الشيخ بالنزول معي، وكان له ولد من نحو ست سنين، وأمه كانت بارعة الجمال، وبالصبي حصة تمنعه من البول، ويبيت يصيح من ذلك، ولما أردت القدوم، للشيخ بأهلي للزيارة، قامت أم الصبي، وحملته على ظهرها، وخرجت مع أهلها قاصدة الشيخ بولدها، ثم إن زوجها عرض لها، وردّها من الطريق غيرة منه عليها، فرجعت، وذهبنا مع أهلنا إلى أن خرج زوجها. وتبعتنا بولدها، لما لحقها من ضرر ولدها بذلك المرض، ولم تصل إلينا إلا قريباً من أبي الجعد، ولما دخل أهلنا لدار الشيخ، دخلت معهم، ثم إن والدتي تكلمت للشيخ مع زوجته، في أمر الصبي ولد المرأة، فقال الشيخ: زعير منهم من

يزيل الحصى، فقالت له والدتي: أهله لا يعرفون أحدا، ورفعوا أمره لله ولك، وأمه أتت من حرقمها بغير إذن زوجها، فأمر بإحضار الصبي، وكشف عن محل الألم، فوجد الحصاة كأنها عقدة بين المحلين، ثم جعل الشيخ شيئا من ريقه على محلها، وقال للمرأة: قولي لأهله: يجعلون شيئا من الزعفران، وشيئا من السكر في سمن البقر، بعد أن يذيبوه، ويشربه الصبي المريض، ثم لما رجعنا من دار الشيخ لمحلنا، والصبي جالس مع إخوانه، فإذا به صاح صيحة عظيمة، ثم كشف عن محل ألمه لأمه، فوجدت الحصاة قد خرجت، وأمراضه، قد ارتفعت، فرفعت أمه الحصاة بيدها، وأتت بها وبالصبي إلينا، ثم قالت لي: يا أخي علي ما هذه الحصاة خرجت من ولدي؟ فقلت لها: من أين خرجت؟ فقالت: انفتح محلها، وخرجت فكشفت عن محلها من الصبي، فلم أجد به جرحا، إنما وجدت به، احمرارا، بمحل الألم، ولم يجعلوا له شيئا، مما ذكر الشيخ، وإنما كان يتستر بالأدوية بحسب الظاهر، نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور أيضا، قال: "كنت نازلا مع أخينا عبد السلام الجبلي، فخرج إلينا سيدنا المعطي، في حياة والده سيدي الصالح، ومعه أربعة من الطلبة، وجلس عندنا أياما ثم خطب في ابنة أخينا عبد السلام، وهي صغيرة، قبل أن تراهق لكن، قال: لا بد ان أنظرها، فخرجت معه للفضاء، وأمرت امرأة تأتي بالصبية لنا، فلما رأيتها مقبلتين نهضت للقيام عنه، فقال: اجلس معي لتصدقني، واجعل رأسك في ثوبك، فلما وصلنا إليه، ورأى الصبية، أمرنا بالكلام في أمرها، فعقدنا النكاح مع والدها بمحضر الطلبة/188/ المذكورين ولم يشعر بذلك أحد غيرنا، واستكتمنا على الأمر، ثم قلت له: يا سيدي نريد أن نوصل بياضا لدار الشيخ هذه أيام، وما قدرت على أن نتركك، فقال لي: سر على بركة الله تعالى، فلما وصلت بالبياض لباب الشيخ، فإذا بالشيخ سيدي الصالح، نفعنا الله به خارج إلي كالغضبان، وقال لي: هل أخذ المعطي ابنة

عبد السلام الجبلي، فأبهمت الأمر عليه، وقال لي: والله إن لم تصدقني لتخاف على نفسك، فقلت له: يا سيدي تزوجها لما خفت منه على نفسي، فقال لي: اذهب إليه، وقل له: طلقها وإن لم يطلقها، تخاف أنت وهو على أنفسكما، وقل لعبد السلام الجبلي: الخديم لا يكون نسيبا. فذهبت من عند الشيخ، فوجدت سيدنا المعطى خرج من دوارنا إلى دوار إخواننا العجانة¹، فتبعته، فلما رأيته خرج إلي، وتبعه أصحابه، فقال لهم: اجلسوا مكانكم هذا رسول إلي وحدي. فلما جلست معه، قال لي: ما عندك؟ قلت له: يا سيدي خرج إلي سيدنا كالغضبان، وسألني عن تزويجك بالمرأة، وأنت استكتمتني، فلم يعذرني إلى أن ذكرت له ما وقع، فقال لي: قل له: يطلقها، وإن لم يطلقها، تخافا على أنفسكما، فقال لي سيدنا المعطى: نعم لا يخفى على الشيخ شيء من أمرنا، فإني تزوجت بأم ولدي الخضر بتامسنا، وكان في طرفي ثمان أواق، دفعتها لرجل يفرقها على النساء على العادة عند العطية، ثم إنني سمعت الناس يذكرون ثلاث أواق، فقلت للرجل: قد دفعت لك ثمان أواق، والناس يذكرون أنك فرقت ثلاث أواق فقط، فقال لي: لم تدفع لي إلا ذلك العدد الذي سمعت، فبقيت متحيرة في أمري إلى الليل، وكنت عقدت طرفي على غير شيء، ففسخته لأنظره فإذا بالدرهم الباقية فيه، فتعجبت من ذلك، لأنني تحققت أنني ما تركت فيه شيئا، فلما وصلت للشيخ بداره، قال لي: أخذت ابنة فلان، قلت له: نعم يا سيدي وكنت شديد الحياء منه، وقال لي: كيف تعطي ثمان أواق لمن يزغرت؟ وهل ذلك من شأننا؟ فعلمت أنه رضي عنه، هو الذي رد الدراهم إلي، ثم أمر سيدنا

¹ أولاد نجاع: فرقة من قبيلة بني عمير، تشكل مع أولاد عبد الله وأولاد حسون وأولاد علي بوسالم الشرفا وأولاد سي ميمون الشرفا فرقة الخلفية، وتشغل هذه الفرق الحيز الشمالي الشرقي من القبيلة. وتقع أجزاء منها على الضفة اليسرى لوادي أم الربيع، حيث تمثل الاستثناء فيما يخص التموقع على الضفة اليسرى لمجرى نهر أم الربيع الذي يمثل الحد الطبيعي للقبيلة. ينظر: أحمد محمد قاسمي، تاريخ قبيلة بني عمير والمحيط التادلي، ص:32.

المعطي بإحضار فقهاء من أصحابه وأشهدهما بطلاقها، وقال: ارجع إلى عبد السلام، وأخبره بطلاق ابنته، وله علي نصف الصداق نعطيته له، فقدمت لأخيها عبد السلام وأخبرته بذلك".

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور، قال: "كنت نائما فرأيت ثلاث رجال من الصالحين راكبين على خيلهم، وعليهم برانس، وفوق ذلك دوائر، وهم غائرون في الهواء، إلا أن الأول مقدم على الاثنين وهو راكب على فرس أبيض كالقرطاس؛ والثاني عن يمينه يفوته الأول بشيء قليل؛ والثالث في أثر الأول/189 والناس ينظرون للخيل غائرة¹ في الهواء، فالتفت لرجل قربي، وقلت: يا سيدي من هؤلاء أصحاب الخيل الطائرة في الهواء؟ فقال لي: احلف بيمين زوجتك لا تُقْرِبهم لأحد، وأنا أعيينهم لك، فحلفت له في منامي، فقال لي: الأول: مولانا عبد القادر الجيلاني، والثاني سيدي الصالح عن يمينه والذي في أثره سيدنا المعطي، ومن وفاة السلطان وهم طائرون، فكل بلد فيها فتنة قصدوها لتسكينها، وكانت الرؤية في العام الذي ضرب فيه القائد غانم على قبيلة بني عمير²، وكان بتادلة، خليفة على يد السلطان مولانا عبد الله، قدس الله روحه".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الرجل المذكور أيضا عن السيد الصغير بن عمر، وكان مقاما عند سيدنا الصالح، ويصلي خلفه. قال: "خرجنا مع الشيخ لمراكش،

¹ من اللسان العامي، يقصد به "شدة العدو السرعة".

² بني عمير: اتحادية قبائل عربية في تادلا، يسكنون هضبة خصبة بين أم الربيع والبروج ووردية وبني زمور وبني ملال، وقبائلهم الأربع هي بني شكدة ومركزهم عند أولاد مبارك، ثم أولاد محمد الشلاص، ومن أسواقهم أربعاء الفقيه بن صالح، ثم أولاد محمد البكاك أو الركاك، وفيهم خدام الزاوية الشراوية، ثم خلفية ومن أعيانها شرفاء أولاد سيدي ميمون. ينظر: الملكي المالكي، مادة "بني عمير"، معلمة المغرب، 1413-1992، الجزء (5)، ص: 1546.

برسم الزيارة، فلما وصلنا بلاد الحافات من السراغنة¹، أراد الشيخ المبيت عندهم، لأن الليل قرب، ولم يبق في النهار شيء، وقال لأصحابه: لا تُعَلِّمُوا به أحدًا من أهل البلد، ومن أعلم بنا يصير يهوديا، فدخلنا معه المسجد، ونزل فصار طالب المسجد يبحث عنه، فحدثني نفسي بأننا إذا بتنا ولم يعلم به أحد، لا نأكل لحما، فقلت له: هذا سيدي الصالح، فخرج لأهل المكان، وأخبرهم، فقدموا إليه نساء ورجالا، فكنت بعد ذلك في تلك الليلة كلما نمت رأيت نفسي يهوديا، فلما أصبح الصباح خرجت لقضاء حاجة الإنسان، فتبعني أولاد الدوار وأهله، ينادون علي، الله يلعن اليهود، لأنني ظهرت لهم يهوديا، فتبعوني وهم ينادون علي، إلى أن رجعت وهم معي على تلك الحالة، فلما خرج الشيخ من الدوار، قلت لإخواني في الشيخ: ما وقع بي فكتفوني وأتوا للشيخ بقصد الشفاعة إلي عنده، فقال لي الشيخ نفعنا الله به: لو سكت كما أمرتكم، وما حملك على الكلام إلا محبة أكل اللحم، ولو سكت لأكلته، لأن هذا الماء لا يخفى على أحد، ثم سامحني."

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور، قال: "خرج سيدي محمد بن الشيخ سيدنا الصالح، في صغره لناحية تلماغت على عادة الفقراء لأصحاب أسلافهم، فإذا

¹ السراغنة: المجال السرغيني جزء من المجال الأطلنطي الداخلي، يمتد على سهلين تفصل بينهما سلسلة الجبيلات الشرقية هما: سهل السراغنة-البحيرة شمالا وسهل الحوز الشرقي جنوبا، يحده من الأطراف الشمالية جزء من منخفض وادي أم الربيع الذي يفصل السراغنة عن هضاب قبيلتي الشاوية وبني مسكين، وتحده من الشرق النهاية الغربية لأطلس بني ملال ووادي العبيد الذي يفصله عن بلاد تادلا السهلية، تتمثل حدوده الجنوبية في الحاشية الشمالية لأطلس دمنات التي تستوطنها قبيلتا فطاوكة وولتانة. أما حدوده الغربية فتتمثل من الجنوب نحو الشمال في الحوز الأوسط، الجبيلات الوسطى، سهل البحيرة الوسطى، الكنتور، وهي مجالات تشغلها قبيلتا زمران والرحامنة الذين يشغلون ما تبقى من هذه المجالات، وتنتمي القبيلتان إداريا لإقليم السراغنة. تعتبر بلاد السراغنة حاليا جزءا من جهة مراكش-تانسيفت الحوز. ينظر: أحمد زروال مادة "السراغنة"، معلمة المغرب، 1423-2002. الجزء(15)، ص:4952.

بالشيخ جالس بباب داره على عادته، وسائل بالباب يسأل، فقال له الشيخ: ممن أنت أيها السائل؟ فقال له: يا سيدي من ناحية تلماغت، وانتسب لبعض قبائلها، فقال له الشيخ: وهل رأيت ظالما لي هناك؟ يعني ولده المذكور، لأنه لا يحب خروج أولاده لأحد لعنايته مع الله، فقال له السائل: يا سيدي تركته هنالك وقبض نحو المائتين من الغنم وجذعا¹ من الخيل، وفضل الله عليه كثير لظنه أن الشيخ يستحسن ذلك، وأنا أشير له بالسكوت، فلم/190/ يتفطن الرجل لذلك، ثم قال الشيخ نفعنا الله به: لم حشمتني يا ولدي في دار الدنيا، وأنا تركت الدنيا تطلبكم ولا تطلبونها. وأشار إلى أنه لا يدركها فكان الأمر كذلك في جميع أولاده من بركته سوى ذلك الولد".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا الإمام، وشيخنا الهمام، سيدنا المعطى، لازال كهفا للأسرار بالعطا، قال لي: "كان الفقيه السيد عثمان قاضيا بمدينة سلا، وكان يتخوف على نفسه من ناحية المخزن، وعبيد سيدي البخاري ومن السلطان فأراد أن يسافر للحج، ويفر بنفسه، فقدم على الشيخ سيدنا الصالح، واشتكى عليه بذلك، وشاوره على السفر للحج، فصاح الشيخ عليه، وقال له: أسكت وكررها عليه، كأنه يشير له لقضاء حاجته، فرجع الفقيه لمحلته، وأخذ يتأهب للسفر للحج، إلى أن قرب وقته، فقدم للسلطان يشاوره، لأنه لا يمكنه السفر من غير ذلك، وعظم عليه أمره، فبعث للسيدة مولاة دار السلطان، والدة مولانا عبد الله، قدس الله روحه، ولأذ بها تشاور عليه، فأمرت بقدومه عليها، فلما دخل للقصابة السلطانية، وجد رؤساء الدولة جالسين على حائط مرتفع، من خدمة السلطان الباشا غازي والباشا حَمُّ طريفة والباشا

¹ جذع: الجذع: الصغير السن، والجذع: اسم له في زمن ليس بسن تنبت، ولا تسقط، وتعاقبا أخرى. قال الأزهري: أما الجذع فإنه يختلف في أسنان الإبل والخيل والبقر والشاه، ينظر: ابن منظور لسان العرب، مادة "جذع".

علي ويش¹ فلما رأوه، قالوا: هذا الظالم يصل إلى هنا، وقد جمع أموال الناس والمسلمين، وأراد أن يفر بها للمشرق، والله حتى نَقَطَعُوا رِقْبَتَهُ، وَتَأْخُذُوا مَالَهُ، فلما وصل لقرب باب زوجة الأمير، بعثت له عرائفها، وقالت له: ذكرت أمرك للسلطان نصره الله، فقال لي: لا أمنعه من الحج، ولا أمنع أحدا يريد القدوم لذلك المكان الشريف، وقد أذن لك في السفر، فلما رجع من عندها مر على أولائك الأقبام، فأغى عليهم، ولم يشعروا به إلا بعد أن جاوزهم، فرأوه بعد ذلك، فنادوا عليه، وقالوا له: عثمان، فقال: نعم، فقالوا له: والله ما جلسنا هنا إلا لقبضك، وقطع رقبتك، ولكن الله نجاك منا، فاذهب لما أردت. فعلم أن ذلك كله من بركة الشيخ نفعنا الله به". والله در القائل من قال:

[مجزوء الكامل المرقل]

بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ	بَيْتِ الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ
فَإِذَا أَكَلْتُ كُسَيْرَةً	وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ الْغَدِيرِ
فَأَنَا الْخَلِيفَةُ لَا الْوَزِيرِ	يَعْلُو بِهِ أَعْلَى السَّرِيرِ
إِنَّ الْقَلِيلَ إِذَا صَفَا	وَكَفَى يَنْوِبُ عَنِ الْكَثِيرِ

قال ابن العربي في كتاب "الاقتراب في شرح كتاب ابن الجلاب" في باب المياه: "لما توغل شيخنا أبو حامد في العلوم في آخر عمره، وانتهى فهمه، وخلص زهده، ترك العناد،

¹ لعله يقصد علي يشي هو قائد أهل الديوان في دولة السلطان العلوي المولى اسماعيل ورئيس عماله. حظي بحكم ما كان له من دالة على الدولة بمكانة مخصوصة ورعاية موصولة جعلته واحدا من أوتفيد المصادر كابر رموز النخبة المخزنية التي ساهمت مساهمة فعالة في ادارة شؤون الحكم وتوطيد ركائز الدولة في هذا العهد. وتفيد المصادر الاخبارية في هذا السياق أن القائد علي يشي لعب أدوارا على قدر كبير من الاهمية في اخضاع قبائل فازاز وكسر شوكتها واعادة بسط نفوذ الدولة بين ظهرانها بعد طول مدة من التمرد والعصيان. حيث شارك في معظم الحملات العسكرية التي قادها السلطان المولى اسماعيل للقضاء على ثورات هذه القبائل واجبارها على الاذعان لسلطته. ينظر: الفقيه الادريسي، مادة "علي يشي"، معلمة المغرب، 1426هـ-2005م، الجزء 22، ص: 7664

ورجع إلى مذهب مالك، وقال به، وصرحه"، قال أبو عبد الله القاسبي¹: "أخبرني بعض تلاميذ الإمام الأوحدي، سيف السنة أبي حامد الغزالي، قال: كنا نتحمل على الشيخ في زيارة الملك، وكان يعرض عنا، ونلح عليه لحوائج تعرض لنا عند/191/ الملك، فلما كان في بعض الأيام، قال: إني أريد أناجي ملك الحضرة، فخطر ببال كل واحد منا في خاطره من الحوائج، فقلنا له: يا حبذا، فقام، وقمنا معه، فخرج عن طريق القصر إلى منزله، فقال: قفوا حتى نتطهر وحينئذ أناجيه، فقمنا خلف الباب حتى استرنا في أنفسنا، فاستأذنا، فلم يجبنا أحد، فدخلنا المنزل، فإذا باب البيت مركب بفضه على بعض، وأثار الماء خارج من خلال الباب، وهو ساجد على سجادة متعبده، فقلنا: لعله تطهر، وقام يصلي ركعتين، فقمنا بباب البيت حتى استرنا في أنفسنا، وهو على حالته ساجد في متعبده، فدخلنا عليه فحركناه، فإذا هو ميت وفي جبهته صفيحة مكتوب فيها هذه الأبيات.

[الرمل]

قُلْ	لِإِخْوَانٍ	رَأَوْني	مَيِّتًا	فَبَكَّوْني،	وَرَثَّوْني،	حَزَنًا
أَعْلَى	الغَائِبِ	مَيِّ	حُزْنِكُمْ	أَمْ	عَلَى	الْحَاضِرِ
أَتَظُنُّونِي	بِأَنِّي	مَيِّتِكُمْ؟	لَيْسَ	ذَلِكَ	الْمَيِّتُ	وَاللَّهِ
أَنَا	فِي	الصُّورِ	وَهَذَا	جَسَدِي	كَانَ	بَيْتِي
أَنَا	كَانَتْ	وَحِجَابِي	طَلَسَمٌ	مِنْ	تُرَابٍ	قَدْ
						تَهَيَّأَ
						لِلْعَنَا

¹ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القاسبي المالكي الإمام الحافظ الفقيه، العلامة عالم المغرب، وكان عارفا بالعلل والرجال، والفقه والأصول والكلام، وكان مولده في سنة 324هـ، تفقه عليه أبو عمران القاسبي، أبو القاسم اللبيدي، وعتيق السوسي، وغيرهم. من مصنفاته: "المههد" في الفقه، و"أحكام الديانات"، و"المنقذ من شبه التأويل" و"المناسك"، وكتاب "مخلص الموطأ"، و"المناسك" و"الاعتقادات"، وغيرها. وتوفي بمدينة القيروان سنة 403هـ. ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17/158-162.

أَنَا دُرٌّ قَدْ حَوَانِي صَدَفٌ
أَنَا عُصْفُورٌ وَهَذَا قَفْصِي
أَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي خَلَّصَنِي
كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَيِّتًا بَيْنَكُمْ
فَأَنَا الْيَوْمَ أُنَاجِي مَلِكًا
عَاكِفٌ فِي اللَّوْحِ أَقْرَأُ وَأَرَى
وَطَعَامِي وَشَرَابِي وَاحِدٌ
لَيْسَ خَمْرًا سَائِغًا أَوْ عَسَلًا
وَهُوَ مَشْرُوبُ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ
فَافَهُمُوا السِّرَّ فَفِيهِ نَبَأٌ
فَاهْدِمُوا بَيْتِي وَرُضُّوا قَفْصِي
وَقَمِيصِي مَزْقُوهُ رِمَمًا
قَدْ تَرَحَّلْتُ وَخَلَّفْتُكُمْ
حَيُّوا ذِي الدَّارِ نَوْوُمٌ مُغْرَقٌ
لَا تَظُنُّوا الْمَوْتَ مَوْتًا إِنَّهُ
لَا تَرْعَكُمُ هَجْمَةُ الْمَوْتِ فَمَا
فَاخْلَعُوا الْأَجْسَادَ عَن أَنْفُسِكُمْ
وَخُذُوا فِي الزَّادِ (...) ¹

طَرْتُ عَنْهُ فَتَخَلَّى رَهْنًا
كَانَ سِجْنِي فَأَلْفَتُ السِّجْنَ
وَبَنَى لِي فِي الْمَعَالِي رُكْنًا
فَجِئْتُ وَجَعَلْتُ الْكَفْنَ
وَأَرَى اللَّهَ جِهَارًا عَلْنَا
كُلُّ مَا كَانَ وَيَأْتِي أَوْدَنَا
وَهُوَ رَمْزٌ فَافَهُمُوهُ حَسَنًا
لَا وَلَا مَاءً وَلَكِنْ لَبْنَا
كَانَ يُسْدِي فِطْرَةً فَطَرْنَا
أَيُّ مَعْنَى تَحْتَ لَفْظِ كَمْنَا
وَذَرُوا الطَّلَسَامَ لَا رُزًا لَنَا
وَذَرُوا الْكُلَّ رَمِيمًا نَتِنًا
لَسْتُ أَرْضَى دَارَكُمْ لِي وَطْنَا
فَإِذَا مَاتَ أَطَارَ الْوَسْنَا
كَحَيَاةٍ وَهُوَ غَايَاتُ الْهِنَا
هُوَ إِلَّا الْإِنْتِقَالَ مِنْ هُنَا
تُبْصِرُوا الْحَقَّ عِيَانًا بَيْنَا
لَيْسَ بِالْعَاقِلِ إِلَّا مَنْ وَتَى

¹ بياض في الأصل بمقدار كلمة. واستدرك في: ديوان السهروردي، وأصبح البيت الشعري على الشكل التالي (فخذوا في الزاد جهدا)، ص : 103-104.

حَسِّنُوا الظَّنَّ بِرَبِّ رَاحِمٍ	تُشْكِرُوا السَّعْيَ وَتَأْتُوا بِالْمُنَى
مَا أَرَى نَفْسِي إِلَّا أَنْتُمْ	وَاعْتِقَادِي إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنَا
عُنُصُرُ الأنْفَاسِ مِنَّا وَاحِدٌ	وَكَذَا الأجْسَامُ جِسْمٌ عَمَّنَا
فَمَتَى مَا كَانَ خَيْرٌ فَلَنَا	وَحَتَّى مَا كَانَ شَرًّا فَبِنَا
فَارْحَمُونِي تَرَحَّمُوا أَنْفُسَكُمْ	وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي إِثْرِنَا
أَسْأَلُ اللهَ لِنَفْسِي رَحْمَةً	رَحِمَ اللهُ صَدِيقاً أَمَّنَا
وَعَلَيْكُمْ مِنْ سَلَامٍ طَيِّبٍ	وَسَلَامٌ اللهُ بَدءٌ وَتُنَى
مَا بَدَا الدَّهْرُ إِلَى يَوْمٍ يَرَى	بَعْضُنَا بَعْضاً بِرُحْبٍ وَعَنَاناً ¹

وإنما ذكرت هذه النبذة هنا لمناسبته لذكر السلطان في الكرامة وخوف السيد

عثمان منه ومن الحكام. والشيء بالشيء يذكر.

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا الدال على الله بجميع الأقوال، والغائب في

كمالات سيد الموجودات والأرسال، سيدنا/192/ المعطى، نفعنا الله به، ومنحنا من سره،

قال لي: "كان الشيخ سيدنا، الصالح، يكتب والدواة بيد الفقيه السيد الغزواني

العجلاني، وكانت الدواة كبيرة جدا، فبينما هي بيده، والشيخ يكتب منها، فإذا بالشيخ

قبض على الدواة قبضة شديدة، وصاح واحمرت عيناه، وأخذه حال عظيم، فخاف

¹ وردت هذه الأبيات في: ديوان السهروردي المقتول، تحقيق كامل مصطفى الشيبلي، مطبعة الرفاه، 2005، بغداد، ص: 103-104، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "سجني" عوض "بيتي"؛ و"وذروا الكل" عوض "وذروا الطلسم" وأيضا اختلاف في ترتيب بعض الأبيات. وهو أبو الفتوح يحيى بن حبش، الملقب بشهاب الدين، السهرودي الحكيم المقتول بحلب، وقيل اسمه أحمد. كان أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية، جامعا للفنون الفلسفية بارعا في الأصول الفقهية، فصيح العبارة. وقد قيل توفي سنة 588هـ، وله تصانيف، منها: "التنقيحات" في أصول الفقه، و"حكمة الإشراق" وغيرهما. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 6/268-274؛ وابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج 6/114-115.

الفقيه من الشيخ نفعنا الله به، لما رأى من شدة حاله، نفعنا الله به، ثم قال الشيخ للفقيه المذكور: السفينة إذا خيف عليها الحرق أو الغرق من الأولى منهما، فلم يجبه الفقيه بشيء لشدة خوفه، وعدم علمه، بما يشير له الشيخ، ثم قال الشيخ نفعنا الله به: الغرق أولى من الحرق، وأخذ الدواة من يد الفقيه المذكور وضربها للحائط بشدة، فانكسرت على أجزاء ولم يفقه الفقيه المذكور، ما أشار له الشيخ نفعنا الله به، فبقي الأمر على إبهامه أياما، ثم ورد الخبر من مدينة سلا أن سفينة للمسلمين كانت مسافرة في البحر، ولقيتها سفينة أخرى للعدو الكافر، دمره الله أعظم منها، وأراد الكفار أن يحرقوا سفينة المسلمين بمن فيها، ثم إن سفينة المسلمين غرقت في البحر، فعلم الناس أن الشيخ، كان يشير لحالة سفينة المسلمين وما أراد الكفار بها في الحرق، وأنه اختار لها الغرق على الحرق".

قلت: ويستفاد من هذه القضية ومن أمور نحوها، أن الشيخ كان من أهل الإغاثة في البر والبحر نفعنا الله به، وكان كثير الكتابة والمذاكرة في العلم والتقيد. وقد حدثني سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أولانا سيدنا المعطى، أن الشيخ سيدي الصالح، كان يقول: "لكل ولي جنة، وأنا جنتي الكتابة والعلم"¹.

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا المذكور نفعنا الله به، قال: "كان رجل من أصحاب أولاد الشيخ الجليل سيدي عبد الحق، نفعنا الله به، وكانت به علة في أذنه يتحرك فيها شيء يشبه بودار، دويبة صغيرة، تكون غالبا في الأمكنة الباردة، وتكثر ليلا، وتنزل تلك الدويبة على إحدى أضراسه وتعضه فيها، ولا يزال الرجل يصيح من شدة الألم الحاصل له، بتلك الضرسة، لا يسكن من ذلك إلا إذا قلعها، ثم يبقى أياما، وتتحرك له في أذنه،

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 10 (ب).

وتنزل له على ضرسة أخرى، ولا يزال أياما يصيح من شدة ألمها لا يسكن من ذلك إلا بعد قلعها أيضا، ولم يزل على تلك الحالة إلى أن قلع جميع أضراسه كلها، ثم إن الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، ورد عليهم زائرا لضريح سيدي عبد الحق، نفعنا الله به، فوجد الرجل المذكور في أشد ما يكون من الألم بتلك العلة وهو يصيح منها، فأتى /193/ به للشيخ، وشكا له علته، فناوله، عودا، وأمره، يحرك به أذنه، ففعل الرجل ذلك، فلم يضره بعد ذلك شيء، مما كان يضره نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا قدس الله روحه، قال لي: "كان رجل من أهل دادس¹، يأتي لهذه البلدة، ويرد عليها كثيرا، يعالج من به أذى في عينيه بالقدح، ويأخذ على ذلك أموالا لعلمه بتلك الصنعة، وتكرر النفع على يده ويلبس ثيابا فاخرة لسعته، وكان ينزل عند الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، ليأمن على نفسه من السرقة، ونحوها إلى أن حصل له اتصال بهذه البلدة، لكثرة وروده عليها، ثم رجع الرجل لبلاده، وبقي بها ما شاء الله، وكان أبوه قائدا على بلادهم، وتوفي قبل ذلك. ثم إن السلطان الجليل مولانا إسماعيل، تذكر والده يوما، فسأل عنه خواص دولته، فأخبروه بوفاته، فسأل هل ترك أولادا؟ فقالوا له: ترك، فأمر بالبعث لولده ليوليه مرتبة أبيه،

¹ أهل دادس ناحية شهيرة قرب وادي درعة بإقليم ورزازات يجري بها نهر باسمها، وأهل دادس اسم القبيلة التي تسكن بها؛ وهي منقسمة إداريا إلى قسمين، قسم بقيادة بومالين يشتمل على بطن بني عامر وبطن إيشراجل، وقسم بقيادة قلعة مكونة ويشتمل على بطن بني حمو، وبطن بني تيسليت، وبطن يورتبكين، وأشار أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" إلى دادس وذلك حينما تحدث عن قبائل صنهاجة القبلة وأفخاذها قائلا "ومن صنهاجة القبلة سولينية ايت سوليت معا، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وكذلك مزككة أو مزككا معا، أيضا من صنهاجة القبلة، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وهذان القبيلان مضافان إلى أيت كفو لا يعتمد عليهم في الحضور ولا في الترتيب، وكأنهم رعية، ولكل فخذ من هذه الأفخاذ شيخ". ينظر: أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص:55، ومحمد حمام، مادة "دادس"، معلمة المغرب، الجزء (12)، ص: 3901-3902.

فبعث ولاة الأمير للرجل، وأخبروه بسؤال السلطان عنه، وعن والده وأنه يريد أن يوليه مرتبة أبيه، وأكدوا عليه في القدوم لحضرة الأمير، ولما وصل الأمر للرجل وهو في بلاده، قال: أنا لا آتي السلطان، إلا إذا مررت بسيدنا الصالح نفعنا الله به، وأستشيره في هذا الأمر، ثم بعد ذلك سافر من بلاده، وقصد الشيخ فلما وصله وجلس بين يديه، ببابه المعروف لجلوسه، نفعنا الله به، وكانت بالباب خوابي للماء، وأخذ الرجل يذكر للشيخ سؤال الأمير عنه، وعن والده، وأنه يريد أن يوليه مرتبة أبيه في القيادة على بلادهم، والشيخ، يأخذ الماء ويرش به وجه الرجل، ثم ودعه فصار الرجل إلى أن وصل للأمير، ووقف بين يديه، فلم يأمره بشيء، ولم يكلمه أصلا، كأنه لم يسأل عنه، ولا عن والده، وتعجب من ذلك كل من عاين حرص الأمير عليه حين سأل عنه، ثم رجع الرجل للشيخ، فرحا مسرورا بسلامته، من تلك الخطة، وعلم أن ذلك الإهمال الذي صدر له من السلطان سببه رش الشيخ نفعنا الله به له بالماء، حين كان يخبره بسؤال الأمير عنه وعن والده".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أيضا، قال: "كان رجل، يقال له: الزغروني، كاتباً عند الشريف الأجل، مولانا أحمد بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، حين كان خليفة بالقصبة التادلية، وكان الرجل من أهل الأدب، وله قلم بارع، وكانت له منزلة عند الشريف المذكور، ثم إن الكاتب المذكور، ورد على الشيخ يوما زائرا فأنزله الشيخ نفعنا الله به بالسطيحة التي بقرب داره، وأتى له بخبز وعسل، وشرع الرجل في الأكل/194/ والشيخ جالس معه، ثم إنه نفعنا الله به، قال له:

يَا طَيْرَ الرَّبِّي وَالْبَسَاتِيْنَ أَشْ غَرَّبَكُ مِنْ بِلَادِكُ

وأنشده شيئا آخر لا أحفظه، ثم إن الرجل المذكور، بقي مع الشريف المذكور، إلى أن توفي، ثم رجع بعد ذلك مع الشريف الأجل، السلطان المبجل، مولانا عبد الله، بعد

أن تولى الخلافة، ودخل دار أبيه قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وبقي معه أياماً، ثم سخط عليه، وسجنه، وبقي معه أياماً، ثم سخط عليه، وسجنه وأخذ أمواله، وقلع أضراسه وعذبه عذاباً شديداً مما هو معروف، مما وقع به، فعلم بعد ذلك إشارة الشيخ له، وأنه رأى ما يصير إليه، أمره من السجن والعذاب؛ ولذلك أنشده البيت السابق، وأشار له لخروجه عن طوره ووصوله في تلك الخطة، والزغروني هذا هو الكاتب الأديب السيد محمد الناصري المعروف أدام الله علينا عافيته وحشرنا في زمرة المساكين، والأولياء، والصالحين، بجاه صاحب الترجمة أمين. والله درُّ من قال:

[الطويل]

وَقَائِلَةٌ مَالِي أَرَاكَ مُجَانِبًا أُمُورًا وَفِيهَا لِلتَّجَارَةِ مَرْبِحٌ
فَقُلْتُ لَهَا مَالِي بِرَبِّحِكَ حَاجَةٌ فَإِنَّا أَنَا بِالسَّلَامَةِ نَفْرَحُ¹

وقال الآخر:

[السرّيع]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهِ تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلِمُ
إِنَّ الَّتِي تُرِيدُ خِطْبَتَهَا قَرِيبَةٌ العُرْسِ مِنَ المَأْتَمِ²

ولله در من قال:

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن العماد الدمشقي، شذرات الذهب، ج 363/8.
² وردت هذه الأبيات في: أبي حامد الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق، أبو عبد الرحمن صلاح محمد عويضة، ص: 98، مع اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني، مثل: "إن التي تخطب غدارة" عوض "إن التي تريد خطبتها".

[الوافر]

أَمْرٌ عَلَى الْمَقَابِرِ كُلِّ يَوْمٍ وَلَا أَدْرِي بِأَيِّ الْأَرْضِ قَبْرِي
وَأَفْرَحُ بِالْغِنَى إِنْ زَادَ مَالِي وَلَا أَبْكِي عَلَى نُقْصَانِ عُمْرِي¹

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله وجوده، قال: "ورد على الشيخ سيدنا الصالح، عليش² قبل توليته لخطة التكساب في حالة رثة، ومعه وصيف صغير، ولما أتى لموادعة الشيخ، وجده بين باب داره، المعروف وبين المصرية التي كان بها الفقيه الأجل، الصالح الأفضل، السيد أحمد الفتوح، رحمه الله، ولما رآه الشيخ، صاح عليه، وأخذه حال عظيم، ومد يده لأنية كانت مملوءة بالماء، وضرها للحائط، فانكسرت، يشير، إلى ما يخرج من الرجل، ثم ذهب الرجل، وتولى بعد ذلك خطته المعلومة في تلك المرة، وكان من أمره ما هو معلوم، وظهر مصداق إشارة الشيخ، وصيحته عليه، وإنه صاح، مما عاين من أمر الرجل، وما يخرج منه بعد ذلك."

ومن كراماته: إن القائد الزيراوي، كان مولى من قبل الأمير، قدس الله روحه، ويطوف في البلدان على عبيد المخزن، ويقبض من وجده منهم/195 حيثما وجده لا يحترم حرما من الحرمات، ومعه أصحابه، ولازال يجول في البلدان في طاعة الأمير مولانا

¹ وردت هذه الأبيات في: أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي، بستان الواعظين ورياض السامعين، تحقيق وفهرسة، أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، ص: 144، مع اختلاف بسيط في الشطر الأول من البيت الأول "أمر على المقابر كل حين" عوض "أمر على المقابر كل يوم".

² عمر بن قاسم عليش المراكشي الكاتب، وكان والده كاتباً مع المنصور السعدي ومع أولاده بعده، فتعلق عمر هذا بخدمة السلطان المولى إسماعيل، وأطلعته على دفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر السلطان وتوفي عام 1123هـ، ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج3/145؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج7/56-57؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9/298-299؛ وأحمد ابشرخان، مادة "عليش محمد"، معلمة المغرب، 1424-2003م، الجزء (18)، ص: 6176.

إسماعيل، قدس الله روحه، على عادته، إلى أن أتى يوما لأبي الجعد، فأتى لباب الشيخ لملاقاته، فلما رآه الوصيف كسر الله شوكته، وارتعب من الشيخ، وخرج من حينه من تلك البلاد خائفا من الشيخ على نفسه، ثم غاب مدة، ورجع لأبي الجعد مرة ثانية، وطلب من الشيخ نفعنا الله به، الملاقاة فامتنع الشيخ من ملاقاته، وقال لهم: "يذهب إلى موضع الفقيه الأجل السيد محمد بن يوسف، ويجلس فيه، وينصرف فذكر أصحاب الشيخ للوصيف ما أمره به الشيخ، ففعل ثم قدم على الأمير فبوصوله إليه، قلع أسنانه، وعذبه عذابا شديدا، وكفى الله شره جميع الخلائق من بركته".

ومن كراماته أدام الله النفع به: ما حدثني به سيدنا، قال: قبض زوج الفقيرة رقية ناصر التودغية، الخليفة في الأحكام من الأشراف بالقصبة التادلية، ووظف عليه مالا كثيرا، وأخذ الرجل في دفع المال إلى أن عجز، وكانت عنده زوجة حسنة، ومن شدة تحافظه عليها وغيرته، أنه كان إذا سافر من قصبة تادلة، وهي محل سكناه سافر بالمرأة معه خوفا منه عليها، فعجزوا في خلاص الرجل من يد الحاكم، فذكر لهم بعض خواصه بأن خلاصه لا يكون إلا بشفاعة زوجته عند الخليفة المذكور، لأنه كان يميل للنساء كثيرا، فقدم بعض أهل زوجها، على سيدنا الصالح يستشيريه في ذلك، فقال لهم سيدنا المذكور: تشفع إليه، ولا تعد بعد ذلك، ففرح أهل الزوج بذلك، وقالوا: ببركة الشيخ لا يصلها مكروه من الخليفة، فبعد ذلك تعرضت له المرأة المذكورة بقرب القنطرة، وهو قادم من الجنان صباحا، فاشتكت عليه وطلبتة في تسريح زوجها، فنظر إليها الخليفة، وأمر بالإتيان بها، إلى أن دخل من باب القزدير، وجلس بباب القصبة الكبير، وأوقفوها بين يديه، وكان ذلك في رمضان، فصار الخليفة يتكلم في أمر النساء، ويقول: الناس يشفعون في رمضان ليلا، وهذه تشفع صباحا، ثم أمر بصرفها لدار الحاج محمد اعطّ المعروف بالنزلة، فلما وصلت المرأة لدار الحاج المذكور قبضتها الحمى بقية يومها وليلتها،

فمن الغد تذكرها الخليفة الشريف، وسأل عنها، فأخبر بمرضها فعفا عن زوجها، ولم يصل لها شيء من ناحيته، ولم تره بعد ذلك، وعصمها الله ببركته منه، مع بعد سلامتها فيما يعتقده الناس لولا بركة الشيخ، ثم لقيت المرأة المذكورة وسألتها عن القضية، فأخبرتني بذلك، وكان سؤالي لها بعد كبر سنها كما سطر أعلاه.

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الفقيه/196/ الأجل الأستاذ، الأفضل، سيدي مبارك بن خلو، وقيده لي لخطه، ومن خطه نقلت، قلت: "حدثني بعض العلماء، وبعض الإخوان الموثوق بهم، قالوا: حدثنا عبد الله الشريقي، أنه كان عند أولاد سيدي أبي القاسم بن الزعري، ثم إن رجلا منهم أراد السفر للحج، وباع ماله، ثم أخبر بأن الشرق فيه غلاء كبير، وذلك لأن بحر النيل لم يفيض عليهم، واشتد عليهم الغلاء، فقلت نية أهل الرجل، وقالوا له: أردناك تقدم معنا للشيخ سيدي الصالح، فأتوا إليه، والرجل الذي أراد المشي في غابة ما يكون من بيع متاعه، فجلسوا بين يدي الشيخ، وقالوا له: يا سيدي ضاقت علينا الأمور، وبقي الشيخ ساكتا ساعة، فما برحوا حتى قام بين أيديهم، وقامت فيه حالة، وهي عادته، نفعنا الله به، وقال: فاض النيل، فاض النيل، ثلاث مرات ثم وجدوا حائكه مرشوشا بماء بحر النيل، حتى شاهدوه بأجمعهم، كل من كان حاضرا في ذلك المكان".

ومن كراماته: ما ذكره الفقيه المذكور عن الشيخ عبد الله المذكور أيضا، أنه كان معه في المكرب ساعة، فلما رجعوا صاح الشيخ سيدي الصالح، صيحة عظيمة، ونادى باسم رجل ضل عني اسمه، وهو ينادي ساعة بعد ساعة، ففر الشيخ عبد الله منه، لما رأى فيه من العجب، حتى سكن الشيخ، وأتى إليه السيد عبد الله، وقال له: "يا سيدي من يكون ذلك الرجل الذي تناديه؟ فقال الشيخ: ذلك الرجل كان قبل رسول الله، وأخبرني الله تعالى به، وكلمني بأحواله، وكلمته بأحوالي، وذكر لي من أحوال الآخرة، أكثر

مما أصفه لك. قلت: وما ذكره نفعنا الله به، من ملاقاته بالرجل المذكور وكلامه معه، لا ينكر، كما قال الشيخ الكبير، قدوة الشيوخ العارفين، وبركة زمانه من العاملين، أبو عبد الله القرشي،: لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر، توجهت لأن أدعو، فقيل لي: لا تدع فما يسمع لأحد منكم دعاء في هذا البلد¹، فسافرت إلى الشام، فلما وصلت إلى قريب من ضريح إبراهيم الخليل، وتلقاني الخليل، فقلت له: يا رسول الله، اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم، ففرح الله عنهم". قلت: قوله: تلقاني الخليل، قول حق، لا ينكره إلا الجاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأقوال التي يشاهدون بها ملكوت السماوات، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي موسى عليه الصلاة والسلام، في الأرض، ونظره أيضا وجماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السماء، وسمع منهم مخاطبات. وقد تقدم أنه يجوز للأولياء، من الكرامات/197/ ما يجوز للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات بشرط عدم التحدي.

ومن كراماته: ما وقع له مع الفقيه المذكور، أنه كان ذات يوم عند الشيخ، حيث كان نفعنا الله به، مسجونا في داره لا يستطيع القيام برجليه، حتى فات وقت العصر، وقربت الشمس إلى الغروب، فنادى رجل من أصحابه، وقال: "يا سيدي ضاق الوقت، فصاح، وكرر ضاق الوقت مرارا، فخرجنا من عنده، هارين إلى بابه المبارك خوفا منه، فلما خرجت إلى باب داره، التفتت فوجدت الشيخ سيدنا الصالح بحدائي، وهو لم يقم على رجليه نحو العامين ونصف، وزغب لحيته كأنه زغب أسد، فلم أدركيفية خروجه حتى وصل إلى ذلك المحل، ففررت هاربا خائفا فزعا من ذلك نفعنا الله به."

¹ في النسخة (ب) "البلد".

ومن كراماته أدام الله علاه، وجعل في أعالي الفرديس قراره ومثواه: ما حدثني به الفقيه المذكور، قال: "كنت لم آخذ عليه، فرأيت في النوم، أنه أعطاني سكينه محلاة بالمنصة، فقبضتها، ثم قلت: ما هذه الأمانة خذها من يدي، فقال لي: أنا أعطيتها ما تردّها، فمكثت بعد ذلك مدة، فأتيت ذات يوم مع جماعة من الطلبة، وما كنت أريد أن نأخذ عليه، فاتفق الطلبة، وقالوا له: يا سيدي هذا يكون معنا في حضرتنا، فقال لهم: سيروا عزما عزما الله يجعله مباركا علينا، وأتوا بي إليه من غير اختيار مني، فأخذت عنه كرها لما سبق".

ومن كراماته نفعنا الله به أيضا: ما وقع له مع الفقيه المذكور أيضا، قال: "كنت يموت لي الأولاد الصغار، فاشتكيت عليه، نفعنا الله به، فقال لي: إن شاء الله يرفع الله عليك هذه المصيبة، فمن ذلك الوقت ولدت عشرة أولاد بين ذكور وإناث، ما مات منهم إلا واحدة من فضل الله وبركته نفعنا الله به".

[الوافر]

فَصَدَّقَهُمْ بِمَا فَعَلُوا وَقَالُوا
فَإِنَّ خِلَافَهُمْ مَحْضٌ اغْتِلَاءٌ
تُقَصِّرُ عَنْهُمْ وَتَخُوضُ فِيهِمْ
فَلَا نُورٌ لَدَيْكَ وَلَا ضِيَاءٌ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُصِرُّ عَلَى الْمَعَاصِي
وَيُنْكِرُ مَا يَقُولُ الْأَوْلِيَاءُ¹

ومن كراماته: ما وقع له مع الفقيه المذكور أيضا، قال: "كنت يأوي إلي الناس، لدفع الجان الذي يقع بهم، وكنت خفت من الجان يرجع في أو في أولادي، فقلت له: يا

¹ وردت هذه الأبيات في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص:116، مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ، مثل: "داء" عوض "محض"؛ "عياء" عوض "اعتلاء".

سيدي خفت من الجان، فمنذ نفعنا الله به، يده إلى جبهته، وقال لي: أنا أكفيك همهم فمن ذلك الوقت، لم يتعد علي جان ولا غيره".

ومن كراماته: ما ذكره الفقيه المذكور، قال: "حدثني السيد الغزواني الملاي، أنه حدثه رجل يوثق به، أنه كان ذات يوم مع سيدي الصالح في باب داره، وهو فوق اللوح الذي كان يجلس عليه، وهو يتحدث معه على/198/ الصالحين، فقال الرجل: ما رأينا صالحين في هذا الوقت، فما مكثنا طرفة عين حتى وجد ذلك الرجل بينه وبين الشيخ سيدنا الصالح بحرا عظيما، وفي ذلك البحر ما في البحور من الحيتان ودواب الماء، وأمواج البحر ترمي وبقي ذلك الرجل يطلب العفو من الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، حتى رفع ذلك البحر، كأنه لم يكن حين سامح الشيخ ذلك الرجل".

ومن مذكراته: ما حدث به الفقيه المذكور أيضا، قال: "خطبت امرأة من السيد محمد بوخرواعة العميري، وقال لي السيد محمد: أنا أعطيتها لك، إن أعطاك الشيخ، فقدمت إلى الشيخ سيدنا الصالح، وقلت له: يا سيدي أردتك تعطيني ابنة السيد محمد بوخرواعة، قال: ما نعطيك شيئا، فقلت: يا سيدي لم ذلك؟ فقال لي: أمها ما أرادت تعطيها لك، فرجعت إلى السيد محمد المذكور، وقلت له: ما قال الشيخ، قال لي: الأمر كذلك ما أرادت تعطيها لك، وخالفني؛ كأنه كان حاضرا معنا".

ومن كراماته: أنه دعا إنسانا يحلق رأسه، وكان من أهل البادية، وآلته حافية، فلما أخذ يحلق رأسه، ظهر من الرجل ألم شديد للشيخ لعدم حسن آله، فصبر الشيخ إلى أن أكمل له رأسه، وبقيت لحيته، فإذا برجل لا يعرفه أحد، دخل عليه وتحتته شكاراة فيها آلة الحلق، فجلس بين يدي الشيخ، وأخرج آله، وأخذ يحلق لحية الشيخ، وتأخر

الرجل الأول، ثم بعد فراغه، قال الشيخ: الله أكبر الذي حلق الرأس، رجل مغربي، والذي حلق اللحية مشرقي، وسكت، ولا عرف الرجل منا أحد ولا من أين قدم ولا أين ذهب".

ومن كراماته: ما حدثني به الشيخ الهدون العريفي الموساوي، قال: "اشتكى رجل بالسيد أحمد بن عبّ العيساوي وإبراهيم بن غانم العسراوي والسيد يوسف بن محمد النكراوي أخ الراوي على الشريف الخليفة مولانا أحمد بن أمير المومنين مولانا إسماعيل، قدس الله أرواحهما، فأمر مولانا أحمد بقبض الثلاثة، ويعطي كل واحد منهم مائة مثقال، وخرج عليهم قاسم أدرار، فقبض السيد أحمد المذكور المكرم إبراهيم، وفر السيد يوسف، فقبضوا من الأول نحو الثلاثمائة، ومن الثاني نحو التسعة مثاقيل، وبالغوا في عذابه، وفررنا مع أخينا السيد يوسف في القبائل، والعامل مجد في طلبنا، إلى أن ضاقت بنا الأرض، وقلنا: نهربوا لسيدنا الصالح، لعل الله يفرج عنا، وكتب لنا أخونا السيد يوسف لسيدنا الصالح، وقال له: يا سيدي ضاقت بنا الأرض، ومولانا أحمد يطلبنا؛ وقدم للشيخ أخونا بن علي بن أحمد، وأخونا المحجوب بالكتاب، فلما وصلوا إليه تبعهم صاحب الخليفة الشريف المذكور، وهو قاسم أدرار، فلما اجتمعوا بين يديه، قال لهم نفعنا الله به: سيروا معه لمولانا أحمد وأمر/199/ صاحب الشريف بعدم إذائهم، حتى يقفوا بين يدي الشريف، فذهبوا صحبته إلى أن وقفوا بين يديه، فقال له الشريف قاسم: أين الطالب يوسف؟، فقال له: يا سيدي ما رأيته وهذا أخوه المحجوب، فقال له مولانا أحمد: أنت أخوه؟ قال له: نعم، ثم قال له: أنت شقيقه؟ قال: نعم يا سيدي، ثم قال له الشريف: أنا سامحتك وسامحته، ورجعوا فرحين مسرورين من بركته نفعنا الله به، وسامح القائد قاسم الذي كان خارجا عليهم، جعلنا الله في ذمتهم الكريمة، وتفضل علينا بغارتهم، وأدخلنا تحت حماهم، آمين. وله، في هذا المعنى ما نصه:

[الخفيف]

سَادَتِي الصَّالِحِينَ أَهْلِ الْفَلَاحِ
وَتَقِيَّةٍ مِنْ ذَوَاتِ الْوِشَاحِ
أَوْ أَرَى فِي الْوَرَى بغيرِ سِلَاحِ
بِهِمْ عُدْتُ مِنْ عُنُوقِ الرِّمَاحِ
نَاعِمًا فِي الْمَسَاءِ أَوْ فِي الصَّبَاحِ
مِثْلَهُمْ فِي النَّدى وَنَيْلِ النَّجَاحِ
لَيْسَ لِي عَنْ جَنَابِهِمْ مِنْ بَرَاكِ
وَبِهِمْ أَتَّقِي قِرَاعَ الصِّفَاحِ
يُنْثِي بِاسِرًا بِرَشْقِ الرِّمَاحِ
أَيْنَ مَا كُنْتُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاجِي
مِنْهُمْ غَيْرَةٌ فَيَبْدُونَ² انْشِرَاجِي
لَهُمْ فِي الْحَرَامِ أَوْ فِي الْمُبَاحِ/200
بِةِ وَالْمِينِ وَالْخَنَا وَالسِّفَاحِ
وَهُوَ هَيْنَ عَلَى الْوُجُوهِ الصَّبَاحِ
وَهُمْ عُدَّتِي وَرَيْشُ جَنَاجِي
أَرْتَجِي أَنْ أَفُوزَ يَوْمًا بِرَاحِ
لَسْرِي لِي السُّلُوعُ عَنْ كُلِّ لَاحِ

نَحْنُ فِي ذِمَّةِ الرَّجَالِ الْمَلَاكِ
وَجَنَّتِي تَحْتَ رِجْلِ كُلِّ تَقِيٍّ
حَاسِي أَنْ يُسَلِّمُونِي مِنْ غَيْرِ زَادِ
فِي حِمَاهُمْ جَعَلْتُ نَفْسِي وَأَهْلِي
وَلَهُمْ رَاحَتِي تَمُدُّ فَأَحْظَى
وَإِذَا مَا افْتَقَرْتُ لَمْ أَلْفِ إِلَّا
لَيْسَ لِي غَيْرُهُمْ وَهَبَهُمْ جَفَوْنِي
وَبِهِمْ أَرْتَقِي مَرَاقِي الْمَعَالِي
وَبِهِمْ كُلُّ مَنْ عَلَيَّ تَعَدَّى
وَبِهِمْ يَسْتَدِيرُ رِزْقِي وَيَنْمُو¹
مَا اعْتَرَّتْنِي الْهُمُومُ إِلَّا اعْتَرَّتْنِي
أَبْتَعِي الزُّهْدَ مِنْهُمْ وَهُوَ نَهْجُ
وَاحْتِرَاسِي مِنَ النَّمِيمَةِ وَالْغِي
كُلُّ هَذَا طَلَبْتُهُ مِنْ مَوَالِي
مَا أَنَا غَيْرُ عَبْدِهِمْ إِنْ رَضَوْنِي
وَبِهِ تَسْتَرِيحُ رُوحِي وَمِنْهُمْ
يَا رَاحَ سَأَلْتُهَا لَوْ سَرَّتْ لِي

¹ في الأصل: "وَيَنْمُوا". وقد صححناها.

² في الأصل: "فَيَبْدُونَ". وقد صححناها.

يَا رِجَالَ الْإِلَهِ أَنْتُمْ مَجَنَّبِي
يَا رِجَالَ الْإِلَهِ شَرْقاً وَغَرْباً
يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يُدَارِكُ عَبْدًا
حَقُّهُ أَنْ يَنْوَحَ مَا دَامَ حَيًّا
يَا رِجَالَ الْإِلَهِ عَارٌّ عَلَيْكُمْ
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَاجِهَ فَتْحُ
بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى إِمَامِ الْبَرَايَا
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ مَا أَخْضَرَ رَوْضُ
وَعَلَيْهِ السَّلَامُ مَا انْهَلَّ وَبَلُّ
وَتَعَطَّرَ مِنْ شَذَا الْوَرْدِ جَوْ
وَشَذَا مُنْشِدٌ وَعَنَى هَزَارُ
مِنْ زَمَانٍ يَرُوعُ قَلْبِي كَلَّاحِ
قَدْ سَجِنْتُ فَبَادِرُوا بِالسَّرَّاحِ
ثَمَلًا مِنْ هَوَاهُ لَيْسَ بِصَاحِ
إِذْ مَضَى عُمُرُهُ فِي غَيْرِ نِيَّاحِ
أَنْ تُغَيِّرَ الْخَيُْولُ وَسَطَ مَرَّاحِ
مِنْكُمْ خَاطِرِي فَفِيهِ صَلَاحِي
مَعْدِنِ الْجُودِ وَالْوَفَا وَالسَّمَّاحِ
وَأَنْتَنَى الْغُصْنُ مِنْ هُبُوبِ الرِّيَّاحِ
وَبَدَا النُّورُ فَاتِحًا فِي الْبِطَّاحِ
وَتَبَسَّمَ ثَغْرُ كُلِّ أَقَّاحِ
وَعَلَا الْجَوُّ طَائِرٌ بِجَنَاحِ¹

¹ وردت هذه الأبيات في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 26 (أ) و(ب)، مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مثل: "الرياح" عوض "الرماح"؛ و"جناحهم" عوض "جناهم"؛ "سألته" عوض "طلبته"؛ والعباس بن ابراهيم، الإعلام، ج10/342-343، بنفس اللفظ.

ومن كراماته رزقنا الله رضاه: ما حدثني به الفقيه الأجل، المرابط الدين الخير الأمثل، سيدي المعطى بن محمد بن أولاد سيدي القوري أحد حفدة الولي الكامل الموصل الواصل سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، قال لي: "قدم علينا الفقهاء الجليلان الديّنان الناسكان سيدي أحمد بن عبد العزيز الفيلاي، وسيدي أحمد بن العربي المراكشي، دارا لزيارة الولي الصالح العارف الزاهد الناصح، سيدنا المعطى بن سيدنا ومولانا أبي عبد الله المدعو بالصالح، نفعنا الله بهما، وأكرم نزولهما، وبالغ في الإحسان إليهما، قال المحدث: ثم إني تكلمت مع بعض الفقهاء النازلين في البلاد، وقلت له: أردت أن نسأل الفقيه السيد أحمد بن عبد العزيز، عما أخذه عن سيدي أحمد الحبيب، صاحب تافلات أو غيره، ونأخذه عنه، ولم نجد لذلك سبيلا لكثرة من نجد معه، فقال لي الفقيه المذكور: وأنا أريد مثل ما أردت، ولكن في الليل نتكلم معه إن شاء الله فاتفقنا على ذلك، وأكدت عليه فيه، ثم بعد ذلك سألته عن ذلك، فقالي لي: تكلمت معه، وأخذت عنه جميع ذلك، وأذن لي في ذلك لمن أراد، فقلت له: بركة الله وأنا أخذه عنك إن شاء الله، ثم عرض لي السفر للدير لزرع لي كان هنالك، أردت جمعه، لما عرض من الخوف والفتن في الدير، فقلت في نفسي: أرجع إن شاء الله وأخذه عنه، فلما وصلت للدير لجمع زرعنا وحصاده، ترادفت علي مصائب هنالك، سرقت لي البغلة التي كنت راكبا عليها، ونهب لي غيرها، فعرض لي في قلبي أن الذي أصابني لعله من الشيخ سيدنا الصالح عقوبة لي، عما أردت فعله، فتبت إلى الله مما كنت عازما عليه، ولذت بالشيخ فيما نابني، فرد الله علي جميع ما نهب لي من/201/ بركته وكمال عنايته، ثم لما قدمت لداري من الدير نزل بي مرض، وطال بي مدة كثيرة حى وغيرها، وبعثت لسيدنا المعطى يكتب لي، ولم يظهر معافاة، فبينما أنا كذلك في بعض الليالي، فقلت: ما هذا يا سيدنا المعطى عادتي معك إذا أصابني شيء وكتبت إلي عافاني الله بسبب ذلك،

وأخذت نتأمل في ذلك إلى أن قمت¹؛ فإذا بصوت سيدنا الصالح، نسمعه ولا أرى صورته، وهو يقول: أين فقراء فلان؟ ويسمي لي الفقيه الذي كنت تعاهدت معه على الأخذ من الفقيه سيدي أحمد بن عبد العزيز، فاستيقظت وعلمت أن الشيخ وجد علي من ذلك، وأن معنى قوله: أين الفقراء فلان، يعني بذلك هم الذين يغيثونك في مرضك حيث توجهت إليهم، ولا عهدة لك على ولدنا المعطى، وكأنه يوبخني على توجيهي لغيرهم، وقد كنت من أصحاب الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به.

قلت: وفي هذا الكلام كرامة للشيخ سيدي الصالح، وكرامة لسيدنا المعطى نفعنا الله بهما".

ومن كرامات سيدنا المعطى رزقنا الله رضاه: ما حدثني به الشريف الأجل مولاي أحمد الحاج بن مولاي حفيظ بن عمر، قال: "قدمت مع الشريف الجليل سيدي عبد الله ومولاي عبد الكريم بن الحراب، ومولاي الحسن بن سليمان كلهم أحفاد السلطان الهمام مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، ومولاي حفيظ بن حماد، ومن تافلالت، لأدرا ومعنا وصيفان، ثم لما وصلنا في أثناء الطريق للموضع المعروف بالغديرة² بتنا فيه، وقد اشترينا شاة، ولا عمارة في الموضع المذكور، فلما أصبح الصباح، قال الشرفاء: لا تركبوا من هذا الموضع حتى نُشووا هذه الشاة، ونأكلها، فذبحنا الشاة، وأخذنا في شَيِّ طوابقها، فطلبنا الملح، فما وجدنا شيئاً أصلاً، فقال بعض الشرفاء: السيد المعطى يملح لنا ذلك، والله إن لم يفعل لنا ما طلبناه لا عرفناه، وأخذ ينادي على الشيخ وينصب الطوابق للسماء، ثم لما فرغنا من الشيء، وجدنا اللحم كثرت

¹ في النسختين (ج) و(د) "عنت".

² اسم موضع قريب من تاشرفت في منحدر تتجمع به مياه الأمطار والذي سمي غديرا (رواية شفوية).

فيه الملح، فقال له بعض الشرفاء الحاضرين: كثرت الطلب حتى فاتت الملح في الشبي،
وعلموا أن ذلك من بركته."

ومن كراماته جعل الله مقامه في أعلى الفراديس: ما حدثني به سيدنا صاحب
الكرامة أعلاه، قال: "كان عالج¹ يقال له: منصور فبعثه صاحب الأحكام إلى ورديفة، فأتى
بأناس في سلسلة، ووقف بهم في الرحبة المعلومة، قرب بير سيدنا الصالح صباحا، وكان
من عادته، يجلس صباحا خلف داره، ويتوجه للرحبة المذكورة، فبينما هو جالس على
عادته، إذا بالأقوام المساجين في الرحبة/202/ المذكورة.

وقدم العالج للبير ليشرب، فهرب له رجل من المساجين، وأتى لسيدنا الصالح، فلما
وصله، قال له: جز فأتى العالج في طلبه للشيخ فوجد المكرم عمر بن الحاج فقبضه
يعتقد أنه صاحبه الذي فر له، والمسجون يمشي، وهو ينظر إليه، ولم يره، فقال له
المكرم عمر بن الحاج: لست بصاحبك، أتركني وانظر إلى صاحبك، فما هو ذاهب أمامك،
فقال له العالج: ما رأيتهن. قال المكرم عمر بن الحاج: فعلمت حينئذ أن ستره عنه، من
بركة قول الشيخ: جز من هذا."

ومن كراماته عظم الله قدره: ما حدثني به سيدنا المذكور أيضا، قال: "كان في البلاد
شويردة عبيد السلطان، وكانوا مشتغلين بقطع الطرقات، ونهب الأموال، ويصبحون
قرب أبي الجعد، ليقبضوا من خرج منه، أو أراد الدخول إليه، وينهبون ما عنده، وكان
الفقيه السيد علي العوني، بنزلة الشيخ التي بالكرايج المعروفة هنالك له، نفعنا الله به،
بات بها، وقدم من الصباح لأبي الجعد، فلما كان بالطريق بوادي تاخزريت²، فإذا

¹ عالج: العالج: الرجل الشديد الغليظ، والجمع أعلاج وعلوج. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "علاج".

² واد تخزريت وهو واد بقرب أبي الجعد، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 147 (أ).

بالعبيد رأوه، ورآهم فأخذوا في التعرض له، وأخذ في الفرار للوادي المذكور، ليطلب النجاة به لنفسه، فبينما هو كذلك فإذا بقافلة أنت بالعنب لتبيعه في البلاد، فدخل في وسطهم، ورجع عنه العبید حين رأوا القافلة لكثرة من بها من الناس، وكان ذلك سبب اللطف بالفقيه المذكور، فلما وصل للشيخ سيدنا الصالح، فبمجرد إقباله عليه، قبل أن يتكلم الفقيه، قال له الشيخ: أنظر من آس (مُنَاش) فَكَّكُ اللهُ يا علي العوني، فعلم أن الشيخ نفعنا الله به، كان ينظر إليه، وأن بركته حضرت معه في نجاته، جعلنا الله ممن تحضر لهم بركاتهم، وتهب عليه نفحاتهم، أمين بجاه الأولياء العارفين".

ومن كراماته جعل الله مقامه في عليين: ما حدثني به الشريف الأرضي، محبنا في الله تعالى، السيد أحمد زروق نجل العارف بالله سيدي محمد بن مبارك، نفعنا الله به، بمحضر سيدنا الإمام العارف الهمام، سيدنا المعطى ليلا، قال: "كنت مرمودا بدارنا، وكانت والدتي تداويني، وكرهت الدواء، فلما رأيتها اشتغلت بمناولة بعض الأدوية، فررت خوفا من ذلك وأتيت لباب الدار، ودخلت خلف الباب، واستخفيت هنالك، فطلبتي والدتي فلم تجدني، فبعثت في طلبي فطلبوني في كل موضع من مدشرنا، فلم يجدوني، فقالوا: لعله مات في بعض الآبار أو الأودية. وكنت صغيرا، فوقف والدي بالباب واجتمع الناس لذلك، ورجعت الدار عزاء، فإذا بالشيخ سيدي الصالح، ورد على الوالد بالباب، وكان نفعنا الله به، بالبلد، فقال للوالد: ما هذا عندكم؟ فقال له والدي: ولد لي، فقدناه، وطلبناه، فلم نجد له خيرا، والبلد مخوفة، فأتى سيدنا الصالح، لدفة الباب وردها فوجدني مستترا/203/خلفها، فقبضني، بيده، وقال لي: مالك؟، فقلت له: ضربني

الرمد¹، فأخذ من ريقه، ومسحه لي على عيني، وقال لوالدي: أتركوه ولا تجعلوا له دواء، فبرئت² من بركته، نفعنا الله به، ولا جعلت بعد ذلك دواء."

ومن كراماته: ما حدثني به الشريف مولاي عبد الرحمن نزيل قبيلة بني مسكين، قال: "كان طالب من أصحاب الشيخ يسمى السيد علي بن أحمد الميموني، وكانت له زوجة حسنة بارعة الجمال، فذكروا حسنهما للشريف الذي كان خليفة بقصبة تادلة، وصرف لها وصيفه منصوراً لكم، وعريفة، يأتیان بها للشريف المذكور، فبات الوصيف عندهم، ولما طلع الفجر، خرج بالزوجة قهراً مع العريفة، وسارا بها للقصبة التادلية، وأخذت السيد عليا الروعة من شدة ما نزل به من هذا الأمر، وقدم للشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به حافيا من حَمْرِي أولاد ميمون إلى أبي الجعد، ودخل علينا بالمسجد، مع الشيخ والرجل مَتْعُوب عَرْقَان، ووجدنا مع الشيخ نقراً عليه مختصر خليل أنا عبد الله وسيدي أحمد الشاوي وسيدي علي العوني وسيدي عبد الله العميري المرجل وسيدي محمد بن ناصر العميري والفقير سيدي محمد بن إبراهيم السوسي، ووجد الشيخ مبسوطا معنا ليصور لنا المختصر ولبن آدمي إلا الميت، ولبن غيره تابع، وكان يضحك على سيدي عبد الله، ويقول له: تحلب لك امرأتك الحليب، وتحسى به الخبز، وهو مبسوط، حتى دخل علينا السيد علي ورفع بصره إليه، وقال له: ما عليك باس فأجابه بقوله: الذي يعرفك ما يَخْطَأُه البَاسُ، ولا حكي له شيئا حتى، قال نفعنا الله به، بلسانه الفصيح: ﴿وَحَفْضَنَا لَهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رَجِيمٍ﴾³، ثلاث مرات، وبعدهما سكنت روعته،

¹ الرمد: وجع العين وانتفاخها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "رمد".

² برئت من المرض، وبرأ المريض يبرأ براء وبروء، وفي حديث مرض النبي، قال العباس لعلي رضي الله عنهما: كيف أصبح رسول الله،؟ قال: أصبح يحمد الله بارئاً، أي معافى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "برأ".

³ سورة الحجر، الآية 17.

قال: أعوذ بالله من الشيطان، وجعل يحكي عليه الأمر، وهو بيده (...) ¹ يابس ويقطع فيها، فقال لنا سيدي محمد بن إبراهيم: عَقَلُوا على هذا الوقت، إذا ما وقع فيه أمر، وكان ذلك يوم الاثنين عند الضحى، وعشية النهار قدم السواقاة من القصبة، وقالوا: خرج الشريف بالقصبة، وقال: إقْطَعُوا يد منصور: الكُفُّ ورجليه، وارموه في المزبلة، وهربت الزوجة والعريفة، ورجعت الزوجة سالمة طاهرة من فضل الله، وبركة الشيخ نفعا الله به، آمين."

ومن كراماته أدام الله بركته: مسألة الجميعات من بلاد بني مسكين. كان هنالك وادي له ماء هابط من ناحية وارگروط، وكان وقعت عليه مشاحنة، كما حدثني بذلك الشريف المذكور قبل هذا، قال: "كانت المشاحنة على الماء المذكور بين أولاد بوعلي ² وأولاد فارس ³، وقدم الشيخ سيدنا الصالح علينا، يريد المرور لمدينة مراكش لزيارة والده نفعا الله به، وزيارة رجال مراكش. وجد تلك المشاحنة أمامه، فأمرهم بتخميد الفتنة/204، قال الشريف: وبات الشيخ عند والدي بالبروج ⁴، ثلاث ليال، وأتى معه سيدي المكناسي القرقوري، رحمه الله، وخصوصا من القراقرة ⁵، وزادوا في كلام الوادي،

¹ بياض في الأصل قدره كلمة وباقي النسخ الأخرى.

² أولاد بوعلي: فخذة تابعة لقبيلة بني مسكين، ينظر: أحمد عمالك، مادة "بني مسكين"، معلمة المغرب، 1413-1992، الجزء (5)، ص: 1565.

³ أولاد فارس: فخذة تابعة لقبيلة بني مسكين، ينظر: أحمد عمالك، مادة بني مسكين"، معلمة المغرب، 1413-1992، الجزء (5)، ص: 1565.

⁴ البروج: قصبة قديمة تقع وسط قبيلة بني مسكين بالشاوية الجنوبي، على بعد 144 كلم جنوب الدار البيضاء، و96 كلم من تادلا. وتحد من الشرق بقبائل بني موسى، ومن الشمال بورديغة، ومن الجنوب بالسراغنة، وتحيط بها مباشرة قبائل بني مسكين الشرقيين، ينظر: أحمد عمالك، مادة البروج"، الجزء (4)، ص: 1208.

⁵ القراقرة: فخذة من قبيلة بني مسكين، ينظر: أحمد عمالك، مادة "بني مسكين"، معلمة المغرب، 1413-1992. الجزء (5)، ص: 1565.

فقال لهم: الله يهنهم منه كسراب ببيعة، فما رجع، من غيبة زيارته حتى غار ماؤه، ولم يبق له أثر بعد غرس الكرم، وكثرة البحائر".

ومن كراماته نفعنا الله به، ما حدثني به الشريف المذكور أيضا، قال: "كانت امرأة من بني موسى، توفي زوجها، وكانت عجوزة عند والدنا، لها دم مع زوجة الوالد، وخطبها رجل من أولاد سمير للتزويج، وصرف لوالدنا ونحن ساكنون بدار سيدي أحمد بن بدر الدين جوار السيد الرشيد، وأتى بالمرأة والدنا إلى باب دار الشيخ سيدنا الصالح، وقال له الشيخ: يا مولاي محمد، قل لها: تتزوج بهذا الرجل، فإنه لا بنا ونحن كلمها والدنا تكلمت بلسان فصيح: نَتَزَوَّجُ بكلب، ولا نَتَزَوَّجُ بذلك الرجل، فسمعها الشيخ نفعنا الله به، وقامت فيه حالة عظيمة، وقال: زوجناها بكلب، وسارت من باب داره طالعة مع الطريق، فما وصلت لباب سيدي عبد الخالق، حتى لقيها كلب أسود، لعله مسعور¹، وترامى عليها، فعرضت له يدها، فالتقمها من يدها، فما فاتت ثلاثة أيام، حتى كانت تمزق ثيابها، وتعض لحمها، وفي اليوم السابع دخلت قبرها، أجازنا الله من دعوات الصالحين، ومن سوء الأدب مع الأولياء العارفين".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الشريف المذكور أيضا، قال: "كانت ليلة عيد، وما عقلت²، هل عيد الفطر أو غيره، وأتى الشيخ سيدنا الصالح، أخونا محمد المراكشي بشامية حناء، ونادى علي الشيخ، وصار يأخذ الحناء بيده، ويجعلها في حجري، وقال لي: اقتسمها بين أمك، وخالتك زوجة مولاي أحمد، وكان، ينبسط مع أخينا يعقوب

¹ المسعور: هو الجنون، ويسمى بذلك لأنه يستعري في الإنسان، ويقولون ناقة مسعورة، وذلك لحدثها كأنها مجنونة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "سعر".

² من اللسان الدارج، يقصد: "ما تذكرت".

الفيشتالي، وإذا برجل دخل علينا أظنه شجداليا، وحاصله أنه من أهل تادلة، وصاح بين يدي سيدي الصالح، وهو يبكي فشهده برأسه، فقال له: تكلم، قال له: يا سيدي قلت لي: اقدم لزيارة سيدي أحمد ومحمد¹ بووزغت²، وقدمت له حتى زرتة، وقدمت من عنده في يوم شديد الحر، وهبطت على جنان يعمودي، ولحقتني العطش، ودخلت ندور الماء، وإذا بامرأة تحرز الجنان، لأن الرجال في الحصاد، وعندها قربة من الماء، فقالت لي: اشرب وأتني بشيء من الكرموس، فأكلت واحدة أو اثنتين، فإذا بها من أهل شهوة عدو الله إبليس، فما شعرت حتى دخل قلبي أمر من ناحيتها، وأعانني مولاي حتى ناديت يا سيدي صالح، حرمة أبيك سيدي المعطى، وسيدي محمد الشرقي إذا وقع بي شيء فأخذتني سنة كالنوم، ووجدت نفسي بكبئين والكرموس الذي كان بين يدي محطوط، ولا/205/ عرفت كيف جرى بي في قطع الوادي وسكرت من الضحى، إلى أن فات الظهر، وها أنا أتيتك، ورجل جالس معه، لعله اسمه أخونا محمد السميري، أخذته روعة، وجعل يغوث بالباب، فقال له سيدنا الصالح: اسكت واصمت هذا شيء قليل رأيته، ما اتسع فيك، رأيت الناس أكثر وأكثر فأرضاه، وجعلني ممن استظل بظله الوريث ودخل تحت حماه، آمين يا رب العالمين".

¹ لعله يشير إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن المسن الدادسي الووزغتي، دفين ووزغت من جبال تادلا. شيخ صوفي، صحب الشيخ عبد الله بن حسون دفين سلا. توفي سنة 1062هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشار، ص: 159.

² تقع ووزغت على الضفة اليمنى لوادي العبيد، في الطرف الجنوبي للحوض الذي تمت عليه اليوم بحيرة سد بين الويدان، عند السفح الجنوبي بجبل عنين في تراب قبيلة آيت بوزيد الواقعة في آيت عطة ن. مالو (أهل النظر). تمتد مواطهم إلى جنوبي مدينة بني ملال. وبذلك فهي تتوسط قبائل آيت سري شرقا، وآيت بوزيد غربا، وآيت سافي جنوبا، عند منطقة الاتصال بين الأطلس المتوسط شمالا وبداية الأطلس الكبير الشرقي جنوبا. ووزغت هي إحدى القصبات التي حددها السلطان المولى إسماعيل العلوي لايقاف نزوح القبائل الجبلية نحو سهل تادلا. ينظر: أحمد عمالك، مادة "ووزغت"، معلمة المغرب، الجزء (22)، ص: 7631-7632.

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الشريف المذكور أيضا، قال: "حدثني والدي، أن الفقيه الأخطى، العارف المرتضى، سيدي محمد بن عبد الرحمان أحد حفدة الولي الكامل، وحبل الله الواصل، سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي، لما قدم من الحج نزل بريف الفقراء الرحامنة، وقدم له سيدنا الصالح، ومعه والدي بقصد السلام عليه، وقال له سيدي محمد بن عبد الرحمان بعد السلام عليه: غدا نَجُوزُ عليك، وكان الشيخ سيدنا الصالح معولا عليه، ثم إنه تبعه خلق كثير، وسار في الليل ولم يجز عليه، وجعل له أهل تادلة زربية، ما عقلت هل بقيش¹ أو سيدي محمد النفاتي، واجتمعت عليه أهل تادلة كافة بكثرة الزيارات، ونادى سيدنا الصالح، على أخينا بلعيد العوني، وقال له: سر له، وقل له: تادلة مملوكة للشيخ الشرقي، من وادي العبيد إلى تَقْبَالَتْ²، فقال له: ما نقدر نقول له شيئا، قال له: خذ هذه العصا، وخر بها على الزربية، وسرت أنا من وراء أخينا بلعيد، لننظر ما يقع فلحقنا بعد المغرب، ووجدنا خلقا كثيرا، فما طلع الفجر حتى تفرق الجمع، ولم يبق أحد. فركب المرابط على بغلته بعد صلاة الفجر، وسار لداره، ومعه شيء قليل من أهل الصمعة."

¹ قيشر: ما زالت إلى اليوم تعرف بها عين ماء تسقي عددا من البساتين إلى الجنوب الشرقي من مدينة وادي الزم على طريق بني ملال عبر مدينة الفقيه بن صالح. ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، الجزء 1/161، الهامش رقم (16).

² تاقبالت: في البربرية معناها منطقة "رجع الصدى". وتطلق على عدة مناطق من الدير، ونعني بها هنا المنطقة الشمالية الشرقية لأبي الجعد في مقدمة مرتفعات الأطلس المتوسط على بعد حوالي 50 كلم. ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، الجزء 1/162، الهامش رقم (17).

ومن كراماته نفعنا الله به، ما حدثني به الشريف المذكور، قال: "كان الفقيه الأجل سيدي أحمد الشدادي¹، قاضيا بتادلة، مع الشريف الأجل مولاي زيدان، وكان الشريف أحسن إليه كثيرا، ثم إن الشريف المذكور عزل من تادلة، وأتى لها أخوه الشريف مولاي أحمد، ولم تعجب حالته الفقيه المذكور، وأتى لسيدي الصالح يستشيريه في أمره، فقال له الشيخ سيدنا الصالح: فارقه يفارقك قبل الفضيحة، فما بقي عشرة أيام حتى لحقته فضيحة عظيمة، تمجها الأسماع، وتنكرها العقول والطباع، وهرب لحرم الشيخ سيدي محمد الشرقي، حتى سلك نفسه لبلاده."

ومن كراماته نشر الله بين العارفين به أعلامه: ما حدثني به سيدنا وقدوتنا إنسان العين، والمزِيل عن القلوب أدران الشكوك والرَّين، سيدنا المعطى نفعنا الله به، قال لي: "كان عند الوالد محببا في الله السيد محمد بن أبي يعزى المعداني، قدم لزيارته من مدينة فاس، وكان يأخذ بيده/206/ فيما كان يحتاجه من مآرب الدار في السوق مدة إقامته، فطالت إقامته عند الشيخ سيدنا الوالد، فخرج معي ذات يوم لناحية قبور أهل الذمة، وجلس معي، فقال لي: السيد قبضني وطالت غيبتي على أولادي بالمدينة، فقلت له: أنت عند الشيخ، وتذكر هذا الكلام، ولعله يسمعك من داره، فمن الغد أو بعد غد، قال له الشيخ: يا فلان طالت غيبتك على أولادك، وودعه من حينه، فعلمت أنه سمعه في الكلام الذي صدر منه خارج البلد وهو معي".

¹ أبو العباس أحمد بن علي الشدادي الشريف، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، وولي قضاء فاس الإدريسية وخطبة جامعها الأعظم، وكان يدرس مختصر خليل بمسجد القرويين والتوثيق والحساب. وله تقييد على الزقاقية، توفي بفاس عام 1163هـ، ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج77/7؛ ومحمد حجي، مادة "الشدادي أحمد"، معلمة المغرب، الجزء 16، ص: 5310.

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أيضا عن الفقيه السيد محمد بن ياسين الزروالي، قال السيد محمد المذكور: "كنت قبل معرفتي بالشيخ سيدنا الصالح، قدمت لأبي الجعد، وتلاقيت مع الفقيه العلامة الناسك سيدي محمد بن يوسف، وكنت أعرفه من قصبة تادلة، وشاورته على القدوم للغرب مع ثلاثة من الطلبة سراغنة، وجدتهم بأبي الجعد، فقال لي: سيدي محمد بن يوسف لا تسافر معهم، فإنهم أرادوا غدرك، فأتيت لسيدنا الصالح، فشاورته على القدوم معهم، فقال لي: لا تسافر معهم، فإنهم أرادوا غيرك، مثل مقالة سيدي محمد بن يوسف فقلت له: يا سيدي واعدتهم على السفر، فكيف أتخلص منهم، فقال لي: إيت بهم، فدعوتهم إليه، فقال لهم نفعنا الله به: هذا الطالب غُشِيم¹، وهذا الوقت لا يصلح به للسفر لبرودته، وأنتم عزمتم على السفر، فتوكلوا على الله، ولاطفهم، وأخزني عنهم بوجه حسن.

[الكامل]

قَوْمٌ إِذَا عَبَّتِ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ كَانِ الْمَفْرُ مِنْ الزَّمَانِ إِئْتِيَهُمْ
وَإِذَا أَتَيْتَهُمْ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ جَادُوا عَلَيْكَ بِمَا يَكُونُ لَدَيْهِمْ²

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله مجادته، وأشرق في سماء المعالي شمسه وسيادته، عن السيد محمد المذكور أعلاه أيضا، قال: "لما كان العالم الجليل الماجد الأصيل، سيدي محمد بن عبد الله التلمساني بأبي الجعد، ملازما عند الشيخ سيدنا

¹ غشيم: الغشم: الظلم والغصب، غشمهم يغشمهم غشما، ورجل غاشم وغشام وغشوم، والحرب غشوم لأنها تنال غير الجاني. ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "غشم".

² ورد البيتان بنفس اللفظ، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 160 (ب).

الصالح، وكان حريصا على تعليم العلوم، فوقف يوما على جدول سر المناسخة¹، وتحير في تعميره الفقيه المذكور، فتكلم معي في شأنه، فأريتة كيفية تعميره، فأعجبه ذلك، وتعلق قلبه بعلم الجدول²، فقال لي: تقدم معي لبلادي، وأزوجك بأختي، وأختي الأخرى تخدمك، وإن توفيت، الأولى زوجتك من الثانية، وأخذ عنك هذا العلم، وأُقرُّوك ما تحتاج إليه من العلوم، فاتفقنا على ذلك، وكنت عازما على السفر لمدينة مراكش، فقال لي: أنا أسافر لمدينة فاس، وأنتظرُك هنالك وأنت من مراكش تتبعني، فتعاقدنا على ذلك، ثم طلعت للشيخ نفعنا الله به، لأنظره، وكان بالمصرية التي كان فيها الفقيه السيد أحمد بن الفتوح رحمه الله، فلما أشرفت عليه، صعق علي، فرجعت فزعا منه/207/، وعلمت أنه كاشفني، عما تكلمنا به، فلما رجعت لقيت الفقيه السيد محمد المذكور، فسألني عن الشيخ، فقلت له: إنه بالموضع الفلاني، ولم أعلمه بما صدر إلي منه، فقدم إليه، فلما قابله صعق عليه، وقال له: أترك ما كنتم تتكلمان فيه، ورجع الفقيه مرعوبا من الشيخ، وعلم أنه اطلع على ما كنا تكلمنا به بيننا".

ومن كراماته قابله الله بالعفو والغفران: ما حدثني به سيدنا المذكور نفعنا الله به، قال: "قدم على الشيخ سيدنا الصالح، رجل من بني معدان³، فاشتكى عليه بولده، وإنه عكَّله⁴ برجله، وسقط للأرض، وكان الشيخ، إذا سمع أحدا عصى والده لا يقبله، فصاح

¹ المناسخة: مفاعلة من النسخ، وهو النقل والتبديل، وفي الاصطلاح: نقل نصيب بعض الورثة بموته قبل القسمة إلى من يرث منه. ينظر: الجرجاني، التعريفات ص: 198.

² علم الجدول: يستخدم لمعرفة المغيبات. وهو عبارة عن مربع يكتب بداخله حروف رمزية إشارة إلى أسماء الله الحسنى أو أسماء كهنونية كأسماء الجن وأسماء البروج وغيرها من الأسماء. ينظر: الهامش رقم (3) محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 371.

³ تستقر قبيلة بني معدان حاليا إلى الغرب والجنوب الغربي من مدينة تادلا. ينظر: الهامش رقم (109)، أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، الجزء (1)، ص: 224.

⁴ عكل: عكل الشيء يعكله عكلا: جمعه. وعكله: صرعه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "عكل".

الشيخ عليه، وقال له: الله يطيره عنك، فصاح الرجل من دعوة الشيخ على ولده، فبعد أيام قليلة أتى ولده بغنمه، يسرحها¹ في قيشر، فلدغته حية، ومات من حينه، وعلم أن ذلك من دعوة الشيخ نفعنا الله به، "وله نفعنا الله به هذه الأبيات في الوعظ.

[الكامل]

يَا مُوْتِرًا لِنَعِيمِ هَذِي الدَّارِ	وَمُضَيِّعِ الأَعْمَارِ فِي الأَسْفَارِ
وَمَنْ اغْتَدَى لَا يَرْعَوِي عَنْ جُرْمِهِ	مَا هَذِهِ ذَا حَالَةُ الأَبْرَارِ
مَا ذَاكَ وَصَفُ السَّائِرِينَ ² لِرَبِّهِمْ	وَسَبِيلُ مَنْ يَخْشَى مِنَ الجَبَّارِ
فَأَنْبَ لِرَبِّكَ وَاغْتَنِمْ تَسْبِيحَهُ	وَسُؤَالَهُ فِي اللَّيْلِ بِالأَسْحَارِ
وَاعْمَلِ لِيَوْمِ جَمَّةٍ أَهْوَالِهِ	يَوْمِ اشْتِدَادِ الهَوْلِ بِالفُجَّارِ
وَاسْكُبْ دُمُوعَكَ إِنْ خَلَوْتَ لَعَلَّهَا	تُنَجِّيكَ يَا ذَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الفقيه الأرضي، والأخ في الله المرتضى، السيد محمد بن عبد الكريم بمحضر سيدنا العارف، وشيخنا المكاشف، سيدنا المعطى نفعنا الله به عن الفقيه الأجل سيدي أحمد الشاوي، قال: "تكلمنا في أمر السلطان مولانا إسماعيل مع جماعة من الفقهاء، وقلنا: قال الناس: لا يزيد على أربعين سنة، ثم إن السلطان زاد على ذلك العدد، قال سيدي أحمد المذكور، قلت لهم: أنا أسأل عن ذلك سيدي الصالح، فلما دخلت عليه، قال لي نفعنا الله به قبل أن أتكلم له بذلك، قال الناس: الأربعين من القرن يعني من المائة الثانية عشر، لا من ابتداء ملكه، فعلمت

¹ سرحت الماشية تسرح سرحا وسروحا: سامت. وقال أبو الهيثم في قوله تعالى: "حين تريحون وحين تسرحون." قال: يقال سرحت الماشية أي أخرجتها بالغداة إلى المراعي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "سرح".

² في النسخة (ج) و(د) "السائلين".

أنه كاشفني بما في ضميري، وكان الأمر كما ذكر نفعنا الله به، فتوفي السلطان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف.

ومن هذا المعنى ما حدثني به سيدنا وشيخنا الشيخ المعطى، قال: "كنت أستحي من الشيخ كثيرا ولا أقابله بكلام أصلا، إلا في وقت مرضه الذي توفي به، فقلت له يوما: يا سيدي بعض الناس، يقول: مدة السلطان مؤرخة بكهل، فقال لي: نفعنا الله به: لا يبعد".

ومن كراماته : ما حدثني به/208/ سيدنا أيضا وأمرني نتلقاه من الطالب الأجل، التالي لكتاب الله عز وجل، السيد الحاج محمد بن يوسف المعداني¹، أصلا، الجعيداني دارا، قال الحاج المذكور: "حدثني والدتي أن رجلين من أولاد أحمد من بني شجدال، كانوا من أصحاب سيدنا الصالح، فأتوا إليه يوما بأربع شياه من الغزال بعد أن جعلوهم قديدا²، وييسوا، فلما وضعوا ذلك بين يدي الشيخ، قال لهم: إذهبوا بذلك لسيدي أحمد بن عبد القادر بتساوت، وكان من إخوانه في الله، ومن أشياخه حسبما تقدم، فلما ذهبوا بذلك لسيدي أحمد المذكور، وهم في الطريق حدث أحدهما الآخر، وقال له: لعل سيدي أحمد بن عبد القادر، أعظم صلاحا من سيدي الصالح، ولذلك بعثنا إليه، فقال له الآخر: إن كان سيدي أحمد من الصالحين يعطيني الخبز والعسل، وقال الآخر: أنا يعطيني الكسكسوا واللحم، فلما وصلوا لسيدي أحمد بن عبد القادر، دفعوا له ما عندهم، وقالوا له: سيدنا الصالح بعثنا إليك بهذا، فأمر بتزولهم إلى أن أخذوا يدفعون

¹ الحاج بن يوسف المعداني من فقهاء الزاوية الشرقاوية والمقرئين لكتاب الله عز وجل، ينتسب إلى قبيلة بني معدان، ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/224؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 139.

² القديد: اللحم المملح المجفف في الشمس، فاعيل بمعنى مفعول، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "قدد".

العشاء للأضياف، فلم يقوموا للأكل مع الأضياف مراعاة منهم لما عقدوا عليه في الطريق، ثم بعث لهم سيدي أحمد صاحبه، وناداهم إلى أن وصلوا له، فقال لصاحبه: اعط لهذا الخبز والعسل، ولهذا الكسكسوا واللحم، فلما رجحوا من عنده لموضع نزولهم تحدثوا فيما بينهم، وقالوا: هذا هو الصالح، وعزموا على الجلوس عند سيدي أحمد بن عبد القادر، وينبذان معرفة الشيخ سيدنا الصالح، فمن الغد كاشفهم الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد القادر، بما عزموا عليه من الجلوس عنده، فناداهم، وقال لهم: أتركوا ما عزمتم عليه، وارجعوا لصاحبكم سيدي الصالح، والله لا أساوي تراب نعله، فلما سمعوا منه ذلك، رجعوا للشيخ سيدنا الصالح، فلما وصلوا إليه، وجدوه بقرب باب داره جالسا، فلما رأهم، قال: الله يرد على سيدي أحمد بن عبد القادر، كيف رد علينا بأصحابنا، فعلموا أن الشيخ كاشفهم بجميع ما صدر منهم، فتابوا لله بين يديه، وسامحهم"، فقد اشتملت هذه الحكاية على كرامتين إحداهما لسيدنا الصالح، والأخرى لسيدي أحمد بن عبد القادر نفعنا الله بهما، ومنحنا من سرهما آمين.

ومن كراماته أشرق الله أسراره، وأضاء أنواره: ما حدثني به سيدنا أدام الله النفع به للعباد، وقبل شفاعته يوم يقوم الإشهداد، قال: قدم على الشيخ رجل شريف من تافلات، يقال له: مولاي محمد ناصر الدين زائرا، ثم رجع لبلاده، فاجتمع يوما مع السادات الأشراف، وكانت له منزلة عندهم، وأخذوا يتحدثون في كرامات الصالحين، فقالوا له: هل بقي في هذا الزمان أحد من الصالحين يقصد؟ فقال لهم: نعم، فقالوا: حدثنا عن رأيت، فقال لهم: رأيت بتادلة، رجلا يقال له: صالح بن المعطى/209، وطلبت عليه ثلاثة عشرة مسألة، وقضيت لي كلها من بركته نفعنا الله به".

ومن كراماته: ما حدثني به أخونا في الله الفقير علي بن أبي يعزى الشجدالي، قال: "كنت مشروكا مع الشيخ سيدنا الصالح في الحرث إلى أن مربنا عام شديد الغلاء،

أظنه عام أربعة وثلاثين، وكان من عادتي مع الشيخ إذا دفعت له زرعه ولم يكفه أدفع له بعد ذلك من زرعي، فلما خرجنا في ذلك العام من الحرث، واشتد الغلاء، وأخذ الناس في أكل الخضر في البادية، ولم تبق عندنا إلا مطمورة فيها نحو من اثني عشرة غرارة، قلت لعيالنا، وكان عندنا عيال كثير...

وعلى الرغم من تدخل المخزن للتخفيف من وطأة هذه الأزمة، أصبح سكان القرى وبعض أهل المدن يجوبون الحقول بحثا عن العشب والنبات لسد رمقهم، فكان الإقبال كبيرا على "يزني"، ويدعى أيضا حسب المناطق: "إزني" و"أزني" و"إزنا" و"أيزني"، له ورق على شكل بوق صغير لدى بزوغه يدعى "أمزوغ" أو "بوثروغت، كبير نحو الثلاثي نفسا: أتركوا ما عندكم من الزرع للأضياف، وكلوا مما يأكل الناس، وتلك المطمورة الباقية تركتها لسيدنا الصالح، وقد كنت عند إرادتي الرحيل من دار الحرث، أدخلت له زرعا للعودة فأخذ أولادي في أكل الخضر سوى امرأة واحدة، لا تقدر عليها، ثم اشترت ثورا كان عند بعض أصحابنا للوزيعة في غاية السمن، واشترت البادرة بأربع أواق وربع، وقلت لأخي: هذه لا تصلح إلا لسيدي صالح، فجمعت البيض معها، وجعلت ذلك كله على جمل، وقلت لأخي: اذهب به إلى سيدي صالح، فذهب إليه، ولما وصل أخي إليه، ووضع ذلك بين يديه، أمر بدفعه للعيال، ثم قال لأخي: ما تأكلون؟ فاستحيي أخي، ولم يفصح له عن أكل الخضر، فلم يقبل منه اعتذارا إلى أن قال له: يا سيدي نأكل الخضرة كغيرنا من الناس، ولم تبق لنا إلا مطمورة، قال أخي علي: تركتها لسيدي الصالح، فقال له الشيخ: كلوا الزرع وأنا أكل إلى أن نأكل جميعا الخضرة أو ايرني¹.

¹ يرنى، هو عام 1847/1266، الذي يعرف كذلك ب: "عام الخبيزة" "وعام ثمانية عشر مثقال"، لما وقع فيه من غلاء ومجاعة، ذلك أن المغرب تعرض خلال سنوات 1857/1847 لأزمة غذائية قاسية بعد أن سجلت سنتا

وحلوا المطمورة، وتركوها مفتوحة وخذوا الزرع، وأنا أخذ، ففتحناها، وصار الشيخ يبعث أصحابه للإتيان بالزرع كلما احتاج إليه، ونحن نأتي بهائمنا كلما احتجنا، وكنا ثلاث خيام على عولة واحدة، ولم نأكل خضرة بعد مقالة الشيخ، ولازال أمرنا على تلك الحالة إلى أن أخذوا ورديفة في الحصاد، وطاب زرعنا، فقدمت للشيخ، فقال لي: وهل بقي شيء من الزرع في المطمورة؟ فقلت له: يا سيدي بقيت بركتك فيها، والحمد لله، فقال لي: اطلع على ذلك ونحن عندنا زرع جديد أتى به بعض الأحبة لنا، فقدمت للمطمورة، وعمرت منها لخيمتنا سبعة من الإبل، وبعث الباقي بثمان موزونات للصاع، وكان قبل ذلك بأربع أواقي للصاع، فلما فرغت من بيع الزرع، وجدت عندي مما تحصل في بيعه أربعة عشر مثقالا، وأكلنا بخيامنا الثلاثة من غير شفقة، وسيدنا مع عياله وضيوفه من خروجنا من الحرث إلى المصيف من بركته، وكان في ذلك سر باهر، ولم يلحقنا شيء، مما أصاب غيرنا من فضل الله سبحانه.

ومن كراماته أدام الله بركته: ما حدثني به /210/ أخونا علي المذكور، قال: "كنت- كان وقت الحصاد- وإخوتي على الزرع، وأنا نازل مع البهائم قرب نزلة الفقيه سيدي الراضي بمطلوس، إلى أن كان صباح سبعة وعشرين من رمضان، فخرج صبي مع البقر للسر، وقد أصبح الناس من سهر تلك الليلة المباركة نائمين، فإذا بالصبي يصيح علينا، فخرجنا مع من كان عندنا موجودا، فإذا بالصبي مكتف من وراء، فقلنا له: من فعل بك هذا؟ قال: مربى رجال ثلاثة، وقبضوني وكتفوني وربطوني بعد الكتاف لشجرة، وذهبوا

1846/1845 محصولا زراعيًا دون المتوسط أدى إفراغ المطامير واستهلاك المخزونات؛ ومع حلول سنة 1847 التي كانت سنة جفاف، تضاعف ثمن القمح والشعير أربع مرات في ظرف بضعة أسابيع، فانهارت القدرة الشرائية وحلت المجاعة، مذكرة بالتي سبقتها سنة 1825. ينظر: محمد الفقير، مادة "يرني"، معلمة المغرب، 1426-2005، الجزء (22)، ص: 7656.

بثورين ثم سرحني الله تعالى، فذهبنا للبقر فإذا بالثورين أحدهما لي والآخر لسيدنا الصالح، فذهبت على إثرهما ومعى أربعة من الرجال إلى أن غربت الشمس علينا عند بير الحبابيس، وتكلم الرعد، ونزلت الأمطار، فأوينا إلى سدره، وبتنا بها، وليس علي إلا قشابة واحدة، خرجت بها أولاً، فمرت بي سنة، فرأيت سيدنا الصالح، وقف علي، وقال: خذ الثريد¹، أعطه لمن معك يقتاتون به، فقسمته عليهم في تلك الحالة، ثم استيقظت فوجدت أثر الطعام كأني آكله، ولم يكن عندنا شيء منه، فقلت لمن معي: رأيت سيدي الصالح نفعنا الله به، وقف علي الآن وأعطاني شيئاً من الثريد قسمته عليكم، ثم نمت ثانياً، فرأيت قنديلين أخضرين قرب سدره، فقلت: قنديلين لنا وجدتهما، فإذا برجل من درن² كان مقعداً سيدي محمد مع عبد الله³، نفعنا الله به، وكان الرجل يعرف بالخير،

¹ الثريد: كلمة عربية، وتعني المكسور من المواد الغذائية، لحمًا أو خبزًا وعليه مرق، فأصل الكلمة ثرد، أي هشم ومن الفعل نحتت أسماء وأفعال أخرى كالثريد والثريدة وأثرد ومثرد ومثرد إلى غير ذلك. لم يعرف الثريد كأكلة في المغرب إلا من خلال المصادر العربية، وأولى الإشارات عنه وردت في كتاب التشوف وهو كتاب يتحدث عن العهد الموحدى الأخير، ومعنى ذلك أن الثريد حديث بالمغرب وقد ارتبط بدخول العرب الهلاليين في العهد الموحدى، إلا أن ذلك لا ينفي وجود أنواع مشابهة لهذه الأكلة عرفتها القبائل البربرية من قبل، كأكلة المصامدة المعروفة بالأمازيغية بـ"أسماس" أو العصيدة (تاكلا) أو البيصار (تارخشا) وكلها أسماء أمازيغية تعني أكالات مشابهة للثريد. ينظر: محمد حجاج الطويل، مادة "الثريد"، معلمة المغرب 1419-1998، الجزء (9)، ص: 2783.

² دَرْن: جبل بالمغرب مشهور يعرف بسقنقور، وهو جبل عظيم معترض في الصحراء، قال بعضهم: هذا الجبل فاصل بين الصحراء والساحل، ومنه ينفجر كل نهر. وهم يختلفون في تسميته فأهل فاس وسجلماسة يسمونه درن، والمصامدة ونول لمطة يسمونه جشكو، وهوارة يسمونه أوراس ينظر: محمد بن عد المنعم الحميري، الروض المعطار، في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1984م، ص: 234-235.

³ أبو محمد مع الله بن يحيى بن أبي بكر بن أبي محمد مع الله بن يجاتن الزناتي. أصله من أهل نظير من حومة بلاد تادلة. ولا توجد اليوم منطقة بإقليم بني ملال في سهل تادلة تعرف بنظير، غير أن الأستاذ أحمد التوفيق يقول بأن نظير هو المكان المدفون فيه أبو محمد مع الله في أولاد عبد الله قرب القصبة الزيدانية بتادلة على وادي أم الربيع، اتصف بالعلم إلى جانب العمل وكان شخصية منفردة و متميزة في زمانه. توفي سنة 536هـ. ترجمته في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 132-135؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 108-113.

ينادي علي، وقال لي: يا أخي ها أنا عاسّ عليهما، وهما لك، فلما استيقظت ذكرت ذلك لأخواني وأولتهما بالثورين، ولما أصبح الصباح، وتبعنا الثورين على الأثر، فتلف عنا الأثر، قرب سدرة الموتى من بلاد بني مسكين، فقال لي أخي: أنت ذهب عقلك، وعطلت الناس عن حصادهم ومنفعتهم، وزدت على ذهاب الثورين، لا تجد شيئا فتركتمهم، وطلعت لربوة تسمى طالع زُرُّ هنالك، معروفة والتفتت لأبي الجعد، وناديت على الشيخ، وحلفت له بأيمان إن لم أجد الثورين، ولم آت باللصوص مكتفين لا عرفتك ولا أنت على شيء ثم نزلت منها، فوجدت أثر الثورين، ثم لحقني إخواني، فوجدنا مكان مبيت اللصوص بالبهائم، ثم تبعنا الأثر إلى أن وصلنا لبلاد أولاد حَمُّ من بني مسكين، فوجدنا الثورين قرب سدرة واللصوص نائمون، فقبضنا اثنين، وفر واحد فجرحتهما، وكتفناهما، وأتينا على الطريق التي تأتي بنا لسيدي محمد بن عبد الله، نفعنا الله به، رجاء أن نجده من يعطينا ما نقتات به، وكنا يومين وليلتين، ما أكلنا طعاما، ولما كنا في أثناء الطريق، قال لنا أحد اللصين: قبل أن تصلوا إلينا، وأنا نائم رأيت سيدي الصالح ضربي على ظهري في الموضع الذي ضربتموني، واستيقظت، وقلت لأصحابي: لعل هذه البهائم لسيدي صالح، وذكرت/211/ لهم ما رأيت، فصدقته صاحبه، ولما قربنا من سيدي محمد بن عبد الله، أزلنا لواحد سبع أواقى أخذها من كان معي، قالوا: عطّلونا عن حصادنا، وأزالوا بعض النعال، وسرحناهم. ثم وصلنا لروضة الولي المذكور، فوجدنا هناك امرأة أخبرتني، بأن أخي خرج من عندها بالقرب يطلب خبرنا، فدفعت لنا طعاما مائعا، فما تجرعنا منه إلا شيئا قليلا بكلفة، ثم سرنا بالغابة قاصدين للمرابط سيدي شنان¹ في أثر أخي، وعجز أخي الذي كان معي عن الطريق، فركبته على ثور، فتيسر له

¹ الشيخ سيدي شنان بن أحمد بن محمد بن عبد الله البوزيدي التلمساني نزيل تادلا من وادي أم الربيع توفي

من بركة الشيخ، فبينما نحن في أثناء الطريق، إذ خرج علينا سيدي عبد الرحمان المعروف بمولى الكرامات، وكان رجلا صالحا، فقال لي: بَبَّ على الله يعينك، أتيتم بهم، وجعتم، ثم ناولني أربعة أطراف من اللحم مطبوخة، فقسمنا ذلك، بيننا، ولما وصلت الشيخ سيدي الصالح، وذكرت له الخبر، قال لي: لا تذكر ذلك عني، الشيخ سيدي محمد الشرقي، هو الذي وقف في ذلك العار، ف، ونفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدثني به الرجل المذكور، قال لي: "كانت عادة الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، يصلي مع الفقيه سيدي محمد بن يوسف بالباب قرب اللوح مع إمامه سيدي الحسن بن البكري، وكان ذلك وقت المصيف، فجعل لأصحابه الملازمين له محلا بين باب داره وبين باب محمد بن داوود النهاري، يصلون فيه بصلاته، فبينما نحن في ذلك المحل في صلاة المغرب، وقد أحرمنا في الصلاة وقربي أخونا في الله السيد عبد الرحمان العريفي، وكان قد ورد علينا إنسان ربعة صغير، لم تكمل لحيته، مراكشي الأصل، وبيده سبحة من أركان، في تلك العشية وله شعر طويل برأسه، وهو معنا في الصلاة، فإذا بالشيخ خرج من بابه إلينا ولم تكن له عادة بذلك، ودخل بيني وبين أخي عبد الرحمان المذكور، فتزحج الأخ المذكور من مكانه، وأردت أن نفعل مثله، فقال لي الشيخ: أمكث مكانك في صلاتك، وأحرم معنا، فلما فرغنا من صلاة المغرب، اتكأ الشيخ على فخذي، وقال للإنسان المذكور: سألتك بالله، من أنت؟ ومن أين أتيت؟ فقال له: يا سيدي مراكشي، وأنا سائح، فقال له الشيخ: كم لك في سياحتك؟ قال: عشر سنين من غير خطوات الحج، وحين ابتدائي للسياحة، مررت بهذا البلدة، وبت بدار سيدي محمد

وترك ذرية أصلهم الله وله كرامات ينظر: عبد الرحمان الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف، ص:

المفضل، ولم أسمع لك ذكرا، ولما وصلت للمشرق، وجدت الناس ينادون بك، فقال له الشيخ: وهل ينادون بالشيخ محمد الشرقي بالمشرق، فقال له: يا سيدي ينادون به قليلا، وينادون بسيدي قاسم أكثر منه، فصاح الشيخ سيدي صالح، وقال: السيد قاسم وقف عليه الشيخ سيدي محمد الشرقي في نومه، وأعطاه قطرة من بحره، وما أعظم بحر سيدي محمد الشرقي، وأخذ يردد لها، ويشير بيده، ثم سكن وأخذ سيدي صالح، يسأله عن البلدان والمدن والقرى، وما في كل /212/ محل من الصالحين، ويقول له: هل وصلت كذا؟ وهل زرت سيدي فلانا؟ كأنه يعرف جميع ذلك، والرجل يجيبه عن سؤاله في البلدان إلى أن وصل للأكوار، وأخذ سيدي صالح، يسأله عن مدن الأكوار وخواصها، كأنه أعرف بجميع ذلك، إلى أن أنهى له مدة عام ونصف ببلاد الأكوار، وكانت تلك مدة الرجل في سياحته ببلادهم، فقال له سيدي صالح: زد بعدهم، فقال له: يا سيدي وجدت بعدهم عجما ضروري، فرده في سؤاله إلى المشرق، وقال له: هل وصلت لسيدي فلان صاحب الغار؟، فقال له: يا سيدي وصلت إليه، ولم أره لأنه لا يخرج إلا يوم الاثنين، ووجدت الناس بأخبيتهم جالسين عليه، ينتظرونه، ولم يتيسر لي ملاقاته لأنني ذهبت في بعض حوائجي لأنني احتجت للقوت، ثم قال له الشيخ: وصلت لطرابلس، قال له: نعم يا سيدي، قال له: هل وصلت لسيدي محمد بن سعيد؟ قال له: نعم، فقال له: هل وجدته حيا أو ميتا؟ قال: وجدته ميتا، قال له: هل وقفت على مقامه؟ قال: نعم، فقال الشيخ: ما أعظم ذلك المقام وذلك (...)¹ ثم صار يسأله إلى أن وصل للشريف مولاي أحمد بن الطالب²، فسأله عنه، هل لقيته؟ قال الرجل: نعم ووجدت أصحابه مثل

¹ بياض في الأصل بمقدار نصف سطر.

² أحمد بن الطالب الشريف المجذوب، والولي المحبوب من أصحاب محمد بن سعيد الطرابلسي الهبري القطب، وكان هبط من بلده إلى المغرب، فلما وصل إلى أخيه في الشيخ سيدي الصالح عرض له سيدي المعطى، وقال له:

أصحابك، فقال له الشيخ: وما شأن أصحابي؟، قال الرجل: فيهم عناية، فقال له الشيخ: ذلك الشريف من عندي من هذا المحل، ذهب كأنه نفعنا الله به، يشير إلى أنه من جملة من ورد عليه لالتماس بركته، ثم أخذ يسأله عن البلاد من محل الشريف للغرب وعن خواصها، والرجل يجيبه عن كل مكان وأهله، ثم قال له الشيخ: وهل زرت سيدي أبي يعزى؟ فقال له: نعم، فقال له: وهل رأيته في المنام؟ قال: نعم، قال: صفه إلي، فقال: هو رجل أخضر اللون، عريض البدن، فصاح الشيخ ﷺ، وقال: ذلك أبو يعزى وكررها، ثم قال له الشيخ: وهل تركت والديك في الحياة؟ قال: نعم، فقال الشيخ له: لا بد أن تصلهما، فقال الرجل له: يا سيدي خفت أن يفتناني، فقال له الشيخ: لا بد لك من الوقوف عليهما، فإن كانا حيين، بُلِّمًا بمشاهدتك، وإن كانا ميتين، فقف على قبريهما، وبقي الشيخ معه يسأله من المغرب إلى أن صلى معنا العشاء، ثم دخل الشيخ للباب، وقال لمن به من العلماء الأخيار، والأجلة الأبرار: هذا الرجل تُسَارَى وجاء بالأخبار، فقالوا له رضوان الله عليهم: تبارك الله وتعشى الشيخ مع السادات العلماء، ورثة الأنبياء الكرماء، وردوا الطعام علينا، فأكلت أنا وذلك الرجل. ومن الغد بعث الغداء، وأكلنا مع الرجل أيضا، ثم كلمه الشيخ في أذنه وبعثه وودعه رضي الله عنهم. وكان الشيخ يبتدئه بالسؤال عن جميع الأمكنة والمدن والقرى، كأنه أعرف بذلك كله، وأنا أقول في نفسي: هذا سؤال العارف بالبلد عند الشيخ. قلت: ومعرفة الشيخ بالأقطار والبلدان والمعارف/213/ والمشارق والأكوار والسودان، كل ذلك لا ينكر بالنسبة إليهم، وليس

لقنه ورد الشيخ سيدي محمد بن سعيد من فمك إلى فمه، فلقنه مولاي أحمد الأوراد، وأذن له في تلقينها لعباد الله. وتلك الأوراد أسماء من أسماء الله الحسنى. ترجمته في: محمد العبدوني، اليتيمة، ص: 65 (ب)؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي ص: 504-505.

بمستكثر¹ في حقهم، لأن الله سبحانه فرق لهم العوائد، وكشف لهم الحجب والأسرار والفوائد، واستوى في حقهم القرب والبعد، وجعل بأيديهم الرفع والخفض والقرب والطرء، والمنع والإعطاء (...)² [قلت:]³ فيحتمل أن يكون وصل لذلك بالأقدام، لطي الأرض لهم رضوان الله عليهم، بأمر مولانا الملك العلام، ويحتمل أن يكون ذلك بأرواحهم المطهرة التي تجول في الملك والملكوت، وتدرك أسرار العزة والجبروت، فقد صرفهم الحق سبحانه في مملكته، وجعلهم بمحض فضله رحمة لخليقته، كما أشار لذلك شيخ الشيوخ، وقدوة أهل التمكين والرسوخ، الشيخ الكامل، وحبل الله الموصل الواصل، سيدي محمد الشرقي في منظومته التي خاطب بها سيدنا الإمام، الصالح الهمام، الولي العارف الكبير، والعلم الشهير، سيدي يوسف الفاسي، لكلام وقع بينهما من بعض الوشاة، وإن كلا منهما ذكر الآخر بغير كامل الصفات، ونص ما كتب الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به.

الملك والملكوت

وصفهم منوعات

أهل الجبروت

ما غيبوا عنا⁴.

إلى آخر الأبيات المعلومة، ولما وصل الكتاب لسيدي يوسف، أجابه بكتاب، وأبيات

توافق الشيخ في الشراب، فقال:

¹ في النسخة (ج) "بمستنكر"

² بياض في الأصل والنسخة (ب)

³ سقط ما بين معقوفتين من الأصل والنسخة (ب)

⁴ وردت الأبيات بنفس اللفظ في: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 128.

الملك والملكوت

في طينا منعوت

حتى الجبروت

ما يخفى عنا¹

إلى آخر قصيدته المعلومة له في ذلك، ثم اتضح لكل من العارفين الأمر، واعترف كل منهما للآخر بعلو المكانة والقدر، وطرد الحسود الذي عند القوم لا يسود، فانظر رحمك الله ما أشار له كل واحد من الشيخين الجليلين، تعلم أن مواهب المولى سبحانه جليلة عظيمة، من غير شك ولا مَين، وأنه لا يتعاصى على الأولياء رضوان الله عليهم شيء من الأمور، فإن مواهبهم لا تحيط بها الأفئدة والصدور. وقد روى الشيخ صفى الدين² في رسالته، قال: "كان الشيخ أبو عبد الله مولاي الأزهرى العجمي كثير السياحات، صاحب آيات عظيمة، وحكايات تضيق عنها العقول. قال تلميذه الشيخ الكبير أبو الحسن بن الدقاق³: أدخلني الشيخ محمد العجمي ثلاثمائة وستين عالما (360هـ) غير عالم السماوات والأرض، قال: ووصل بي إلى جبل قاق، وأراني الحية الدائرة بالجبل ورأسها على ذنبها وهي خضراء، قال: وكان للشيخ إذا مشى إلى أمر خارق، أوطي أرض أبقى معه غائبا عن

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 128، وعبد الخالق العروسي، المرقى، ج1/111.

² صفى الدين لحسين بن علي بن أبي منصور الصوفي المالكي نزيل مصر المتوفى سنة 682هـ من آثاره: الرسالة الفريدة. ترجمته في: البغدادي، إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون، ج2/299؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج4/32.

³ أبو علي الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري، صوفي، فقيه، أصولي. كان أوحد المشايخ في زمانه علما وعملا وحالا، صحب أبا بكر الشبلي وأبا علي الروذباري وأبا محمد المرتعش، ثم خرج في آخر عمره إلى مكة فجاور بها سنة 366هـ، وتوفي بها سنة 367هـ. ترجمته في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 365، كحالة، معجم المؤلفين، ج3/261.

حسي المعهود، فخرج يوما من دمشق، وأنا صحبته إلى أن وصلنا طبرية¹، ووقفنا على قبر سليمان عليه الصلاة والسلام، فقلت له يا سيدي: هذا قبر سليمان، قال: هكذا يقال. ثم مشى وأنا خلفه محمول به، إلى أن أشرفنا على بناء مهول، وإذا بأقوام تلقوا الشيخ، وسلموا عليه، وتبركوا بقدمه، ثم/214/ مشوا قدامه، فوجدت منهم وحشة، فالتفت الشيخ إلي، وقال: يا علي، احفظ نفسك، واشتغل بي، ولا تشتغل بمن تراه، فهؤلاء جان، ونحن قادمون على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فلما وصلنا إلى البنيان تلقته طائفة أخرى، وأدخلوه البناء، وهو صورة قصر عظيم، والشيخ يمشي وأنا خلفه، وإذا في صدر المكان رجل قائم عليه، هيبة عظيمة، ونور عظيم، في يده عصا، فقال الشيخ لي: هذا سليمان، ثم تقدم وقبل يده، وفي إحدى أصابعه الخاتم، ثم تأخر فأخذه جماعة الجن، خدام سليمان عليه السلام، وذهبوا به إلى موضع، وقدموا ضيافته طعاما، فأكل الشيخ، وأكلت معه، ثم ذهبوا به يفرجوه في ذخائر سليمان، فأتوا به إلى البساط فوقف عنده، فجاءت ريح فنشرته، ثم جاؤوا به إلى عرش بلقيس، فرآه إلى أن استكمل جميع ذخائر سليمان عليه السلام، ثم مر على مغارة فيها دوي مزعج، وريح منكرة، فقالوا له: يا سيدي هذا سجن إبليس وهو مسجون في هذه المغارة منذ زمن نبي الله سليمان، فلما أراد الشيخ الانصراف، وضعوا له سريرا، وأشار الشيخ إلي فوضعوا لي سريرا آخر، فلما جلسنا عليهما ارتفعا بنا في الهواء، ولا نبصر من يحملهما، ومرا بنا في الهواء فوق بحر حتى انتهينا إلى مكان، لما وصلناه حط بنا السريران إلى الأرض، فنزلنا عنهما، ثم ارتفعنا في الهواء، ورجعا، فمشى الشيخ، وأنا خلفه ساعة، وإذا

¹ طبرية: هي بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وبينها وبين عكا يومان. عرضها قليل حتى تنتهي إلى جبل صغير ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/17-20.

نحن بدمشق وقد بدت، قال: وكنا يوما بدمشق، وكان في أصحاب الشيخ من هو من الحجاز، ومن هو من العراق، فذكروا الرطب، فقال أهل الحجاز: رطبنا أطيب من رطبكم، وقال العراقيون: رطبنا أطيب، وكان للشيخ خادم اسمه يوسف، فنظر الشيخ إليه، فخرج الخادم من الباب، وغاب لحظة، ثم دخل وعلى يده طبق فيه رطب كما جني من النخل، وضعه بين يدي الشيخ، فقال الشيخ: يا حجازيون هذا رطب بلادنا، فأحضروا أنتم رطب بلادكم، وله من العجائب والكرامات أشياء عظيمة¹ انتهى.

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الرجل المذكور، قال: "قدمت على الشيخ سيدنا الصالح، وكان والدي في الحياة، وكان من أصحاب الشيخ الأكبر، والعلم الأشهر، سيدي محمد المعطى، نفعنا الله به، والد الشيخ سيدنا الصالح، ولما جلست بين يدي الشيخ، صاح، ثم قلت له: والدي يقرئك السلام، فقال لي: كيف هو؟ وهل أدركه الفالج؟، فقلت له: يا سيدي لم يصبه شيء، فسكت. ثم رجعت لوالدي، فقلت له: أبشر بالفالج فإن الشيخ، قال لي: كذا فبقي الوالد على حالته ست سنين أو سبعة، ثم نزل به الفالج الذي أشار له الشيخ، وبقي به إلى أن مات".

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الرجل المذكور أيضا، قال: "كانت لي امرأة عقيمة نحو ثمان سنين، وكانت/215/ تحب أن تلد، وأنا أريد بقاءها على صحتها، فقدمت معي يوما لدار سيدنا الشيخ، فاشتكت على أزواجه بإرادتها الأولاد، ولما ذكرن² ذلك للشيخ، قال لهن: حتى أستشير زوجها أخانا عليا، ثم خرج، وقال لي: زوجتك تريد

¹ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة والخمسون بعد الأربعمئة)، ص: 206-207.

² في النسخة (د): "وصل".

أن تلد، وما تريد أنت؟، فقلت له: يا سيدي أريد أن تبقى على صحتها من دون ولادة، ثم لما رجعنا إلى مكاننا، قالت لي زوجتي: اتفقت أنت وسيدك علي، وأنا لا حاجة لي بكما، واذهب إلى الشيخ سيدي محمد الشرقي نطلبه ذلك، فقلت لها: اجلسي وأنا أذهب لضريح الشيخ، فوصلت إليه صباحا، وقلت له: يا سيدي محمد الشرقي، زوجتي تريد الأولاد، والتزمت لك صدقة كبشا ومثقالا، ثم رجعت للشيخ سيدنا الصالح، فقال لي: أين كنت؟ قلت له: عند الشيخ سيدي محمد الشرقي، وطلبتة كذا، والتزمت له كذا إن ظهر بها حمل على شهر، فقال لي: كل فطورك، وكان موجودا عنده، فحلفت له، لا أأكلت إلا إذا كملت لي في هذا الأمر فصاح، ثم قال لي: كملنا لها، فلم تمض خمسة عشر يوما إلا وقد أخبرتني بظهور حملها، ولما قدمت على الشيخ أخبرته بأمرها، وأن الله سبحانه يسر عليها من بركته وبركة الشيخ نفعنا الله بهما، فقال لي: تلك الصدقة جعلتها بعد وضعها أو عند ظهور حملها، فقلت له: يا سيدي عند ظهور حملها، فقال لي: إيتني بها، فأتيت بها إليه، ثم ولدت المرأة أربعة من الرجال، وأربعا من البنات ببركة الأشياخ رضوان الله عليهم، ونفعنا ببركاتهم، آمين".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا نفعنا الله به، قال لي: "كان بنزلة وران لسيدنا الصالح، رجل يقال له: الحاج الحسن من قبيلة آيت يوسي¹، وكان من أصحاب الشيوخ سيدي الحسن اليوسي، وقدم على الشيخ، وقبضه عنده، بلغ من الكبر كثيرا، بحيث

¹ آيت يوسي: هي اتحادية صغرى تشتمل على عدة قبائل تعيش حاليا في الأطلس المتوسط فيما بين أقصاى الشرفاء ومدينة صفرو على طول الطريق التي تربط فاس وتافيالنت. وقد كان اليوسيون ومازالوا يهيمنون على هاته الطريق التي تمر عبر بلادهم، وتحد بلادهم من ناحية الشمال بنواحي مدينة صفرو وبنهر ملوية من ناحية الجنوب وبلاد آيت مكيلد من ناحية الغرب، وبلدان بني وراين وآيت سغروشن وأولاد الحاج ملوية من ناحية الشرق. ينظر: الحسين البعاوي، مادة "آيت يوسي"، معلمة المغرب، 1426-2005، الجزء، (22)، ص: 7691-7692.

يشق عليه القيام، وعنده امرأة من الصحابة من بني شجدال، فخرج الشيخ نفعا الله به، مع الصالح الأجل سيدي محمد بن يوسف للنزلة المذكورة، فأخذا موزونة، وناولوا الحسن المذكور، وقالوا له: إن زاد عندك صبي فاجعل هذه الموزونة له، فاستبعد ذلك لكبر الرجل المذكور، ثم زاد عنده ولد وسماه عبد الله، وأعطاه تلك الموزونة التي أعطاهها له الشيخان المذكوران رضي الله عنهما، وظهر بذلك مصداق قولهما وما أشارا إليه، وله:

[الرجز]

يَا سَادَاتِي وَمَوَالِي	وَحَيَّرُ وَالِي وَالِي
مَالِي سِوَاكُمْ حُصُونٌ	مِنْ حَادِثَاتِ اللَّيَالِي
لَوْلَاكُمْ مَا تَلَأَشَى	وَبَادَ بَلْبَالُ بَالِي
أَنَا الْفَقِيرُ إِلَيْكُمْ	أَنَا غُبَارُ النَّعَالِ/216/
فَإِنْ رَضَيْتُمْ بِذُلِّي	وَفَاقَتِي فِي مَقَالِي
رَبِحْتُ رِبْحًا كَثِيرًا	وَنَلْتُ خَيْرَ مَنَالِي
وَإِنْ صَدَدْتُمْ وَذُدْتُمْ	فَمِنْ قَبِيحِ فِعَالِي
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ	فِي السَّهْلِ أَوْ فِي الْجِبَالِ
فَرَجَلُهُ فَوْقَ رَأْسِي	وَحُبُّهُ رَأْسُ مَالِي
فَقَابِلُوا بِقُبُولِ	وَحَسِبْنُوا سُوءَ حَالِي
وَعَيْرُ خَافٍ عَلَيْكُمْ	أَنِّي مِنَ الْخَيْرِ خَالِي
حَاشَاكُمْ أَنْ تَضُنُّوا	بِمَقْصِدِي مِنْ سُؤَالِي

وَفَيْضُكُمْ فِي أَرْذَىٰ أَدِيٍّ ۖ وَجُودُكُمْ فِي تَوَالٍ¹

ومن كراماته أيضا قدس الله روحه: ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطي، نفعنا الله به، قال لي: "كان رجل من أعيان قبيلة الحياينة²، وله تعلق بالشيخ، ويستغيث به كثيرا، ولم يره قط، ثم إنه نزل به أمر من ناحية سيدنا أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، وسجن في نواله بكبله، وعليه حرس، فضاق حاله من ذلك، ولازال يستغيث بالشيخ إلى أن وقف عليه، وقال له: غدا تسرح من سجنك أو نحو هذا. فمن الوقت الذي عينه له سقط الكبل من رجله، وخرج ولم يشعر به أحد من بركته نفعنا الله به، آمين."

ومن كراماته أدام الله النفع به: ما حدثني به سيدنا أيضا قدس الله سره، قال: "حدثني الفقيه السيد أحمد بن بوجماد العميري العلوي، وكان من أصحاب الشيخ الإمام العارف الهمام، سيدي أحمد بن ناصر، نفعنا الله به، وكان له بعض اتصال بأهل الأحكام لقضاء حوائجه، وكان الفقيه النبيه السيد أحمد أفروخ، كاتب الأمير في الوقت، وكان من جملة من له معرفة بالفقيه الأول، قال الفقيه الأول: كنت بعثت للكاتب المذكور وأمرته ببعث لي لأهل داري ما يجعله لأهل داره من اللباس، فبعث إلي حزاما حيريا، وعبروقا وشنبيرا، وبقيت بعد ذلك مدة ثم وردت على أبي الجعد بعض الكلف

¹ ذكر محمد العبدوني في كتابه يتيمة العقود الوسطى، ص: 58 (أ)، البيت الأول منها:

يَا سَادَاتِي وَمَوَالِي
وَخَيْرُ آلٍ وَوَالِي

² الحياينة: قبيلة تقع شرق وشمال شرق فاس وتخضع إداريا لعمالة إقليم تاونات، والمؤكد أن أولاد حيون أو حيان، أو الحياينة كما يعرفون اليوم، لم يرد ذكرهم قبل العصر السعدي، هذا العصر الذي عرف استقرار بعض القبائل بالمنطقة كالأشراقية وأولاد جامع، كما أن من المحتمل أن يكون الحياينة قد حلوا محل بني ومود الذين لم يبقوا معروفين بهذا الاسم اليوم.... ينظر: الحسين البعاوي، مادة "الحياينة"، معلمة المغرب، الجزء، (11)، ص:

3644-3645.

من ناحية خليفة الأمير بتادلة مولاي أحمد، فقدموا بسيدنا الصالح للقصة شفيعا، فأتيت لزيارته، ولما وصلت إليه، أخذت نلوذ به، وأقول له: يا سيدي نريد منك النصيحة، فتروع، ثم لما رأني أقبل منه ذلك، قال لي: أي نصيحة تكون لمن يبعث لفلان، ويقول له: ابعث لي لأولادي مثل حوائج دارك، فعلمت حينئذ أنه نفعنا الله به، كاشف على ما صدرمني في الزمان الماضي، ورجعت على نفسي بالملامة."

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله أسراره، وأشرك في سماء المعالي أنواره، وأمرني بتلقيه من الفقيه المرابط الأصيل، السيد محمد الشريف حفيد الولي الكامل، سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، قال لي المرابط المذكور: "كان الحاج عيسى صاحب سيدنا الصالح نازلا بنزلة وراة المنسوبة للشيخ سيدنا الصالح، وكان اجتمع عليه خلق كثير فروا من قبائلهم من التكاليف المخزنية، ثم إن أشياخ القبائل اشتكوا على الشريف الأجل مولانا أحمد الذي كان خليفة بالقصة التبادلية بذلك، وبعث معهم القائد موسى الجراري، يمكن كل واحد من الخراج لإخوانه، ومن جملة الأشياخ القادمين/217/ معه الشيخ مبارك بن المفضل المعداني، فلما وصلوا للمنزل المذكور، قبضوا جماعة من الناس النازلين حوله، فوصل الخبر بذلك للشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به، فبعث صاحبه الفقير بلعيد العوني لهم على ذلك، فلما وصل إليهم بأمر الشيخ، قال له القائد موسى: السمع والطاعة لأمر سيدنا الصالح، وقال له الشيخ مبارك المذكور: إن كان واحد أو اثنان من أصحاب الشيخ فعلى بركة الله، وأما الجميع فلا، فقال له القائد موسى: لا حاجة لنا بأصحاب الشيخ سيدنا الصالح، فقال له الشيخ مبارك: بينوا لنا أصحاب السلطان من أصحاب سيدي الصالح، فرجع الفقير بلعيد لسيدنا الصالح، فوجده ببابه المعد لجلوسه، وبين يديه السيد محمد الشريف المنقول عنه، وولد الشيخ سيدي العربي بن سيدنا الصالح برد الله ضريحه، وهما يقرآن

البردة بين يدي الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، فلما وصلا لقول الشيخ في البردة، أقسمت بالقمر المنشق إلى آخره، أشار إليهما الشيخ بالسكوت، فسكتا، ثم قال للفقير بلعيد: ما فعلت فأخبره بمقالة الشيخ مبارك وبمقالة القائد موسى، فأمرهما بالقراءة، فلما وصلا لقول صاحب البردة:

[البسيط]

بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُهْدِمٍ¹

أشار الشيخ لهم بالسكوت، فسكتا ثم رفع رأسه للفقير بلعيد، وسأله ما فعل، فأعاد مقالة القائد موسى، ومقالة الشيخ مبارك المذكورة سابقا، فأخذ الشيخ يحزبه اليسرى بيده اليمنى ويقول: والله لأذبحنه غدا. فمن الغد وقف الشيخ المذكور أمام الشريف مولانا أحمد بقصبة تادلة، فأمر بجره، ثم قال: اذبحوه، فذبحوه من حينه، وعلم أن ذلك من بركة الشيخ وإشارته في اليوم الذي قبله نفعنا الله ببركاته، وغمرنا بسحائب رحماته. آمين يا رب العالمين."

قلت: ومن معنى ما سبق من غارة الله على أوليائه، وأحظيائه، وأصفيائه، ما حكي "أنه تخاصم خادم الشيخ المشهور أبي الغيث، وغلّام السلطان، فضرب غلام الشيخ، غلام السلطان، فبلغ ذلك السلطان، فأمر بخادم الشيخ، فقتل، فبلغ ذلك الشيخ أبا الغيث، فأطرق رأسه ساعة، ثم قال: ما لي وللحراسة أنا أنزل من المشبّاب، واترك الزرع، فقتل السلطان في ذلك الوقت، فجاء ولده الملك المظفر رحمه الله إلى الشيخ المذكور مستغفرا، ونعله على رأسه أو قال: في عنقه، فقال له الشيخ: ما تريد؟، قال: الملّك، قال: وَلَيْتُكَ المشبّاب المذكور بالميم المكسورة، ثم الشين المعجمة ثم الباء الموحدة

¹ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: البوصيري، بردة المديح، ص: 17.

مكررة قبل الألف، وبعدها يعني به مكانا عاليا من خشب منصوبة فوقها عريش يجلس عليه حارس الزرع، قال صاحب الحكاية، ذكر: وبلغني أن بعض أئمة الأشراف استولى على جبال اليمن، ثم أراد النزول إلى تهامتها، فكتب الشيخ أبو الغيث المذكور المشهور، إلى الولي الكبير الفقيه الصالح ذي المناقب والمفاخر، والكرامات الظواهر محمد بن إسماعيل/218/ الحضرمي، يقول له: قد عزمت على النقلة من بلاد اليمن من أجل ظهور الفتن، فهل لك أن توافقني على ذلك، فكتب إليه الفقيه محمد كتابا يذكر فيه كثرة أهله وقربته، وأن النقلة بهم تشق عليه ولا يمكنه ينتقل ويتركهم، ولكن عليك بحماية جهتك، وأنا أحمي جهتي، فلما بلغ أبا الغيث قوله هذا، قال: نعم، فقتل الإمام المذكور، أو مات في الحال رضي الله عنهما¹. فانظر رحمك الله إلى هذه التصرفات الباهرة، والآيات القاهرة، لأن الله سبحانه صرفهم في مملكته، وجعلهم خلفاء في أرضه وبسيطته، ويسر لهم الأمور، على ممر الأيام والدهور، وقمع بهم الأشرار والجبابرة، ومنح لهم المواهب والأسرار الطاهرة، وشفى بهم العلل والأسقام، وصقل بهم مرآة القلوب من غياهب الشكوك والأوهام، ونفعنا الله ببركاتهم، وأرشدنا بهدائيتهم، آمين يا رب العالمين. وللشيخ الإمام العارف الهمام، الولي الصالح، سيدنا ومولانا أبي محمد المدعو بالصالح في الانتصار بالأولياء، وطلب المدد من الكاملين الأتقياء، لأنهم باب الله المفتوح للدخول، لمن أراد القرب من مولاه والوصول هذه الأبيات:

[الوافر]

أَيَا مَنْ مَاتَ حَوْلَ الْبَيْتِ شَوْقًا وَيَا مَنْ سَاخَ مِنْ فَرْطِ الْهُيَامِ

¹ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السابعة والأربعون بعد الأربعمئة)، ص: 204.

وَيَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ نَجْدٍ وَسُكَّانَ الْبَقِيعِ مَعَ الْمَقَامِ
وَيَا أَهْلَ الْمَغَازِي يَا لَبَدْرٍ وَأَهْلَ الْقُدْسِ شَيْخِ أَوْ غُلَامِ
وَأَهْلَ الْوَقْتِ يَاذَا الْغَارِ يَا مَنْ تَفَرَّدَ لِلْعِبَادَةِ وَالصِّيَامِ
وَيَا قُطْبَ الْمَعَالِي أَبَا عُبَيْدٍ وَنَجَلَ الْعَارِفِ الْأَتَقَى الْهَمَامِ
أَجِيبُوا دَعْوَةَ الدَّاعِي سَرِيعاً بِحَقِّ الْمُصْطَفَى بَدْرِ التَّمَامِ
وَمُدُّوا عَبْدَكُمْ مَدِّاً قَوِيّاً وَرَقُّوا لَهُ أَيَا جَمْعِ الْكِرَامِ
لَقَدْ ضَيَّعْتُ فِي الْعِصْيَانِ عُمْرِي وَمَا حَزَمْتُ مِنْ خَوْفٍ مَنَامِي
وَقَلْبِي لَمْ يَزَلْ قَاسٍ وَنَفْسِي رَمْتَنِي فِي بَحَارٍ مِنْ ظَلَامِ
وَعَزَّتْ¹ حِيلِي لِكَيْي أَشْكُو² إِلَيْكُمْ مَا بَدَأَ بِي مِنْ أُوَامِ
وَأَرْجُو³ سَادَتِي مِنْكُمْ أَمَاناً يُؤَمِّنُنِي غَدَاً يَوْمَ الرِّحَامِ
وَلَمْ لَا أَرْتَجِي هَذَا وَأَنْتُمْ سُقَاةُ الظَّامِئِينَ مَدَى الدَّوَامِ⁴

ومن كراماته نفع الله به العباد، بما لا يزال من الخيرات على توالي الجديدين في ازدياد: ما حدثني به سيدنا الإمام، وشيخنا الهمام، سيدنا المعطى، لازال بابا مفتوحا للأسرار والعطا، ومزيلا عن القلوب الحجب والغطا، قال لي: "كنت في أول أمري بيدي ثلاثون مثقالا وأعطيتها/219/ لرجل من بني شجدال، سماه ليتجربها، فاشتري بها أثوابا وبعثها لمدينة فاس، يبيعها، ولم أعلم الشيخ بذلك، فكنت معه في بعض الأيام في بعض الغرف، وليس معنا أحد، فقال لي: اجلس تقرأ حُمارة الحساب. وأخذنا في قراءتها، ثم

¹ في النسخة (د) : "وقلت".

² في الأصل: "أشكوا". وقد صححناها.

³ في الأصل: "أرجوا". وقد صححناها.

⁴ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: العباس بن إبراهيم، الإعلام، ج10/343.

أخذته سنة، ثم قال لي نفعنا الله به، كما إذا كانت عندك ثلاثون مثقالا، وأعطيتها لمن يتجر بها، الله يسلمها ويردها على خير ولم يزد، فعلمت أنه يشير إلى تلك الدراهم التي كانت عند ذلك الرجل".

ومن كراماته وأرضاه، وجعلنا ممن دخل حصنه الحصين وحماه: ما حدثني به سيدنا أيضا نفعنا الله به، قال: "كنت مريضا نحووا من ستة أشهر، فدخل على الفقيه السيد علي العوني، صاحب الوالد نفعنا الله به، فقال لي: سألني الشيخ عنك، هل قلت لي شيئا؟ وهل أوصيت بشيء؟، فقلت: ما يريد الشيخ بسؤاله، الدنيا لا تعلق له بها، ثم بعد ذلك دخل علي الشيخ، فقلت له: يا سيدي لي كذا وكذا من المال عند فلان يتجر به، فقال لي نفعنا الله به، قل له: يعطيه لك حتى تنظر، وفهمت منه أن الرجل في قلبه شيء، فبعثتُ إلى ذلك الرجل يأتيني بالمال، فأنكر إنكارا كلياً وصدر منه كلام لا يناسب، ولم أقبض منه رأس مالي وحده إلا بمشقة عظيمة، فعلمت ما أشار له الشيخ نفعنا الله به،" ومما وجد بخطه وأرضاه، وجعل في أعالي الفراديس قراره ومثواه، الإغاثة ثلاثا.

[الخفيف]

يَا رَجَالَ الْإِلَهِ يَا أَحْرَارُ	نَحْنُ خُلُجَانُكُمْ وَأَنْتُمْ بِحَارُ
إِنَّمَا تَحْسُنُ الْمُوَاسَاةَ فِي الشَّدَةِ	لَا حِينَ تَرُخُّصُ الْأَسْعَارُ
فَارْحَمُونَا وَأَبْدِلُوا الْعُسْرَ يُسْرًا	فَلَكُمْ تَنْتَبِي الْعَطَايَا الْغِرَارُ
وَلَكُمْ تُبْسَطُ الْأَكْفُ فَتَحْظَى	بِمَنَاهَا مَهْمَا اعْتَرَاهَا اضْطِرَارُ
وَبِكُمْ يُجَبَّرُ الْكَسِيرُ إِذَا مَا	نَالَهُ إِذْ سَطَا الزَّمَانُ انْكِسَارُ
وَبِكُمْ يَسْتَعِيثُ فِي الْكَرْبِ مَلْهُوفٌ	إِذَا مَا الْعُدَاةُ عَادُوا وَجَارُوا
فَانْهَضُوا نَهْضَةَ الْكِرَامِ وَصُولُوا	فَلَكُمْ نُصْرَةَ الْكَيْبِ شِعَارُ
بِالنَّبِيِّ الصَّفِيِّ حَيْرِ الْبَرَايَا	سَيِّدِ الرُّسْلِ مَنْ عَلَيْهِ الْمَدَارُ

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الفقيه الأجل، الدين الخير الأمثل، محبنا في الله عز وجل، سيدي أحمد الفتوح، رحمه الله، قال: "أخبرني الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، أنه رأى رؤيا في صغره وقصها على والده الولي العارف الجليل سيدنا محمد المعطى في حياته، وذلك أنه، قال: كنت نائما، فرأيت الشيخ أبا العباس السبتي جاء راكبا على فرس عال مع جماعته من الصالحين، وهو في وسطهم كالمنار من شدة علوه، فقال لي: قل: لوالدك يتكلم/220/ إلى الملك، وفتح تكة سروالي، وأخذ يوسعها حتى صارت مقدار الدنيا كلها، وقال لي: هنالك درجة لا تنال إلا بالبلاء، فلما قصصتها على والدي، قال: نعم يا ولدي نتكلم إلى الملك فأخذ في التجهيز، وعمل على أهبة السفر إلى مراکش حرسها الله، وأخذ كفنه معه، فمات في تلك السفارة رحمة الله عليه، ودفن بباب الدباغ، وقبره بها معروف، وبدفع الأسقام مشهور مألوف. وقد كان، بعث في حياته للشيخ البركة، المقتدى به في السكون والحركة، سيدي محمد بن ناصر الدرعي، يسأله أن يبعث له كفنا سنيا لنفسه، يعده ليوم حلوله في رمسه، فبعث له الشيخ ثوب إحرامه، مبالغة في تعظيمه وإكرامه، وقال له نفعنا الله به: كنت اذخرته لنفسي وأنا آثرتك به عليها، وبه كفن ، ثم بعد وفاته ظهرت على ولده المذكور الأغر المبرور، صاحب الرؤية أعلاه، أشرق الله في سماء المعالي أقماره وسناه، أسرار الخصوصية، ولأزال والحمد لله يترقى في درجات المحبوبة، إلى أن ظهرت عليه، آخر عمره إشارة العارف الكبير، والعلم الشهير، سيدي أبي العباس السبتي المذكورة أولا، فنزلت بجسمه الكريم علل كثيرة، هي بفضل الله بنيل الدرجات كفيلة، تزيد على الخمسين مع الصبر والرضى، والتسليم لحكم من بيده الأمر والقضا. وله في ذلك قصيدة رائعة المعنى، بليغة الألفاظ والأسلوب والمبنى، موريا فيها بعلة وأسقامه، وعوارض جسمه وآلامه، عظم الله له بذلك

الأجور، وجعله غيثا نافعا للعباد على ممر الأيام والدهور، تأتي إن شاء الله تعالى في فضل ذكر قصائده وفوائده وفرائده.

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أدام الله سيادته، وعافيته، ومجادته، قال: "مرض شريف، وهو أخو الشريف مولاي عبد الرحمان، القاطن ببلاد بني مسكين، إلى أن أشرف على الموت، فوقف عليه الشيخ سيدنا الصالح، وقال له: لا تخف فإنك من ولد فاطمة الزهراء."

ومن كراماته قدس الله سره: ما حدثني به أيضا سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى أدام الله وجوده، قال: "كان ولد لعننا المرابط الجليل الدين الخير الناسك الأثيل، سيدي أحمد بن سيدنا المعطى نفعنا الله به، قضى الله عليه أن ضرب صبيا بحجر في جبهته، فجرحه جرحا خفيفا، وتروع الناس منه من ناحية من له الأحكام بالقصة التادلية، ثم إنني كنت نائما ليلا في مصرية، فسمعت بكاء، فتروعت منه خوفا أن يكون زاد على الصبي شيء؛ لأنه بالقرب من دارنا بحيث نسمع صوت البكاء من عندهم، فخرجت ليلا أطلب خبر البكاء، فلما خرجت وجدت الشيخ سيدنا الصالح، خارجا وبيده كتاب "دلائل الخيرات"، فقال لي: أين تريد؟ فقلت/221/له: يا سيدي سمعت بكاء روعني من أجل الصبي المجروح، وخرجت أنظر خبره، فقال لي نفعنا الله به: أتاني رجل وأخبرني بأنه يموت، وقال لي: أخرج واجلس، يعني: من البلاد. فعلمت أن الصبي يموت من جرحه لمقالة الشيخ، ثم مات بعد ذلك، فقبض ولد عمنا عند الشريف الأجل مولانا أحمد بالقصة، وسجن بها، ولأزال الشيخ نفعنا الله به يرددني في أمره للقصة، بقصد الشفاعة فيه، وكانت الأحكام شديدة، وأمر الروح عظيم لا بد في نصابها من مائة وعشرة مثاقيل إلى أن سلك الله الأمر بخير من بركته نفعنا الله به."

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به سيدنا أيضا أشرق الله أنواره، وأدام أسراره، قال: "قدم لقصبة تادلة طالب يدعي أنه يختطف الدراهم من الهواء، ويسحر الناس بذلك فلقي بها رجلا، وأظهر له أنه يختطف الدراهم من الهواء، ويعطيها للرجل وينفق منها، ثم سأله الطالب، هل عندك دراهم؟ فقال له الرجل: عندي نحو العشرة مثاقيل، فقال له الطالب: أعطيك شيئا واجعله فيها ترجع لك خمسة عشر مثقالا أو أكثر ثم أعطاه شيئا، وقال له: اجعله في دارهمك واتركه يوما ويومين، ثم انظر إلى دراهمك تجدها زائدة، ففعل الرجل ما أمره به الطالب، ثم بعد يومين نظر إلى موضع الدراهم، فلم يجد شيئا إلا شيئا من أوراث الدواب، فطلب الطالب، فلم يجده. ثم قدم الطالب لأبي الجعد، فأتى لرجل خراز الجديد مع الفقير علي بن عامر في حانوت، فأعطاه في بلغة ست موزونات، فمنعه منها، ثم إن الطالب مد يده للهواء، وخطف دراهم ومدها له، وقال له: خذ في بلغتك. فوجد الرجل ثلاث أواق، فلما رأى صاحب البلغة ما فعل الرجل، قال له: مثلك يأخذها بلا شيء، ثم إن الطالب صار يفرق الدراهم على الحاضرين فأعطى للفقير علي بن عامر موزونتين وتعجب الناس من ذلك، فقدم الفقير علي بن عامر بالموزونتين بيده للشيخ سيدنا الصالح، وأراهما له وأخبره بأمر صاحبهما، فقال له الشيخ نفعنا الله به: ردهما له فإنه يريد أن يأخذ لك عشرة مثاقيل بهما أو أكثر فردهما الفقير علي له. ثم بعد أيام قدم صاحب الدراهم التي كان جليها بقصبة تادلة يطلبه فلما رآه فر الطالب من البلد، وأخبر الرجل بما فعل الطالب له، وظهر بذلك مصداق ما أشار له الشيخ نفعنا الله به لأخينا علي بن عامر حيث حذره منه وأمره برد الدراهم له".

ومن كراماته: ما حدثني به شيخنا وملاذنا، ومن على الله ثم عليه اعتمادنا، سيدنا المعطى، قال: "كان أحد الفقراء لاذ بالشيخ يقدم معه ليتزوج امرأة من عند أولاد البركة

سيدي الغزواني، فقدم معه الشيخ والفقير سيدي محمد بن يوسف/222/فتلقاه أخو الزوجة بكلام لا يناسب مقام الشيخ، ولم يراع الأدب معه، وتخرج الأخ كثيراً، فقال له الشيخ نفعنا الله به: قم تتوضأ، فازداد في سوء الأدب، وقال له: أنا على وضوء. فلاطفه الشيخ، وقال له: إنما أردت تتوضأ بالماء لتسكن من غضبك، وغطى مراده بكلامه، حيث رآه بعد عن الصواب، وتلك عادته تغطي ما صدر منه من الأسرار والمواهب والأنوار. ومراده: إنه على غير طهارة؛ ولذلك أمره بالوضوء الشامل للحدث الأكبر، فرجع الشيخ ومن معه، ثم إن الفقير سارَّ بعض أصحابه، وقال: إني كنت على غير طهارة في وقت أمر سيدنا الصالح لي بالوضوء، وأنكرته في ذلك، واعترف بصدق فراسته، ولكن لم يوفق وليتوصل بسوء أدبه لإذايته. ثم إن الرجل المذكور لم يبق بعد ذلك إلا نحو اليومين أو الثلاثة، فركب على فرس له، وخرج نحو الرحبة المعلومة، فحركه، فسقط عنه وانكسرت رقبته ومات من ذلك، فعلم الناس أن ما أصابه من ذلك من سوء أدبه مع الشيخ رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا ممن شمله دعاؤه الصالح ورضاه، وأجارنا من التعرض لعباد الله الصالحين والأولياء العارفين، وجعلنا ممن يعظمهم في جميع الأحوال، ووفقنا ببركاتهم في الأقوال والأفعال، لما يرضي مولانا الكبير المتعال، أمين".

ومما وجدته مقيدا بخط الشيخ، الهمام الصالح العارف الإمام، الولي الناصح، سيدنا ومولانا أبي محمد المدعو بالصالح، نفعنا الله به، هذا الدعاء الجليل القدر العظيم الخطر، ونص ما وجدته: : بسم الله الرحمن الرحيم، هذا دعاء مبارك، روي عن علي بن أبي طالب، قال فيه: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإن أردت فضائله مطولة، فانظر ما في الجوزي، وهو هذا: اللهم إني أسألك يا

عليم¹ الخفية، يامن السماء بقدرته مبينة، والأرض بعزته مدحِيَّة، يامن الشمس والقمر بنور جلاله مضيئة، يا مقبلا على كل نفس مؤمنة زكية، يا مسكن رعب أهل الخوف والتقية، يا من حوائج المومنين عنده مقضية، يا من نجى يوسف من الرق والعبودية، يا من ليس له بواب ينادي، ولا صاحب يرشى، ولا وزير يؤتى، ولا رب غيره يدعى، ولا يزداد على كثرة الحوائج إلا جودا وكرما، أسألك أن تصلي على سيدنا محمد وآله وأن تغفر لي إنك أنت أرحم الراحمين، وأن تعطيني سؤلي، وتتوب علي، وتختتم لي بخاتمة الدنيا والآخرة، أمين يا رب العالمين، إنك على كل شيء قدير". انتهى.

ومن خط سيدنا المذكور ما نصه: "الحمد لله"، ومن خط الشريف مولاي محمد بن عبد الكريم الشريف الحسيني، ما نصه: "حكي عن الحجاج، أنه أمر بإحضار الحسن البصري ليقتله، فلما دخل عليه حرك شفتيه، فلما/223/ رآه الحجاج أدناه، وقرب مجلسه، ثم خرج من عنده سالما فتبعه الحاجب، وقال له: "يا أبا سعيد، ماذا قلت حين دخلت على الملك، قال: قلت: يا صاحبي عند شدتي، ويا غياثي عند كربتي، ويا ولي عند نعمتي، ويا إلهي وإلاه آبائي من قبلي إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، ويا كهيعص، ويا رب طه، ويس، والقرآن الحكيم، اكفني أذاه ومَعْرَتَه، وارزقني معروفه ومودته، فكان الذي رأيت". انتهى. وللشيخ سيدنا الصالح المذكور، هذه الأبيات التي يحسن الدعاء بها مدى الأيام والدهور:

[المجتث]

يَا رَبِّ كُنْ لِي مُجِيرًا مِّنَ الْخُطُوبِ الْمَلَمَّةِ
بِحَقِّ كُلِّ تَقِيٍّ بِالْبَيْتِ طَافَ وَأَمَّهُ

¹ في النسخة (د): "يا عظيم".

وله أيضا نفعنا الله به على الدوام، ورزقنا بركته على ممر الليالي والأيام:

[المجزوء الرمل]

عَوَّدْتَنِي الْجِلْمَ مَنَّا مِنْكَ وَإِنْ كُنْتُ عَاصٍ
يَا رَبِّ كُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِصَاصِ

وله:

[الرجز]

يَا رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أَسْتَوْجِبُ النَّارَ مِنْهُ
فَأْمُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ وَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ

وله:

[مجزوء الكامل]

ذَنْبِي عَظِيمٌ وَظَيِّي يَا رَبِّ فِيكَ جَمِيلٌ
فَأْمُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ فَمَا إِلَيْكَ مَثِيلٌ
إِذْ أَنْتَ رَبُّ كَرِيمٌ وَرَوْوْفٌ وَجَلِيلٌ

ومن كراماته قدس الله سره، وأشاع في المملأ الأعلى ذكره، ما حدثني به المرابط الأبرّ، الأرضى الأغرسيدي عبد الخالق بن سيدنا المعطى، قال: "كنت بوادي أم الربيع في وقت المصيف، وبعثت بعض أصحابي للعزيب، ومن الغد تبعته أنا والمعلم الدليبي وأخبرونا بأن العزيب بين السواقي من الغابة قرب سيدي محمد النفاتي، فوصلنا لذلك المحل، فوجدنا العزيب قد ارتحل، فسألنا عن محل نزوله، فقالوا: نزل بسيدي سعدون، فبتنا إلى أن قرب الصباح، فركبنا وسرنا فوصلنا لسيدي سعدون، وقد اشتد الحر، ولحقنا العطش، فطلبنا العزيب فما وجدنا له أثرا ولا وجدنا هنالك أنيسا ولا من

نسأله، فطلبنا هنالك آلة لمناولة الماء من البير، فلم نجد شيئاً، واشتد بنا العطش، وخفنا على أنفسنا الهلاك، فقلت لمن معي: ليس هنا من نسأل عن العزيب، وقد اشتد بنا العطش، وعظم حر النهار، فلم يبق لنا إلا أن نذهب لأولاد عريف لدوار أحمد بن الحسن لنقل به، ونتوصل هنالك لأخبار العزيب فسرنا إليه، ثم قلت في نفسي: سيدي الصالح يغيث من لاذ به، وأنا ولده، فناديته، فإذا بفارس أمامنا على فرس أنثى حمراء اللون، فطلبناه نسأله، فلم ندركه، ثم غرت إليه كثيراً، وهو يسير، فلم أدركه مع قربه مني إلى أن وقفت من التعب، ولحقتي صاحبي، فقال لي: ما قال لك الرجل؟ فقلت له: لم أسأله لأنني لم أدركه، فقال لي: رأيته معي، فقلت له: لم أدركه، مع شدة طلبي له، وإسراع فرسي في اتباعه، لكن نتبعه لعله يرشدنا إلى العمارة، فتبعناه قليلاً ثم رأينا غنماً، فطلبنا الفارس فما وجدناه، ولا /224/ علمنا أين ذهب، ثم سرنا للغنم، فإذا هي غنم عزيبنا الذي كنا نطلبه، فسألنا أصحاب الغنم عن الفارس، فقالوا لنا: ما رأينا أحداً، فعلمنا عند ذلك أنه الشيخ سيدنا الصالح أرشدنا الطريق حين استغثنا به في ذلك نفعنا الله به ما هي بأول بركته، ولا يستغرب ذلك بالنسبة لسيادته وعلو مرتبته، فقد ظهرت له الخوارق العظام، وأغاث في الشدائد الجم الغفير من الأنام، وشهد بفضلته وصلاحه الخواص والعوام، ونوهت بعلي قدره العلماء الأعلام، وأرباب المعارف والعوارف على ممر الدهور والأعوام.

ومما خاطبه به الصالح الإمام، القدوة الهمام، سيدي عبد الوهاب بن الشيخ في بعض مكاتبتة، مع تليفه معه في مخاطبته، ما نصه: "الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، وسلم أسنى سلام وأسماء، وأطيبه وأنماه، وتحية معطرة الأذيال، تُزري بشذى مجالس الأقيال، يعارضان عنبر السحر، ويفوق نسجها حُلَّ حلال السحر، ويجران ذبولهما بأطيب وأشرف ناد، جامعا لأكرم منادي، وبأشرف مناد شذى

تقواه فائح، ونور هداه لائح، لا تخطر به غواية، ولا يحصره ذو عماية، ولا يخبط خبط عشواء، ولا ترسل به الغارة الشعواء، إذ قد أسس بنيانه على تقوى، وأيد بتوفيق من ذي الحول والقوى، وكيف لا، وصدرة وإمامه، وقطبه الذي عليه نظامه، رباني لا يجارى، رحماني لا يبارى، قد مزج بالحقيقة الشرعية، واتخذ الكل وصلة إلى الحضرة الإلهية وذريعة، فانتعل السماكين بنعليه، وعاد والأنوار الربانية تلوح عليه، وما لا يُكَيَّفُ من الرضوان الإلهي واصل إليه، ليس بدعا في ذلك، ولا بادئا في تلك المسالك، بل سالكا سبيل أسلافه، أخذنا من طريقهم الجميل بجميع أطرافه، قد صدقَ معناه¹، لأنه صالح منه ما فعله وقاله، فمن شيمه الجميلة التي لا تطاق، ويضيق بها من كل سواه النطاق، ويعجز دونها الجهابذة السباق، أنه ناصر² لكل من لاذ به بعين الرحمة، دافع عنه بحول الله كل يوسى ونقمة، حاملا بحول الله وإذنه ما على ظهره من الأثقال، ملاحظا له حالي السكون والانتقال، لا يغادر من أمر دنياه شيئا إلا واعاه³، ولا من أخراه شيئا أمرا إلا حفظه ووعاه، كما هو شأن أرباب الطريق، الذين هم خير حزب وأكرم فريق، فوجب علينا لذلك إعلامه، أن ليل المصائب تراكمت أظلامه، إذ قد أثقلت منا الأوزار الظهور، وأحاطت الديون بنا إحاطة القبر المقبور، فتكدرت أحوالنا نعوذ بالله دنيا وأخرى، وصار عيشنا بعد الحلاوة مرا، وحالنا كحال من أحكم بيد العدو أسرى، فليعاملنا سيدي بحاله، ويجعلنا بفضلته من جملة الحاضرين بباله، ولا تنسانا من صالح الدعاء، أن نجعل بعد ما نحن فيه لكل خير/225/ وعاء، ويسلم على سيدنا ولدنا محمد، طالبا منه الدعاء في أوقات الإجابة، كما نطلب ذلك لجميع إخوانه، وكل ذي

¹ في النسختين (ج) و(د): "فاله"

² في النسختين (ج) و(د): "ناصر".

³ في النسختين (ج) و(د): "رعاه".

قراءة، والسلام. مُقْبِلٌ حَاشِيَةٌ بِسَاطِكُمْ، بل ثرى أقدامكم، عبد الوهاب بن الشيخ، كان الله للجميع، وشفاه سيده من كل داء وجيع، والله ذر من قال:

[الطويل]

أَتَقَدِّحُ فِيمَنْ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَمَا زَالَ مَخْصُوصاً بِهِ طَيِّبُ الثَّنَا
رِجَالٌ لَهُمْ سِرٌّ مَعَ اللَّهِ صَادِقٌ فَلَا أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ وَلَا أَنَا¹

ومن كراماته نفعنا الله به: ما حدثني به الفقيه النزيه محبنا في الله السيد محمد بن عبد الكريم العبدوني، وقيده لي بخطه، قال: "ومن كرائمه ما وقع للفقير عبَّاد السهلي الديكي، حدثني بنفسه أنه كان رحمه الله في عنفوان شبابه حائداً عن الطريق مشتغلاً باتباع الأهواء، وبما لا يعنيه مع الله من كثرة المخالفة والخوض فيما لا يليق حتى جذبته الشيخ إلى الله، وحبب له الطاعة، حتى صارت له أنفوس متجربو بضاعة، وسبب توبته على ما حدثني بنفسه أنه استسلف من بعض أصحاب الشيخ وهو الفقير محمد المراكشي دراهم، وكان خديماً للشيخ، وكانت حانوته معمرة بالفاكهة بالسوق، فكان الشيخ نفعنا الله به، يأخذ منها كل ما يخص الزاوية بالنهار من الفاكهة، وكان قدر ما استسلفه الفقير عباد نحو العشرين أوقية، وحلف له حتى يأتي له بها، وقت كذا. ثم إنه ما طله ولم يأت به بشيء، فذكر أمره إلى الشيخ، فقال له: أرصده حتى تراه هنا، وادعه لي، فرصده حتى رآه ودعاه إلى الشيخ، قال: فلما أتيت معه إلى الشيخ وجدته واقفا بباب

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر، بيروت، 1383هـ-1964م، ص: 344. وبهاء الدين زهير هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلب، المعروف بهاء الدين، ينتهي بنسبه إلى المهلب بن أبي صفرة، ولد بمكة أو بوادي نخلة، سنة 581هـ. ولما شب توجه إلى مصر واتصل بالسلطان الملك الصالح، نجم الدين أبي الفتح أيوب ابن الملك الكامل، وكان موصوفاً بدماثة الأخلاق وكرم النفس ولطف العشرة. توفي سنة 656هـ، ترجمته في: ديوان بهاء الدين زهير، ص، ص: 5-10.

داره الكبير ينتظرني، فلما رأني قدم رجلا وآخر أخرى، وسحق نابه كالفحل من الإبل الهائج حتى سمعته وسمعه كل من حضر هناك، وأخذتني رعدة عظيمة حتى كان يسمع لأسناني صعقة من شدتها، ثم قال لي: يا عباد مالك لم تخلص فلانا؟، فقلت له: يا سيدي أخلصه، فقال: ومتى؟ فقلت له: يا سيدي حتى نصل إلى خيمتي، ونأتي له بمتاعه، فقال الشيخ لرب الدَّين: يا فلان، وسع عليه، حتى يأتي لك بمتاعك، وقال لي: اذهب حتى تأتي له بمتاعه، فحلفت في نفسي بالحرام يا أبا الجعد عمري لا رجعت لك، مادام الصالح بن المعطى فيك، قال: فأنا سائر، وأنا أسمع ترجع إن شاء الله من غير اختيارك، قال: فلما وصلت إلى خيمتي، بقيت متحيرا، ولم يهنا لي مقام حتى دعاني بعض المرابطين إلى وليمة، لأنني كنت من أصحاب الصنعة، فلما حضرتها وجدت رب الدين ينتظرني فدعاني أيضا إلى الشيخ فتبعته، فقال لي: خلص هذا الرجل، فقلت له: يا سيدي نخلصه، فقال له: يا فلان بيته الليلة وضيغه ضيافة مخزنية، واشتر/226/ له اللحم الغني والإبزار، واشتر له طابة البرزيل والحشيشة، ولا تترك له شيئا من شروطه، فقال له الرجل: يا سيدي بيته في الفندق، ونوصل له كلَّ ما¹ قلت، فقال له الشيخ: بيته على فراشك، وأكرم ضيافته، قال عباد: ففعل لي كلما² قال الشيخ، وعند الصباح أصبحنا عند الشيخ، فقال لي: وهل فطرته؟ فقال: يا سيدي، لا. فقال له: فطره ونتكلم معه، فلما فطرنا، قال لي الشيخ: خلصه يا فلان، فقلت له: يا سيدي نخلصه إن شاء الله، إلا أني طلبته يؤجل لي حتى نبيع زرعنا للبرابر ونخلصه، فقال له الشيخ: وسع عليه حتى يخلصك، ومشيت على أني لا أرجع أيضا، فما مكثنا أياما قليلة حتى قضى الله

¹ في الأصل: "كلما". وقد صححناها.

² في الأصل: "كلما". وقد صححناها.

على إخواننا بقتل بعض الناس، وهو من أقاربي، فقدموا للشيخ يأتون به ليعتق لهم تلك الروح، فقالوا لي: يا فلان هذا دمك، فاقدم معنا، فقدمت معهم إلى الشيخ، فقدم معنا، وقال لي: خذ بركابي ولا تبعد مني، فلما وصلنا إلى وادي أبي جرّوم ركب الشيخ بالوادي ليتوضأ، ونزع سراويله وأعطاها لي نقبضها له حتى يتوضأ، فقبضتها، وبقيت جالسا حتى توضأ الشيخ، وطلع إلي، وقبض السراويل من يدي ووضع أصابعه على رأسي وركبني بيده إلى الأرض، فغبت عن الوجود من ذلك الوقت، وذهب وتركني ملقى على الأرض، وركب وتبعه أصحابه، ولم يشعروا بأمرى، حتى وصل الشيخ إلى وادي ويران، فالتفت خلفه، وقال: وأين عباد؟ فقال له أصحابه: يا سيدي عهدنا به إلى وادي أبي جرّوم، فقال لهم: فتشوا عليه، فرجعوا يفتشون علي، فوجدوني في ذلك الموضع ملقى غائبا على الوجود، وتلك العفونات التي كنت أستعملها خارجة من في كالساقية سوداء مثل الدم أو القطران، حتى وصل ذلك إلى الوادي، وكنت غير قريب منه، فجلسوا عند رأسي، واشتغلوا يوقظونني حتى انتهت مثل السكران، فأخذ أحدهما بيدي اليمنى، والآخر بيدي اليسرى، وذهبوا بي يجرونني حتى وصلنا إلى الشيخ، فوجدناه في سيدي محمد البصير¹، فقال لي: عباد، ما وقع بك؟ فقلت له: يا سيدي من حين أخذت من عندي السراويل، وقبضت بيدك على جبتي وركبني إلى الأرض، وأنا غائب عن الوجود، فما شعرت بشيء إلى الآن، وإن رأسي فيه مثل المزامير والطبول ومطارق الحدادين، فقال لي الشيخ: الله

¹ أبو محمد البصير يعرف بقبيلة اسماعلة (بني شجدال) بسيدي محمد البصير توفي باويرات (آيت ويرا) حيث كانوا في المنطقة المعروفة اليوم باسماعلة قبل أن ترحل منهم فرقة تقطن بالقصيبة تحمل اسم آيت ويرا إلى اليوم. وأشار العبدوني في يتيمية العقود الوسطى أن قبر سيدي محمد البصير بقي مجهولا إلى أن أشار الحسن اليوسي إلى علامات قبره، ومكان وجوده، فقام الشيخ صالح الشرقاوي البجعي فقال لبعض أصحابه أن يقوم بأعمال الحفر حتى أبرزوه، فبنى عليه الشيخ صالح، ثم زاد في البناء ابنه الشيخ المعطى بن صالح، ترجمته في: مصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 79-80.

أكبر، وما ذاك إلا أنك كنت في العديد عند الشياطين، وكانوا يحرسونك مثل الفرس الجيد عند أربابه، فما شعروا بك حتى خطفت من بين أيديهم، فرجعوا على أنفسهم باللوم فبعضهم يصيح، وبعضهم يبكي، وذلك هو الذي تسمع في أذنك وفي رأسك، ثم أعطاني ثمرات، وقال لي: كلها، الله يذهب عنك ذلك. فأكلتهن فذهب عني ذلك، ثم سألتني الشيخ عن الحشيشة/227 وطابة والدف، فقلت له: يا سيدي ها هم في مزودي على ظهري، فسار الشيخ وسرنا معه، فلما وصلوا إلى الخيام رفع إخواني خيامهم الكبار وقطوفهم وبنوهم للشيخ ليدخل فيهم، وأخرجت أنا خيمتي وهي صغيرة غير متسترة، فرفع الشيخ رأسه، وقال: لمن تلك الخيام؟ فقالوا: يا سيدي تلك خيمة فلان وخيمة فلان، فقال: ولمن تلك العشة الصغيرة، فقلت له: يا سيدي تلك خيمتي، ولقد لآمني الجماعة، وخاصموني وعيروني، وقالوا لي: الشيخ لا يدخل في خيمتك، لأنك خارج عن الطريق، ومتلبس بالمعاصي، وليس عندك مكسب من حلال، فسكت الشيخ ساعة، وقال: وأنا لا أدخل إلا في خيمتك ولا آكل إلا من طعامك الذي تأكل الآن، ما لم تتكلف بأزيد مما تقعات به هذه الساعة، فقلت له: يا سيدي عندي بقرة نحلبها وبلبول¹ من الشعير، فقال: لا تزد على ذلك، فقال له الجماعة: يا سيدي البقرة حرام، والمرأة حرام، وكل ما بيده حرام، وما فيه ما يخالط، فقال لي الشيخ: والله لولا علمت أني أسلُّك من ذلك كما تُسلُّ الشعرة من العجين، ما تكلمت في أمرك، ثم قال لي: اجلس حذائي، واشرب طابتك ثمَّ، وكل حشيشتك، ثم إن إخواننا، قالوا لي: يا الظالم أما تستحي تشرب طابة حذاء الشيخ، وتأكل الحشيشة، فبَعَد من الشيخ وافعل ما بدا لك،

¹ البلبولة: هي دشيشة من الشعير والبداز: أكله تحضر من طحين الذرة عوض سميد القمح على نفس طريقة الكسكس، غالبا ما كانا يحضران بدون لحم. ينظر: الهامش رقم (169)، محمد بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال، ص:113.

فتأخرت عن الشيخ، ودخلت في خيمة البعض من إخواني، وقلت لزوجتي: أخرجي إلى خيمة جارنا وائتني بمشعلة نار نشرب منها، فقالت لي: والله لا خرجت. فلما اشتد علي شوق طابة، خرجت متسترا لأخذ عودا من نار نشرب به، فإذا بالشيخ يرصدني، فقال: عَيْطُوا على عباد، فإنِّي رأيتَه في تلك الخيام، فأتوا إلي، وقالوا لي: تكلم إلى الشيخ، فأتيتَه، فقال لي: أين ذهبت؟ وقد قلت لك: اشرب حذائي وكل حذائي، فقلت له: يا سيدي استحيت منك، فقال للبعض من إخواني: اذهبوا به، وعلموه كيفية الوضوء، فقلت له: يا سيدي، إنني أعلم فرائض الوضوء، وفرائض الصلاة، وقد كان أبي فقيها، فقال لي: نعرف أباك كان نساخا بمراكش، وقال للبعض من الفقراء: إيتوا له بسطل من ماء، واخرجوا معه إلى الفضاء حتى يغتسل وينوي غسل الجنابة والدخول في الإسلام، فذهبت حتى اغتسلت كما قال لي، ونويت ما قال لي، وشئتُ ما كان عندي من طابة والحشيشة، وخرقت الدف، وخرزنت أعوده في الخلاء، فلما قدمت على الشيخ، قال لي: أين الحشيشة وطابة والدف؟ فقلت له: فعلت بهم كذا وكذا، فقال لي: الله يحسن توبتك ويكملها، وأعطاني شيئا من التمر، فقال لي: كله، فقال له الجماعة: يا سيدي أكل عشرين رمضان أو أكثر، فقال الشيخ: أنا أكفر عليه، فقالوا/228/ له: يا سيدي كم تكفر عليه، يوما أو يومين أو شهرا أو شهرين، فقال: الله يكفر علي وعليه، وقال لي: استعد زوجتك ومشيت مع الشيخ، ولم أزل معه إلى الآن، فقلت له: يا سيدي ليس لي تجارة ولا سبب، ولا أعرف حرثا ولا حصادا، وإنما كنت في تلك الصنعة وأجمع فيها أموالا كثيرة، وأترفه فيها، وأرغد معيشتي، والآن يا سيدي رددت الأمر لله ولك، فكان الشيخ جعل له خراجا معلوما نحو السبعين مثقالا عند بعض العمال من أهل محبة الشيخ يعطي له ذلك في كل سنة، وتاب الله تعالى، وحسنت توبته. وكان له من الأوراد عشرون ألفا من الهيلة كل يوم، ثم بعد ذلك وقعت هفوة من الرجل المذكور، وتغير قلب الشيخ عليه،

من ذلك. نسأل الله السلامة من الوقوع في الهفوات، والزلل والعترات، بجاه سيد من مضى ومن هو آت، اللهم ارزقنا بركاتهم، ووقفنا للتعرض لنفحاتهم، واحفظنا من سوء الأدب معهم، والتعرض لدعواتهم، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين."

قلت: وصدور الزلة من الإنسان، لا ينافي سعادته إذا تفضل الله عليه بحسن العاقبة، كما نص عليه العارفون والعلماء العاملون. قال الإمام ابن عطاء الله في "الحكم": "من علامات الاعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند وجود الزلل"¹. وقال الشيخ زروق: "وسئل بعض الصالحين، أيزني العارف؟ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾"²، وقال: هلاً قال: تتعلق همة العارف بغير الله، فقال: لا، وأما المعصية فلا يبعد أن تقع من الولي، لأنه محفوظ غير معصوم، والحفظ يتطرق معه الوقوع في الزلة والزلات والهفوة واليهفوات". انتهى.

قلت: "ولعل الرجل حالة انهماكه في شهواته، واستغراقه في ذلك جميع أوقاته، ترك بابا للصالح مع مولاه. كما حكي عن كعب الأحبار، قال: "انطلق رجلان من بني إسرائيل في مسجد من مساجدهم، فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجا، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيته، فكتب عند الله صديقا."

وحكي عن الشبلي، أنه قال: "كنت في قافلة في الشام، فجاء الأعراب فأخذوها، وجعلوا يعرضونها على أميرهم، فخرج جراب فيه سكر ولوز، فأكلوا منه، ولم يأكل الأمير، فقلت له: لم لا تأكل؟ قال: إني صائم، فقلت: تقطع الطريق، وتأخذ الأموال،

¹ ابن عطاء الله السكندري، الحكم، الحكمة الأولى، ص: 46.

² سورة الأحزاب، الآية: 38

وتقتل النفس، وأنت صائم، "قال: يا شيخ أترك للصالح موضعاً، فلما كان بعد حين رأيتَه يطوف بالبيت وهو محرم كالشن¹ البالي، فقلت له: أنت ذلك الرجل، قال: نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بيننا، ولله درمن قال:

[مجزوء الرمل]

فَأَلِي كَمْ تَتَعَامَى	أَيُّهَا الْمَحْجُوبُ عَنَّا
ضَوْوُهَا يَجْلُو ³ الظَّلَامَا	هَذِهِ الْأَنْوَارُ تَبْدُو ²
لِسِوَانَا يَتَرَامَى	229/حَابَ بَيْنَ النَّاسِ عِبْدُ
عَاشِقَاً أَبَدَى الْغَرَامَا	نَحْنُ لَا نَعَشَقُ إِلَّا
فِي حُسْنِنَا فَتَرَامَى	عَارِفَاً لَمَّا تَمَنَّى
وَتَهَنَّنُوا يَا نَدَامَى	هَذِهِ الْكَأْسُ فَذُوقُوا
قَدْ حَوَتْ قَوْمًا كِرَامَا	فَادْخُلِ الْحَانَ تَجِدْهَا
حَفِظُوا فِيهِ الدِّمَامَا	خَصَّهُمْ بِالْقُرْبِ مَّا
ذُوقَهَا يَشْفِي السَّقَامَا	وَسَقَاهُمْ مِنْهُ كَأْسَا
فِيهِ قَدْ غَابُوا هَيَامَا	وَأَرَاهُمْ مِنْهُ حُسْنَاً

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا الإمام العارف الهمام، سندننا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى أدام الله علاه، وجعل في فراديس الجنان قراره ومثواه، قال: "كان الشيخ بالمكرط فمر به رجل، يقال له: ولد الدخيسي ومعه المنتصر، فلما تجاوز

¹ كلمة غير مقروءة.

² في الأصل: "تَبْدُوا". وقد صححناها.

³ في الأصل: "تَجْلُوا". وقد صححناها.

الشيخ، قال المنتصر لولد الدخيسي: وكان لا يعرف الثاني الشيخ: ذاك سيدي الصالح، إيت معي نزوره، فرجعنا إليه، ومعه السيد محمد بن أبي يعزى المعداني، فأمره الشيخ يأتي لهما بخبز وعسل، فأتى بذلك إليهما، وأكلا. وكان ولد الدخيسي المذكور هرب له طالب بنحوستين مثقالا، كان أعطاها له يعمل بها شيئا من عمل الطلبة، وكان مجدا في طلبه، ثم قال ولد الدخيسي للشيخ: يا سيدي ضالة ذهبت لي الله يردها علي، وكأنه لم تحضر له نية صالحه، فقال الشيخ: وأنا ضالة ذهبت لي الله يردها علي، فقال له الرجل: وما هي؟ قال الشيخ له: هي النية، ثم قدم الرجل لمراكش يطلب صاحبه، فلم يجده هناك فرجع للغرب لوالده، وذكر له ما وقع له مع الشيخ سيدنا الصالح، فقال له والده: وأين الصالحون؟ ما رأينا أحدا منهم. وكان أضعف من ولده نية، ثم قدم الولد ووالده أيضا لبلد الشيخ يطلبان صاحبهما الذي هرب لهما بالمال، فبمجرد وقوفهما بين يدي الشيخ، نفعنا الله به، صاح عليهما لأنه كانت تعتريه أحوال ربانية، فارتعد والد الرجل من هيئته كأنه أسد وأي أسد يشبهه نفعنا الله به، عند نزول الأحوال به، وقال لهما: ارجعا فرجعا للمدينة، فبينما هما يسيران بالأزقة، فلقيا الرجل الطالب الذي ذهب بمالهما، وكانا مجدين في طلبه، فقبضاه، وعلمنا أن ذلك من بركة الشيخ نفعنا الله به".

من كراماته أيضا أدام الله بركته: ما حدثني به المرابط الأصيل سيدي محمد الشريف، نجل الولي الكامل العارف العامل سيدي محمد الشرقي. والشريف لقب له، قال: "رأيت في المنام في اليوم الذي توفي فيه الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به أن الإمام السهيلي¹، صاحب باب الرب من مدينة مراكش، قدم علي وأنا بباب دار الشيخ

¹ أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب السهيلي. كان مالكي المذهب، عارفا بالفقه والعربية واللغة والقراءة والكلام والأصول والأدب، بارعا في ذلك، جامعا بين الرواية والدراية، عالما بالتفسير وصناعة الحديث، حافظا للرجال

سيدنا الصالح، وقال لي: أنا الإمام السهيلي، قل لسيدي الصالح: يتكلم للسلطان. فدخلت للشيخ في دويريته التي كان مريضاً بها، فذكرت له مقالة الإمام التي قال لي، فقال لي نفعنا الله به: لا يزحمي/230/ بالعقل علي، فخرجت للإمام السهيلي، وذكرته له مقالة الشيخ، فخرج يريدناحية القصبية التادلية، ثم رجعت للشيخ وأخبرته بذهاب الإمام المذكور، فقال لي: اجروراءه ورده نمشي معه، فخرجت في طلبه، فأدركته عند دار أولاد السيد قاسم بن شقرون، من ريف أولاد سيدي أحمد الحارثي، فذكرت له مقالة الشيخ وردته لباب الشيخ، ثم استيقظت وكنت نائماً بيت من مدرسة الشيخ سيدي محمد الشرقي، وإذا بأخي السيد محمد يضرب علي باب البيت، وقال لي: أنت راقد، والشيخ سيدنا الصالح مات، فقدمت مسرعاً لداره المباركة فوجدته في النزع، ومات من حينه في تلك الساعة، نفعنا الله به".

قلت: وهذه الرؤيا شبيهة بالرؤيا السابقة قبل هذا، وإن الشيخ سيدنا الصالح رأى أن الشيخ الجليل سيدي أبا العباس السبتي، قدم مع جماعة، وهو راكب على فرس عال كالمنار، وقال له: قل لوالدك يتكلم للأمير، يعني به والده العارف الولي المكاشف، ينبوع الأسرار والعلوم سيدي محمد المعطى نفعنا الله به أمين، فقال له: نعم يا ولدي نتكلم للأمير، فرحل إلى مدينة مراكش، وتوفي بها، ودفن متصلاً قبره بضريح شيخه الأكبر، والعلم الأشهر، رئيس العارفين، والأولياء الواصلين، سيدي محمد بن إبراهيم، بباب الدباغ من المدينة المذكورة نفعنا الله بهما، ومنحنا ببركتهما من سيرتهما". وقد انتقل الجميع لدار البقا، التي هي محل الجزاء واللقاء، وافدين على مولاهم بالافتقار إليه،

والأنساب والتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، تصدر للإقراء والتدريس، وبعد صيته، وظهرت له كرامات. وروى عن ابن العربي المعافري وغيره، وروى عنه أبو الحسن العمالقي وخلق كثير. شرح السيرة النبوية. ولد سنة 508هـ وتوفي بمراكش سنة 581هـ، وقبره مزارة شهيرة. ترجمته في: ابن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 181-183.

ومنحهم بفضلهم وكرمه كل خير لديه، إذ ذاك شأن العارفين، والأولياء الكاملين، وأنهم لا يلتفتون للأعمال، لمشاهدتهم صدورها من مولانا الكبير المتعال، ويستغلونها في أعينهم رضوان الله عليهم، وإن كثرت، ويحتقرونها وإن جلت وعظمت، لأن الله تعالى يقول في كتابه الحكيم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾¹، ولذلك قال أبو يزيد: جمعت فكري، وأحضرت ضميري، ومثلت نفسي واقفا بين يدي ربي، قال لي: أبا يزيد: بأي شيء جئتني، قلت: يا رب بالزهد في الدنيا، قال: يا أبا يزيد، إنما كان مقدار الدنيا عندي جناح بعوضة ففيم زهدت منها؟ قلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هذه الحالة، جئتك بالتوكل عليك، قال: أبا يزيد، ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك حتى توكلت علي، قلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هاتين الحالتين، جئتك بك، أو قال: بالافتقار إليك، فقال: عند ذلك قبلناك."

[الوافر]

دَعُوهُ لَا تَلُومُوهُ دَعُوهُ	فَقَدْ عَلِمَ الَّذِي لَمْ تَعْلَمُوهُ
رَأَى عِلْمَ الْهُدَى فَسَمَا إِلَيْهِ	وَطَلَبَ مَطْلَبًا لَمْ تَطْلُبْهُ
أَجَابَ دُعَاءَهُ لَمَّا دَعَاهُ	وَقَامَ بِحَقِّهِ وَأَضَعْتُمُوهُ
بِنَفْسِي ذَاكَ مِنْ مَمْنُوحِ قُرْبٍ	وَطَاعِمِ مَطْعَمٍ لَمْ تَطْعَمُوهُ ²

231/ ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى أدام الله سيادته، قال: "أصبح الشيخ سيدنا الصالح ذات يوم معه حرج وقلق،

¹ سورة الزمر الآية : 64.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد القادر العيدروس، النور السافر، ص: 457.

ولم أدر سببه، ثم قال لي نفعنا الله به: ناولني أبياتا من الشعر، ولم يعين لي شيئا، فأخذت أطلبه أبياتا إلى أن وجدتها، فدفعتها إليه، فأخذ يكتب إلى أن كتب قول القائل:

[الكامل]

دَاسَتْهُ أَقْدَامُ النَّوَائِبِ مُطْلَقًا مَا كَانَ قَبْلُ يُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ

فعند كتبه للبيت المذكور، سمعت دقا بالباب، فخرجت إليه لأنظر من يدق، فإذا بصاحب الشريف الأجل خليفة البلد في حينه، مولاي أحمد بن السلطان الجليل مولانا إسماعيل، قدس الله روحه، فسألته عن مراده، فقال لي: قل لسيدي الصالح: مولانا أحمد يطلب منك القدوم إليه، وها محفّته بعث بها إليه ليركب فيها، فرجعت للشيخ ولم أقدر أن نقول له كلام الشريف، لأنه كان يفر من مثل ذلك، فأخذت في التلطف معه، إلى أن ذكرت له مقالة الرجل صاحب الشريف المذكور، وعلمت أن ذلك الأمر الذي ظهر هو سبب حرجه الذي أصبح فيه قبل ظهوره، أطلعه الله عليه، وإليه أشار بالبيت الذي كتبه في قدومه".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا أدام الله وجوده، قال: "قدم على الشيخ، الفقيه الأرضي، الأجل الأحظي، السيد عبد الرحمان بن بوزيان، صحبة الفقيه الأجل السيد محمد بن مبارك الوردغي الزموري من المدينة، وكان الفقيه السيد عبد الرحمان عند خروجه من المدينة لقي السيد عبد الله القصري المعروف بمكناسة الزيتون، وقال له: اعطني موزونة، فأعطاها له، فقال له: زدني أخرى فزادها له، فلما حل الفقهاء بين يدي الشيخ سيدنا الصالح، قال للفقيه السيد عبد الرحمان: هل لقيت عبد الله القصري؟، وكان الشيخ لا يذكره، يشير نفعنا الله به، إلى ما وقع للفقيه معه عند

خروجه، فقال له: لقيته يا سيدي عند خروجي، وذكر له ما وقع له معه، وعلم أن الشيخ كاشفه بذلك".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه الأجل العالم الأمل، سيدي العربي امشطر، به عُرف الإسحاق، نزيل الزاوية الدلائية، قال: "قدم على الشيخ سيدي الصالح نفعنا الله به السيد عبد العزيز بن حمدوش المكناسي، من ناحية سيدي سعيد أحنصال¹، وكان الرجل طبيبا، فقال له الشيخ سيدنا الصالح: تقيم عندنا خمسة عشر يوما، فاعتذر له الرجل عن الإقامة، فقال له الشيخ: تقيم عندنا بأجرتك، فقال له الرجل: يا سيدي لا أحتاج أجره معك، ثم مكث عنده المدة المذكورة ثم بعدها، خرج له الشيخ نفعنا الله به، وبيده كتاب براءة، فقال له /232/: خذ هذا الكتاب، فإنك تسافر في هذا العام للحج، وإذا وصلت إلى مكة وأتاك صاحب الكتاب يطلبه منك، فادفعه له، ثم لما رجع السيد عبد العزيز المذكور لمدينة مكناسة الزيتون، فتح الله عليه، ودخل بيده نحو ألفي مثقال، وسافر من عامه للحج، ولم يكن بيده قبل ذلك شيء من المال، فلما وصل الرجل المذكور لمكة المشرفة، وجلس تجاه البيت الشريف أتاه رجل، فقال له: هات كتاب الشيخ الصالح، فلم يجده الرجل، فقال له: يا سيدي نأتي به من مكاني، فذهب عنه الرجل، ثم قام السيد عبد العزيز لمكانه الذي كان نازلا به، وأتى بالكتاب، ورجع لموضعه الذي كان بالساقية تجاه البيت، وجلس فيه فأتاه الرجل وطلبه بالكتاب فدفعه إليه، ولما قرب سفر الحاج أتاه الذي أخذ منه كتاب الشيخ سيدنا الصالح بكتاب ودفعه

¹ أبو عثمان سعيد بن يوسف الحنصالي، كان فقيها ناسكا سالم الطوية منور السريرة، وكانت خاتمة أمره هو شيخه أبو الحسن علي بن عبد الرحمان الدرعي، توفي عام 1113هـ ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 356-357؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج3/144؛ وابن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 159.

للحاج السيد عبد العزيز، وقال له: وصله للشيخ الصالح، فأتى به الرجل إلى أن وصل ودفعه لسيدنا الصالح نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا، قال: "قدم على الشيخ سيدنا الصالح الفقيه الأجل سيدي عبد الوهاب بن الشيخ المكناسي، فلما وصل للشيخ، وجلس معه، مد الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، يده لنعل الفقيه المذكور، فأخذها وجعلها حذوه، فشق ذلك على الفقيه المذكور، فلما أراد الفقيه القيام من عند الشيخ، قدم له الشيخ نعله، فشق ذلك أيضا على الفقيه المذكور، ثم إن الفقيه لما رجع لبلاده مكناسة الزيتون، يسر الله عليه الحج من عامه، ولم يتفطن لإشارة الشيخ له بما فعله معه، إلا بعد أن كان في طريق الحج ببسكرة¹، فحينئذ تفطن لما أشار له الشيخ نفعنا الله به."

وقد كتب أيضا له وأرضاه، الفقيه المذكور كتابا من المدينة، ونصه: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، سيدنا ومولانا الجالس على بساط المراقبة، فلا يصدر منه نفس إلا لاحظ فيه موله وراقبه، بل لم يحصل له أنس إلا بحضرة القدس، على ذلك دلت أفعاله وأقواله، وكادت تنطق بذلك صفاته وأحواله، وأنه يتعاطى كؤوس الصفا، من مدد بحر المصطفى، ملاذ المخطئين من رهطي، سيدي ومولاي سيدنا صالح بن سيدي المعطي، شفا الله سيدنا شفاء لا يغادر سقما، وجعل ما أصابه معراجا لكل خير وسلما، وسلام على مقام سيدنا ورحمة الله وبركاته، ورضوانه

¹ بسكرة، مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وخربت بعد ذلك، ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا. وهي الآن عامرة كما ينبغي، وسورها من الأجر النبي، أما السكان فمؤدبون لكنهم فقراء، لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر. وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرون.. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، الجزء الأول، ص: 139-140.

الأعم وتحياته، هذا ولا زائد سوى السؤال عن أحوال سيدنا واعتمادنا وسندنا، جعلها الله لسيدنا كما يحب ويرضى من جرياتها على وفق مقام الرضى، وإن العبد متشوف إلى ما يرد من تلقائكم من التباشير التي تفصح بصحة مولانا أو إليها تشير، وإلى دعائكم الصالح الذي لا/233/ يرجو إلا به جبر حاله الصالح، فليقابل¹ سيدنا العبد بذلك، وليحضر بباله عند خوضه فيما يختص به المجذوب² والسالك³، فإنه لولا ما يرجوه من بركاتكم على شفا، لركوبه بحرا بعيدا من الصفا، إلا أن تعلقه بسيادتكم أطعمه في النجاة من الغرق، والسلامة من الغصة بمائه والشرف، وفي صلاح قلبه، وصفائه من درن عيبه، ويطلب لسيدنا مثل ذلك لعبيدك ولده، وجميع تعلقاته وسنده، والمطلوب من جميل فضل سيدنا أن يستوصي بحامله الفقيه النحرير، الجالس من بساط المسكنة والمحبة، لأمثال سيدنا على أرفع سرير، السيد عبد السلام بن طلحة، فإنه من سيدنا وإليه، ومعتد في جميع أموره على الله وعليه، وله في سيدنا من المحبة الصافية، والنية الموافية، ما لا يعبر عنه لسان، ولا يكاد يقدر على القيام به من أمثاله إنسان، وقد بلغنا سطور سيدنا الأسمى، فقرأناه بعدما تبركنا به تبركا نعما، ففرحت به وبمضمونه غاية الفرح، وأزاح عنا كل الترح، وإن كان بغير خط يد سيدنا الطاهرة، ذات البركات الشاملة والخيرات الظاهرة، فإننا نفرح بكل ما يأتي من تلك الناحية، لاعتقادنا أن مباشرته لما لنا من الذنوب ماحية، حقق الله لنا ببركة سيدنا في ذلك الرجا، وجعل لنا

¹ في النسخة (ج) و(د): "فليعامل"

² المجذوب: من اصطنعه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب من فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. ينظر: عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص: 96

³ السالك: هو السائر إلى الله، المتوسط بين المرید والمنتهى مادام في السير. ينظر: عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص: 119.

بحقه كل هم فرجا ومخرجا، أمين، والسلام. محبكم مقبل ثرى أقدامكم عبدكم عبد الوهاب بن الشيخ، عامله الله بلطفه الخفي، وأسدل عليه من ثوب ستره الوفي، وقد كتبت عن قلق شديد والسلام.

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه سيدي العربي المذكور، قال: "لما قدم الشيخ سيدنا الصالح، لمكناسة الزيتون، لقيه السيد الحاج محمد أزرير المكناسي¹، وكان أصابه حال، فقال له الشيخ سيدنا الصالح: تسافر معي فأتى إخوانه الشيخ، وقالوا له: يا سيدي ليس عنده من يقوم بأولاده، فقال لهم الشيخ: لم تبق فيه منفعة لأولاده، فقالوا له: يا سيدي يدخل ويخرج عليهم، فأجابهم الشيخ بذلك وتركه وأعطاه موزونتين، قال السيد الحاج المذكور: فمن اليوم الذي أعطاني سيدنا الصالح الموزونتين، وأنا أنفق منهما ما خرجن من يدي إلى الآن، قال الفقيه المذكور: قال الشيخ سيدنا الصالح في الحاج المذكور: أخذ عن النبي عليه السلام من غير واسطة."

ونص كتاب كتبه سيدنا الصالح، ومن خطه نقلت: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبداه من فلان بن فلان عامله الكريم بجميل لطفه، وطهره من دنس وصفه، السلام التام، الكريم العام، يعم الإخوة والأعمام، والجيران وكل من له بالجانب التمام، ورحمة الله تعالى وبركاته، ما أن نأى عن أوطانه، وتصعدت أنفاسه من هيجان أشجانه، أما بعد فلا حول ولا قوة/234/ إلا بالله، وإنا لله وإنا لله راجعون، رضى بقضاء

¹ لعله يقصد الشيخ الصالح الحاج محمد زير المكناسي ينتسب في الطريق الى الشيخ عبد القادر بن موسى الحسيني الجيلاني ينظر: محمد القادري، نشر المثنائي، ج4-50-51.

الله تعالى وتسليماً واستسلاماً، ﴿أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَٰمٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾¹، ومن لم يشكر النعم، تعرض لورود النقم.

[مجزوء الرمل]

لَوْ عَقَلْنَا لَفَرَعْنَا نَحْوَ بَابِ اللَّهِ طُـرّاً
لَوْ نَبَذْنَا مَا سِوَاهُ لَمْ نَخَفْ زَيْدًا أَوْ عَمَّـرًا

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ﴾²، وقد آمنا مكر الله، ﴿فَلَا يَلْمِزُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ﴾³. وأعرضنا عما لا
ينبغي الإعراض عنه، وسبب البلاء الذي انجر إلينا منه، كان ذلك المكان كيناً للذكر
والعبادات، وترك البدع والعادات، ومعاداة أهل الفساد، والآن ما من منكر إلا وتراه في
ازدياد، كيف يطمع بالراحة على هذه الحال، أم كيف لا تتطرق إلينا طوارق الأهوال،
﴿وَلَوْ رُحُوا لَعَالَمُوا لِمَا نُفَعُوا مِنْهُ﴾⁴. وعادوا المعادي على ذلك، وَأَنَسُوا وَنَسُوا مَا ذُكِّرُوا
به من الإشراف على المهالك، فليس لنا إلا نحط رقابنا بأبواب الاستسلام، والله يُلطف،
﴿فَلَعَلَّيْتُمْ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾⁵، فليس بهذا الفعل تشرف القرى والأمصار، وهذا خطاب
لي ولكم، وأنا في كل ما ذكرت داخل معكم، غير أن ﴿الذَّكْرَ تُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁶ على
حسب ما سبق في علم الله، من ظهور الأثر في المستقبل والحين، وإن سيدنا وعزنا،

¹ سورة التوبة، الآية: 126.

² سورة يونس، الآية: 63.

³ سورة الأعراف، الآية: 98.

⁴ سورة الأنعام، الآية: 28.

⁵ سورة الحشر، الآية: 2.

⁶ سورة الذاريات، الآية: 55.

مشرق أنوار المعارف، القطب المكاشف لأغْيَر لانتهاك حرمة الله من كل غيور، فكم شرح على ذلك من هامة منمك في ذلك عن غير فتور، وجلب من زلازل، وحبلا من نازل، غير أن انتقامه بعد حين، أنسيتم ما مضى في تلك الأعوام والسنين؟ فالأليق بنا أن رمنا النجاة من حرنار المحن، وركود رياح الفتن، أن نتوب إلى الله تعالى، ونتوجه إليه، ونجمع القلوب والهمم عليه، يا عبدي اجعلني همك أكفيك كل هم، ومنتصدي لإزالة صدى القلوب، بصدق التوبة إلى الله من جميع الذنوب، وحسم أسباب الغضب، والتعرض لنفحاته بحسن المعاملة والأدب. انتهى ما وجد بخطه نفعنا الله به.

ونص ما كتبه العالم الإمام سيدي محمد بن عبد الله التلمساني، للشيخ الجليل، العارف الناصح، الأصيل سيدنا الصالح، نفعنا الله به: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وسلم تسليما، كثيرا أثيرا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إلى الغوت الهمام، البحر الإمام، العالم العلامة، الدراكة الفهامة، الولي الرباني، ذي السر الرحماني، أعني بذلك الفقيه الأجل، الماجد الأفضل، الرضي الأعدل، سيدنا وسندنا، وملاذنا واعتمادنا، أبا عبد الله سيدي محمد صالح بن الولي سيدي المعطى، عليك من السلام ألف، ومن البركات ضعف، ورحمته الشاملة، ونفحاته المتوالية، هذا وموجبه إعلام سيدنا بأن العبد على خدمتكم، وساع/235/ في مرضاتكم، فأمركم ممثّل، وقولكم لا يتبدل، فبنفس بلوغ الخطاب، بادرت إلى الجواب، نسأل الله أن يجعله على وجه الصواب، وكيف وسالفُ المحبة داعٍ لذلك، وصميم المودة قاض بامثال بعثك وإرسالك، جعلنا الله من أهل المحبة، ورزقنا القيام بصدق الأخوة، ممثلين الأمر، متنعمين بنيل اليسر، مصحوبين بالهداية في الحركات والسكنات، مراقبين الخالق في جميع التقلبات واللحظات، ويعلم الله صدق المحبة في جانبكم، والرغبة في جميل وصلكم وودادكم، لولا ما منع من سالف الأقدار، من المكث والتمتع

بهاتيك الديار، ثم المرء مسؤول عن واخاه، وعلى الله وبه وفيه كان متلقاه، والمواصلة واجبة، والعمل بمقتضى الخلة متأكدة، فلورزقنا الله التيسير، ومنحنا من مطلوبنا نذرا يسيرا، أقمنا عندك مدة لقضاء وطرك، واستيفاء مرغوبك، والله شاهد علي فيما نويت، وعالم بما عليه انطويت. وقد نال منكم الداني والقاصي سواي. وها نحن مستمطرون لأمر الله عسى الإله يعاملنا على قدر الاحتياج، ويلقينا بمن يأخذ بأيدينا، وما قدمنا لتادلة إلا لأجل محبتكم، وإرادة معاملتكم، وليس غرضنا الشرط، وقد تحير يا سيدي أمري، فلم تطب لي قراءة ولا غيرها، ولم يطب لي الذهاب لأهلي. وما أردت إلا الالتقاء ببعض السادات، عسى عنايتهم تجذبنا أو لحظاتهم تحركنا، فالله الله يا سيدي في الدعاء لنا بصلاح الحال، وبلوغ الآمال، وكيف وقد انتمينا إليكم، وانضفنا إلى جنابكم، وأنتم مسؤولون عنا، والله يسأل عن اجتماع ساعة، ومازلت أذكر قولك نحب الفعّال لا القوّال، ومن يسر لا من يعسر. وقد تأكدت معاملتنا عليك، من أجل محبتنا فيك، ورغبتنا في جنابك، وقد افترقنا بلا قضاء الأوطار، فالله يقضي المآرب بفضلك، ويجود علينا بمحبتك، وأسألك بالكون وما حوى، وبقطب الوجود، وفيض الإمداد ومنبع الجود، سيدنا ونبينا ومولانا محمد، أن يجعلنا نصب عينيك، في حركاتك وسكناتك، وأن تهتم بشأننا أشد اهتمام من الوالد بولده، الله الله يا سيدي فيما طلبت لك، وقد عاهدت الله إن يَسَّرَ عَلَيَّ لِأُقِيمَنَّ مدة من الدهر عندك، قضاء لرغبتك، والله يعلم السرائر، وما تكنه الضمائر، لاسيما في الأوقات الحسنة، وفي الأماكن المستحسنة، وعند النفحات الربانية، والورادات الرحمانية، فادع الله لنا في رفع الحجاب، حتى يكون العبد بفضلك ممن لا يعلمه الحجاب، وأن تبعث لي مسألتين أو ثلاثا في أسماء البركة، مما قيدت عن الأفاضل. ولا بد ولا أقبل منك يا سيدي بفضلك وجودك عذرا في ذلك، وأنا/236/ سيدي عبدك وخدمك، فوالله ثم والله إلا لي فيك رغبة شديدة، ومحبة

عظيمة، والله يعاملنا على قدرها، ثم اغتبط بما كتبت لك في المسائل المقيدة، فهو شيء نفيس، وقد اعتنيت بهن، وأما ما كتبت لي به على شأن الكتاب المذكور، فأنت كما تعلم حالي، ولا يعمل أخي بمقتضى إرسالي، وقد كتبت لهم بمسائل فلم يعملوا بمقتضاها، وأما ما ذكرت لي من إدخال السرور عليك، بموافقتك على ما تبعث لي من المسائل فحبا وكرامة، وكيف تشاورني في ذلك أو تستأذني، فالعبد وما ملك لسيده، فبالله الذي لا إله إلا هو لو وجدت أن أسرك بأفضل شيء لفعلت، ولا شيء أكبر من رؤية الله، فلو كانت طوع يدي لمنحتك بها، والله يعامل الكل بنيته، ويجود عليه بطويته، وسلم مني على كافة أولاد سيدي محمد الشرقي، وأسألهم الدعاء لنا، وعلى جميع أهل داركم، ومحبتكم وعلى أولاد سيدي محمد بن يوسف، وعلى سيدي أحمد الشاوي، وعلى الفقهاء سيدي عبد القادر، وسيدي أحمد بن حَمَّ، فالله يتولى الجميع بولايته، ويكلؤه بكلاءته، والسلام، ولا بد تكتب لي بطاقة تسرني بها، وتجعلها متضمنة لجميع ما كتبت لك، وتبعث لي ما كتبت لك عليه، من نحو الثلاث مسائل نفيسة، وإن كنت أتتحق بأنك لا تفعل شيئا من ذلك، وكل ذلك بفضلك وجودك، ويسلم عليك سيدي الحسن ألف سلام، ويقول لك: "ما كتبت لي على شأنه من ذلك العقار، سألت عنه هنا فلم أجده، وها أنا أبعث له يأتيني من البادية، وأبعثه لك مع كيفية استعماله، وأما الفقير البوشقري، فقد ورد علينا، وتفاصلنا معه على خير وعافية، فادع الله له بصلاح الحال، وأن ييسر عليه جميع الأمور المهمة، وأن يبسط عليهم الرزق ويوسعه، بحيث لا يحتاج إلى أحد. وكتب الحروف خديمكم محبكم محمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني، وبعد كتبي البطاقة التقيت مع سيدي الحسن، وقال لي: اكتب اسمه له لعله يجده هناك واسمه جناح الحديدية، وهو موجود كثير في جبال الزبيب، وفي البادية، وأنا أعتني به، وما ذكرته لك إلا لعلك تجده بسهولة". انتهى نص الكتاب.

ونص كتاب كتبه الفقيه السيد محمد الهاشمي بن محمد بن عبد الله المدعو بأشكلنط¹: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما، قدوة المحققين، وإمام المحدثين، محي معالم الطريقة بعد دروسها، مظهر آيات التوحيد بعد استتار أقمارها وشموسها، خلاصه أهل العرفان، المتخلق بمقام الإنسان، فريد أهل التحقيق في المعارف، ووحيد أهل التدقيق في العوارف، من هو حقا الكوكب اللائح، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح/237/ بن أبي عبد الله، الملقب بالمعطي، لازالت قضايا سيادته لازمة، ومزايا سعاداته بدوامها جازمة، ولا زالت فرائد فوائده تخجل جواهر العقود، وجواهر فرائده تزي بقلائد النقود. أما بعد فكاتبه محمد الهاشمي بن محمد بن عبد الله، المدعو بأشكلنط، مسلم عليكم سلاما يبرز ضمائر الشوق، من توضيح مسالك معانيه، ويظهر عوامل الغرام من معربات مبانيه، هذا ولما من الله علي بالاجتماع مع من سلب الألباب بكلياته وجزئياته، وأظهر نتائج الأفهام بحسن مقدماته الوضعية وحملياته، وأولاه الله من الأوصاف الجميلة، ما يعجز عن حصر خاصة مقدماتها الرسم بل الحد، وقضى لأعدائه من سائر جهاتها بالعكس والطرده، المنتمي للقطب الشهير في المغارب والمشارق، أبي محمد، قرة العين سيدي عبد الخالق، لازال برهان فضله ساطعا، ودليل مجده قاطعا، ونجم سعده أبدا طالعا، وذا المحب له خاضعا، أسمعني من حسن حديثكم وسيرتكم ما يستروح بهبوب نسيمه كل

¹ محمد الهاشمي بن محمد بن عبد الله أسكلنطو، الأندلسي الرباطي، كان فقيها علامة، أديبا مدرسا، متصدرا للإفتاء، بالعدوتين أديبا حاذقا مشاركا، يقول الشعر، ويكتب الرسائل البليغة، وبعض رسائله مذكورة في الروض اليناع الفائح"، وذكر الفقيه محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد فتحا الرباطي، الملقب بالضعيف، أن المترجم كان بمراكش الحمراء عند مروره لزواية أشياخه الناصرين عام 1169هـ، ومكث في حاحا مشارطا سبع سنين. ترجمته في: العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج6/71-73؛ ومحمد بن عزوز حكيم، مادة، "اشكلنط"، معلمة المغرب، الجزء (2)، 471.

عاشق، ويسكر بطيب شمه كل ناشق، وتتألاً به الأرواح والقلوب، وتتوالى به أفراح
المحب والمحبوب، فتمكنت إذ ذاك محبتكم من قلب هذا المحب الصديان، ولا غرو فإن
الأذن تعشق قبل العين في بعض الأحيان. فلتعلم سيدي بأني أحبك وأعلمك بذلك
امثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ، وقد رقت هذه
الأحرف، وكبدي بنار الأشواق تتلظى، وفؤادي بسعير الغرام يتشظى، لكن المحب يتأسى
بإرسال هذه الأحرف اليسيرة، ويتسلى بإصدار هذه الألفاظ ذات المعاني القصيرة، فلعلها
أن تفوز بمشاهدة جمالكم، وتحظى بمحاسن خصالكم. ولو استطعت لجعلت طرسي
ناظري، وفؤادي ماء محاجري.

[الطويل]

وَلَوْ كَانَتْ الْأَقْدَامُ طَوَّعَ إِرَادَتِي وَكَانَ زَمَانِي مُسْعِدِي وَمُعِينِي
لَكُنْتُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَقُرْبِهَا مَكَانَ الَّذِي قَدْ سَطَّرْتُهُ يَمِينِي¹

وَلْتَدْعُ لي بما يظهر في خاطرکم، خصوصاً الدعاء بإدراك العلوم التي تقام بها رسوم
الشريعة السنية، وتقوى الله العظيم في السر والعلانية، والصدق والجد والاجتهاد
والاجتماع معكم عن قريب، ويسلم عليكم أدام الله وجودكم، ويمنكم وجودكم، الأخ
الصدوق، الخل الأوفى، سيدي محمد بن ناصر المدعو بسبَّاط، ملتصقاً منكم مثل ما
سبق من الدعاء والسلام".

¹ وردت هذه الأبيات في: محمد المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تصوير دار ابن حزم والبشائر،
سنة النشر، 1301هـ، ج1/248 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "الأقطار"، عوض "الأقدام"؛ "وشط الديار"
عوض "بعد الديار".

ونص كتاب آخر للفقيه الأجل سيدي محمد بن عبد الله صاحب/238/ الكتاب الذي قبل هذا، كتبه للشيخ أيضا: الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم إلى الولي الرباني، ذي السر الرحماني، سيدنا الأسنى، وذخيرتنا الحسنى، السيد الأجل، الماجد الأفضل، الرضي الأعدل، بحر الحقيقة ومدارها، ومركز الشريعة ومنارها، أعني بذلك سيدنا الصالح، الولي الصالح، سلام عليك سيدي، مادامت، الأشباح، وتعاقب الغد والروح، ورحمته الشاملة لجمعكم، ونفحاته المهداة إليكم، وعطاياه المسداة لكم، لازلت سيدي بعين العناية، ومنتهى القصد والنهاية، ولازالت مواهب الله دائمة الورد، وأسرار تصحبك في الصدور والورود، وأنا لك لذيد الوصل، ومقام الشهود، هذا وموجبه إعلام سيدنا بأننا على خير وعافية، وفي نعم ضافية، ولم يخصنا سوى النظر في طلعتك الهية، والتمتع بلذيد الروية، جعلنا الله من المحسوبين عليكم دنيا وأخرى بجاه سيد الأولين والآخرين، والعبد سيدي لا يزال على المحبة، وهو مستمر عليها حتى يلقي الله على ذلك، والله ثم والله مهما تذكرت وصلكم، وجميل نظركم، شعلت نار الشوق في القلب، والله يعاملنا بحسن نياتنا فيك، والعبد يطلب من سيدنا الدعاء الجميل، وأن يجعلنا سيدنا في لحظاته، ومحفوفين بعنايته، ويتفكرنا في حركاته وسكناته، ونسأل الله أن لا يجعل رؤيتنا لك آخر رؤية، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وأما أمر الوالد فقد مرض حتى وصل الهلاك الشديد، وأيست منه، والآن عافاه الله وهو بخير، نسأل الله أن يتمم عليه العافية، ويبلغنا وإياه بخير، وهو باق ملتصق بآثر المرض، فادع الله له، وهو يسلم عليك، ويسأل منك الدعاء، والفرس نريد من سيدنا أن يبعثها في ستة وعشرين من هذا الشهر، أو ثمانية وعشرين مع الفقير بلعيد، لأنه يليق بنا في الطريق. ويطلب العبد أيضا من سيدنا أن يتكفل لنا بالزرع، والسمن، والعسل، والزيت، والحطب، والملح. وهذا من فضل سيدنا والمعتمد في

ذلك، فضل الله وعناية الصالحين، ولا بد سيدي، إن لم يرد القدوم إلى هنا تكتب ذلك لي في بطاقة، وتنص لي على ما ذكر والله لا يخيب نيتنا فيك، ولا بد ولا بد يا سيدي كي يتأنس الخاطر بذلك، ويعود السلام على كافة السادات، وجملة الإخوان والأحباب من غير تفصيل، ونسأل من الجميع الدعاء الصالح، أصلح الله حال الجميع، وإن قدمت إلينا فتلك النعمة العظمى، والرحمة العميقة، ونريد منك تؤكد على القباج يبعث لي تلك الحوائج التي عنده لفاس، وسلام، عائد على الكل". انتهى

ومن كراماته ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى/239/أدام الله وجوده، قال لي: "كان الشيخ سيدنا الصالح، يحرث مع أخينا أحمد اليزيد، والد أخينا شعيب، والسيد أبي القاسم، بقَرْد، فخرج له سيدنا الصالح، في وقت المصيف يوما، وجلس في قاعة الدراس، فقدم أخونا أحمد لخيمته، فقدمت له زوجته جبنا وخبزا ليأكله، فقال لها الزوج المذكور: أذهب به لسيدي صالح ليأكله، فقالت له زوجته: كل متاعك كل ما وضعناه لك من الطعام تأتي به لذلك العربي، فخالفها زوجها، وأتى بالطعام لسيدنا الصالح، فلما وضعه بين يديه، قال له الشيخ سيدنا الصالح: رده لزوجتك، فراوده الزوج على أكله مرارا، فامتنع من أكله، وقال له: رده لزوجتك. وقال لها: العربي ما يأكل إلا الخبز والماء، فرده لها، وذكر لها مقالة الشيخ، فعلمت أن الشيخ كاشفها بمقالها الذي صدر منها، فذهبت مع زوجها للشيخ، وقالت له: باب صالح، اطلعت علي، فضحك الشيخ وتابت المرأة لله تعالى".

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله وجوده، وغنم زائريه ووفوده، قال: "حدثني السيد العربي بن علال، قال: حدثني المقدم إسماعيل، وقال سيدنا

أيضا: حدثني الشريف السيد أبو القاسم، من شرفاء بوسدرة¹ عن بعض إخوانه، قال: لما كان الشيخ سيدنا الصالح، بضرخ سيدي يعقوب أمغار، من أهل تيط، ورفع الشيخ يده للفتحة، عند الضرخ المذكور، سمعنا سيدي الصالح، يقول للضرخ: افتح، يعني: الفتحة، وسمعنا صوتا من الضرخ، يقول لسيدنا الصالح: افتح. كأنه صوت سيدي أبي يعقوب."

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضا، قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان أعلاه وفسیحه، قال: "حدثني المرابط، السيد أحمد بن عبد القادر بن العروسي، قال: أخبرني أبي السيد عبد القادر، قال: كنت مشغلا بالتلصص ليلا مع بعض الفقراء، من أولاد سيدي الطنجي، فنهاني الشيخ سيدنا الصالح، يوما عن ذلك، فقلت له: لا أعود، فقال لي: عاهدني على ذلك، فعاهدته، ثم إنني أخذت سلاحي ليلة، وخرجت بقصد إذاية بعض الفقراء، فلما كنت بدار موسى الحداد من المراح الكبير، وكانت خربة، وهي التي بها سكنى السيد المامون بن الشرقي الآن بعد بنائه لها، رأيت بياضا في الخربة المذكور، فتوقفت في أمر، وأخذت في الحذر منه، خوفا منه أن يؤذيني ثم جزته، فإذا به يناديني: يا عبد القادر، فرجعت إليه، فإذا هو الشيخ سيدنا الصالح، فقال لي: أين العهد الذي عاهدتني؟ فأخذتني منه رعدة، ثم قال لي: افتح فاك، ففتحته، فنفت لي فيه، ثم قرأ لي

¹ بوسدرة: زاوية توجد في قبيلة الحوزية بفخدة القرامشة، ناحية مدينة أزموور، أسسها مجموعة من الشرفاء يحملون اسم شرفاء بوسدرة، وهم من أبناء مولاي عبد السلام بن مشيش يتوفرون على ظواهر تثبت صحة نسبهم، وجدهم هو سيدي أحمد بن إبراهيم الذي قدم من مراكش، تلبية لنصيحة شيخه سيدي لحسن بن إبراهيم، واستقر عند أهل مسكليدة بالقرب من مهران الربيع. وارتبط شرفاء بوسدرة بالقرامشة، أهل البلد الأصليين، فصار القرامشة بفضل هذا الارتباط يكونون عائلة مرابطية واحدة تشكل اليوم فخدا من قبيلة الحوزية. ينظر: محمد الشياطي، مادة "بوسدرة"، معلمة المغرب، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثانية، 1435هـ-2014م، الجزء (2)، ص: 1717-1718.

شيئا في أذني، فزال عني جميع ما كان/240/ بقلبي، ثم مسح بيده على صدري، فلم يبق فيه بقية من ذلك، وكان ذلك سبب توبتي من بركته."

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أدام الله عافيته، وأعلى سيادته ومجاداته، قال: "كان الفقيه الأجل، السيد عبد القادر بن شقرون، قليل ذات اليد، حامل الذكر بمدينة مكناسة الزيتون، وكان العرائشي قائدا بالمدينة المذكورة، شديد الشكيمة عليه، وكان الفقيه المذكور يتردد للشيخ سيدنا الصالح، للزيارة ويشكوله حاله، ويقوم عنده ما شاء الله، ثم قدم عليه مرة وأقام عنده، وكان قبر الشيخ سيدي محمد البصير، المعروف بوران، عليه مزبلة عظيمة، وكان محلا للعب أهل السوء من الزفانة¹ وغيرهم، يجهل الناس بالقبر. فأمر الشيخ سيدنا الصالح، برفع المزبلة إلى أن يصلوا للتراب الأحمر الورزغي، فأخذ الناس في رفع ذلك إلى أن وصلوا للتراب الأحمر، فأخبروا الشيخ بذلك، فخرج الشيخ سيدنا الصالح، ومعه الفقيه المذكور إلى أن وصلوا لمكان سيدي محمد البصير، نفعا الله به، فجلسوا أمام القبر، وأخذ سيدنا الصالح حال بالضحك، فأخذ يضحك، والفقيه المذكور يقول: الجمال! الجمال! يعني أن ضحكته، من مشاهدة الجمال، ثم ودعه الشيخ للمدينة المذكورة، فلما وصل إليها، وبقي بها ما شاء الله نزل ببعض جوارى السلطان الجليل، المرحوم بكرم الله مولانا إسماعيل، مرض فأمر القائد العرائشي، بإحضار بعض أطباء فاس لعلاجها، فقال له القائد المذكور: يا سيدي مدينة سيدنا معمورة بالعلم والطب، لا يحتاج سيدنا لمدينة فاس، وهنا عندنا رجل من أهل المعرفة، فأمره السلطان بإحضاره فأحضره بين يديه، فأمر السلطان الفقيه بملازمة

¹ الزفان: ويقال الرقااص والزفن: الرقص. زفن يزفن زفنا، وهو شبيه بالرقص. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون أي يرقصون. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "زفن".

أحد أبواب داره للمعالجة، وفتح الله له من ذلك رزقا واسعا، واشتهر صيته من بركة الشيخ نفعنا الله به، كان ذلك آخر قدومه للشيخ".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه النزيه السيد محمد بن عبد الكريم العبدوني، قال: "حدثني المسن السيد عبد الكريم الدليبي¹، وكان من أصحاب الشيخ سيدنا الصالح، قال: قدمت على الشيخ زائرا ومعى جماعة من الناس، فأمر الشيخ، بنزولنا بدار ولده سيدي محمد، قبل أن يسكنها، ثم لما أردنا موادة الشيخ داخل علينا في الدار المذكورة ليوادعنا، فدخل الشيخ نفعنا الله به البيت الذي كنت فيه، فجلست بين يديه، وأخذت أشكو عليه أمور ديني ودنياي، وديونا ركبتني، فقال لي: قضاؤها على الله، ثم سمعت سقف البيت يزوي، فبمجرد سماع ذلك، قام الشيخ من البيت، فتبعته وسمعت الدراهم تتساقط من سقف البيت، فلما خرج الشيخ/241 من الدار، أمرني بالرجوع لموضعي، فوجدت أصحابي، رجعوا للبيت عند خروجي مع الشيخ، ووجدوا الدراهم على حالتها، فأخذوا في جمعها، فكففت، فقال لهم: لم جمعتم هذه الدراهم؟ وهلا تركتم الأمر على حاله."

ومن كراماته أعلى الله مقامه: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا عن السيد عبد الكريم الدليبي، أيضا، قال: "كنت عند الشيخ سيدنا الصالح، وهم الشيخ أمر فناداني، وقال لي: يا عبد الكريم، أخرج للمكرط بحيث لا تسمع حتى حس أبي الجعد، وناد ثلاث مرات: يا الباز الأشهب، وما سمعت احفظه، وأخبرني به، فخرجت لقرب شعبة سيدي

¹ عبد الكريم الدليبي الفقيه الخير الدين، وكان من أعيان أصحاب الشيخ سيدي صالح وكان يأتي إليه من بلده من قبيلة أولاد دليم من سوس إلى تادلة مرتين في السنة، ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 141 (أ).

قاسم المعلومة، وناديت: ياالباز الأشهب، ثلاث مرات، فإذا بفارس عليّ، وقال لي، قل له: مرادك قضاءه الله، فرجعت، وأخبرت الشيخ بذلك".

ومن كراماته قدس الله روحه: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا، قال: "حدثني الفقيه الأجل، العالم الأمثل، سيدي الطيب الفيلاي، قال: "قدمت على الشيخ سيدنا الصالح، وقلت له: يا سيدي تلاقيت مع جماعة من الصالحين، كل من هو من تلمسان إلى هنا، وأتيت بابك وأخذت في الكلام معه، فقال لي: تعرف القاضي عياضا، فقلت له: نعم أعرف علمه وصلاحه، فقال لي: تلاقيت معه، وأخذت عنه، فكان ذلك سبب معرفتي بالشيخ، وأخذي عنه، وعلمت أنه رئيس أهل زمانه".

ومن كراماته رفع الله مقامه في عليين: ما حدثني به الفقيه المذكور، أيضا، قال: "حدثني الفقيه الأجل، الدين الخير الأمثل، سيدي الحسن السيفي، قال: سبب معرفتي بالشيخ سيدي الصالح، أنني تلاقيت مع المرابط السيد أبي القاسم اليزيدي، وكان من أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله، صاحب "المخفية" من فاس، وسيدي أحمد اليماني، وكان المرابط المذكور زاهدا في الدنيا، فسألني هل تعرف سيدي الصالح؟، فقلت له: لا أعرفه، فقال لي: ذلك الرجل من أكابر الأولياء، ممن يغيث في البحر، فإنني كنت راكبا في سفينة في البحر، وهاجت علينا الفرات، وأشرفنا على الهلاك، وصار كل واحد من أهل السفينة ينادي بصالحي بلده، فأتيت القامرة، موضع معروف في السفينة، فوجدت سيدي الصالح، جالسا هنالك، فرجعت لمحلي أعلم الناس به، لظني أنه كان راكبا معنا، فلما أعلمت الناس به، قالوا لي: إنه لم يركب معنا، وأتينا للمحل المذكور في طلبه، فلم نجده، وسكنت الأرياح والفراتن علينا، فعلمنا أن ذلك من بركته". وقد تلقيت هذه الحكاية من سيدنا الإمام، وشيخنا الهمام، سيدنا المعطى بن الشيخ الجليل، سيدنا الصالح، نفعنا الله بهما، ومنحنا من بركتهما وسيرهما، وزادني فيها أدام الله/242/ علاه،

قال الفقيه سيدي الحسن، صاحب الحكاية: "وسألت بعد ذلك عن هذه الحكاية الشيخ سيدي الصالح، فأنكرني في ذلك". قلت: وذلك شأنهم، في إنكار الكرامات، والتواضع لرب الأرضين والسموات.

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه المذكور قبل هذا، عن الفقيه المقرئ السيد العربي بن علال، قال: "حدثنا السيد بلعيد الهشتوكي، أنه كان مع الشيخ سيدنا الصالح، بمدينة مراكش، وكان هو الذي يتولى نفقة الشيخ وضيوفه، قال: أتيت الشيخ يوماً فوجدته جالساً بمسجد جامع ابن يوسف من مراكش، فنظر، إلى سارية من سواري المسجد قربها، ولا أدري هل قرأ شيئاً أم لا، فصارت الدراهم تتناثر من السارية، ثم أمرني الشيخ بجمعها، وقال لي: لا تحسبها فأتيت بها، فوضعتها في موضع، وأخذت أنفق منها، ما يزيد على السنة، ولم تنفذ، ثم قلت في نفسي: هذه الدراهم وسعت نفقة هذه المدة لا بد أن أنظر ما بقي منها، ولو بمس يدي لها، فمددت يدي لها، ومسستها وعلمت قدرها، ثم أخذت أنفق منها، فنفدت قرب ذلك، فتوقفت في بعض الضروريات لدار الشيخ، ولم نجد ما نقضي به ذلك، فرهنت بعض حوائجي، وقضيت ذلك الأمر فنظر إلي الشيخ، وقال لي: أين حاجتك الفلانية؟ فقلتله: رهنتها يا سيدي في قضاء كذا للدار، لأنني لم يبق عندي شيء أنفق به، فقال لي: وأين الدراهم؟ فقلت له: نفذت، فقال لي نفعنا الله به: لعلك حسبتها، فقلت له: يا سيدي لم أحسبها، ولكني لمسيتها بيدي لأعرف قدرها".

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضاً عن الفقيه السيد العربي بن علال، أيضاً، قال: "حدثني المكرم عبد الجواد، من عبيد سيدي البخاري، قال: سبب توبتي أنني كنت ساكناً بمدرسة بن يوسف، فإذا صليت العشاء خرجت من المدينة

للحوز، بقصد التلصص على الناس، وإذا طلع النهار، رجعت للمدينة¹، وتلك حالتي، ثم إنني أتاني الشيخ سيدنا الصالح، يوما، وقال لي: هل ترجع عما أنت مشغول به؟ وكان مع الشيخ حال، فأخذت في الاعتذار إليه، فقال لي: إن لم ترجع عن فعلك ترى أمرا عظيما، فخرجت ليلة على عادتي، فلقيني لصوص فأخذت في القتال معهم، إلى أن كثرت في الجراحات، ولم يسلم مني عضو واحد، فحملت من الغد للمدينة، وبقيت إلى أن عفيت من ذلك، وتبت إلى الله، وصحبت الشيخ نفعنا الله به، آمين."

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا عن الفقيه المقرري السيد العربي بن علال، أيضا، قال: "حدثني المكرم عبد الجواد أيضا، قال: كنت مع الشيخ سيدنا الصالح، ممن يخدمه، فإذا فاتت العشاء، وأغلقت الأبواب، ناداني، وقال لي: اذهب معي نزور الصالحين، فنأخذ/243/ معه في الزيارة، فكلما وجدنا بابا مغلقا، وضع يده عليه، فينفتح من بركته، إلى أن يكمل زيارته، ويرجع لمحلته نفعنا الله به."

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا سيدنا المعطى، أدام الله وجوده، قال لي: "قدم على الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، الشريف الناسك الوجيه الدين الخير النبيه، مولاي أحمد اليزناثي، وكان من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي، أحد أشياخ سيدنا الصالح، وكان الشريف ممن حصل له الخير من شيخه المذكور، وبيده كتاب الرسائل للشيخ سيدي محمد بن سعيد المذكور، التي أجاب بها العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله، صاحب "المخفية" من مدينة فاس، وكان الشيخ سيدي محمد بن سعيد يجله وينوه بقدره، فلما أراد الشريف المذكور الانصراف من عند الشيخ سيدنا الصالح، قال له الشيخ سيدنا الصالح: تقيم

¹ في النسختين (ج) و(د): "المدرسة".

عندنا حتى أكتب من عندك كتاب الرسائل، فلم يتيسر للشريف الجلوس، وسافر فلما وصل لوادي أبي جروم، المعروف قرب أبي الجعد، أخذ يومه يتردد فيه، يمينا وشمالا، ولم يدر أين يذهب مع شهرة الطريق إلى أن رجع لأبي الجعد، ودفع لسيدنا الصالح، نفعنا الله به، كتاب الرسائل، وفرقه على الطلبة، وأقام عنده إلى أن فرغ الشيخ من كتابة الكتاب المذكور، وعلم أن ما أصابه، إنما هو من الشيخ ."

ومن كراماته جدد الله عليه سحائب الرحمات: ما حدثني به الفقيه الأرضي، سيدي الطيب أفروخ، به عُرِف، قال: "حدثني الفقيه الأجل، العلامة الأمثل، سيدي عبد الوهاب بن الشيخ، أحد فقهاء مدينة مكناسة الزيتون، قال: قدمت على الشيخ سيدنا الصالح، زائرا له، فلما جلست بين يديه أنشدني أبياتا من غير سؤالي له عنها، وهي هذه:

[الكامل المرقل]

قَالَتْ وَأَبَدَتْ صَفْحَةً كَالشَّمْسِ مِنْ تَحْتِ الْقِنَاعِ
بِغْتِ الدَّفَاتِرِ وَهِيَ آخِرُ مَا يُبَاعُ مِنَ الْمَتَاعِ
فَأَجَبْتُهَا وَيَدِي عَلَى كَبْدِي وَهَمَّتْ بِإِنْصِدَاعِ
لَا تَعْجَبِي مِمَّا ذَكَرْتِ، فَنَحْنُ فِي زَمَنِ الضِّيَاعِ

قال: فلم أدر ما أشار له الشيخ، بالأبيات، فلما رجعت لبلاد مكناسة الزيتون، أصابتنا مجاعة، وبعثت جل كتبي، فعلمت أن الشيخ، لذلك أشار لي بالأبيات."

ومن كراماته، قدس الله روحه: ما حدثني به أيضا السيد الطيب الفقيه المذكور، قال: "كنت جالسا بين يدي الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، وأتى إليه طالب يستشير في دخوله في خطة العدالة، فبمجرد جلوسه بين يديه، قبل أن يتكلم، خاطبه

الشيخ، بقوله/244/تعالى: ﴿قَلْبِنِ شَهَدُوا فَلَا تُشْهِدُ مَعَهُمْ﴾¹، فعلم أن الشيخ كاشفه بمراده، وأجابه قبل السؤال، وأعرض الطالب عن خطة العدالة."

ومن كراماته: ما حدثني به الفقيه المذكور أيضا، قال: "قدم على الشيخ فقيه من زعير، كان قاضيا عندهم، فقال أحد فقهاء البلد للشيخ: يا سيدي هذا الفقيه قاضي زعير، فقال له الشيخ: يقضي حتى يقضى عليه، فبينما القاضي المذكور ذات يوم يحكم بسوق زعير في بلادهم، فإذا بفتنة وقعت بالسوق بين زعير وآيت يمور، فقتل بعض زعير رجلا من آيت يمور، وفر زعير من السوق، فطلب إخوان المقتول زعير للفتاء في أخيم، فلم يجدوا أحدا، فأتوا للقاضي المذكور وقتلوه في مجلس حكمه في أخيم، فظهر بذلك مصداق قول الشيخ نفعنا الله به، يقضي حتى يقضى عليه، وأنه لذلك أشار، وقد تقدمت الحكاية عن غيره."

ومن كراماته: ما حدثني به السيد التهامي المباركي الموسوي، قال: "كنت جالسا عند الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، بباب داره المعروف لجلوسه، ومعه الفقيه الأجل سيدي محمد بن يوسف، والمرابط الناسك العارف سيدي العياشي بن عبد القادر، أحد حفدة الولي الكبير سيدي محمد بن مبارك، نفعنا الله به، فقدم على الشيخ المرابط سيدي محمد² بن العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي، نجل سيدي أحمد

¹ سورة الأنعام، الآية: 151

² يظهر أن زاوية الصومعة في عهده قد واجهت صعوبات مادية... وأخرى قد تكون لها بعض العلاقات الاجتماعية والسياسية فقد ذكر المعداني أن محمدا بن محمد بن عبد الرحمان قد التجأ إلى الشيخ محمد الصالح للتوسط لدى موسى الجراري قائد منطقة تادلا في شأن ديون مترتبة عليه مما قد يوحي بأن الزاوية قد نضب معيها وانقطع الوافدون عليها، غير أنني وجدت في الروض الفائح بأن وفدا عن قبيلة بأقاصي الأطلس "آيت امحمد" جاءوا يبحثون عن سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمان لتسليمه هداياهم لأنهم لم يجدوه بزوايته لوجوده آنذاك بزواية تمدجوت عند زعيمها الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي. ينظر: الحسن المعداني، الروض

بن أبي القاسم، نفعنا الله به، فجلس بين يدي الشيخ، وأخذ في البكاء عليه، وهو يلوذ به، فقال له الشيخ: مالك؟ فقال له: علي ديون، وثقل علي أمرها، وخفت على نفسي الفضيحة مع أربابها، وتباع أملاكي في قضائها، وليس لي غيرها، فصاح عليه الشيخ، وقال له: نوض خلك الله عليك، وكررها مرارا، ثم رجع الشيخ لحاله، فقال لمقدمه العلم عبد الرحمان: أعط للسيد محمد مع أصحابه ما يأكلون، فأتاهم بالطعام، فأكلوا، ثم قال لي الشيخ: تذهب لدارك، وكنت نازلا بقصبة تادلة، فقلت له: نعم يا سيدي، فودعني، وقال لي: انهُنَّلاً¹ في ولد سيدي محمد بن عبد الرحمان، حتى توصله للقصة التادلية، فخرجت معه، وركبته على بغلتي، وأتيت معه على رجلي، فلما وصلنا لسدرة النصف² المعلومة بالطريق، نزل ليستريح ومع صاحبه قربة ماء، فجلست معه، وأخذنا في الكلام بيننا؛ فإذا برجل علينا أتانا من غير طريق، فسلم علينا، فرددنا عليه السلام، فقال لنا: أين ولد سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي؟ فقلنا له: هو هذا، فقال له: خذ هذه الأمانة، ومد له مزودا الذي يقال له: تأسْفَرَة³ مملوءة بالدرهم، فقال له السيد محمد: ما هذا، فقال له الرجل: إن رجعت أخذت متاعي، وإن لم أرجع فأنت/245/ أولى بذلك. ثم رجع الرجل عنا، ولم يزد كلاما معنا، فركبنا للقصة، فلما وصلناها أخذ سيدي

اليانح الفائح، ص: 246-248؛ ومصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة ومع زوايا المنطقة، ص: 123.

¹ تعبير باللسان الدارج، ومعناه "ان يعتنوا، وأن يهتموا".

² اسم موضع يقع في منتصف الطريق بين قصبة تادلة وأبي الجعد سمي بذلك لغلبة نبات السدر به، وهو محل الرعي الماشية (رواية شفوية).

³ تسوفرة: جراب أو كيس جلدي مصنوع بألوان زاهية، ومزركش برسوم فنية رائعة الجمال، يستعمل في المناطق الصحراوية المغربية، وفي بعض المناطق المتاخمة لها، وذلك لحفظ بعض المواد من التلف، كالألبيسة والحلي والنقود والكتب والرسوم وما إليها من مختلف المواد الثمينة خاصة. ينظر: محمد عالي خنفار، مادة "تسوفرة"، معلمة المغرب، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثانية/ 1435هـ-2014م، الجزء (7)، ص: 2371.

محمد بن محمد بن عبد الرحمان، في قضاء ديونه التي بالقصبة من ذلك المال، وفصل من المال كثير، ثم انصرف من القصبة لآيت بن يش من قبيلة سمكت¹ في بلادهم، وكانوا خداما لوالده، فلما وصلهم، قالوا له: يا سيدي آيت محمد² من آيت اسري³ قدموا لنا، وسألوا عنك، فقال لهم: انظروا منكم من يصل إليهم، ويخبرهم بقدومي إليكم، فبعثوا رجلا لآيت محمد، فوجدهم بضرخ الولي سيدي علي بن عبد الرحمان⁴.

¹ قبيلة سمكت هي إحدى القبائل الأربعة التي كان يتكون منها كيش آيت الربيع، ينظر: محمد بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال، ص: 245.

² تقع قبيلة آيت محمد جنوب أزيلال، سكانها أمازيغيون يبلغ عددهم 21742 نسمة. أقاموا فوق منحدرات الأطلس الكبير المركزي. فعلى المستوى الاقليمي يحد القبيلة إقليم بني ملال شمالا، واقليم مراكش وورزازات جنوبا، كما يحدها من الشرق اقليم الراشيدية وغربا اقليم قلعة السراغنة. أما على الصعيد المحلي فمجال آيت محمد يقع بين زاوية أحنصال شرقا، وآيت عباس غربا، وتامدة نومرصيد شمالا، ثم يحدها آيت بوكماز من الجهة الجنوبية. أما فيما يخص مساحة هذه المنطقة فتبلغ 300 كلم². ينظر: مونوغرافية الجماعة المحلية لآيت محمد، برسم سنة 2005، ص: 4 و5.

³ آيت يسري: التجمع السكاني المعروف في آيت عتاب يشكل جزءا من مشيخة آيت إغص، ويرجع أصلهم إلى القبيلة المشهورة بهذا الاسم والتي تنتمي إلى تجمعات آيت أو مالو التي نزحت من الجنوب المغربي، وتوجد مواطنهم فيما بين نهر أم الربيع شمالا ووادي العبيد جنوبا ووادي درنة غربا ومجاري مياه وادي واومنا شرقا، وتتكون بطون هذه القبيلة من آيت عبد اللولي وآيت أم البيخت وآيت ورا وآيت محاند. ينظر: عيسى العربي، قبيلة آيت عتاب، السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ، ص: 47-48.

⁴ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب بن صالح بن علي الدرعي التادلي، نزيل تادلا ودفينها، وله بها صيت، وعلى مقامه مزار، ولادته عام 1018هـ، تتلمذ على شيوخ من الزاوية الناصرية بتمكروت، مثل الشيخ عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري. وفي سياحته الصوفية ذهب إلى سوس ودخل في خدمة الشيخ بودميعة، ثم ذهب لزيارة أبي يعزى والأخذ عن شيوخ الزاوية الدلائية، لينتقل فيما بعد إلى زاوية ووزغت، ويأخذ عن الشيخ محمد بن الحسن الدادسي الووزغيتي أحد تلامذة أبي حسون السلاوي، وكان هو عمدته إذ لازمه سنين عديدة، إلى أن توفي. ثم انتقل إلى تامجت حيث أسس زاويته هناك، وصارت مركزا لطريقة صوفية جزولية-زروقوية، وصار له العديد من المريدين والأتباع، توفي سنة 1091هـ ترجمته في: أحمد بن يعقوب الولالي، مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار، تحقيق عبد العزيز بوعصاب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 279-280؛ ومحمد المنالي الزبادي، سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، تحقيق نعيمة بنونه؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، الطبعة: 2010، ج1/13؛ ومحمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج1/200.

فأخبرهم بقدم المرابط المذكور، وأنه بدواهم، فقالوا له، قل له: نحن لا نقدر على النزول إليه، خوفاً من المخزن، لأن القائد موسى الجراري، من أصحاب الشريف مولانا أحمد بن الأمير مولانا إسماعيل، قدس الله أرواحهما، كان يضرب الدور في طلبهم، حيث ما وجدوهم، وقمع شوكتهم، لأنهم كانوا لم يدخلوا في طاعة الأمير، وقالوا للرسول: قل لسيدي محمد: يقدم إلينا لدير الجبل حيث نأمن على أنفسنا من المخزن، فأتى الرجل، وأخبر المرابط بقولهم، فقدم إليهم، فلما التقى معهم، قدموا له ما يزيد على ثمانين شاة من الغنم أكباش، وقالوا له: يا سيدي هذه الغنم أتينا بها إليك زيارة، إقبلها منا، فقبلها منهم، ثم قالوا له: أردنا من سيدنا أن يتكلم لنا مع القائد موسى، يؤمننا في يدك، حتى نكيل الزرع لأولادنا، فقدم سيدي محمد المذكور للقائد موسى، وأخبره بأن آيت محمد لاذوا به، وطلبوا الأمان في يده حتى يكيلوا، وكان القائد المذكور يعرف والد المرابط سيدي محمد بن عبد الرحمان، ويخدمه ويعظمه، فقال له: يا سيدي إن قدم النصارى معك أمنت عليهم فأحرى أولائك الأقسام، فرجع المرابط للبرابر، فأخبرهم بمقالة القائد موسى، فأمنوا ونزلوا معه، وباع لهم شعيراً كان له عند آيت بن يش المذكورين نحو الثمانين غرارة، بمثقال للغرارة، لأن الزرع كان رخيصة بحيث لا يساوي تلك القيمة، وكان المرابط المذكور متحيراً في الزرع لعدم قدرته على نقله لبلاد الصمعة التي كان بها قراره، ثم أمر المرابط خدامه آيت بن يش المذكورين بشراء قيمة الزرع أكباشاً من عند البرابر أيضاً، فاشتروا بالثمن نحو ثلاثمائة كبش، وبقيت الغنم عندهم، إلى أن بلغ وقت بيعها، فأمرهم ببيعها للتجار القادمين لشراؤها، فباعوها بتسع أواق للكبش، وأتوه بالمال، ففتح المرابط المزود الذي قضى منه دينه السابق، وأخرج منه زمام ما أخذ منه من المال، وأخذ يقرأ الزمام، ويرد ما أخذ من ماله إلى أن استوفى جميع ما أخذ، وفضل له من المال كثير، حسبما أخبرني بذلك من فضل الله تعالى، وبركة الشيخ سيدنا الصالح

نفعنا الله به/246/. وحدثني السيد التهامي المذكور، أنه كان كلما قدم للصمعة، وتلاقى مع المرابط صاحب الحكاية، سأله عن صاحب الأمانة، هل قدم إليها، فيخبرني ما وقع له في ذلك، وأن الأمانة ردها على حالتها، ولم يظهر صاحبها إلى الآن وبقي الأمر كذلك، إلى أن توفي المرابط المذكور رحمة الله عليه.

قال مؤلفه الحسن بن محمد المعداني، كان الله له وليا في حالي البعد والتداني، وسقاه من شرابه الصمداني، وهذا أوان الشروع في خاتمة الكتاب، وذكر فصولها الثلاثة التي تستعذب في المسامع وتستطاب.

-الفصل الأول: في منظوماته وقصائده، وتوسلاته، لمولاه سبحانه وفوائده وفرائده، وبعض ما كان بينه وبين غيره من الأجلة الأعيان، من المخاطبات والمراسلات التي تطيب بها القلوب والأذهان، إلى آخر ما سبق¹.

-الفصل الثاني: في التعريف بوالده الكامل، وحبل الله الموصل الواصل، العالم العامل، أبي عبد الله سيدي محمد المعطى، نفعنا الله بعلومه، ومنحنا من أسراره الوهبية وفهومه.

¹ تم حذف الفصل الأول من الخاتمة بعنوان: في منظوماته وقصائده وتوسلاته لمولاه سبحانه وفوائده وفرائده، والذي يبتدئ من منتصف السطر الرابع عشر من الصفحة 246 (فأقول ومن الله أرجو القبول وبلوغ المنا ...) الى غاية السطر الثاني عشر من الصفحة 361، والذي ينتهي بالعبارة التالية، (فإن الناس في ضيق كثير من حبس الأمطار). واحتفظنا بنفس ترقيم هذه النسخة كما هو في أصلها المخطوط حيث وجدت ورقتان منه غير مرقمتين. فاضطرت الى وضع هذين الرمزتين تمييزا لهما، وحفاظا على الترتيب الموجود أصلا في المخطوط. والرمزان هما: 34 مكرر (1) و34 مكرر (2).

-الفصل الثالث: في ذكر نسبه المعظم، وشرفه المفخم، وما في عموده من الفحول الكرام، والأولياء العلماء الأعلام، ليعلم ما لهم رضوان الله عليهم، من علو المكانة والجاه، بمحض الفضل والكرم من الله.

الفصل الثاني: في التعريف بوالده الكامل العالم أبي عبد الله سيدي

محمد المعطى

الفصل الثاني من الخاتمة: في التعريف بوالده سيدي محمد المعطى، نفعنا الله به، فأقول، وبالله أستعين في بلوغ المتى والسؤل، هو الولي العارف الواصل الموصل المكاشف، الطود الراسخ، والركن الشامخ، صاحب الأحوال العرفانية، والواهب للأسرار الربانية، والمآثر السنيّة، والمذاهب السنيّة، والأخلاق الزكية، والعلوم الباهرة، والتصرفات القاهرة، شديد المحافظة على السنة، والكتاب، لا تأخذه في الله لومة لائم، من أرباب المناصب والأصدقاء والأحباب، سريع الأمر بالمعروف في ما أمر به مولاه، شديد الغضب والانتقام، إذا انتهكت حرمت الله، كامل الحب في الله والرسول عليه السلام، غائبا في كمالته المصطفوية على الدوام، هجر في ذلك البلد والأوطان، والآباء والعشائر والإخوان، متعلق القلب بما عند الله، متحليا بحلية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ، فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾¹، والله، در من قال:

[الطويل]

وَمَنْ يَدَّعِي حُبَّ الرَّسُولِ وَلَمْ يَكُنْ بِسُنَّتِهِ مُسْتَمْسِكًا فَهَوَ كَاذِبٌ
عَلَامَةُ صِدْقِ الْمُرءِ فِي الْحُبِّ أَنْ يُرَى عَلَى سُنَّةٍ كَانَتْ عَلَمًا الْحَبَائِبُ²

أبو عبد الله سيدي محمد المعطى، نفعنا الله به، كان، عالما عاملا/362/ ناسكا زاهدا كاملا، متصوفا فاضلا، له اليد الطولى في جميع العلوم، يتصرف في جميعها في كل

¹ سورة ال عمران، الآية:31

² وردت هذه الأبيات في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/350، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "على مذهب" عوض "على سنة".

منطوق ومفهوم، بلفظ بليغ رائق، ومعنى باهر فائق، إذا كتب بحرا بعيدا قعره، وفيضا ربانيا لا يمكن غوره، نشأ نفعنا الله به، في عبادة ربه، مقتفيا في ذلك بسيرة آبائه الكرام على الله، وجده. ظهرت عليه سمة الخير في صغره، وأشار له بذلك، من يعتد بإشارته ونظره.

يحكى أن والده أبا محمد سيدي عبد الخالق، ذهب به يوما، وهو صغير، لبعض أهل الخير، بقصد أن يدعو له، فلما وصله إليه، وحل بين يديه، قال له: أكسه جبة صوف، فوقع في خاطر والده شيء، وتعجب من ذلك، كيف يلبسه الصوف، والكتان والملف موجودان، وكان والده ذا مال عظيم، ولم يتفطن إلى أن مراد الشيخ بذلك الإشارة إلى أنه يكون من أهل التصوف"¹.

"وحدث بعض الثقات، أنه كان، حال قراءته مع الطلبة، يختلف مع الشيخ في فهم مسائل، أو في فهم جواب عن سؤال جليل هائل يرد عليهم، فيأتهم نفعنا الله به بجواب لم يكن لهم به علم، ولا خبرة ولا فهم، فيقول له الفقيه: "هذا من صوفك، يعني به التصوف، ثم بعد ذلك يجدونه الأصح. وذكر المخبر أن سيدي محمد المعطى كان يقول لهم: كنت نرى الجواب مكتوبا على جبين الفقيه"². وكان على ما وصل إلينا من خبره، وانتهى إلينا من مسيرته وأثره، آية الله في أرضه، وحجته بين خلقه، ويوصف بوصف يعز وجوده، يخفق عليه ألوية الصلاح وبنوده، بعدما جمع فنونا من العلوم السنية، ونفائس

¹ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج2/526؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 31 (أ).

² وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج2/526.

من الحكم الوهبيّة، كان جامعا مانعا، واصلا مكاشفا وغيثا نافعا، وودقا هامعا، عارفا رحمانيا، وإماما ربانيا، من ذوي التشمير والحزم، والاجتهاد والعزم.

[الكامل]

حَلَفَ الزَّمَانُ لِيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ حَنِثْتُ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَقِّرِ¹

كما عرف به العالم العلامة، الدراكة الفهامة، سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، في "فهرسته" المشهورة، وأما ما يوثر عنه في الورع حدث عن البحر ولا حرج.

يذكر أن بعض أولاده، أكل عند بعض الناس طعاما، وكان في ماله شيء، فلما قدم، أخبر بذلك، فجعل يده في فم الولد، حتى قاء جميع ما أكل. ونحو هذا ما فعل الصديق، لما أكل طعاما عند رجل، فبعد ذلك أخبره بأنه تكهّن فيه، فجعل الصديق أصبعه في فيه، فقاء جميع ما أكل، وقضيته/363/ مذكورة في الصحيح²، فإن قيل: "كيف أكل أبو بكر الصديق، طعام المكاس³ ثم قاءه، كماخبر به، مع أن العارفين⁴

¹ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج2/259؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/441؛ وابن مغيّزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 270. وقد أثبتت هذه المصادر المشار لها أعلاه أن صاحب البيت هو للفقير والشاعر الأديب عمارة اليميني. وهو محمد عمارة بن علي بن زيدان الحكيم اليميني الشافعي، الشاعر، صاحب "الديوان" المشهور. ولد سنة خمس عشر وخمسمائة، وتفقه بزييدة مدة، وقد نشأ في بيت علم وصلاح وفقه ورياسة وترعرع في أحضان معرفة، وتغذى بلبان العرب فجأ نظيفا نقي النفس كريمة ذا ورع وعفة، كان شديد التعصب للسنّة، أديبا ماهرا، رائجا في الدولة، ثم تملك صلاح الدين، فامتدحه، ثم إنه شرع في اتفاق مع رؤساء في إعادة دولة العبيديين، فنقل أمرهم إلى صلاح الدين، فشنق عمارة في ثمانية في رمضان سنة تسع وستين وخمس مائة. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20/592-596.

² البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، ح:3842، ج3/52.

³ في النسخة (ب)، "الكهان"

⁴ العارف: من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله. فالمعرفة حال تحدث عن مشهود وسئل الجنيد عن العارف فقال: لون الماء لون الإناء يعني أنه يكون في كل حال بما هو أولى فيختلف أحواله ولذلك قيل هو ابن

يعرفون الحلال والحرام، ويميزون بينهما بالرؤية، أو بالشم، أو بالذوق، ولا يحتاجون إلى سؤال. قلت: أجب عن ذلك سيدي علي الخواص، كما نقله عنه تلميذه سيدي عبد الوهاب الشعراني، فقال: "إنما وقع للصديق، ذلك، ولم يحفظه الله منه، ليبين الحق تعالى للأمة أن أبا بكر غير معصوم، حين ظن بعضهم فيه العصمة، فأراد الحق بذلك إعلامهم بعدم عصمته، ولذلك لم يبلغنا أن ذلك وقع له إلا مرة واحدة، ثم حماه الله تعالى إلى أن مات. والله أعلم." انتهى. وهذا من باب الورع، وإلا فمن استهلك شيئاً معيناً فعليه قيمته.

وأما ما يؤثر عن صاحب الترجمة، مما يؤذن بحبه العظيم، ووجده الفخيم، في سيد الأنام، ومن تلوذ بجاهه المعظم الفحول الأكابر في يوم الزحام، سيدنا ومولانا محمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، فكثير، وذلك عند الناس شهير. "من ذلك ما حدث به بعض الثقات، أنه أغضبت أمة له، بسبب من الأسباب، فأراد ضربها أدبا لها، فاحترمت له بالنبي ﷺ، ففادت منه ضربة وضربت بعد الاحترام، كأنه لم يسمع ذلك، فندم على ذلك، وتأسف غاية، وأرسل إليها يعتقها جراء ذلك، وتكفيرا لتلك المخالفة، بحسب الظاهر، وكتب لها ذلك في صك، فقبضته الأمة، وبقي عندها إلى أن أرسل السلطان الأجل مولانا إسماعيل، نضر الله وجهه، ليأتوا له بالإماء، فأتوا بها في الإماء يظنون أنها منهن، فأخرجت الصك"¹ الذي كتب لها الشيخ، فاتعظ به كل من حضر

وقته. وسئل ذو النون عن العارف فقال: كان ههنا فذهب يعني أنك لا تراه في وقتين بحالة واحدة لأن مصرفه غيره ينظر: الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص:106؛ وعبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص: 106.

¹ وردت هذه الحكاية في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/524، مع اختلاف يسير في الرواية.

ذلك الأمر، وتركوها، واحترموها، إجلالا لمنصبه الشريف، وتعظيما لجنابه العلي القدر المنيف.

ومن ذلك ما حدث به بعض الثقات: "إن صاحب الترجمة قدم إلى فاس المدينة المشهورة بالعلم، وطيب العيش، والانتقام من أهل الأسواء¹ والبأس، يطلب حق أمه من الإرث، فقاموا إليه، وأتوه بنعل النبي ﷺ، وكانت عند بعض السادات هنالك، فسمح لهم، وأبرأ ذمتهم، فهكذا يكون التعظيم والاحترام، والتوقير والإجلال والإعظام،"² ولله در من قال:

[الوافر]

عَلِيلُ الْقَلْبِ مِنْ حُبِّ الْحَبِيبِ	غَرِيبُ الْوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيبِ
وَيَنْطِقُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ/364	إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ قَامَ يَبْكِي
وَيَشْكُو مَا يَكُونُ مِنَ الرَّحِيبِ	فِيَقْطَعُ لَيْلَهُ ذِكْرًا وَفِكْرًا
يَجِلُّ عَنِ التَّطَبُّبِ وَالطَّيِّبِ	بِهِ مِنْ حُبِّ سَيِّدِهِ غَرَامٌ
يَطِيبُ تُرَابُهُ مِنْ غَيْرِ طِيبٍ ³	وَمَنْ يَكُ هَكَذَا عَبْدًا مُحِبًّا

"وحدث بعض الثقات أيضا: "إن صاحب الترجمة، رأى في عالم النوم، كأن ملكا نزل من السماء يكتب أهل المحبة، أول ما كتب مالك بن دينار، واشتغل يكتب حتى انتهى الأمر إليه، فسطر ورأى الملك يقول: "محب المحب محبوب، وهو يكرر ذلك إلى

¹ في النسخة (ج) و(د)، "الأهواء".

² وردت هذه الحكاية في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/524؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 29 (ب)، مع اختلاف في الرواية.

³ وردت هذه الأبيات في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 440، مع اختلاف في الترتيب ما بين الشطرين في البيتين الثاني والثالث؛ وبنفس الترتيب واللفظ في، محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 30 (أ).

عشر مرات"1. اللهم إني أشهدك بأني أحب هذا الولي العظيم الشأن، سيدي محمد المعطى، وأحب الصالحين كلهم، وجميع أهل محبتك، ومودتك وخدمتك، فتقبل مني، ووفقني لطاعتك، واحفظني من معصيتك ومخالفتك، وتوفني على كلمة الإخلاص، وفرحني بالعتق من النار، يوم يؤخذ بالنواصي، فإنك جواد كريم، رؤوف رحيم، وقد توسلت إليك بسيد الأنام، سيدنا ومولانا ونبينا محمد، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، لأن جاهه عندك عظيم، وقدره جليل فخيم، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين".

"وحدث بعض الثقات أيضا أن صاحب الترجمة، كان يقرأ صحيح البخاري، هو وجماعة من الطلبة برباط الفتح، فعثروا على كلام لبعض العلماء، فاختلفوا في فهمه، وصدر من بعض الطلبة كلام محصله: إن بعض الصحابة، فعل مع النبي ﷺ، ما ليس من شأن الحبيب أن يفعله مع محبوبه، في حالة الحرب، فصاح الشيخ صيحة عظيمة، وأغلظ على الطالب الذي صدر منه ذلك الكلام، وقام غائبا وشق الصفوف، وخرج من المجلس، وهو على تلك الحالة راجعا القهقري، حتى انتهى نفعنا الله، به إلى سارية من سواري المسجد، فضربته في رأسه فشجته، وسقط على الأرض، وحمل إلى داره مغشيا عليه، فما أفاق إلا بعد حين"2.

قلت: وهذا مما يدل أيضا على عظيم محبته في الرسول عليه السلام، وصحابته الأجلة الأعلام، الذين قال فيهم سيد الأنام: الله لا تُؤذوني في أصحابي. الحديث المشهور، ولعل حمل الطالب المذكور لا يليق بمنصبتهم الشريف، ومقامهم المعظم

1 وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/522؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 28 (ب).

2 وردت هذه الحكاية في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/523؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 29 (أ)، مع اختلاف طفيف في الرواية.

المنيف، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعلنا ممن انخرط في سلكهم، واحتى بحماهم، فقد بذلوا في محبته النفوس والأهوال، واقتحموا بنصرتة المشاق والزلازل والأهوال، وفدوا نفسه بأنفسهم عند الشدائد على ممر الأيام والليال، وقلما ذكره إلا فدَّوه^{1/365} بأنفسهم، وأخبارهم في هذا ونحوه كثيرة مستفيضة شهيرة، وقد أشار لذلك الإمام البوصيري، بقوله:

[الخفيف]

أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حَارَبُوهُمَا أَسْلَابَهُمَا إِغْلَاءً²

فكيف يصدر منهم خلاف ذلك، أو يسلكون تلك المسالك، أجازنا الله سبحانه من عثرات اللسان، ومن غض مرتبة من عظمه مولانا الرحيم الرحمان.

قلت: وهذا الشيخ صاحب الترجمة نفعنا الله به، كان ورعا زاهدا ناسكا عابدا، كما عرف به العالم العلامة الدراكة الفهامة، سيدي محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي³، في كتاب "الإعلام بمن مضى وغير من أهل القرن الحادي عشر"، وذكره أيضا في كتاب "صفوة ما انتشر في صلحاء أهل القرن الحادي عشر". ونصه: "ومهم الفقيه الناسك، أبو عبد الله محمد المعطى بن عبد الخالق بن الولي الصالح سيدي

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

² البوصيري، ديوان البوصيري، ص: 27، بنفس اللفظ.

³ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، الفقيه العالم، أخذ عن جده ولازمه سنين في الصحيحين وغيرهما، وسمع عليه التفسير، والنحو، والأصول، والتصوف وغير ذلك؛ وأجازه إجازة عامة، ثم لازم عمه أبا عبد الله محمد بن عبد القادر مدة وتخرج على أبيه في فنون التعاليم والأوقاف والأسماء، وأجازه أبو سالم العياشي، وحج فأجازه الخرشبي والزرقاني والشهرزوري وغيرهم. له مصنفات منها: "المنح البادية في الأسانيد العالية"؛ و"الكوكب الزاهر في سير المسافر"؛ و"الإعلام بمن غير من أهل القرن الحادي عشر". توفي سنة 1134 هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 371؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1/480.

محمد الشرقي، كان فقيها زاهدا، متقشفا ورعا، أخذ بمراكش عن سيدي محمد بن إبراهيم التاملي، وبفاس عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، سمع عليه التفسير، والإحياء والحديث والتصوف، وأوائل الكتب الستة، وأجازه في جميع ذلك وجميع ما له، توفي في ربيع الثاني، سنة اثنين وتسعين وألف، انتهى بلفظه"¹.

قلت: وسيأتي ذكر إجازة سيدي عبد القادر له، وهو وارث الشيخ الكامل، والعارف الموصل الواصل، إكسير الأولياء، وحامل لواء الأتقياء، سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله بهم.

وممن صرح بأنه وارث الشيخ المذكور، شيخه أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم، وقال له: "أنت المعني بقول الشيخ سيدي محمد الشرقي،" يأتي من أولادي مَنْ جَرِي هُو مَشِيهِ"².

وقد كتب صاحب الترجمة سيدي محمد المعطى على هذه الكلمة التي صدرت من الشيخ، وهي قوله: "يأتي من أولادي مَنْ جَرِي هُو مَشِيهِ"، كلاما في طريق القوم، يشهد بشربه من ينابيع العرفان، وتقدمه في محافل أهل المشاهدة والعيان، وأنه يغترف من بحر رباني، وأن علمه صمداني، أسفر به عن كلام الشيخ المذكور المشهور عند أهل الخفاء والظهور، السابق أعلاه مخاطبا بذلك لبعض أهل وقته. ونصه: "قد بلغنا في قراءتنا أثناء الموصول، وصلنا الله بصلة التوفيق، ونور بصائرنا بأنوار الرشد والتحقيق، لنعرف المعرف بأداة التعريف، المنزه عن مدركات الوهم والتكليف، فتهب علينا نواسم

¹ عبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام عن غير من أهل القرن الحادي عشر، ص: 296؛ ومحمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 323-324، بنفس اللفظ.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/529.

الاهتداء بكثائف الابتداء، فنشاهد الفاعل في الوجود، ونعلم وحدانيته في العزل والوجود، فيقع القرب¹ والبعد²، والوجد والفقْد³، /366/ والفنا⁴ والمحو⁵ والسكر⁶ والصحو⁷، فتثبت المعارف بعد هبوب النواصف، وتستحق الخلافة والنيابة، وتتحقق الدعوة في الإصابة والإجابة، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَلْمَحْوِ إِلَى اللَّهِ عَلَّمَ بَصِيرَةَ أُنَا وَمَنْ أَتَّبَعْنِي﴾⁸، أي: على بصيرة من معرفة الله، ومعرفة ما يعبد به، ومن اتبعني، يدعو إلى ذلك، لأن قدم التابع على قدم المتبوع، فإن حاد القدم عن القدم فإنه مدحور ومدفوع، (...)⁹، فيحمل عليها لاختلاف¹⁰ وصايا النبي لأصحابه على حسب (...)¹¹ فقال: أنفق¹²، وللآخر:

¹ القرب: القيام بالطاعة؛ وقد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 60.

² البعد: الإقامة على المخالفات، وقد يكون البعد منك، ويختلف باختلاف الأحداث فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال، وكذلك القرب. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 60.

³ الفقْد: ذهاب القلب عن حس المحسوسات بمشاهدة ما شاهد. ينظر: عبد المنعم الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية، ص: 207.

⁴ الفنا: عدم رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 59.

⁵ المحو: رفع أوصاف العادة؛ وقيل: إزالة العلة؛ وقيل: ما ستره الحق ونفاه. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 60.

⁶ السكر: غيبة بوارد قوي. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية ص: 60.

⁷ الصحو: رجوع إلى الأساس بعد الغيبة بوارد قوي. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 60.

⁸ سورة يوسف، الآية: 108

⁹ بياض في الأصل بمقدار كلمة.

¹⁰ في النسخة (د): "الاحتمال".

¹¹ بياض في الأصل بمقدار كلمتين تقريبا، وبرجوعنا إلى: عبد الخالق العروسي، المرقبي، ج 530/2، وجدنا عبارة "على حسب فهم ألفاظها".

¹² قال الرسول: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها، كانت له صدقة". ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ح: 5351، ج 424/3.

أمسك¹، وللآخر استحي²، وللآخر لا تغضب³، فمن سلك في هذا المسلك، فقد يقع عليه، قول الشيخ المحدث، بفتح الدال، الداعي إلى الله تعالى. والدال: يكون في أولادي من يكون جري هومشيه". وبيان ذلك، والله أعلم بمراده، أن الشيخ عبر بجريه، عن حالة جذبه، لأن المجذوب من قطعت له الطرق القاطعة، والموصلة من غير تعب ولا نصب، وأدرك غايتها في أقرب زمان. فعبر الشيخ بالجري عن الجذب بجامع ما في كل واحد منهما من السرعة والبطش، وعبر بمشي الذي بعده عن سلوكه في قصده، لأن السالك يقطع المقامات⁴ كلها، لكن بحسب ما قدر لصاحبه أن يمكث ساعة أو أعواماً أو أياماً، فعبر بالمشي عن السلوك بجامع ما في كل منهما من البطء والمهلة، فكأنه يقول: يكون من بعدي من يروم ما قصده، ويقطع ما قطعت، وإن اختلفنا في المسير، أو في حالي الجد والتشمير، قد اجتمعنا في عوارف المعارف، واتفقنا في مشاهدة المشهد السالف، يوم ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾⁵. فمن لبي منهم تليبي، فهو بغيتي ومنيتي، والظاهر بدعوتي من خاصة عثرتي، وإياه عنيت، وبإشارتي إليه أتيت، ومن اغتر بظواهر الأكوان، فالحذر الحذر

¹ قال الرسول: "أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك". ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ومن تصدق وهو محتاج أو أهله محتاج أو عليه دين فالدين أحق أن يقضي من الصدقة والعق والهبة، وهو رد عليه ليس له أن يتلف أموال الناس، ج1/441.

² قال الرسول: "...استحيوا من الله حق الحياء"، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1422هـ-2002م، كتاب الرقائق، ح: 7915، ج4/359.

³ قال رجل للنبي، أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا، قال: لا تغضب". ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح: 6116، ج4/112.

⁴ المقام: هو استيفاء حقوق المراسم، فإن لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقى إلى ما فوقه كما أن من لم يتحقق بالقناعة حتى تكون له ملكة، لم يصح له التوكل ومن لم يتحقق بحقوق التوكل لم يصح له التسليم وهلم جرا في جميعها. ينظر: عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص: 876-88

⁵ سورة الأعراف، الآية: 172

من التمسك بالغرر، فقد قيل: "فإن في كل واد بني سعد¹. فمن اطمأن إليهم كشفوه، ومن اعتمد عليهم أتلّفوه، أعني الذين علوا الجهل عمادا، والباطل المزخرف وسادا، واستمالت قلوب الضعفاء (...)²مدادا. وأما من اكتفى بظواهر الألفاظ، واستند منها إلى نفي البحث والاعتراض، وكانت منى قلبه، واستبدلها عن حضرة ربه، فأرثه مني محذوف، والوارث معروف، والعاث مقذوف، وقد يرث الإنسان أنثى، وعاصبٌ وخنثى، وسهام الثلاثة بخبر، ولا يرث الكاذب الصادق، كما لا يوازي الغارب الشارق، ووجد بعد ذلك"³.

[الطويل]

أَيَا عَجَبًا حَتَّى الْجَهْلُ يَسُودُ وَأَعْيَى يُقَادُ قَدْ تَوَلَّى يَقُودُ
وَبَدْرُ الدُّجَى أَمْسَى يُجَارِيهِ فِي الْجَلَا نُجَيْمُ السُّهَى وَالْحَاضِرُونَ شُهُودُ⁴

انتهى ما نقل من المبيضة بعد إمعان النظر فيها لكثرة المحو في حروفها. انتهى من خط/367/ نقل من خط صاحب المبيضة، رحمه الله، عبید ربه المعطى بن الصالح، عفا الله عنه، انتهى، كما وجد مقيدا بخط سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، شيخنا الهمام، العالم العارف الإمام، سيدنا المعطى، نفعنا الله به، وما في الطرة وجدته كذلك ملحقا في الطرة، ومثل ما نقل أعلاه المرابط الأصيل، العالم الأثيل، سيدي عبد الخالق⁵ بن محمد، في كتابه "المرقى في مناقب الشيخ الشرقي"¹.

¹ ورد هذا المثل في: ابن منظور، لسان العرب، مادة "سعد".

² بياض في الأصل بمقدار كلمة.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/530-531.

⁴ الأبيات المذكورة بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/531؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، 86(ب).

⁵ عبد الخالق العروسي، أحد أحفاد الشيخ الشرقي. وأما لقبه فهو العروسي، وقد ورثه عن جده أحمد العروسي. ولد في زاوية أجداده بأبي الجعد، وعاش خلال القرن 12هـ، لقد كانت بداية حياته العلمية بزواية أبي الجعد،

وذكر أنه نقله من خط والده، وذكر والده أنه نقل من خط صاحب المبيضة أيضا، ولكن لم يذكر في نسخته الزيادة التي في الورقة في الوجه المقابل لهذا يعني ما في طرته. وممن صرح بأنه وراث الشيخ سيدي محمد الشرقي، شيخه أبي عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم، وقال له: "أنت المعني بقول الشيخ يأتي من أولادي من جري هو مشيه".

فانظر رحمك الله إلى كلام هذا الشيخ صاحب الترجمة، وما اشتمل عليه من الإشارات الربانية، والأسرار المولوية، والمواهب الحمدانية، واللطائف العرفانية، والرقائق القدسانية، فإن لهم مفاهيم وعبارات، ومآخذ وأحوالا وإشارات، ومنازع ينزعون بها إلى ما خص به محبوبهم عليه السلام من أسنى الكمالات، ويشيرون بها إلى ما ناله من أعلى الدرجات، وأسنى المقامات، وبكثرة غيبة كل واحد منهم جرى ما يناسب حاله على فيه، وذلك لأن العارف إنما ينطق بما ألقى في روعه، ونقش في قلبه، ويعبر بما استولى من حب مولاه على باطنه ولبه، كما قيل: "الحي في الحي، والسر في السر، والنور² في

فتتلمذ على فقهاءها وعلمائها، ولازم شيوخها، وفي مقدمتهم والده محمد بن أحمد العروسي، وشيخه محمد الصالح. امتلك ثقافة متينة ابتداء بالزاوية في صباه وانتهاء بالمراكز العلمية التي رحل إليها كفاس والرباط ومراكش للأخذ على كبار شيوخ العصر، وجلس إلى حلقات الدرس في مجالات معرفية متنوعة، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه عاصر جزء من الفترة الذهبية التي عاشتها الزاوية الشرقاوية في عهد شيخها محمد الصالح. ترجمته في: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/19-20.

¹ المرقى في مناقب سيدي محمد الشرقي: لمؤلفه عبد الخالق العروسي (عاش خلال القرن 12/18)؛ من أبناء الزاوية الشرقاوية. توجد عدة نسخ من هذا المخطوط سواء بالزاوية أو بالخزانة العامة بالرباط (مثلا رقم 1911د). قسم عبد الخالق العروسي مؤلفه إلى خمسة أبواب، وكل باب يحتوي على فصول، وإذا كان الباب الأول قد خصصه للحديث عن فضل سيد الوجود محمد، فإنه قد ختمه بفصل عنوانه: كون طائفة فيها (في أمته) أقطابا وأبدالا ونجباء، كتمهيد للتعريف بشيخ الزاوية الأولى ومؤسسها محمد الشرقي؛ في حين خصص الباب الثالث لطريقته وسلسلة أشياخه والباب الرابع في ذكر كراماته وفي الباب الأخير ذكر بعض صلحاء الوقت الذين عاصروهم محمد الشرقي ومنهم بعض تلامذة ومريديه، ووعد أن يختم الكتاب بشيء من كلام الشرقي، إلا أنه لم يفعل، ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/20.

² النور: كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 71

السريرة، والكشف في البصيرة، والحال¹ يفسر، واللسان يعبر، والقلب² يجول في رياض المحبوب، والروح³ تجول حول حماه ونيل المرغوب، فلا يريد إلا هو، ولا يرضى إلا به، ولا يطلب إلا منه، ولا يسمع إلا عنه، ولا يشتاقي إلا إليه، شهوده له بلا حجاب، ووصله إليه بلا انقطاع، وسكره فيه بلا صحو، قد استصحب روحه لذة خطابه، يوم ألتست بربكم، فصار ذلك كامنا في طوايا سرائره، وخبايا ضمائره، فإذا سمع مذكرا، أو منشدا، أو صائحا أو نائحا، استنار ذلك السر الكامن فيه، فيذكره ذلك العهد الأول، فتارة يحن، وتارة يئن، فإذا أثار عليه الوجد بغلباته، وشرب من موارد وارداته، طرقته طوارق الهيبة، فجمد وذاب، وبرقت له بوارق العطف، فتحرك وطاب، وطلعت عليه طواع الحب من مطالع القرب، فسكر وغاب؛ لأن قلوب العارفين، الشوق والوجد، كامنٌ فيها، ككمون النار في الزناد، فلا يظهر إلا بمصادفة ما يشاكلها، فتراهم يهيجون من حيث وجدهم، وينطقون من حيث قصدهم، ويتواجدون من حيث كمائن أسرارهم، لا من حيث قول الشاعر، ولا مراد القائل، ولا يلتفتون إلى ظاهر الألفاظ، لأن الفهم يسبق/368/ إلى ما يتخيله الذهن". كما حكى عن أبي الفضل الجوهري، بات بجواره أصحاب آلات حتى شغلوه عن ورده، فلما أصبح، قال في مجلسه، قال: "بات بجوارنا البارحة، قوم ملأوا مسامعنا علما وحكمة، فقال أولهم: لي، لي، لي، وقال الآخر: لي ولك، لي ولك. وأطال في

¹ الحال: ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب كحزن، أو خوف، أو بسط، أو قبض أو شوق، أو ذوق يزول بظهور صفات النفس سواء أعقبه المثل أولا، فإذا دام وصار ملكا يسمى مقاما. ينظر: عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص: 57.

² الروح: يطلق بإزاء الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 61.

³ القلب: جوهر نوراني مجرد يتوسط بين الروح والنفس الناطقة، والروح باطنه والنفس الحيوانية مركبه. ينظر: عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص: 145.

ذلك حتى قضى المجلس بأنواع الحكم". وكما وقع لصاحب الترجمة سيدي محمد المعطى، قال نفعنا الله به: "لقيت سيدي محمد بن سعيد المرغيثي، يوما في السوق الكبير من الحضرة المراكشية، وهو يريد حجاما يحلق رأسه، فأخذ يتكلم مع صاحب حانوت هناك، وكان بالقرب رجل يصفر في زمارة، ويلعب بها؛ فبعدهما صدرنا من عند صاحب الحانوت، قال لي: هل سمعت ما تقول تلك الزمارة؟ قلت: نعم، تقول: مولى الموالي، مولى الموالي. ذكر من نقل هذه الحكاية بتمامها أن هذا الولي العارف بالله، أخذه من سماع هذه المقالة حال عظيم، ترقى فيه من حال صحوه إلى محوه، فصاح وخر صعقا مغشيا عليه، وغاب إذ ذاك عن حسه وأبناء جنسه، فما أفاق إلا بعد حين، ورجع إلى مقام الرسوخ والتمكين، وذلك شأن الأولياء العارفين والمحبين الصادقين [الكاملين]¹ لغيبهم في المكون عن الأكوان، ولكونهم يفهمون سر الخطاب من الأصوات المطربة، والنعيمات الحسان، ولهم في ذلك رضوان الله عليهم، منازع حسان، وشوارق أنوار وأسرار عرفان، وكواشف مشاهدة وعيان، يأخذونها من مناطق الأطيوار، وأصوات الأواني ونعيمات الأوتار"، "وسيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي، ومرغيثة مداشر في عداد الإخصاص، بسهل سوس، وهي بالميم المفتوحة، فراء مهملة ساكنة، فغين معجمة مكسورة، كان رحمه الله إماما في علم الحديث والسير، له اليد الطولى في ذلك، وإليه المرجع فيما هنالك، مع المشاركة في العلوم الأخرى والدين المتين والورع التام، وكان محترما معظما عند الخاصة والعامة، لهم فيه اعتقاد عظيم"².

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، 304.

"وذكر سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، فيما وجد بخطه، أخذ صاحب الترجمة، عن سيدي (...)¹عنه (...)² عبد الله بن علي بن طاهر، وعن سيدي أبي بكر السكتاني³، عم الشيخ محمد مولاتالاسكندراني، عن البنوفري⁴ عن القسطلاني، عن ابن حجر، وعن علي الاجهوري⁵، عن أحمد الفراط، عن السيوطي، وعن إبراهيم اللقاني⁶ عن السنهوري⁷، عن عبادة الزيني، عن الأقفهسي⁸ عن خليل.

¹ بياض في الأصل.

² بياض في الأصل.

³ أبو بكر بن يوسف السكتاني من أكابر العلماء وخلاصة الأولياء، رحل إلى المشرق، وجاور بمصر والحجاز، وسافر إلى القدس، أخذ بالمغرب عن أحمد بابا، وأبي القاسم بن محمد الدرعين واستقر بمراكش، فتصدر للتدريس ونشر العلم. وكان عارفاً بفن القراءات، توفي سنة 1063هـ، ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 207-210؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج1/215-219.

⁴ محمد بن سلامة البنوفري فقيه مالكي، كان فقيهاً صالحاً ورعاً زاهداً، توفي سنة 998هـ. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2/237؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 599-600.

⁵ أبو الحسن علي الأجهوري المصري أحد شيوخ الفقه والتصوف، شيخ المالكية بالقاهرة، كان متبحراً في العلوم. توفي سنة 1066هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 229؛ ومحمد القادري؛ نشر المثنائي، ج2/80-81؛ وعبد العلي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/782-784.

⁶ أبو سالم إبراهيم اللقاني مفتي المالكية بمصر وصاحب الحاشية على المختصر، كان إماماً زاهداً ورعاً، توفي سنة 1040هـ ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 125؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج1/289.

⁷ سالم بن محمد السنهوري الفقيه المحدث أحد شيوخ مصر، أدرك الناصر اللقاني وتفقه بالشيخ محمد البنوفري، وأخذ الحديث عن نجم الدين الغيطي وبرع في الفقه والحديث وغيرهما، ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 191.

⁸ أبو عبد الله بن مقداد بن إسماعيل بن عبد الله الجمال الاقفهسي ثم القاهري المالكي. ولد بعد 740هـ وتفقه بالشيخ خليل، وكان فقيهاً بارعاً عرف بالصيانة والدين، له معرفة بالفقه والنحو ترجمته في: السخاوي، الضوء اللامع، ج5/71؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 229-230.

ومن أشياخه سيدي عبد الواحد بن عاشر¹، وسيدي عبد الهادي، وسيدي العربي الفاسي² وسيدي محمد الجنان³، صاحب "حاشية" خليل، وسيدي الحاج محمد بن القاضي، وغيرهم، انتهى. من "صفوة ما انتشر"⁴.

وذكر الجزولي في كتاب "السؤالات" له في المجلس الرابع والخمسين/369/ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾⁵. سئل بعض المشايخ، كيف يموتون أهل السماع، ويتحركون فيه، ولا يموتون في غير هذه الحالة، فقال: "لأن السماع غذاء الأرواح، فإذا بدأ السماع تحرك الروح في الرأس، واضطربت الجوارح على تعطيش الروح، وتصفيته من كدور النفس، فإذا كان عطشاناً، وسمعت النغمة، خرجت الروح

¹ أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلاً، الفاسي منشأ وداراً. كان عالماً عاملاً، ورعاً عابداً، متفنناً في علوم شتى. قرأ القرآن على الإمام أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي وعلى غيره. وأخذ النحو وغيره عن أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي، وأخذ بالمشرق عن سالم السنهوري، والغزي. توفي سنة 1040هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 124؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج1/283-284.

² أبو حامد محمد المدعو العربي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الجد الفاسي الفهري الأندلسي ثم المغربي. ولد بفاس سنة 988هـ، ونشأ في بيئة الطهر والعلم والعفاف؛ فوالده شيخ الشاذلية بفاس وشمال المغرب في وقته، أبو المحاسن يوسف الفاسي وعمه عبد الرحمن بن محمد الفاسي؛ شيخ الصوفية بفاس، وإمام التفسير، ولزم محمد بن قاسم القصار القيسي الأندلسي سنين عديدة في التفسير والحديث والفقه والأصول. ولزم أيضاً العلامة اللغوي أبا القاسم ابن القاضي المكناسي في علوم القرآن والفرائض، والنحو والعروض والتصريف، والحساب والتوقيت. من مؤلفاته: "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن"، وله أشعار كثيرة ومقطعات في أمداح نبوية وغيرها. وتوفي سنة 1052هـ ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 38-46؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج10/2.

³ أبو عبد الله بن أحمد الجنان الفقيه الأستاذ النحوي، ولد سنة 954هـ، أحد الأعلام، كان إماماً بمسجد الشرفاء بفاس، وله حاشية مختصرة جداً على مختصر الشيخ خليل، أخذ عنه عبد القادر الفاسي والعلامة ابن عاشر. وأبو عبد الله بن سعيد السوسي، وتوفي سنة 1050هـ. ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج1/379.

⁴ محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 305-306، بنفس اللفظ.

⁵ سورة الزمر، الآية: 17.

تطلب غذاءها، فإذا نزلت من الرأس إلى الوجه يصيح، فإذا نزلت إلى الصدر غشي عليه، فإذا نزلت من الصدر، يموت صاحبها، وقيل: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا داوود، ارق إلى كرسي الكرامة، واسمع الكل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَهَمُّ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ﴾¹، فيصعد داوود، ويأخذ في ألحانه الطيبة، وأصواته المستلذة، والمستمعون في قصورهم يصعدون إلى سطوحهم، فيصيحون من الطرب، فيسمع ذلك أهل النار، فيقولون: ما هذا؟، فيقال لهم: هم...² في السماع، فيصيحون، ويقولون: يا ويلنا هم في السماع، ونحن في الانقطاع، هم في أنس القرب، ونحن في وحشة البعد". انتهى.

قلت: ومن المعنى السابق في منازعهم ومآخذهم رضوان الله عليهم، ما حكي عن بعض العارفين أنه قال: "مر رجل بزقاق مصر، وهو يبيع السعتر، وينادي عليه يا سعتر برّ، ففهم منه ثلاثة من العباد أحوالهم ومقاماتهم، فالأول منهم كان من أهل البداية، ففهم منه: إسع تر برّي، أي: اجتهد في طاعتي تر مواهب كرامتي، والثاني كان متوسطا في العبادة، يعني: في وسط الطريق، ففهم منه يا سعة برّي، أي: ما أوسع بري، أي: معروف وإحساني، لمن أحبني وأطاعني. والثالث كان متناهيا في العبادة، يتشوف إلى الفتح، ففهم منه: الساعة ترى برّي، أي: الفتح جاء إبانته، فهذه أحوال العارفين، نفعنا الله بهم".

وروي أن فقيرا صاح في مجلس الشبلي، رحمه الله، فقال له الشبلي: "يا هذا إن كنت صادقا فقد اشتهرت، وإن كنت كاذبا فقد ملكت"، وصاح رجل عند أبي القاسم الجنيد، رحمه الله، فقال له الجنيد: "يا أخي إن كان من ذكرته مشاهدا لك، وأنت

¹ سورة الروم، الآية: 14.

² بياض في الأصل وباقي النسخ.

حاضر معه، فقد هتكت الستر والاحترام والغيرة، من أوصاف المحب المستهام، وإن كنت ذكرته، وأنت غائب عنه، فذكرُ الغائب غيبة، والغيبة حرام".

[الطويل]

فَذِكْرُ حَقِيقِي تَفِي بِشُرُوطِهِ وَيَشْهَدُ ذِكْرُ الْحَقِّ أَنَّكَ عَن كَشْفِ

ويحكى عن أبي الحسن النووي¹، أنه بقي في منزله سبعة أيام، لم يأكل، ولم يشرب، ولم ينم، وهو يقول: "الله الله، فأخبر أبو القاسم الجنيد بحاله، فقال: أمحفوظة عليه أوقاته؟/370/ قيل: له: إنه يصلي الصلوات في أوقاتها، فقال: الحمد لله الذي حفظه، ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا، ثم قال لأصحابه: قوموا حتى نزوره، فيما أن نفيده، وإما نستفيد منه، قيل: فلما دخل عليه الجنيد، قال له: يا أبا الحسن هل قولك: الله الله، بالله أم بنفسك، فإن كنت القائل بالله، فلست القائل له، فإنه المتكلم على لسان غيره، الذاكر نفسه بنفسه، وإن كنت القائل بنفسك فأنت مع نفسك، فما معنى الوله، فقال له النووي: نعم المؤدب أنت يا أستاذ، فسكن ولهه"، والله درُّ من قال:

[الطويل]

وَلَهْتُ بِكُمْ ذِكْرًا وَحُقَّ لِصَبِّكُمْ
يَطِيبُ بِذِكْرَاكُمْ وَيَفْنَى بِكُمْ عِشْقًا
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شَوْقًا إِلَى الْحُبِّ غَالِبًا
عَلَى الْعَقْلِ مِنْ وَجْدِ لَعْمَرِي لَقَدْ يَشْقَى
وَمَا الذِّكْرُ إِلَّا أَنْ تَغِيبَ بِذِكْرِهِ
عَنِ الذِّكْرِ فِي الْمَذْكُورِ مِنْ وَلِهِ يَلْقَى
وَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ فَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ
وَمَنْ غَابَ عَن ذِكْرِ فَهُوَ لَهُ يَرْقَى

¹ في النسخة (د): النووي.

اللهم إني أسألك يا مولاي بحق أوليائك، ورسلك وأنبيائك، وبحق ما أودعت في قلوبهم من الأسرار والإشارات، ومما أطلقت على ألسنتهم من الرموز والعبارات، أن تصلي على سيدنا محمد، صاحب الكمالات، وأن تلاحظني بعين لطفك في جميع الأحوال، وتوفقي لصالح الأقوال والأفعال، وتؤمنني يوم الزلازل والأهوال، وتختتم لي بكلمة الشهادة، وتقابلني بعفوك في البدء والإعادة، إنك على كل شيء قدير، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

قلت: وكان صاحب الترجمة سيدي محمد المعطي، نفعنا الله به، موثرا لجانب العزلة والانفراد، فارا بدينه ترك في ذلك الأهل والوطن والبلاد، وذلك "لأن العزلة أحد أركان المريد الأربعة"¹ التي من حصلها حصل على كلية الدواء، والتحق بزمرة الأولياء والبدلاء، ومنافعها لا تنحصر.

وعن محمد بن واسع²، قال: "أقبلت من بعض بلاد الشام، فبينما أنا في بعض الطريق، رأيت فتى في حكاية طويلة، بعد أن تبين لي حاله، وأنه من العارفين، قال، قلت له: دلني على عمل يقربني إلى الله تعالى، قال يا أخي: قد نظرت في جميع العبادات، فلم أر أنفع، أو قال: أرفع، من الفرار من الناس، وترك مخالطتهم، رأيت القلب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس، وجزء مع الدنيا، فمن قوي على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب، ثم غاب عني، فلم أراه". ذكر، ذلك في "الرياض" في الحكاية السادسة والأربعين³.

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 28 (أ).
² أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي، فقيه ورع، من الزهاد، من أهل البصرة، من ثقات أهل الحديث، توفي في سنة 123 هـ. ترجمته في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج3/179-183؛ والزركلي، الأعلام، ج1/123.
³ وردت هذه الحكاية مختصرة في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، الحكاية السادسة والأربعون، ص: 40-41.

"وقال سفيان الثوري¹: "سمعت جعفر بن محمد الصادق، يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن يك في شيء، فيوشك أن يكون في الخمول/371/ فإن لم يوجد في الخمول، فيوشك أن يكون في التخلي، وليس كالخمول، فإن لم يوجد في التخلي، فيوشك أن يكون في الصمت، وليس كالتخلي، فإن لم يوجد في الصمت، فيوشك أن يكون في كلام السلف الصالح"². انتهى.

"وعن سهيل بن عبد الله: مخالطة الولي للناس ذل، وتفرده عز، فما رأيت وليا لله إلا منفرجا. إن عبد الله بن صالح، كان رجلا له سابقة موهوبة جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى مكة، فطال مقامه بها، قلت له: "طال مقامك بها، فقال لي: لم لا أقيم بها، ولم أربدا ينزل بها الرحمة والبركة من هذه، والملائكة تغدو فيه وتروح. وإني أرى فيه أعاجيب كثيرة، وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى، لا يقطعون ذلك، ولو قلت كلما رأيت لقصرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين، فقلت له: أسألك بالله، إلا ما أخبرني بشيء من ذلك، فقال: ما من ولي لله تعالى صحت ولايته، إلا وهو يحضر هذا البلد، في كل ليلة جمعة، لا يتأخر عنها، فمقامي هنا من أجل من أراه منهم، ولقد رأيت رجلا، يقال له: ملك بن القاسم الجبلي، وقد جاء ويده غميرة، فقلت له: إنك قريب العهد بالأكل، فقال لي: استغفر الله، فإني منذ أسبوع لم أكل، ولكن أطعمت والدتي، وأسرعت لألحق صلاة الفجر، وبينه وبين الموضع الذي جاء منه تسعمائة فرسخ

¹ أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري من بني ثور عبد مناف من مضر، الحافظ المحدث الفقيه، علما وعملا، وسمع منه الأوزاعي ومالك وغيرهما، وهو من تابعي التابعين.. ولد سنة 97هـ وتوفي بالبصرة سنة 161هـ. ترجمته في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج3/97-100؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/386-387؛ والزركلي، الأعلام، ج3/104-105.

² ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، الحكاية الثالثة والسبعون، ص: 57، بنفس اللفظ.

مائة وسبع عشرة مرحلة، وذلك مسيرة ثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، في مجرد سير
النهار دون الليل، والليل دون النهار"¹. انتهى. قف على تمام الحكاية السبعين من
"الروض"، ففيها عجائب تفضل الله علينا، بما تفضل به على أوليائه من المواهب
والأسرار، والشوارق والأنوار، بجاه نبينا محمد المصطفى، المختار، ولله در من قال:
ونسب لعبد الله بن المبارك.

[مجزوء الرمل]

قَدْ أَرْحَنَّا وَاسْتَرْحَنَّا	مِنْ غُدُوِّ وَرَوَاحِ
وَاتَّصَلَ بِالْيَمِّ	أَوْ كَرِيمِ ذِي سَمَاحِ
بِعَفَافٍ وَكَفَافٍ	وَقُنُوعٍ وَصَلَاحِ
وَجَعَلْنَا الْيَأْسَ مِفْتَاحًا	حَاً لِأَبْوَابِ النَّجَاحِ ²

وفي "الحكم" لابن عطاء الله، "ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان
فكرة"³ ومضارضها وهي الخلطة معلومة كثيرة، ظاهرة شهيرة. قال أبو الدرداء: "كان
الناس ورقا بلا شوك فيه، وهم اليوم شوك لا ورق فيه"⁴.

وعن سفيان بن عيينة، قال: "قلت للثوري: أوصني، قال: أقلل من معرفة الناس،
قلت: يرحمك الله، أليس قد جاء في الخبر: أكثروا من معرفة الناس، فإن لكل مؤمن

¹ ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، الحكاية السبعون، ص: 54، بنفس اللفظ.

² ديوان عبد الله بن مبارك، جمع وتحقيق ودراسة، مجاهد مصطفى بهجت، اكتفى بذكر البيت الأول والرابع فقط، ص: 42، بنفس اللفظ.

³ ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، شرح ابن عباد الرندي، ص: 48؛ والعبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 28 (أ)، بنفس اللفظ.

⁴ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/347.

شفاعة¹، قال: لا أحسبك قط رأيت ما تكره، إلا ممن تعرف. قلت: أجل، ثم مات، فرأيته بعد موته في المنام. فقلت: أبا/372/ عبد الله، أوصني، قال: أقلل من معرفة الناس، فإن التخلص منهم شديد.²

وقال الفضيل، رحمه الله: "هذا زمان احفظ لسانك، واخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر"³. والله دُرمن قال:

[الطويل]

وَزَهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِباً بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلاً يَسْرُنِي وَمَبَادِيهِ إِلَّا خَانِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ⁴

وقد صح عن عمر رضي الله عنه، قال: "العزلة راحة من خلطاء السوء"⁵.

[مجزوء الرمل]

إِنَّمَا الْعُزْلَةُ عِزٌّ وَسُمْرٌ وَفَارْتِكُهُهَا
وَدَعِ الْخُلُطَةَ وَاعْلَمْ إِنَّ أَصْلَ الشَّرِّ مِنْهَا

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي شجاع الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ج:251، ج:81/1.
² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الغزالي، منهاج العابدين، ص:112-113.
³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الغزالي، منهاج العابدين، ص:113-114؛ وأحمد زروق، عدة المرید الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1467هـ-2006م، ص:70.
⁴ وردت هذه الأبيات في: ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م، ج:246/1، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "بواديه إلا ساءني" عوض "ومباديه إلا خاني": "ولا مرت أدعوه" عوض "ولا قلت أرجوه": "وإحدى المصائب" عوض "إحدى النوائب"، والحسن اليوسي، المحاضرات، ج:349/1-350، بنفس اللفظ.
⁵ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الغزالي، منهاج العابدين، ص:112؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص:28 (أ).

وَإِذَا الْحَاجَّاتُ عَزَّتْ فَمِنَ الرَّحْمَنِ سَلَهَا
وَإِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنَى يَافِعُضَّ الطُّرْفَ عَنْهَا
وَكَذَا إِنَّ أَدْبَرَ لَأ تَسْأَلُنِ يَا صَاحِ عَنْهَا¹

ومما كتب به سيدي محمد بن عقبة²، لسيدي أحمد زروق، ما نصه:

[البسيط]

عِشْ خَامِلَ الذِّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ وَارْضَ بِهِ فَذَلِكَ أَسْلَمٌ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
مَنْ خَالَطَ النَّاسَ لَمْ تَسْلَمْ دِيَانَتُهُ وَلَمْ يَزَلْ بَيْنَ تَحْرِيكِ وَتَسْكِينِ³

وينسب للإمام الغزالي، أيام سياحته ما نصه.

[السريع]

قَدْ كُنْتُ عَبْدًا وَالْهَوَى مَالِكِي فَصِرْتُ حُرًّا وَالْهَوَى خَادِمِي
وَصِرْتُ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا مِنْ شَرِّ أَصْنَافِ بَنِي آدَمِ
مَا فِي اخْتِلَاطِ النَّاسِ خَيْرٌ وَلَا ذُو الْجَهْلِ بِالأَشْيَاءِ كَالْعَالِمِ
يَا لَأَيْبِي فِي تَرْكِهِمْ جَاهِلًا عُدْرِي مَنْقُوشٌ عَلَى خَاتِمِي⁴

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 28 (أ).

² أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن أحمد بن عقبة اليميني الحضرمي ولد سنة 824هـ، ثم استوطن مصر وكان يروي عن أبيه وأمه وعمه، وحج سنة 846هـ، وأقام بمكة فكانت له بها معاملات وأحوال ومقامات، توفي سنة 895هـ. ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 292-293.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح الشيخ زروق، ص: 37؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 28 (أ).

⁴ الأبيات المذكورة بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 28 (أ)؛ والحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/354.

وكان نقش خاتمه، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَقْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

لَفَاسِقِينَ﴾¹.

وكان سبب سياحته، أي: أبي حامد الغزالي، وزهده، أنه كان يوماً يعظ الناس في مجلسه، ودخل عليه أبوه الفاضل الولي أبو الفتوح مجد الدين أحمد بن محمد الغزالي²، كان من أوليائه تعالى. فأنشده.

[المتقارب]

أَخَذْتُ بِأَعْضَادِهِمْ إِذْ وَنَوَا وَخَلَّفَكَ الْجُهْدُ إِذْ أَسْرَعُوا
وَأَصْبَحْتَ تَهْتِدِي وَلَا تَهْتِدِي وَتَسْمَعُ وَعَظًّا وَلَا تَسْمَعُ
فَيَا حَجَرَ الشَّحْدِ حَتَّى مَتَى تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ³

"فصاح أبو حامد، وأخذته العبرة، وترك المجلس، وخرج فاراً بنفسه، سائحاً على قدم التجريد والتوكل.

وروي عن القاضي الإمام أبي بكر بن العربي، قال: "لقيت أبا حامد الغزالي/373، وعليه جبة صوف، وقد أثر الدمع بخده، فقلت له: يا سيدي، هلا اشتغلت بتدريس العلم، فهو أفضل مما أنت فيه. فقال: لما طلع قمر السعادة في فلك الإرادة، وأشرقت شمس الأصول"⁴:

¹ سورة الأعراف، الآية: 101.

² أبو الفتوح، أحمد بن محمد بن أحمد مجد الدين الطوسي الغزالي، من كبار الوعاظ السادات، صاحب كرامات وإشارات، وله "الذخيرة في علم البصيرة". مات بقزوين سنة 520هـ. ترجمته في: ابن الملحن، طبقات الأولياء، ص: 102-103؛ والزركلي، الأعلام، ج1/214-215.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 328.

⁴ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 328.

[الطويل]

تَرَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسُعْدَى بِمَعْرَلٍ
وَنَادَتْنِي الْأَطْلَالُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَصِرْتُ إِلَى تَصْحِيحِ أَوَّلِ مَنَزِلٍ
أَلَا أَيُّهَا السَّارِي رُوَيْدَكَ فَانزِلِ
غَزَلْتُ لَهُمْ غَزَلًا رَقِيقًا فَلَمْ أَجِدْ
لَهُ نَاسِجًا غَيْرِي فَكَسَرْتُمِغْزَلِي¹
ولأبي بكر بن عطية الغرناطي² في هذا المعنى.

[الطويل]

جَفَوْتُ أَنَسًا كُنْتُ آلفُ وَصَلَهُمْ
فَلَا تَعْدِلُونِي فِي انْقِبَاضِ فَإِنِّي
وَمَا بِالْجَفَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنْ بَاسٍ
وَجَدْتُ جَمِيعَ الشَّرِّ فِي خِلْطَةِ النَّاسِ³
وفي الحكمة: رُبُّ وَحْدَةٍ أَنْفَعُ مِنْ جَلِيسٍ، وَوَحْشَةٌ أَمْتَعُ مِنْ أُنَيْسٍ، وَأَنْشُدُ بَعْضَهُمْ:

[الكامل]

فَسَدَ الزَّمَانُ وَغَابَتِ الْأَنْوَارُ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ حَاسِدٌ
ذَهَبَ الْخِيَارُ وَفَاضَتِ الْأَشْرَارُ
فَالزَّمُ بَيْتَكَ وَالذُّمُوعُ غِرَارُ
وفي الحديث: عند ظهور الفتن (كُنْ جَلَسًا مِنْ أَحْلَاسٍ مِنْ بَيْتِكَ)¹

¹ الأبيات المذكورة بنفس اللفظ في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص:329.

² أبو بكر غالب بن عبد الرحمان بن غالب بن عطية الفقيه الأديب، ولد سنة 441هـ، ورحل للمشرق ولقي العلماء، روى عن أبي علي الجياني وأبي عبد الله الحسن بن علي الطبري المالكي نزيل مكة وأجاز له ولقي بمصر أبا الفضل عبد الرحمن بن حسين الجوهرى. وكان حافظا للحديث وطرقه وعلله، عارفا بالرجال، توفي سنة 518هـ. ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/586-587؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/189.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أحمد المقري، نفع الطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ-1968م، ج2/525؛ والحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/346؛ ومحمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص:242.

وعن أبي داود الطائفي، رحمه الله: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد. وعن أبي عبد الله: ما رأيت حكيمًا قط إلا قال في آخر كلامه: "إن أحببت أن لا تعرف، فأنت من الله تعالى على بال". وقيل في المعنى:

[الطويل]

وَمَا زِلْتُ مُذْ لَاحَ الْمَشِيبِ بِمَفْرَقِي أَفْتَشُّ عَنْ هَذَا الْوَرَى وَأُكْشِفُ
فَمَا أَنْ عَرَفْتُ النَّاسَ إِلَّا ذَمَّهُمْ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا كُلَّ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ²

وقال أبو عبد الله الحميدي³، في عالم الأندلس:

[الوافر]

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَاقْلِكُ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخِذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ⁴

وفي كتاب "منهاج العابدين" للإمام الغزالي:، وأما الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشأن: إن الناس يفسدون عليك، ما يحصل لك من العبادة، إن لن يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي الرياء والتزين. ولقد

¹ أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، حققه وضبطه نصه شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قربلي، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة، 1430هـ-2009م، كتاب الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة، ح: 4258، ج6/314

² الأبيات المذكورة بنفس اللفظ في: الغزالي، منهاج العابدين، ص: 116.

³ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الحافظ المشهور، مؤرخ محدث، أندلسي، ولد سنة 420هـ، أصله من قرطبة، رحل إلى المشرق سنة 448هـ فحج وسمع بمكة، وبأفريقية وبالأندلس ومصر والشام والعراق، واستوطن بغداد، من مصنفاته: "جذوة المقتبس" وغيرها، توفي سنة 488هـ. ترجمته في ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/282-284؛ والزركلي، الأعلام، ج6/327-328.

⁴ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/283، والحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/354.

صدق يحيى بن معاذ، قال: "رؤية الناس بساط الرياء، وهؤلاء الزهاد قد خافوا على أنفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور"¹.

ولقد ذكر أن هرم بن حيان،² قال/374/ لأويس القرني³، رحمه الله: "يا أويس، صلنا بالزيارة واللقاء. فقال أويس: قد وصلتك بما هو أنفع لك منهما، وهو الدعاء على ظهر الغيب، لأن الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء"⁴.

وقيل "لسليمان الخواص"⁵: قدم إبراهيم بن أدهم لملاقاته، فقال: لَأَنَّ ألقى شيطاننا ماردا أحب إلي من لقائه، فاستنكروا ذلك من قوله، فقال: إني إذا لقيته أخاف أن أتزين، وإذا لقيت شيطاننا أمتنع منه ولقد لقي شيخي الإمام بعض العارفين، فتذاكرا مليا ثم دعيا في آخر حديثهما، وقال للعارف: ما أظنني جلست مجلسا أنا له أرجى من مجلسي هذا، فقال له العارف: لكني ما جلست مجلسا أنا أخوف من مجلسي هذا، ألتست تعمد إلى حديثك وعلومك، فتحدثني بها، وتظهرها بين يدي؟ وأنا كذلك، فقد وقع الرياء؛ فبكى شيخي الإمام مليا، ثم غشي عليه"⁶، وكان بعد ذلك يتمثل بقول القائل:

¹ الغزالي، منهاج العابدين، ص: 115، بنفس اللفظ.

² هرم بن حيان أحد الأولياء المشهورين، وأحد العابدين حدث عن عمرو روى عنه الحسن البصري وغيره. فارس، وكان ثقة، له فضل وعبادة. ترجمته في: أبي نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج2/119-122.

³ أويس بن عامر بن جابر بن مالك القرني، سيد العباد وعلم الأصفياء من الزهاد. أصله من اليمن، وفد على الخليفة عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة وشهد معركة صفين مع الخليفة علي وقتل فيها سنة 37هـ. ترجمته في: أبي نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج2/79-89؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج3/27-34.

⁴ الغزالي، منهاج العابدين، ص: 115 بنفس اللفظ؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج3/34، بنفس اللفظ.

⁵ سليمان الخواص من كبار الزهاد والعباد والنساک بالشام، ومن المعاصرين لابن إبراهيم بن أدهم. توفي سنة 161هـ ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ج4/227-228؛ وأبي نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج8/276-277.

⁶ الغزالي، منهاج العابدين، ص: 115-116، بنفس اللفظ.

[السريع]

يَا وَيَلْنَا مِنْ مَوْقِفٍ مَا بِهِ أَخَوْفُ مِنْ أَنْ يَعْدِلَ الْحَاكِمُ
يَا رَبِّ عَفْواً مِنْكَ عَنِ مُذْنِبٍ أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ¹

فهذه أحوال أهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم، فكيف حال أهل الرغبة والبطالة،
بل حال أهل الشر والجهالة، انتهى. وقال الآخر:

[البسيط]

مُخَالِطُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا عَلَى حَظَرٍ وَفِي بَلَاءٍ وَصَفْوٍ شَيْبٍ بِالْكَدَرِ
كَرَاكِبِ الْبَحْرِ أَنْ تَسْلَمَ حُشَاشَتُهُ فَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ²
ولمحي الدين بن تميم³.

[الطويل]

لَكَ الْخَيْرُ كَمْ صَاحَبْتُ فِي النَّاسِ صَاحِباً فَمَا نَالِي مِنْهُمْ سِوَى الْبُؤْسِ وَالْعَنَاءِ
وَجَرَّبْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَكَمْ أَجِدُ فَتَى مِنْهُمْ عِنْدَ الْمَضِيقِ وَلَا أَنَا⁴
وحكي عن بعض العارفين، أنه قال:

¹ الأبيات مذكورة بنفس اللفظ في الغزالي، منهاج العابدين، ص: 116.
² الأبيات مذكورة بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/348.
³ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، مؤرخ، وشاعر وحافظ للحديث، من أهل القيروان بإفريقية. كان جده من أمراءها وله تصانيف، منها "طبقات علماء إفريقية"؛ وعباد إفريقية؛ و"مناقب بني تميم"؛ و"مناقب سحنون"؛ وله شعر. توفي سنة 333هـ. ترجمته في: الزركلي، الأعلام، ج5/309؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج8/243.
⁴ وردت هذه الأبيات في: الحسن اليوسي، زهرة الأكم في الأمثال والحكم، حققه محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م، مع اختلاف في بعض الألفاظ مثل: "سوى الهم" عوض "سوى البؤس" و"فلم أجد" عوض "كم أجد"، ج3/200؛ ونفس الاختلاف في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/350.

طُفْتُ زَمَانًا عَلَى مَنْ يُنْصِفُنِي فَلَمَّا وَجَدْتُهُ خُنْتُ أَنَا¹

وقال التهامي:

[الكامل]

ذَهَبَ التَّكْرُمُ وَالْوَفَاءُ مِنَ الْوَرَى
وَفَشَتْ جِنَايَاتُ الثَّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ
وَتَصَرَّمَا إِلَّا مِنْ الْأَشْعَارِ
حَتَّى اتَّهَمْنَا رُؤْيَةَ الْأَبْصَارِ²

وقال الآخر:

[الوافر]

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعًا
وَخَلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ
فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
[وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبُ
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعِيٍّ
فَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي³
نَعَمْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِي⁴

وفي "المحاضرات" للشيخ اليوسي، قال: "حدثني الأخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن

مسعود العرفاوي، قال: سافرت إلى بلاد القبلة، ذات مرة، فمررت بالشيخ عبد الله

¹ البيت المذكور في: الحسن اليوسي، زهرة الأكم، ج3/200، مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ، مثل: "فلما أنصف خنته أنا" عوض "فلما وجدته خنت أنا".

² وردت هذه الأبيات في: ديوان أبي الحسن التهامي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1402هـ-1982م، ص: 317، مع اختلاف في بعض الألفاظ مثل: الشطر الأول من البيت الثاني: "وفشت خيانات الثقات وغيرهم" عوض "وفشت جنایات الثقات وغيرهم".

³ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

⁴ وردت هذه الأبيات في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/353-354، بنفس اللفظ.

محمد بن أبي بكر العياشي¹، والد العلامة/375/ أبي سالم العياشي، فدخلت لأزوره،
فلما خرج قعد مني قريبا ثم أنشدني متمثلا قول الشاعر:

[الطويل]

جَفَوْتُ أَنَسًا كُنْتُ آلفُ وَصَلَهُمْ وَمَا بِالْجَفَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنْ بَاسِ
فَلَا تَعْدِلُونِي فِي الْجَفَاءِ فَإِنِّي وَجَدْتُ جَمِيعَ الشَّرِّ فِي خُلْطَةِ النَّاسِ²

وقال الشيخ البركة أبو عبد الله محمد بن أحمد التمنارتي المغافري³، وهو والد أبي
زيد، صاحب "الفوائد": "اعتزل الناس ما أمكنك، فإني سمعت شيخي سيدي أحمد بن
موسى، يقول: ما أهلك الناس إلا الناس، ولو سلم الناس من الناس، لاستقاموا
جميعا"⁴. وكان كثيرا ما ينشد:

[الطويل]

قَضَاؤُكَ مَحْتُومٌ وَأَمْرُكَ نَافِدٌ وَمَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدٌّ⁵

وبالجملة ففي العزلة راحة للنفوس والأبدان، وسلامة للقلوب من العوارض
والأديان، ومن الأمراض التي لا علاج لها إلا بتوفيق مولانا الرحيم الرحمان، وبها تتطهر

¹ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي والد العلامة أبي سالم العياشي، كان خيرا دينيا، أدرك جماعة من
الشيوخ، وأخذ عن الشيخ العارف العالم المحقق أبي العباس أحمد بن محمد أذفال السوساني الحسيني الدرعي
منشأ ووفاء. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 242؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج2/83-85.
² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/346؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي،
ج2/85.

³ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم التمنارتي المغافري وهو والد أبي زيد صاحب الفوائد فقال في حقه: كان
دينا صالحا متعبدا زاهدا معرضا عن الدنيا، شديد المجاهدة. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة ما انتشر، ص:
240؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج2/38-40.

⁴ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 240.

⁵ هذا البيت المذكور بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 240.

القلوب الظواهر، وتنور البصائر، وتكتسب الأخلاق الجميلة، والأوصاف الحسنة الجليلة، وتحصل الفكرة في مخلوقاته ومصنوعاته، وتدبر كلماته وآياته، فيستفيد الإنسان من ذلك أحوالاً سنية، وكمالات نبوية سنية، ومنافع العزلة أكبر من أن تحصر، وفضائلها أجل من أن تذكر. وقد قال بعضهم:

[الطويل]

أَنْسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فَطَابَ الْأُنْسُ لِي وَصَفَا السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبَالِي أَسَارَ الْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ
كَفَانِي مِنَ اللَّذَاتِ أَنْ لَا يَرُوعَنِي وَزِيرٌ وَلَا يَهْفُو عَلَيَّ أَمِيرٌ¹

"حكى أن رجلاً جاء إلى الفضيل بن عياض، وهو جالس في المسجد، فسلم عليه، وجلس عنده، فقال له الفضيل: "لم جئت؟ قال: للأنس بك يا أبا علي، فقال الفضيل: ما هي إلا الوحشة، والله إما تقوم عني وإلا أقوم عنك، فقام الرجل"².

قال صاحب "الرياض": وهذا هو أحد مذهبَي السلف، منهم من لا يرى باتخاذ الإخوان، والتعرف بالناس، لأنه أقرب إلى السلامة من الأفات. وأبعد من تحمل الحقوق في المخالطات، وأفرغ للاشتغال بالطاعات، ومنهم من يرى ذلك لظاهر أحاديث وردت في الترغيب في صحبة الإخوان المتقين الأخيار، الذين تبقى صداقتهم في الآخرة، كما قال

¹ الأبيات المذكورة بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثانية والثلاثون)، ص: 35.

² وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السادسة والستون بعد المائتين)، ص: 127.

تعالى: ﴿اللَّخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾¹، "اللهم اجعلنا من المتقين".
ولله درمن قال متحسرا في التخلف عن الإخوان، والعشائر والخلان، ما نصه:

[الوافر]

فَقَدْتُ أَحِبَّتِي وَفَقَدْتُ صَاحِبِي
بَكَيتُ لِفَقْدِهِمْ إِذْ صِرْتُ فَرْدًا
فَسَاعَدَنِي أَخِي أَبْيَى نَفْسِي
عَلَى أَنْ الْبُكَاءَ يُثِيرُ وَجَدًا
وَمَا يُجِدِي الْبُكَاءَ عَلَيَّ شَيْئًا
وَوَسَدْتُ التُّرَابَ وَصِرْتُ رَهْنًا
فِيَا مَوْلَايَ كُنْ لِي فِيهِ عَوْنًا
وَهَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَاً لَا تُدَلِّي
وَبَادَ جَمِيعُهُمْ وَبَقِيتُ وَحْدِي
فَمَا لِي بَعْدَ مَنْ يَبْكِي لِفَقْدِي/376
وَأَنْعَاهَا إِلَيَّ بِكَلِّ جَهْدِي
وَيَسْتَلِبُ الْعِزَّاءَ وَلَيْسَ يُجِدِي
إِذَا أُوْدِعْتُ وَحْدِي قَعْرَ لَحْدِي
بِمَا قَدَّمْتُ مِنْ غِيٍّ وَرُشْدِي
عَلَى خَصْمِي وَامْدُدْنِي بِأَيْدِي
بِمَا أَسْلَفْتُ مِنْ خَطَاٍ وَعَمْدِي

وقال أحمد بن الحواري"، لما سئل عن طريق النجاة، قال: "هيات، إن بيننا وبين طريق النجاة عقبات، وتلك العقبات لا تقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة"². وعن الواسطي³، قال: "بينما أنا أسير في البادية، فإذا بأعرابي جالس منفرد، فدنوت منه، وسلمت عليه، فرد علي السلام، فأردت أن أكلمه، فقال:

¹ سورة الزخرف، الآية : 67

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السادسة والستون بعد المائتين)، ص: 127.

³ أبو بكر بن موسى الواسطي أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، وكان يعرف بابن الفرغاني، محب الجنيد، وأبي الحسين النوري، لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو. وكان عالماً بالأصول وعلوم الظاهر، ومات سنة 520. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 302-306؛ والزركلي، الأعلام، ج 117/7.

أشتغل بذكر الله، فإن ذكره شفاء للقلوب، ثم قال: وكيف يفتن ابن آدم من ذكره وخدمته، والموت في أثره، والله ناظر إليه، ثم بكى وبكى معه، فقلت له: ما لي أراك وحيدا، قال: ما أنا بوحيد، والله معي، وما أنا بفريد، وهو أنيسي، ثم قام ومضى عني مسرعا، وقال: سيدي أكثر خلقك مشغول عنك بغيرك، وأنت عوض عن جميع ما فات، يا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد، ويا مأوى كل فريد، وجعل يمشي وأنا أتبعه، ثم أقبل إلي، وقال: ارجع عافاك الله إلى من هو خير لك مني، ولا تشغلني عن من هو خير لي منك، ثم غاب عن بصري". انتهى.

والكلام في هذا المعنى كثير، ولنقتصر منه على هذا النزر اليسير، ولولا مخافة الطول، والخروج عما نحن فيه من الغرض والسؤل، لأتينا في ذلك بما يناسب المقام من كلام العارفين، والأئمة الأعلام، ليكون تذكرة للقاصر مثلي من أبناء جنسي وشكلي.

وأما أشياخ صاحب الترجمة، فكثيرون، ومنهم بالصلاح والفلاح، والعلم شهيرون، منهم شيخه الذي اعتمد عليه، وانتسب إليه، وفوض أموره إليه، وحط رحله لديه، وأخذ عنه أخذ إرادة وانتساب، وأسقط بينه وبينه الموانع، والعوارض، والأسباب، العالم الفاضل، الموصل الواصل، الذي يعز نظيره والمماثل، صاحب الجاه، والقدر العظيم، أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم التاملي، نفعنا الله به، كان، عالما عارفا، وليا مكاشفا، من أهل الخصوصية والعرفان، ومن أهل الله الأكابر، المرجوع إليهم في هذا الشأن.

"حدث سيدنا الإمام العارف الهمام، أبو عبد الله سيدنا الصالح/377/ نفعنا الله ببركته على الدوام، قال: قلت: "لسيدي محمد بن عبد الرحمن الصومعي، أحد حفدة الولي الكبير سيدي أحمد بن أبي القاسم، نفعنا الله به، يوما، وكنا نقرأ على أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وهو من أشياخي، فدرس في الفاتحة شهرا كاملا.

فقال: سيدي محمد بن عبد الرحمن، هذا سيدي محمد بن إبراهيم، درس فيها ثلاثة أشهر¹، "وقد تخرجت على يد هذا الشيخ المذكور فحول من أكابر الراسخين، ومشايخ من أهل الرسوخ، والتمكين، عددهم قليل، وفعلهم جليل، يذكر أنهم كانوا نحو العشرة، ولكن كانوا رضي الله عنهم، على غاية قصوى من الكمال، والرفعة والجلالة والإفضال، أدركوا ما لم يدركه غيرهم من الأسرار، واللطائف، والمعارف والأنوار"²، "وكان سبب صحبة صاحب الترجمة لهذا الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم، أن والده المرابط الأجل الأصيل الأفضل، سيدي عبد الخالق، انتقل إلى حضرة مراكش، بقصد السكنى، فسكن بها، وولده معه، وكان سكنهما بحومة الكتبيين، وكان أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم التاملي، نفعنا الله به، إمام جامع الكتبيين، ظهر بتلك المدينة بذلك الوقت، يقال إنه كان يمر بدار صاحب الترجمة، هو وأصحابه، فيجدون صاحب الترجمة جالسا على أحسن هيئة، لابسا الثياب النفيسة، وبيده ديوان المتنبي، فيسلم عليه الشيخ وأصحابه، فيرد عليهم كغيرهم من المارين بالطريق، فكان أصحاب الشيخ يجدون في أنفسهم عليه من أجل أنه لم يظهر منه ما يوزن بتعظيمهم الشيخ واحترامه، وذلك لعدم معرفته بالشيخ، ثم إن أصحابه أخبروا الشيخ بذلك، فقال لهم: دعوه إنه من أصحابنا، وكان يقول لهم: ذاك أبو منقار، من إخوانكم، يعني به سيدي محمد المعطى"³. وكان الأمر كما ذكر نفعنا الله به. "وهذه الأخبار من كرامات الشيخ نفعنا الله به، وسبب معرفة صاحب الترجمة بهذا الشيخ، أنه، ذهب في بعض الأيام إلى جامع

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/496؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 83 (ب).

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/496.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/498-499؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 84 (أ).

المواسين، بعد صلاة العصر، وكان الشيخ نفعنا الله به، يجلس في ذلك الوقت بعد الصلاة المذكورة للذكر، فلما دخل صاحب الترجمة المسجد، وجد الشيخ تحرك عليه حال، وهو يدور في المسجد من سارية إلى سارية فبنفس ما رآه الشيخ قبضه وضمه إلى صدره، وأرسله فلم يخرج من المسجد المذكور حتى خرج غائبا يميل كما النشوان لا يدري أين هو"¹، كما قال، القائل:

[الكامل]

حَمَلْتَنِي وَجَدًا لِعَيْرِي لَمْ يَكُنْ	وَسَقَيْتَنِي صِرْفًا فَلَسْتُ أُفِيقُ
وَجَعَلْتَنِي أَصْلَى بِنَارِ تَشْوُوقِي	فَأَنَا إِلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ مَشْوُوقٌ/378
شَهِدْتُ لِي الزَّفْرَاتُ أَنَّ بِبَاطِنِي	كَبِدًا ثَوَى فِيهِ جَوَى وَحَرِيقُ
إِنْ لَمْ أُرِقْ دَمْعِي عَلَيْكَ صَبَابَةٌ	فَلِأَيِّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أُرِيقُ
لَا رَاحَةً لِلْعَاشِقِينَ مَعَ الْهَوَى	تُقْضَى وَلَا قُرْبٌ وَلَا تَفْرِيقُ
أُرْفُقُ عَلَيَّ وَدَاوٍ مَنْ أَمْرَضْتَهُ	إِنَّ الطَّبِيبَ عَلَى الْمَرِيضِ رَفِيقُ ²

قال الفقيه الأجل، العالم الأمثل، سيدي عبد الخالق بن محمد، نجل العارف الكبير، والعلم الشهير سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به: "حدثني الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، أنه أقام على تلك الحالة ثلاثة أشهر، لا يدري أين هو، ولا يعرف أحدا"، وفي مثله يحسن أن يقال:

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/496؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 84، مع اختلاف طفيف في الرواية.

² وردت الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/499.

[الكامل]

غَلَبَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ سَاوَى هَوَاهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
وَسَطًا عَلَيْهِ السُّكْرُ حَتَّى قَدْ غَدَا مُتَهَتِكًا فِي الْحُبِّ بَعْدَ وَقَارِهِ
أَضْحَى بِخَمْرِهِ حُبِّهِ مُتَمَايَلًا بِخُمَارِهِ شَوْقًا إِلَى خَمَارِهِ
وَكَلِيمٌ شَوْقٍ كَمَ لَهُ مِنْ زُورَةٍ يَرْجُو شِفَا أَوْزَارِهِ بِمَزَارِهِ
فِي طُورِ طُورِ الْقَلْبِ حَاوِلَ نَظْرَةً قَبَدَا الْهَوَى بِالْبُعْدِ عَنْ أَوْطَارِهِ
لَا عَارَ لِلْمُضْطَرِّ أَنْ يُبْدِيَ الْجَوَى وَيَبْتَثَّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَضْرَارِهِ¹

"وكان والده يزور به الصالحين، فكان إذا ذهب به، وحمله على الدابة، يبقى يميل يمينا وشمالا، لا يستقر عليها، وكان يخاف عليه من الخدام إن رأوه بتلك الحالة أن يظنوا به السكر، ويذهبوا به إلى الوالي، ثم بعد ذلك صحا، وصار من جملة أصحاب الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم، كما كان الشيخ أخبر به أصحابه قبل ذلك، وظهر مصداقُ مقالته، في قوله لأصحابه: إنه من أصحابنا، وكان من خواص أصحاب هذا الشيخ وأجلهم، حتى إن الفقيه الأجل، العالم الأمثل، الولي العارف الكامل المكاشف، أخاه في شيخه المذكور، سيدي أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي، كان يقول: سيدي محمد المعطى، صُبِغَتْ أَنَا وَهُوَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَجَاءَتْ صِبْغَتُهُ أَنْضَرَ وَأَحْسَنَ مِنْ صِبْغَتِي"². وقد قال العالم الإمام سيدي سعيد العميري: "تلاقيت مع سيدي أحمد العطار، بمدينة مراكش، وتكلمت معه، فوجدته أنحى من ابن مالك.

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج3/500؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 84 (ب).

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، ج3/501.

قال في صفوة ما انتشر: "كان من أهل العلم، والعمل، والاجتهاد في العبادة، مصحوبا بالخشية، مؤيدا بالورع والسكينة، عُرض عليه قضاء الجماعة بمراكش، فامتنع بعد الإلحاح عليه، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، ينسج الكتان، فيتبلغ به، وعرض عليه العمال ما بأيديهم، فلم/379/ يمد لذلك طرفا، وكان له الباع المديد في العلوم المعقولات بصيرا بمعضلاتها، مطلعا على دقائقها، أخذ عن قاضي الجماعة أبي مهدي السجستاني، وأبي عبد الله المزوار، وغيرهما من أئمة مراكش، ورحل لفاس، فأخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وأجازه، وأخذ فن القراءات عن ابن سعيد المرغيثي، وكان عارفا بعلم الطب، خبيراً برجز ابن سينا، تخرج به جماعة من الأعيان، وأخذ علم الباطن عن سيدي محمد بن عبد الله الأندلسي، دفين جنان بن شكري¹. وعن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التاملي، إمام جامع الكتبيين. انتهى بلفظه"².

وقد منحه أيضا علامة الزمان، ومن اعترفت بكمال سيادته الأكابر والأعيان، أبو علي سيدي الحسن اليوسي، مجيبا له بعد كلام منثور، كأنه الدرر المنثور، بما نصه:

[البيسط]

يَا نَسْمَةَ الرُّوحِ مِنْ أَرْجَائِهَا عُوْدِي	إِنْ أَصْبَحَتْ هِيَ لَا تُوفِّي بِمَوْعُوْدِي ³
وَيَا أَرَاكَةَ ذَاكَ السَّفْحِ إِنْ بَخِلْتُ	بِثَغْرِهَا فَاْمَنْحِينَا رَشْفَةَ الْعُوْدِ
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ مَعْضُوْدًا يَكُنْ صِلَةً	مِنْهَا وَإِلَّا فَشَيْهًا غَيْرَ مَعْضُوْدِ
وَيَا صَبَاَهَا أَلَا أَحَدٌ مِنْ صَبَاتِيهَا	وَشَوْقِيهَا بِالمَطَايَا القُوْدِ أَوْ قُوْدِي

¹ لعلها حنان بن شقرا (معقودة).

² محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 354-355، بنفس اللفظ.

³ في النسخة (ب) "بمعوود" وفي النسخة (ج) "بمعهود".

وَرَدِّدِي مِنْكَ أَذْيَالَ النَّسِيمِ بِنَا
وَزَوْدِينَا فَإِنَّ الطَّيِّبَ تَمْنَحُهُ
وَيَا خَمَائِلَ وَادِيهَا بِنَافِحَةٍ
فَمَا أُعْيِشَابُ ذَاكَ الرَّوْضِ إِنْ نَفَحَتْ
وَيَا زُلَّالًا مَجَارِيهَا إِذَا مَنَعَتْ
وَيَا لِيَالِي وَصَلِّ بِالْحِمَى سَلَفَتْ
يَشْكُو مِنَ الدَّمْعِ طُوفَانًا وَقَدْ بَخَلَتْ
ذِي فِكْرَةٍ بِنِبَالِ الْوَجْدِ شَائِلَةً
تَقَسَّمَتْهُ تَبَارِيحُ الْهَوَى شَغَفًا
وَشَقَّ غَرْبُ الْأَسَى مِنْ بُعْدِ شُقَّتِهِ
فَمَا لِيِيَلَاتُ ذَاكَ الْعَصْرِ فِي زَمَنِ
وَالسُّودُ تُحْمَلُ عَنَّا بَيْضُهُ حَسَدًا
وَصَائِلُ الْبَيْنِ لَا يَأْلُو بِأَسْهَمِهِ
يَا رَحْمَةً لِيُزُوجَ الدَّهْرَ مَطْعَمَهُ
يُسَدِّدُ¹ الْبَيْنَ سَهْمِيهِ لِيُصْمِيَهُ
وَيَنْدَشُرُ الْوَجْدُ فِي الْأَحْشَاءِ غَارَتَهُ
وَيَسْتَعِيثُ إِلَى السَّلْوَانِ يُنْجِدُهُ
يَظَلُّ نَحْوَ مَهَامِي الرِّيحِ مُعْتَرِضًا
بِالنَّفْسِ تَحْيَى وَتَفْنَى لَوْعَةً يَهْوَى

مُعْطَرًّا مِنْ شَذَاهَا كُلَّ تَرْدِيدِ
أَيْدِي الصِّبَا قَلْبَ صَبِّ خَيْرِ تَرْوِيدِ
مِنَ الْمُجُودِ يَهَاتِيكَ الرَّبِّي جُودِي
إِلَّا لَوَائِحُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاعِيدِ
رُضَابَهَا جُدْ بَعْدُ مِنْكَ مَوْزُودِ
أَلَا إِسْلَى مِنْ سَلِيمِ الْقَلْبِ مَعْمُودِ
بِطَيْفِهَا وَهُوَ يَرْجُو الْفَوْزَ بِالْجُودِ
شَجْوًا وَجِسْمِ بَأَيْدِي الدَّهْرِ مَقْدُودِ
قَسَمَ الضَّوَارِي أَدِيمَ الصَّيْدِ بِالْبِيدِ
جَنْبِيهِ فَهَوَ غَرِيبٌ غَيْرُ مَشْهُودِ
عِشْنَاهُ إِلَّا لِيَالِي الْمَبِيزِ فِي السُّودِ
وَالسَّيِّدُ الْمُحْضُ مَحْسُودٌ عَلَى السُّودِ
وَسُمْرِهِ الطَّعْنُ مِنْ سَلْكَى وَمِنْ أُودِ
مَا لَاحَ نَجْمُ قِيْوَى غَمِّ وَتَسْهِيدِ
فَيَفْتَحُ الْفَتْحُ بَابًا غَيْرَ مَسْدُودِ
وَالْوَجْدُ يَسْعَى بِتَجْنِيدِ وَتَنْجِيدِ
فَيَنْتَنِي بِفُؤَادٍ مِنْهُ مَنْجُودِ
لِنَفْحِهِ مِنْ شَدَى تِلْكَ الْمَعَاهِيدِ
كَأَمَاءٍ يَشْرُقُ طَوْرًا بِاللُّقَا دِيدِ

¹ في النسخة (د): "يسود".

وَقَدْ نَشَقْنَا مِنَ الْأَزْوَاجِ أَطْيَبَهَا
وَقُلْ لِرِيحِ الصَّبَا أَفْصِرَ فَإِنَّ لَنَا
رِيحًا¹ إِذَا مَا هَفَّتْ أَهَدَتْ لَنَا أَرْجًا
أَحَبَّةَ مَا ذَكَرْنَاهُمْ عَلَى ظَمًا
حَلُّوا السُّوَيْدَاءَ وَالْحَمْرَاءَ مَنْزِلُهُمْ
إِذَا سَرَتْ سَحْرَةً أَرْوَاحُهُمْ حَيَّتْ
وَجَاءَ فِيهَا مِنَ الْعَطَارِ عَنَبْرُهُ
مِسْكٌ مَتَى تَرُجُ فِي الْغَزْلَانِ مُشْبَهُهُ
مِسْكٌ وَدَادٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ مَنَّبَعُهُ
طِيبٌ بِهِ مِنْ صَفَاءٍ ثُمَّ أَنْزَلَ مِنْ
وَمَا وَدَادُ الَّذِي وَافَى وَدَادَ هَوَى²
وَمَا كَلَامُ أَبِي الْعَبَّاسِ يُبْرِزُهُ
تَنَافَسَتْ فِيهِ لَبَّاتُ السُّطُورِ كَمَا
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ غَوَاصٍ أَبْحَرَهُ
وَمُخْرِجِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ الَّذِي عَدِمَتْ
وَمُمْتَعِ النَّفْسِ بِالصَّهْبَاءِ تُفْرِغُهَا
تُدِيرُهَا مِنْ بِنَاتِ الْفِكْرِ يَعْقِدُهَا
طَابَتْ مَذَاقًا وَفَاحَتْ مَعْبَقًا وَوَقَّتْ

نَفْحًا وَأَذْهَمَهَا لَفْحًا لِمَفْوُودِ/380
مِنَ الْجَنُوبِ نُشُوقًا غَيْرَ مَرْدُودِ
مِنْ كُلِّ حَبِّ شَفِيقِ الْقَلْبِ مَوْدُودِ
إِلَّا شَفَيْنَا الْحَشَا مِنْهُمْ بِتَبْرِيدِ
فَاعْجَبْ لِقُرْبِ كَسْوَنَاهُ بِتَبْعِيدِ
أَرْوَاحِنَا وَصَفَتْ مِنْ كُلِّ تَنْكِيدِ
وَمِسْكُهُ وَهُوَ مِسْكٌ غَيْرُ مَعْمُودِ
فَقَدْ تَرَجَّيْتَ شَيْئًا غَيْرَ مَوْجُودِ
بِالْغَيْبِ لَا مِنْ دَمٍ بِالْجِيدِ مَقْلُودِ
عُلُوِّ إِلَى هَيْكَلِ لِيُوثِ مَمْهُودِ
لَكِنْ حَيَاةً وَرَيْحَانٌ لِمَفْقُودِ
لَفْظًا وَلَكِنْ تَمِينُ الدَّرِّ فِي الْجِيدِ
تَنَافَسَ الدَّرُّ رَبَّاتِ الْمَنَاجِيدِ
بِلَا جَبِينِ بِنَضْحِ الْمَوْجِ مَكْدُودِ
أَمْثَالُهُ فِي نُحُورِ الْخَرْدِ الرُّودِ
مِنْ فِيكَ صَافِيَةٌ لَا مِنْ نَوَاجِيدِ
ذَكََا ذَكَائِكَ لَا مِنْ بِنْتِ عَنُقُودِ
شَرُوبَهَا مِنْ أَدَى نَزْفٍ وَتَفْنِيدِ

¹ في النسخة (د): "روح"

² في النسختين (ج) و(د): "هدى"

وَمَا الْقَرِيضُ الَّذِي أَبْدَى سِوَى زَهْرٍ
سَقْتُهُ كَأَسَا جَوَارِي الْبَحْرِ سَادِلَةً
فَاهْتَزَّتْ لَمَّا تَعَاطَى الْكَأْسَ مُنْتَشِيًا
بَكَتْ لِتَنْزِيلِهَا مِنْ جَوْهَا حَزَنًا
يَمْثِي النَّسِيمُ سَفِيرًا مِنْ حَمَائِلِهِ
وَالنَّرْجِسُ الْغَضُّ أَبْدَى ثَغْرَهُ فَرِحًا
وَالرُّوحُ تَخْتَالُ فِي أَثْوَابِهَا¹ مَرَحًا
كَأَنَّمَا الْقَضْبُ قَبْلَ الْغَيْثِ فِي هَرَمٍ
وَالطَّلُّ يَحْكِي عَلَيْهَا الدَّرَّ تَحْمِلُهُ
وَالوُرُقُ تَشْدُو وَتَطْرِي قَلْبَ ذِي شَجَنِ
وَالنَّهْرُ كَالْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ مُرْتَفِعًا
بَلْ جِئْتَ بِالزُّهْرِ لَا بِالزُّهْرِ تُنْزِلُهَا
هَذَا وَلَا غَرَوْ أَنْ تَرْقَى إِلَى
وَأَنْ تَكُونَ قُنُوصَ شَارِدٍ بِحَجَى
وَأَنْ تَفُوقَ عَبِيرَ عَنَبٍ خُلُقًا
فَقَدْ أَتَتْ لُسُنُ هَذَا الشَّانِ زَاحِفَةً
وَقَدْ مَلَكْتَ بِمَا أَبْدَيْتَ أَفِيدَةً
وَصِرْتَ مِنْ ذَلِكَ قَدْ قَلَّدْتَنَا مِنَّا
وَكَانَ وُدُّكَ بِالْأَرْوَاحِ تُرْسَلُهُ

غَضٍ بِأَجْرَعِ ذِي شَرْجَيْنِ مَعْمُودٍ
مَنْ الْحَيَا سَارِيَاتٍ غَيْرَ تَصْدِيدِ
مُكْتَسِيًا ثَوْبَ جَثَاثٍ وَيَعْضِيدِ
فَضْحِكَ الزَّهْرِ مُرْتَاحًا لِتَصْعِيدِ
بَيْنَ الْأَحْبَاءِ فِي وُدِّ بِتَجْدِيدِ
وَوَجْنَةُ الْخَدِّ أَضَحَّتْ ذَاتَ تَوْرِيدِ
وَيَكْتَسِي بَعْدَ عُرْيِ كُلِّ أُمْلُودِ
فَعُدْنَ فِي عُنْفُوانِ يَوْمِ تَسْخِيدِ
نُحُورُ حُورٍ وَلَكِنْ غَيْرَ مَنْضُودِ/381
فُوقَ الْوَرِيْفِ بِتَطْرِيْبِ وَتَغْرِيْدِ
طَوْرًا وَمُنْخَفِضًا فِي كُلِّ أُخْدُودِ
مَنْ السَّمَاءِ بِمَنْثُورٍ وَمَعْقُودِ
أَفْقِ الْمَجْرَدَاتِ بِتَشْمِيرِ وَتَجْرِيْدِ
رَكِبْتَ مِنْهُ عَلَى قَيْدِ الْأَوَابِيْدِ
فَرَبَّ طَيْبٍ مِنْ الْعَطَّارِ مَحْمُودِ
حُبُورًا إِلَيْكَ وَأَلَقْتَ بِالْمَقَالِيْدِ
لَنَا فِدَانَتْ وَأَذَنْتَ بِتَغْيِيْدِ
إِذْ صَارَ وُدُّكَ عِلْمًا غَيْرَ تَقْلِيْدِ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَقْوَى الْمَسَانِيْدِ

¹ في النسخة (د): "أرجائها".

فَقَدْ أَبْحَنَّاكَ مِنَّا رَوْضَةً أَنْفًا مِنْ زَاهِرِ الْوُدِّ فَيْحَاءَ الْمَقَالِيدِ
بَلْ قَدْ حَلَّتْ مِنَ الْأَحْشَاءِ مَنَزَلَةً مُسْتَوِطِنًا جَارَ إِيْمَانٍ وَتَوْحِيدِ

وحدث ولد صاحب الترجمة الدين الخير النزيه، العلامة الخاشع الوجيه، سيدي محمد بن محمد المعطى، قال: "كان الوالد رحمه الله، يوما مارا مع شيخه سيدي محمد بن إبراهيم، ومع بعض أصحاب الشيخ وهم ذاهبون لغسل ثياب الشيخ بموضع هنالك، فكان صاحب الترجمة تقدم أمام الشيخ، فنظر الشيخ إليه، وأشار بيده، وحرفها، وقال: هذه البقية أزلنا منك، فلم يبق فيه شيء، بعد ذلك اليوم"، والله درمن قال:

[الطويل]

تَذَلُّ لِمَنْ تَهْوَى فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلٌ إِذَا رَضِيَ الْمَحْبُوبُ صَحَّ لَكَ الْوَصْلُ
تَذَلُّ لَهُ تَحْظَى بِرُؤْيَا جَمَالِهِ فَفِي وَجْهِ مَنْ تَهْوَى الْفَرَايِضُ وَالنَّفْلُ

[الطويل]

وقال غيره:

رَضِيْتُ بِدُلِّي فِيكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى إِذَا كَانَ ذَاكَ الدُّلُّ يُرْضِيكَ فِعْلُهُ/382
وَيَعْدِلُنِي فِيكَ الْعَدُولُ بِعِلْمِهِ وَأَعْدِرُهُ لَمَّا تَبَيَّنَ جَهْلُهُ
وَفِي مِنْكَ سِرٌّ لَسْتُ أَفْهَمُ بَعْضَهُ فَاشْرَحْ حَتَّى يُفْهَمَ الْحَالُ كُلُّهُ
إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَى عَزِيْزًا مُكْرَمًا وَفِي يَدِهِ عَقْدُ الْقَضَاءِ وَحَلُّهُ
فَدَعْ عَنْكَ مَا تَهْوَاهُ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا رِضَاهُ فَإِدْرَاكَ الْمَعَالِي رِضَاؤُهُ

وكان شيخه هذا من أهل الورع والانقباض عن الخلق، ولا يقبل من أحد شيئا أتاه به. يحكى عنه نفعنا الله به، أنه كان إذا ذهب يغسل ثيابه، لا يستعير من أحد ثوبا، وكان يفعل في بعض الأحيان، أنه يغسل طرف ثوبه، ويبقى الطرف الآخر حتى يجف، ويستتر به، ويغسل الطرف الآخر، وكان ورث بعض الديار من أقاربه، فكان إذا دخل فيها

يسمع الصياح عليه من نواحي المكان، لكونها، والله أعلم، فيها شيء من الغصب فتركها. وكان نفعنا الله به، يقول: "ما ارتقيت المقام إلا وجدت المعطى على أثري".

"يحكى عن بعض الثقات أن شيخه هذا، بات ليلة مع تلميذه صاحب الترجمة سيدي محمد المعطى، نفعنا الله بهما، وكان في المكان الذي باتوا فيه بق كثير، فشَوَّشَهُم ذلك البق، فقام الشيخ إلى السراج ورفع يده، وجعل يمر بحيطان البيت، وينظر في البق، ويقول: موتوا، فلم ينظر إلى بقة إلا ماتت مكانها"¹

"ويحكى عنه، أنه كان مرة، لا يقدر أن يسمع كلام الناس، لأجل أنه سمع كلام حورة، فبقي مدة لا يستطيع سماع كلام الإنس، وإذا سمعه تمثل له، كأنه صوت حمار، وبقي على ذلك مدة"².

أخذ، عن أبي العباس سيدي أحمد الخضر، يقظة بلا واسطة، كما ذكر ذلك العالم العلامة الدراكة الفهامة، سيدي عبد الرحمان بن ينبوع العلوم، والمرجع إليه في كل منطوق ومفهوم، الولي العارف الجليل المكاشف، سيدي عبد القادر الفاسي في "فهرسته".

ويذكر أن شيخه هذا أبا عبد الله [وقعت له حكاية مع أهل مراكش، وحاصلها: إن الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم نفعنا الله به]³، نام ليلة فرأى النبي ﷺ، في المنام، وقال له: "تزوج أمانة بنت أحمد السالمي، وكانت موجودة في الوقت، مرغوبا فيها لمالها، وجمالها، فلما أصبح الشيخ ذهب وأهله إلى المرأة المعلومة هنالك، وكان بعض

¹ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/498.

² وردت هذه الحكاية في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/498، مع اختلاف بسيط في الرواية.

³ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

أقاربها عقد عليها، وأعسر عما يصدقها به، فأخبر الشيخ بذلك، ففشا الأمر في الناس، وتحدث به، فقام بعض الحسدة من الطلبة، وقال: "هذا لا يحل، وكيف يتزوج رجلان امرأة واحدة، فوشى بأبي العباس لأمير الوقت، وتعصب/383/ عليه بعض المنحرفين عنه من المتفهمة، فاجتمع القاضي وغيره من الطلبة لينظروا ما يفعل بالشيخ، وما يستحق بالشرعية، فاجتهدوا في طلب ذلك، يقال: إن بعض الطلبة من أولئك الحسدة، كان ينظر ليلة، ويبحث في النازلة لعله يجد فتوى في الشيخ، فغفل وقرب من الشمعة، فاتصلت بعمامته، وشعلت النار فيها، حتى أتت عليها، ولم ينج الطالب من ذلك إلا بعد جهد جهيد، ثم إن أولئك الطلبة بلغ من أمرهم طوفوا الشيخ في المدينة عن أمر الأمير جزاء لمن يخطب المرأة، وهي ذات زوج، فكيف بأبي العباس، فسمعه بعض الثقات حال المناداة عليه، وهو يقول: اللهم إن كان هذا رضاك فزدني منه"، ثم قام بعض تلامذة الشيخ، وهو الإمام الصوفي أبو العباس أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي، وقال له: يا سيدي ابنتي اسمها أمنة، ولعلها من التي قال لك النبي ﷺ: تتزوج فزوجه منها. ويقال: إن الشيخ أبا عبد الله المذكور، كان يقول: خيرني الله في أمر الطلبة الذين آذوني ما شئت أن يفعل بهم، يفعل، فاخترت أن يكونوا في الفحامين¹، نسأل الله سبحانه السلامة في الدنيا والدين من التعرض لإذاية عباد الله الصالحين، وأن يوفقنا للعمل الصالح، الذي ينفع يوم الورود على رب العالمين، بجاه سيد الأنبياء والمرسلين، آمين يا رب العالمين".

قلت: "ولعله، اختار لهم ذلك لتكون المجازاة من جنس الذنب في الفضيحة في الدنيا، ورحمة منه لهم، حيث لم يختار فساد دينهم أوقابهم، واختار الصبر والتواب من الله تعالى، على الانتصار لنفسه، وإنما اختار لهم ذلك ردعا لأمثالهم عند أهل

¹ في النسخة (د): (الحجامين).

الخصوصية والخير، وإلا فالصبر شيمة العارفين والأولياء الكاملين، لتعلق قلوبهم بما عند الله، ومشاهدتهم الفعل من الله تعالى، ولذا قال سيدنا العارف بالله، الدال بأقواله وأفعاله، على مولاه سيدي أحمد بن عبد الله، صاحب "المخفية" من فاس، أمنها الله سبحانه من الأسواء والباس: "لِي يَصْحَبْ، يَصْحَبُ العارفين بالله، وإذا أحبوه يوصلوه لله، وإذا كرهوه يتقوا فيه الله"، حسبما أخبرني بذلك العالم الإمام القاضي الهمام، سيدي أبو القاسم، بن العلامة سيدي سعيد العميري، عن والده عن شيخه المذكور".

قلت: وما وقع لهذا الشيخ في ذهاب عقله إلى تلك المرأة لا يوجب نقصا في ولايته، وغضا من مرتبته، وكمال ولايته وسيادته، بل ذلك من أمرهم شائع يخبر الواحد منهم بالأمر، ويتخلف ويحصل لهم الغلط في الكشف، كما يحصل للعلماء في الفهم، كما يأتي في جواب سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي عن تلك، ولا يكون فيمن تخلف خبره ما يذهب عنه/384/ الخصوصية، فإن الانفراد بذلك من أوصاف الربوبية، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾¹، على أن هذا الشيخ، لم يتخلف خبره، بل ظهر مصداقه وأثره، لأن رؤياه تحقق مصداقها، ولاح منارها، وأول قوله السالمي، على أن صاحب الترجمة سالم من النار، أو نحو ذلك.

قلت: فشيخه هذا نفعنا الله به، قد اتضحت ولايته، وإرشاده للخلق وهدايته، واشتهرت خصوصيته بين الأنام، وظهرت ميزته، حتى شهد بذلك الخاص والعام، ولو لم يكن من مدده إلا هذه الحجة الباهرة، والآية الظاهرة، سيدي محمد المعطى، لكان ذلك كافيا في شرفه وفضله، نتوسل إلى الرب سبحانه بجاهه عند الله وحقه.

¹ سورة الرعد، الآية: 39

وأخذ أيضا، يعني صاحب الترجمة سيدي محمد المعطي، نفعنا الله به، عند الولي الصالح، الشهير العارف، الكبير صاحب الأسرار، الموفق بحمد الله الرشيد، أبي عبد الله سيدي محمد بن سعيد المرغيثي، وأرضاه، وجعلنا في حيطته وحماه، أمين.

وكان من العلماء العاملين، ومن أهل الرسوخ والتمكين، وأجازه، ووقعت بينهما مكاتبات، ومحاورات، ومراسلات في مسائل التصوف، وهو الذي قال له حين كان معه في السوق الكبير من الحضرة المراكشية، وبقرهما رجل يصفري في زمارة: "هل سمعت ما تقول تلك الزمارة؟ قال: نعم، تقول: مولى الموالي، مولى الموالي حتى أخذه من ذلك حال عظيم، حسبما سبق في حكايته مطولا، وللأولياء رضي الله عنهم، في ذلك منازع حسان، وشوارق وأنوار وعرفان، وكواشف مشاهدة وعيان، يأخذونها من مناطق الأطيوار، وأصوات الأواني، ونغمات الأوتار.

أخذ المصافحة النبوية الجليلة المصطفوية، وقد وجدت فيها بخط يده الكريمة، ما نصه من منة الله تعالى، علي له الحمد وله الشكر، وأن بين كفي وكف المصطفى نبينا ومولانا محمد، عشرين كفا لا غير، وذلك أني صافحني السنِّي السنِّيُّ، الشيخ الصوفي، أبو محمد سيدي محمد بن سعيد المرغيثي، بحضرة مراكش، قال: "صافحني الإمام الحافظ شيخنا، أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، قال: صافحني الشيخ أبو العباس المنجور الفاسي، قال: صافحني الإمام شيخنا زين الدين¹ أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن سقين، قال: صافحني شيخ الإسلام، أبو يحيى زكرياء الأنصاري، الشافعي، قال: صافحني الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، قال: صافحني الزين العراقي، وصافحني الشيخ رضوان المستملى، قالوا: صافحنا الشريف أبو الطاهر الرّبّعي، [قال:

¹ في النسخة (ب): "شمس الدين"

صافحني أبو إسحاق القطي، وأنا بالربعة، قال: صافحني النجيب¹/385/ أبو عبد الله الخولي، قال: صافحني أبو المجد القزويني، قال: صافحني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي زرعة، قال: صافحني أبو منصور عبد الرحمان بن عبد الله البزار، قال: صافحني أبو محمد، إلى آخر ما سبق في عدد أشياخ ولده الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد المدعو الصالح".

ومن أشياخه، العالم الإمام، الولي العارف القدوة الهمام، شيخ الشيوخ، وأهل المشاهدة والرسوخ، الأواب الخاشع، المكاشف المتواضع، سيدي عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن، سيدي يوسف الفاسي، نفعنا الله بالجميع. وقد أجازته وعمم له في الإجازة في جميع ما يصح عنه روايته، ونصها: الحمد لله، المستحق للحمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، نبيه وعبد، ونعم النبي والعبد، وبعد، فهذا بعض أسانيد شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، العلامة العلم الهمام، أبي محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، وأفاض علينا من بركته أوجب ذكرها، وكتبها مساعفة، من استدعى منه الإجازة وطلبها، وهو السيد الفاضل الفقيه الزكي الصالح، الخاشع التقي، سلالة الأخيار، وبقية الأبرار، أبو عبد الله محمد الملقب بالمعطي بن أبي محمد عبد الخالق بن أبي النصر عبد القادر بن الشيخ الولي الشهير سيدي محمد الشرقي بن الشيخ أبي القاسم الزعري، فلبى دعوته، وأبلغه مأموله وبغيته، بعد ما سمع منه فوائد جملة وتقارير، ومباحث وتحريات، ولأزمه أياما عديدة، وقرأ عليه صدرا من صحيح البخاري، وصدرا من صحيح مسلم، وكذا من الموطأ، وسنن أبي داود، وشمائل

¹ سقط ما بين معقوفتين في النسخة (د).

الترمذي، والشفا للقاضي أبي الفضل عياض¹، وسمع منه جملة وافرة من تفسير الجلالين، ومن "إحياء علوم الدين" لحجة الإسلام، وأجازه في جميع ذلك وغيره من مروياته، إجازة عامة مطلقة، حسبما رواه عن شيوخه رضي الله عنهم، أما البخاري، ومسلم، وبقية الستة وغيرها من كتب الحديث فعن جماعة؛ منهم الشيخ الإمام العارف الهمام، الولي الكامل الرباني الواصل العلامة المحقق أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي، وهو يروي الصحيحين قراءة عن أخيه الشيخ الإمام الولي الشهير أبي المحاسن يوسف بن محمد عن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار، قراءة للصحيحين أيضا، وإجازة للباقي وكلاهما من الإمام العلامة المحدث الرحلة أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف الأنصاري التونسي². وقد روى الأول أعني الشيخ أبا المحاسن عن جماعة غيره منهم الإمام المفتي أبو عبد الله /386/ جلال³ عن ابن أطيح

¹ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي، ولد سنة 476هـ، إمام المالكية وقودتهم وجامع مذهب الإمام مالك، وشارح أقواله. كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب، شاعرا مجيدا خطيبا بليغا، أحد الأئمة الحفاظ والفقهاء المحدثين. له مصنفات عديدة، منها: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، و"ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك"، و"الإمام، في ضبط الرواية وتقييد السماع"؛ وغيرها. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/483485؛ ومحمد بن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 47-57.

² أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي، الإمام المحدث المنفرد بالمنطق والكلام وأصوله، والفقه والبيان بفاس. وأخذ عنه أبو العباس أحمد المنجور، وأبو عبد الله القصار، والحميدي القاضي، وأحمد بن علي الزموري، وأحمد بن سليمان السجيري وغيرهم. توفي سنة 966هـ ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج2/208-209؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج1/91؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1/375-376.

³ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني نزيل فاس ومفتيها قال أحمد المنجور: "كان فقيها علامة مشاركا في كل فن مفتيا خطيبا استفتت منه في العقائد والفقه والحديث والأدب وغيرها". ولد سنة 908هـ، وأخذ عن الفقيه المفتي أبي عثمان سعيد المنوي والأستاذ المحقق أبي العباس أحمد بن أطيح الله من تلامذة الشيخ ابن غازي وحضر عن الفقيه المفسر النوازي أبي مروان البرجي في التفسير وغيره. توفي عام 981هـ. ترجمته في: فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، ص: 78؛ وابن مريم المليتي التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 134.

الله، عن ابن غازي¹، وعن عم أبيه أبي محمد عن التنسي² وغيرهما، ومنهم أبو العباس المنجور وغيره. وروى الثاني أيضا عن الشيخ القصار، عن الشيخ الصالح الزاهد الورع المحدث أبي النعيم رضوان³ بن عبد الله، عن الشيخ الإمام المحدث أبي زيد عبد الرحمان بن سقين العاصي، عن القلقشندي⁴، والسخاوي، وزكرياء. وروى الشيخ القصار بالإجازة عن أبي الطيب الغزي تلميذ زكرياء، وعن البدر القرافي، والشيخ يحيى الحطاب، وغيرهم. وقد عقد الشيخ القصار، وإسناده إلى الشيخ البخاري ومسلم في رجز تقريبا لحفظه، فقال:

[الرجز]

رَوَيْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ خَرُوفٍ عَنِ الطَّوِيلِ الْقَادِرِ الْمَعْرُوفِ
عَنِ الْحِجَازِيِّ شَهَابِ الدِّينِ عَنِ ابْنِ أَبِي الْمَجْدِ عَنِ الْحَجَّارِ عَنِ

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني، المكناسي ثم الفاسي، كان إماما مقرئا مجودا صدرا في القراءات متقنا فيها، عارفا بوجوهها وعللها. ولد مكناسة الزيتون عام 841هـ. ألف في القراءات والحديث والفقه والعربية والفرائض والحساب والعروض، وتخرج بين يديه عامة طلبة فاس وغيرها. توفي سنة 919هـ. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 581-583؛ وعبد العي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/890-891.

² أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الفقيه الجليل الحافظ الأديب، الشاعر، الإمام القدوة علم الإعلام المحقق. أخذ عن الأئمة أبي الفضل بن مرزوق وقاسم العقباني وابن الإمام، والإمام الأصولي محمد الفخار والولي إبراهيم التازي والإمام ابن العباس وغيرهم. توفي سنة 859هـ. من مؤلفاته: "نظم الدرر والعقبان في دولة آل زيان"؛ و"الطرار في شرح ضبط الخراز" وغيرها. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 572-573.

³ أبو نعيم رضوان بن عبد الله الجنوي إمام أهل الزهد والورع والعمل على سنن السلف الصالح، ولد سنة 912هـ وحفظ الحديث وراويته، وأخذ عن الشيخ أبي محمد بن عبد الله الغزواني، وإليه ينتسب. توفي سنة 991هـ. ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 275؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج1/89.

⁴ برهان الدين أبو الفتح إبراهيم بن شيخ الإسلام علاء الدين أبي الفتح علي بن القاضي قطب الدين أحمد بن إسماعيل بن علان القرشي الشافعي جمال الدين القلقشندي العلامة الحافظ الرحلة القدوة، أخذ عن جماعة منهم: الحافظ ابن حجر والعز ابن الفرات، توفي عام 922هـ. ترجمته في: عبد العي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/963-964.

عَنِ الرَّبِيعِيِّ¹ عَنْ أَبِي الْوَقْتِ² عَنِ الدَّوْدِيِّ⁴ عَنِ السَّرْحَسِيِّ الْفَطْنِيِّ
عَنِ الْفَرَبْرِيِّ³ عَنِ الْبُخَارِيِّ
عَنِ زَرْكَثِيِّ عَنِ الْبِيَّانِ الْمُسْنِدِ
عَنِ الْفَرَارِيِّ مُسْنَدِ الْوُجُودِ
عَنِ أَبِي سُفْيَانَ الْوَلِيِّ عَنِ مُسْلِمِ
عَنِ الْعَسَاكِرِيِّ عَنِ الْمُؤَيَّدِ⁵
عَنِ عَبْدِ غَافِرِ عَنِ الْجُلُودِ
أَبْنَاهُ رَبَّنَا لِحَوْطِ الْمُسْلِمِ

وقال أيضا في وصل الطريق الأخرى بهذه:

أَخَذْتُ عَنْ إِمَامِنَا رِضْوَانَ عَنْ سَيِّدِي سَقِينِ السَّفِيَّانِيِّ
عَنِ زَكَرِيَّاءَ عَنِ ابْنِ حَجَرَ
عَنِ التَّنُوخِيِّ عَنِ الْحَجَّارِيِّ

¹ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن مسلم الربيعي الزبيدي الأصل البغدادي الباصري الحنبلي، ولد سنة 546هـ. وسمع من جده، وأبي الوقت السجزي، وأبي الفتوح الطائي، وأبي زرعة المقدسي، وكان إماما، دينا، توفي سنة 631هـ. ترجمته في شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22 (357-358)؛ وابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج6/286.

² أبو الوقت عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزي، وكان صالحا، مكثرا من الحديث عالي الإسناد. ولد بهراة سنة 458هـ. بحق سماعه من أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي، وأبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرحني، وأبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، توفي سنة 553هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/226-227؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج12/238.

³ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر، الفربري، سمع الصحيح من البخاري بفربركان ثقة توفي سنة 320هـ. ترجمته في: صلاح الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، ج5/160؛ والزركلي، الأعلام، ج7/148.

⁴ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ الداوودي، البوشخي، ولد سنة 374هـ. صحب أبا علي الدقاق، وأبا عبد الرحمن السلمي بنيسابور، وصحب فاخرا السجزي ببست، كان من الأئمة الكبار في المذهب، ثقة، عابدا، محققا، درس وأفتى، وصنف ووعظ. توفي سنة 467هـ.. ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18/222-226.

⁵ وردت هذه الآيات في: عبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام بمن غير، ص:48 مع اختلاف في الشطر الثاني من البيت الرابع، مثل: "فيا كريم أعف عن القصار" عوض "ومسلم لذكريا الداري".

ومنهم، أي شيوخ شيخنا المجيز عمه الإمام العلامة المحقق المدقق أبو محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن، المتقدم يروي عنه الصحيحين، وغيرهما إجازة وهو عن والده، وعن الشيخ القصار المتقدم، وعن أخيه الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي المحاسن، وعن عمه الشيخ أبي زيد عبد الرحمان المتقدم وغيرهم بأسانيدهم. ومنهم الشيخ الإمام العالم القاضي أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني¹، سماعاً لجميع البخاري، وبعض مسلم، وإجازة للباقي، وهو يروي عن أبي العباس المنجور، وأبي العباس أحمد بابا السوداني²، بأسانيدهما التي يطول ذكرها، ومنهم الشيخ الفقيه الحافظ المفتي أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ³ التلمساني، سماعاً للبخاري، وهو يروي عن عمه أبي عثمان سعيد المقرئ⁴ وعن الشيخ القصار، المتقدم، وأبي العباس أحمد بابا المتقدم، وغيرهم. وأما تفسير القرآن فمن الشيخ الإمام أبي زيد المتقدم سماعاً

¹ أبو القاسم ابن محمد بن أبي النعيم الغساني نسبا الفاسي دارا ومنتشراً عالم فاس وقاضياً وخطيباً ومسنداً، أخذ عن القصار والسراج وأبي مالك الحميدي، له فهرسة اعتمدها محمد الإفرائي في صفوته، وكان يروي عامة عن المنجور وأبي العباس أحمد بابا السوداني وغيرهما. توفي سنة 1032 هـ ترجمته في: محمد القادري، نشر المثنائي ج1/254؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/681-682.

² أبو العباس أحمد بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى... الصنهاجي الماسني، يعرف بابا التنبكي أو السوداني، اشتهرت أسرته آل أقيت، بالعلم والصلاح وانفردت بخططي القضاء والإمامة. وقد نشأ بمدينة تنبكت تحت حكم أسكي داوود (990-956 هـ). حفظ القرآن، ودرس الفقه والتفسير والنحو واللغة والتصوف... توفي سنة 1036 هـ. ترجمته في: التنبكي، كفاية المحتاج، ج1/2122؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج1/271-276 وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/113-114.

³ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ من ذرية القاضي أبي عبد الله المقرئ التلمساني، ولد بتلمسان ثم رحل لفاس سنة 1009 هـ، فأخذ بها عن القصار، وابن أبي النعيم، وأبي العباس بابا السوداني، وأحمد بن القاضي وغيرهم. فتولى بها الفتوى والخطابة بجامع القرويين، توفي سنة 1041 هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشار، ص: 143-146؛ ومحمد القادري، نشر المثنائي، ج1/291.

⁴ أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ كان إماماً في العلوم، أقام مفتياً بتلمسان، أخذ عن شيوخ فاس، وأخذ عن أحمد ابن القاضي، وابن أخيه أبي العباس المقرئ مؤلف نفع الطيب. توفي سنة 1010 هـ ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشار، ص: 101-102.

لجله، وإجازة لباقيه، وعن الشيخ القاضي بن أبي النعيم سماعا لبعضه، وإجازة لجميعه عن/387/ أشياخها بأسانيدهم. وأما كتب القوم كالإحياء وغيره، فمن الشيخ الإمام العارف بالله أبي زيد عبد الرحمان بن محمد، المتقدم ذكره، وقد أخذ ذلك رواية عن شيخه الإمام القصار، وقد قال في "فهرسته" ما نصه: "واتصل بسيدنا عبد القادر الجيلاني، عن رضوان عن سقين، عن زكرياء، عن ابن حجر، عن التنوخي، عن الحجار، عن ابن الغبيطي عنه، وعن خروف، عن الطويل القادري، عن الحجازي، عن ابن أبي المجد، عن الحجاربه، وبسيدنا الشادلي، عند سفين، عن رضوان، عن القلقشندي، عن الواسطي، عن الميديمي¹، عن أبي العباس المرسي، عنه، وبسيدنا الساحلي، عن الأستاذ سيدي أحمد التسولي²، عن الدقون³، عن المواق⁴ عن الصناعات⁵ عنه. وأروى القوت

¹ أبو بكر بن عمر بن يوسف، الشيخ زكي الدين الميديمي المصري، والد شهاب الدين أحمد، أحد من كتب عنه. سمع عليه "ترجمة البخاري". ترجمته في: السخاوي، الجوهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق، إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ-1999م، ج3/1087؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج11/65.

² أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد التسولي، الأستاذ النحوي المحدث، أخذ عن أبي العباس أحمد بن محمد الدقون، وعن محمد بن أحمد غازي. توفي سنة 969هـ. ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج1/165.

³ أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي شهير بالدقون، وهو ممن قرأ بغرناطة على الإمام محمد بن يوسف المواق العبدري وروى عنه كتبها، فقدم فاس وأخذ عن ابن غازي. ترجمته في: محمدا لقادري، نشر المثنائي، ج1/71.

⁴ أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري الغرناطي الشهير بالمواق، فقيه مالكي، أخذ عن جماعة من الشيوخ كأبي القاسم بن سراج والأستاذ المنتوري، والشيخ محمد بن يوسف الصناعات وغيرهم، كان حافظا للمذاهب ضابطا لفروعها مطالعا عليها. وله تأليف منها شرحاه على مختصر خليل الكبير، سماه "التاج والإكليل" و"سنن المهتدين في مقامات الدين". توفي بغرناطة سنة 897هـ. ترجمته في: السخاوي، الضوء اللامع، ج10/98؛ وابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1/349؛ وأحمد بابا التبنكتي، نيل الابتهاج، ص: 561-563.

⁵ محمد بن يوسف الصناعات الأندلسي الغرناطي، أحد شيوخ أبي عبد الله المواق، نقل عنه في غير موضع ونقل عنه في المعيار. ترجمته في: أحمد بابا التبنكتي، نيل الابتهاج، ص: 527.

مدونة التصوف عن الغزي¹، عن زكرياء، عن ابن الفرات²، عن ابن جماعة، عن ابن الزبير، عن الشاري، عن الحجري، عن عبد الحق بن عطية، عن أبيه عن أبي بكر محمد بن نعمة القرشي، عن عبد الحكم بن محمد السقلى، عن أحمد بن شعيب المقرئ، عن أبي طالب المكي³، رضي الله عنهم، والإحياء عن الشيخ الغزي، عن زكرياء، عن أبي النعيم رضوان الحافظ، عن ابن أبي المجد، عن سليمان بن حمزة، عن محمد بن عباد الحراني، عن أبي سعيد عبد الكريم السمعاني⁴، عن محمد بن ثابت، عن أبي حامد الغزالي، سمعا رضي الله عنهم، وأرويهما عن سيدي رضوان، عن سقين، عن زكرياء به، انتهى.

وأخذ الشيخ أبو زيد، المذكور علوم القوم تحققا ودراية، عن أخيه الولي العارف المحقق أبي المحاسن يوسف بن محمد، المتقدم أولا، وهو كما قال الشيخ أبو زيد، فيما وجد بخطه: "أخذ الحقيقة، وشرب كؤوسها صفوا عن عدد من الشيوخ لا يحصون شهادة وغيبا، وعمدته شيخه المجذوب، يتصل بالشيخ زروق، بالولادة الروحانية

¹ نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد بن رضي الدين الغزي العامري الدمشقي الشافعي، ولد بدمشق سنة 977هـ .. شيخ أئمة الحديث. توفي سنة 1061هـ .. ترجمته في: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/699-671.

² ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفي المصري، يعرف ب "ابن الفرات" ولد سنة 735هـ، وكان لهجا بالتاريخ. ترجمته في: السخاوي، الضوء اللامع، ج51/8.

³ أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، المكي صوفي، متكلم، واعظ، من أهل الجبل، نشأ بمكة، ودخل البصرة، وقدم بغداد، من تصانيفه: "قوت القلوب"، توفي سنة 386هـ .. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج4/303-304؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج27/1.

⁴ أبو سعد عبد الكريم ابن الحافظ معين الدين أبي بكر بن أبي المظفر منصور التميمي السمعاني المروزي صاحب التصانيف، ولد سنة 506هـ، حفظ القرآن والفقهاء. توفي سنة 562هـ بمرو. ترجمته في: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/1039-1040؛ والزركلي، الأعلام ج7/112.

الاختصاصية، وبالشيخ التباع، بقاء غير واحد بعد ذلك من أصحابه وخدمته وتربيتهم له، وانتفاعه بهم. انتهى".

وأما "الشفاء" وغيره من تصانيف القاضي عياض، فبالسند المتقدم إلى القصار، عن سيدي رضوان، عن الشيخ سقين، عن الشيخين زكرياء والقلقشندي، عن ابن الفرات، عن الدلاحي¹، عن ابن تامتيت²، عن ابن الصانع، عن القاضي أبي الفضل عياض، عن الغزي، عن زكرياء، بسنده.

وبالجملة يروي الشيخ المجيز جميع ما اشتملت عليه "فهرسة" شيوخ الإسلام القلقشندي، وزكرياء، وابن حجر، وابن الزبير، وابن حجر، والسراج، والزين العراقي، وابن بشكوال³، بسند القصار المتقدم إلى شيخ الإسلام زكرياء، "وفهرسة" المنتوري⁴، بالسند إلى القصار، عن التسولي، عن الدقون، عن الواقف، عن المنثوري، و"فهرسة" ابن غازي، به- إلى سقين عن، ابن غازي. والله الموفق الهادي سبحانه لا رب غيره، ولا خير إلا خيره، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد/388، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. انتهى من خطه ولده الإمام العالم العلامة الهمام، شيخ

¹ أبو عبد الله شرف الدين محمد بن أبي حاتم بن خلف بن داود الدلاحي المالكي، أجازته بن رشيد سنة 684 لقيه بالقاهرة. وكان رجلاً صالحاً خيراً. ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج2/16.

² أحمد بن محمد بن حسن بن علي بن تامتيت، المحدث المعمر أبو العباس الفاسي نزيل القاهرة، حدث عن أبي الوقت بالإجازة العامة، توفي سنة 557هـ.. ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7/251.

³ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي؛ كان من علماء الأندلس. ولد سنة 494هـ، وله تصانيف مفيدة، منها: "الصلة"؛ و"الغوامض" و"المبهات"؛ وغيرها. توفي سنة 578هـ.. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/240-241؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/244-245.

⁴ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك بن عبد الله القيسي المعروف بالمنتوري الفقيه المحقق الحافظ الرحلة المحدث، شيخ الجماعة، رواية المغرب ومسنده، ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج2/287؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/564-565.

الجماعة في وقته على الإطلاق، ومن خضعت له رؤوس الأعلام في زمانه، ومدت له الأعناق، سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، بعد معرفتي به، وكتب أسفله والده سيدي عبد القادر الفاسي المجيز، ما نصه: "الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم، وبعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، تغمده الله برحماءه، وجعل خير أيامه وأسعدها يوم لقياه: "وقد أجزت السيد الفقيه المذكور أولاً في جميع ما ذكر، وأذنت له أن يحدث عنا بذلك ويرويه، بأسانيدنا في ذلك، وروايتنا عن ذكر، وعليه بالثبوت، والتحفظ، والתיقظ، والتمسك بالكتاب والسنة، فقد صادف الخير من تمسك بهما، وقد أصاب الشر من عدل عنهما، والله سبحانه المسؤول أن يوزعنا شكر نعمائه، ويعاملنا معاملة أحبائه، وصلى الله على مولانا رسول الله خيرته من خلقه وأنبيائه، وفي تاريخ أوائل جمادى الآخرة عام تسعة وتسعين وألف." انتهى. من خطه نفعنا الله به، بعد معرفتي به، لأنني مارسته حين كنا بجوار زاويته المباركة من فاس، لازالت محلاً للعلم، ومجالسة الفطناء والأكياس، أتحنفي بالإجازة، وما بعدها شيخنا الهمام، العالم الرباني الإمام، سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى، رزقنا الله في الدارين رضاه، بجاه خير نبي عظمه ربه واصطفاه، أمين يا رب العالمين.

قلت: "وهذا الشيخ سيدي عبد القادر بن الفقيه الصوفي سيدي علي بن الشيخ الكبير أبي المحاسن الفاسي، ولد رحمه الله عند زوال الشمس يوم الاثنين، ثاني رمضان، سنة سبع وألف، بالقصر، وبه نشأ، فتعلم القرآن والعربية على أبيه، ثم رحل إلى فاس،

برسم القراءة وذلك في أوائل رجب سنة (...)¹. وألف، فنزل بالمدرسة المصباحية²، وأكب على التعليم والجد والاجتهاد، وتحصيل الفوائد، حتى إنه كان كثيرا ما يجد نفسه سائرا في الطريق عن غير قصد لتعلق قلبه بمجالس العلم، وحينه إلى أماكن القراءة، فانتفع في أقرب مدة، وحصل في الزمان اليسير من العلم، ما لم يحصله غيره في الزمان الكثير، وقد وقع الأطباق من مشايخ عصره، على تبحره في عملي الظاهر والباطن، وأنه الحجة، فلا تجد عالما أو متعلما بأفريقية والمغرب، إلا وهو من تلاميذته. وأما أهل فاس، فلهم فيه اعتقاد عظيم، ومحبة صادقة من عامتهم وخاصتهم، حتى كان بعضهم يقول: "إن سيدي عبد القادر، عند أهل فاس كالحسن البصري عند أهل البصرة، وكان رحمه الله، زاهدا في الدنيا، معرضا عنها كل الإعراض، لم يأكل الأحباس قط، ولا يتقوت إلا من النساخة، فينسخ "صحيح البخاري"، فيبيعه، ويتبلغ بثمنه، وعرض عليه التجار العطايا/389/ الجزيلة فلا يقبلها، وكان كثير الأذكار، مواظبا على قراءة القرآن، لا يكاد يفتر لسانه عن الذكر، والتلاوة، وله همة في قيام الليل، لا يدعه إلا لعذر".

ومن كراماته أنه كان يحضر الصلوات الخمس في المسجد الحرام بمكة، وبمسجد

النبي ﷺ، كما أخبره جمع من الحجاج المجاورين بالحرمين الشريفين."

"وحكي عن بعض الثقات أنه رأى الشيخ يطوف بالبيت جهارا، قال: "وكنت عنه،

فجاء وأخذ بمنكبي، فصرفت وجهي إليه، فناداني باسمي، فقال لي: هذا الحطيم موضع

¹ بياض في الأصل بمقدار كلمتين، وبرجعنا إلى كتاب صفوة من انتشر، وجدنا: "سنة خمس وعشرين وألف"، ص: 310.

² المدرسة المصباحية تقع بفاس قرب جامع القرويين شيدها أبو الحسن المريني، وسميت بالمصباحية نسبة لمصباح بن عبد الله الياصلوتي المتوفى سنة 705هـ؛ لأنه أول من درس بها بعد بنائها. ينظر: الهامش رقم(3)، محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 310.

الإجابة، قال: فدعوت بما شاء الله، ثم رجعت أطلب الشيخ، فوجدت تلميذه سيدي أحمد بن موسى الزرهوني، وعهدي به، تركناه بفاس¹، ولولده الحافظ أبي زيد سيدي عبد الرحمان تأليفان؛ أحدهما يسمى: "تحفة الأكابر في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر"². انتهى من "صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر". وأشياخه في العلم كثيرون، منهم من أجازه وغيره. نفع الله بالجميع.

وحدثني الفقيه الأجل، العلامة الأمل، محبنا في الله عز وجل، سيدي أحمد الفتوح التازي، أن صاحب الترجمة، كان من الأوتاد³، وذكر في ذلك حكاية، وذلك "أن بعض الناس دخل على صاحب الترجمة يعود، وكانت الأمراض تعتريه نفعنا الله به، غالبا لا تفارقه، فسأله عن حاله، وكيف هو، فقال له: "الوتد الذي خدشت رأسه الرزامة، كيف يكون حاله؟ قال المحدث: "أشار بهذا الكلام، إلى أنه كان من الأوتاد، نفعنا الله به"⁴.

قلت: ولما قربت وفاته، رأى ولده العالم العارف الصالح، الخاشع الورع الناصح، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح رؤيا، وقصها على والده صاحب الترجمة، قال: "كنت قائما، فرأيت الشيخ سيدي أبا العباس السبتي، جاء راكبا على فرس عال، مع جماعة من الصالحين، وهو في وسطهم كالمنار من شدة علوه، فقال لي: قل لوالدك: يتكلم إلى الملك، وفتح تكة سروالي، وأخذ يوسعها حتى صارت مقدار الدنيا، وقال لي: هنالك درجة لا تنال إلا بالبلاء، فلما قصصتها على والدي، قال لي: نعم يا ولدي، نتكلم

¹ محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 310-311، بنفس اللفظ.

² العنوان الكامل: "تحفة الأكابر في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر".

³ ينظر: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 31(ب)؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 5/316.

⁴ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 31(ب) و32(أ).

إلى الملك، فأخذ في التجهيز (...)¹ وعجل على أهبة السفر إلى مراكش، وأخذ كفنه معه، فمات في تلك السفرة، بعد أن وصل إلى المدينة الحمراء، ومرض بها كما سبق أيضا، وقول الشيخ سيدي أبي العباس لسيدنا الصالح: هنالك درجة لا تنال إلا بالبلاء، ظهر مصداق ذلك في الشيخ سيدنا الصالح، في آخر عمره، فقد كثرت أمراضه وأسقامه، وعظمت بذلك منازلته عند الله ومقامه، ومن ذلك قول بعضهم: إن الله وهب لكل عبد من معرفته مقدارا، وحمله من البلاء/390 مقدار ما وهبه من المعرفة، لتكون عوناً له على حمل بلائه".

وقد حدث ولده الفقيه العالم الدين الخير الوجيه، سيدي محمد بن سيدي محمد المعطى، قال: "لما قربت وفاة الوالد، رأى شيخه سيدي محمد بن إبراهيم، وقال له: تأهب للرحيل، قال المحدث: فبنفس ما حدث بذلك اشتغل يتأهب للسفر، قال: وكان يريد أن يقدم إلى مراكش، فشاور الشيخ على ذلك، فقال له: لا تقدم حتى أذن لك، فلما أذن له، علم أن أجله قرب، ولما لحق مراكش، مرض بها، ومات".

وذكر الفقيه المذكور أنه اجتمع مع الشيخ الجليل العالم العارف الأصيل سيدي أحمد العطار، بعد ذلك، فأخبره بمقالة والده، وأن الشيخ أتى له، وقال له: تأهب للرحيل، فقال له سيدي أحمد العطار: وهل تدري في أي حالة أتاه؟ فقال: أتاه يقظة لا مناما".

وقد كان صاحب الترجمة نفعنا الله به، أيام حياته، بعث للشيخ العالم الإمام، الدراكة الهمام، القدوة البركة، المقتدى به في حالتي السكون والحركة، مربي المريدين،

¹ بياض في الأصل.

وإمام العلماء العارفين سيدي محمد بن ناصر الدرعي، نفعنا الله ببركاته، يسأله أن يبعث له كفنا سنيا لنفسه، يعده ليوم حلوله في رسمه، فبعث له الشيخ ثوب إحرامه، مبالغة في تعظيمه وإكرامه، وقال له: "كنت ادخرته لنفسي، وأنا آثرتك به عليها، وبه كفن، كما سبق".

وحدث ولده الفقيه سيدي محمد أيضا أن صاحب الترجمة، لما ثقل في مرضه حاله، وتعطلت حركته، وضعفت أوصاله، قال لبعض الحاضرين: "انظروا لي قبرا يكون قريبا من قبر الشيخ، قالوا له: ما علمنا شيئا هنالك، فقال لهم: "انظروا لعلكم تجدون شيئا. فخرج الفقيه الأجل العارف الأكمل، أخوه في شيخه سيدي أحمد العطار، نفعنا الله به، يسأل عن ذلك، فلقيه بعض الناس، فأخبره بأن بإزاء الشيخ قبرا لبعض الناس أعده هنالك ليدفن فيه، فرجع سيدي أحمد العطار، إلى صاحب الترجمة وأخبره وبشره بذلك، فقال له صاحب الترجمة: لا شيء له فيه من جهة الشرع، لأنه لا يملكه إلا بالدفن فيه، وإنما له أجره حفره.

قال المخبر: واستحضر صاحب الترجمة نص "مختصر خليل" في ذلك الحال العظيم على ذلك، فلما توفي، ذهبوا إلى القبر فوجدوه محفورا، فدفنوه به"¹.

وحدث بعض الناس أن صاحب الترجمة، لما كان به حالة النزع، وكان أبو العباس سيدي أحمد العطار، جالسا عند رأسه، فقال له: "يا سيدي، هل الظن بالله حسن؟، فقال له: نعم حسن حسن، وكان، يقول لهم: إذا أنامت، فإرفعوني وألقوني على المزبلة،

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: العباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 5/315-316.

قلت: وذلك شأن العارفين، والأولياء الكاملين، والأتقياء الواصلين، لأن الخوف يشتد عليهم بقدر المعرفة والقرب، ويستولي على عالمهم/391/ سلطان المحبة والجدب."

وقد ذكر في "رياض الصالحين" في الحكاية الثالثة والتسعين وأربعمئة، عن بعضهم، قال: "كنت مع بعض الصالحين خارج بغداد، فمرت بنا جنازة، ومعها خلق كثير، فسألنا عن الميت، فقيل: هو رجل من الصالحين، فقال الرجل الذي معي: الله المستعان، هكذا يموت الصالحون، فقلت: فكيف يموتون؟، فقال: يموتون على المزابل، وتأكلهم الكلاب، قال: فرأيتُه بعد ثلاثة أيام، وهو ميت على مزبلة، والكلاب تأكل منه،"¹. قال في "الرياض": "هكذا موت كثير من الأولياء المحبين والمحبوبين لله تعالى، الذين ليس لهم غرض ولا أمل"² انتهى، أو تقول: "لعل مراد الشيخ بذلك الإشارة إلى أنه من أهل المحبة والعشق، ويؤيد ذلك ما ذكر عن بعض الناس أن صاحب الترجمة، قال لبعض أصدقائه: من حدثك في بساط المحبين فلا تُكذِّبْ". وقد قال الشاعر في ذلك:

[الطويل]

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ حَتَّى قُبُورِهِمْ عَلَمٌ تَرَابُ الرِّبْلِ دُونَ الْمَقَابِرِ³

وقد ذكروا لهذا البيت حكاية، وأن بعض الطلبة زار قبر الشيخ أبي عمر بن الفارض رحمه الله، فوجد عليه التراب، فلما رأى ذلك صاح، وقال: الله أكبر، وأنشد البيت المذكور، وقد قال بعضهم: "علامة المحبة أن تهب نفسك لمن أحببت، ولا تبقي لك منك

¹ أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، الحكاية الثالثة والتسعون بعد الأربعمئة، ص: 228-229، بنفس اللفظ.

² أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، الحكاية الثالثة والتسعون بعد الأربعمئة، ص: 229.

³ ورد هذا البيت في: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/224، مع اختلاف في لفظ واحد، مثل: "أهل الحب" عوض "أهل العشق".

شيئا. وقال آخر: "الرضى: سرور القلب بمُرِّ القضا". وقال بعضهم: "لو جعلني في الدرك الأسفل من النار، كنت أشد رضى ممن في الفردوس". وقال آخر: "الراضي من سرته المصيبة كما تسره النعمة"¹، وقال قائلهم في ذلك ما نصه:

[الطويل]

إِذَا أَنْعَمْتَ نُعْمَى عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ فَلَا أَسْعَدَتُ سُعْدَى وَلَا أَجْمَلْتُ جُمَّلُ
فَنَافِسٍ بِبَدْلِ النَّفْسِ فِيهَا أَخَا الْهَوَى فَإِنْ قَبِلْتَهَا مِنْكَ يَا حَبْدَا الْبَدْلُ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي حُبِّ نُعْمَى بِنَفْسِهِ وَإِنْ جَادَ بِالدُّنْيَا إِلَيْهِ انْتَهَى الْبُخْلُ²

أو تقول: هذه حالة العارفين من شدة خوفهم من المولى سبحانه، أيام حياتهم، لأنهم رضي الله عنهم، يرون أنهم مقصرون في حق الربوبية، وأداء آداب العبودية، ولو بلغوا في العبادة أعلاها، ولأن الطاعة الصادرة من العبد هي في الحقيقة من الله تعالى، إذ هو الفاعل بالاختيار، ولا أثر للعبد في شيء من ذلك، ولذلك تجد العارفين لا يجدون لذة في عبادتهم، ولا يطلبون عليها ثوبا لمشاهدتهم الفعل من سيدهم ومولاهم، وتجد الخوف لا يفارقهم.

وحكي عن الشبلي، كان يقول: "ليت شعري ما أسمى عندك يا علام الغيوب، وما أنت صانع في ذنبي يا غفار الذنوب، وبم تختتم عملي، يا مقلب/392/ القلوب"³. ثم أنشد:

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص:253.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص:253.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين (الحكاية السادسة والستون بعد الثلاثمائة)، ص:165.

[مجزوء الرمل]

عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ سِرِّي؟
أَمْ بِخَيْرٍ أَمْ بِشَرِّ
بِيقِينٍ أَمْ بِكُفْرٍ
أَوْ تُرَى يَشْرُحُ صَدْرِي
يَوْمَ إِحْضَارِي وَحَشْرِي
لِنَعِيمٍ أَمْ لِحَمْرٍ
فَأَنَا أَعْرِفُ قَدْرِي¹

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ ذُكْرِي
أَجْمِيلٌ أَمْ قَبِيحٌ
لَيْتَ شِعْرِي: كَيْفَ مَوْتِي
أَتْرَى يَقْبَلُ قَوْلِي
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالِي
لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَمْضِي
فَدَعُوا مَدْحِي وَوَصْفِي

ولأبي عمران القيسي²:

[الطويل]

وَلَمْ تُبْدِ سُوءَ مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ
وَلَا تَفْضَحْنِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
فَإِنَّكَ يَا مَوْلَايَ لِلذَّنْبِ غَافِرُ

إِلَهِیَ أَظْهَرْتَ الْجَمِيلَا تَفْضُلًا
فَأَبْقِ عَلَيَّ السِّتْرَ حَيًّا وَمَمِيَّتًا
وَهَبْ لِي غُفْرَانًا لِذَنْبِي مَاحِيًا

¹ وردت هذه الأبيات مع اختلاف في ترتيب بعض الأبيات في: ديوان أبي بكر الشبلي، حققه مصطفى الشبيبي، ص: 103؛ وأسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين (الحكاية السادسة والستون بعد الثلاثمائة)، ص: 165.

² موسى بن حسين بن موسى بن عمران بن أبي عمران القيسي الزاهد من أهل مرتلة، وسكن اشبيلية. يكنى أبا عمران، صحب أبا عبد الله بن المجاهد، واختص به، وأخذ عنه، وسلك طريقته. وكان منقطع القرين في الورع والزهد والعبادة والعزلة. حفظ الحديث وأصول الدين إلى الحظ الوافر من الأدب والتقدم في قرص الشعر والأخذ بطرفي النظم والنثر، وتوفي سنة 604 هـ .. ترجمته في: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة، 1415 هـ-1995 م، ج2/179-181.

توفي صاحب الترجمة، في صفر سنة اثنين وتسعين وألف، حسبما دلت عليه وصيته التي وجدت بخطه، وقد تقدمت بلفظها من خطه في ذكره، في أشياخ ولده أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح. وقول صاحب "المرقى": سنة سبعين وألف، يرده ما وجد بخطه نفعنا الله به، ودفن بخارج باب الدباغ من حضرة مراکش، بجنان العفا متصلا بقبر شيخه الأجل، العارف الأمثل، سيدي محمد بن إبراهيم. ولما توفي، رثاه الولي الصالح، العارف الناصح، الناظم النائر، أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر، نجل الولي الشهير، والعارف الكبير، سيدي محمد بن مبارك، نفعنا الله بهما، ومنحنا من بركتهما وسرهما، بأبيات، وهي هذه:

[الكامل]

قُلْ لِلْأَجْبَةِ مِنْ بَنِي الشَّرْقِ	أَلْمَاجِدِ الْمَوْسُومِ بِالصِّدْقِ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي إِشْتِيَاقِي إِلَى	فَقَدِ الْحَبَائِبِ مِتُّ مِنْ شَوْقِ
أَوْ كَانَ نَثْرُ الدَّمْعِ يَدْرَأُ عَنِّي	مُتَأَسِّفِينَ مَرَارَةَ الْفَرْقِ
بَادَرْتُكُمْ لِلْحُزْنِ أَبْكَى عَلَى	فَقَدِ الْفَتَى الْمُعْطَى وَمِنْ حَقِّي
فَلْتَنْبِذُوا مَا كَانَ مِنْ شَجْوٍ	وَلْتَطْرَحُوا مَا كَانَ مِنْ حَلْقِ
أَنْتُمْ نُجُومٌ يَهْتَدَى بِكُمْ	لَا تَعْدِلُوا عَنِّي مَنِّحِ الْحَقِّ
وَعَلَيْكُمْ مِنِّي التَّحِيَّةُ مَا	بَزَعَتْ دَرَارِي الشِّعْرِ مِنْ أَفْقٍ ¹

ومن جملة نثره بعد الأبيات في الرثاء ما كتبه أبو العباس، المذكور: "أما والله لو

كان يشتري بالأموال، والأنفس لسبقناكم لفداه، وعجلناكم طلبا لبقاه، ولكن ﴿كَانَ

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ص: ج 2/542؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 162 (ب)، والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 5/316.

عَلِمَا فِي الْكِتَابِ مَسْخُورًا¹ وما لامريء عما قضى الله معدلا، وكتب بعد ذلك أبياتا،

وهي هذه:

[الكامل]

يَا رَاحِلِينَ قُلُوبَنَا لِرَحِيلِهِمْ قَدْ فُتِّتَتْ وَزَفِيرُنَا قَدْ أُعْلِنَا/393
خَلَفْتُمُونَا بَعْدَكُمْ فِي حَسْرَةٍ وَتَرَكْتُمُونَا وَالْهَيْنَ فَمَنْ لَنَا
هَلَّا تَرَبَّصْتُمْ عَلَيْنَا سَاعَةً حَتَّى نُلَاحِظَ مَرَّةً ذَاكَ السَّنَا²

وبالجمله فقد كان صاحب الترجمة. من الأولياء العارفين، والأحظياء الكاملين، ومن أهل الرسوخ والتمكين، والجد والحزم في أمور الدين، رحم الله به البلاد، ونفع به العباد، ظهرت عليه العلامات، واختص بأكمل الكرامات. اللهم يا رب الأرباب، ويا مسبب الأسباب، ويا معتق الرقاب، من أهوال القيامة، وحر أليم العذاب، أسألك بنبيك الأكرم، وبجاهه العظيم الأفخم، وآله وصحبه، وأهل محبته وحزبه، أن تصلي على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الأعلام، نجوم الاهتداء في غياهب الكلام، وأن تتفضل علينا بما أملناه، وتنبينا ما طلبناه وقصدناه، وتنظمننا في سلك عبادك الصالحين، والأولياء العارفين يا غياث المستغيثين، يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

ولنتعرض هنا لذكر بعض كرامات هذا الشيخ الكامل والعارف الموصل الموصل، وتعرضا لنفحاته، وطلبا لنيل مواهبه ومرضاته، فمن ذلك ما حدث به بعض السادات،

¹ سورة الإسراء، الآية: 58.

² وردت هذه الأبيات في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج/2، 532، بنفس اللفظ.

أنه، "كان يصلي بالليل مرة، وكانت زوجته جالسة خارج البيت، فسمعتة يبكي، ثم سمعتة يضحك، ورأت البيت امتلأ نورا حتى دخلها شيء من الروع، من أجل ذلك النور. فلما أصبح الصباح، ذهب إلى المسجد ليصلي الصبح، وأقام هنالك حتى ركع الضحى، وكان من عادته أنه لا يخرج من المسجد، حتى يقضي أوراده، فلما أتى إلى داره، سألته زوجته، وقالت له يا سيدي: "رأيت منك البارحة شيئا، سمعتك أولا تبكي، ثم سمعتك تضحك، ورأيت نورا عظيما في البيت، فقال لها: لما سمعتني أبكي عرضت علي الدنيا، فأبيت منها، وجعلت أبكي تأسفا على ذلك، ولما سمعتني أضحك دخل علي المصطفى الكريم ﷺ، وبشرني بالجنة"¹.

قلت: وفي هذه الكرامة أمران: الأول منهما: بيان زهده في الدنيا، وغض طرفه عنها، وإعراضه عنها، وتجافيه عن زينتها، وإقباله على النعيم المقيم، وسروره به، وفرحه، وضحكه، حيث بشره سيد الوجود بالجنة على أنه ليس فرحه لذاتها، وعمله لأجل نيلها وحصولها، ورجاء الثواب على عمله، لأن العمل لحصول العوض، وإعطاء الغرض، ليس من شأن المحبين، ولكن لما يقع في ذلك من القرب الحاصل، والتلذذ برؤية/394/ الحق سبحانه، والتنعم في النظر في المحبوب. ولذا قال صاحب "الحكم" سيدي ابن عطاء الله: "ليس المحب من يرجو من محبوبه عوضا، ولا يطلب منه غرضا، فإن المحب من يبذل، ليس المحب من يُبَدَلُ له"²، بل المطلوب أمام، كما أسفر عنه أئمة الإسلام".

¹ وردت هذه الكرامة في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 30(ب)، مع اختلاف طفيف في الرواية.
² ابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح ابن عباد الرندي، الحكمة الثالثة والأربعون بعد المائتين، ص: 84، بنفس اللفظ.

وقد قال بعض العارفين: "عرضت علي الدنيا وزينتها، وزخارفها، وشهواتها، فأعرضت عنها، ثم عرضت علي الأخرى بحورها، وقصورها، وزينتها، فأعرضت عنها، فقيل لي: لو أقبلت على الأولى حجبناك عن الأخرى، ولو أقبلت على الأخرى، حجبناك عنا، فما نحن لك وقسمك في الدارين يأتيك"¹ انتهى.

وقيل: "دخلت جماعة على أبي القاسم الجنيد، وقالوا له: نطلب أرزاقنا، قال لهم: إن علمتم أين هي فاطلبوها، قالوا: نسأل الله ذلك، قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، قالوا: ندخل بيوتنا ونتوكل، قال: التجربة مع الله شك، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة"، انتهى.

وقيل: "إن أبا يزيد، صلى خلف إمام في بعض المساجد، فلما سلم الإمام، قال: يا أبا يزيد من أين تأكل؟ قال أبو يزيد: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك، حيث شككت في رازق المخلوقين، فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرزاق" انتهى.

"وسئل حاتم الأصم²: فيما أفنيت عمرك؟ فقال: "في أربعة أشياء: علمت أني لا أخلو من نظر الله تعالى، طرفة عيني، فاستحييت أن أعصيه، وعلمت أن لي رزقا لا يجاوزني، وقد ضمنه لي، فوثقت به، وقعدت عن طلبه، وعلمت أن علي فرضا لا يؤديه

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، (الحكاية الرابعة والسبعون بعد الثلاثمائة)، ص: 168.

² أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان المعروف بالأصم، وهو من قدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ. صحب شقيق بن إبراهيم، وكان أستاذا أحمد بن خضرويه، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية ص: 91؛ والقشيري، الرسالة القشيرية ص: 393-394؛ وابن الجوزي، صفة الصفة، ج4/141-

غيري، فاشتغلت به، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فبادرته"¹. وقيل له لما حضرته الوفاة: تركت أولادك فقراء لا شيء لهم، فقال: أولادي أحد رجلين، إما رجل يتقي الله، فسيجعل الله له فرجا ومخرجا، وهو يتولى الصالحين، وإما رجل مكب على المعاصي، فلا أقويه على معاصي الله".

وقال أحمد بن حَضْرَوَيْهِ²: "رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني، إلا أبا يزيد، فإنه يطلبني"³، ويرحم الله الإمام الششتري⁴، حيث قال:

[الطويل]

فَلَا تَلْتَفِتْ فِي السَّيْرِ غَيْرًا وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ غَيْرًا فَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنًا
وَكُلُّ مَقَامٍ لَا تَقُمْ بِهِ إِنَّهُ حِجَابٌ فَجِدَّ السَّيْرَ وَاسْتَنْجِدِ الْعَوْنَا
وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تُجْتَلَى عَلَيْكَ فَجُلْ بِهَا⁵ فَعَنْ مِثْلِهَا جُلْنَا

¹ ينظر: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين (الحكاية الحادية والسبعون بعد الثلاثمائة)، ص:167، بنفس العبارة.

² أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي من كبار مشايخ خراسان وكان كبيرا في الفتوة، صحب أبا تراب النخشي، وحامتا الأصبم؛ ورحل إلى أبي يزيد البسطامي، وكان أبو يزيد يقول عنه: أستاذنا أحمد. وزار أبا حفص. توفي سنة 240 هـ .. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص:103-106؛ وابن الجوزي، صفة الصفة، ج4/143-144؛ والقشيري، الرسالة القشيرية، ص:410.

³ ينظر: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين (الحكاية الرابعة والسبعون بعد الثلاثمائة)، ص:168، بنفس العبارة.

⁴ أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري المقرئ المحدث الصوفي المحقق، ولد سنة 510هـ بشستر. حفظ القرآن ودرس الفقه والحديث وعلوم القرآن، وتذكر المصادر أنه عقد رحلة واسعة النطاق وأنه دخل المغرب وأقام بمكناس وبفاس، ثم بجاية مدة. اجتمع بأصحاب أبي مدين وصحبههم وانتسب إليهم، وصحب ابن سبعين. توفي سنة 658هـ .. ترجمته في: أحمد بابا التنيكتي، كفاية المحتاج، ج1/342-343؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/281؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص:127-135.

⁵ في النسختين (ج) و(د): "عنها".

وَقُلْ: لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ فَلَا صُورَةَ تُجَلَى وَلَا طُرْفَةً تُجَنَى¹

وقال أبو القاسم الجنيد: "محبة الله تعالى على قسمين: عام وخاص، فالعوام أحبوه لكثرة نعمه وإحسانه، إلا أن محبتهم تقل وتكثر، وأما الخواص فأحبوه لما عرفوه/395 من صفاته، وأسمائه الحسنى، واستحق المحبة عندهم، لأنه أهل لها، ولو أزال عنهم النعم"². وقال أبو تراب النخشي، في علامات المحبة، أبياتا:

[الكامل]

لَا تَخْدَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلَائِلُ	وَلَدَيْهِ مِنْ تُحَفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ
مِنْهَا تَنْعُمُهُ بِمَرِّ بَلَائِهِ	وَسُرُورُهُ حَقًّا بِمَا هُوَ فَاعِلُ
فَالْمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ	وَالْفَقْرُ إِكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَى مِنْ عَزْمِهِ	طَوْعَ الْحَبِيبِ وَإِنْ أَلَحَّ الْعَاذِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَبَسِّمًا	وَالْقَلْبُ فِيهِ مِنَ الْحَبِيبِ بَلَابِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَفَهِّمًا	لِكَلَامٍ مَنْ يَحْظَى إِلَيْهِ السَّائِلُ ³

الأمر الثاني مما استفيد من كرامة صاحب الترجمة رؤيته له ﷺ، يقظته، وهي أعظم الكرامات، وأسنى المقامات، وأرفع المراتب، وأسنى المناصب، وأفضل المواهب، كما تقدم في كلام صاحب المدخل: "على رؤيته عليه السلام في اليقظة، وأنه باب ضيق، وقل

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق علي سامي النشار، الطبعة الأولى، دار المعارف، الاسكندرية، 1960، ص:73، ابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح زروق، ص:54.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الخامسة والسبعون بعد الثلاثمائة)، ص:168.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الخامسة والسبعون بعد الثلاثمائة)، ص:168.

من يقع له ذلك، إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان"¹، وتقدم أن سيدي ابن وفا كان يراه يقظة، ولما حج سيدي أحمد الرفاعي²، ووقف تجاه الحجرة الشريفة، أنشد ما نصه:

[البسيط]

فِي حَالَةِ الْبُعْدِ رُوحِي كُنْتُ أُرْسِلُهَا تُقْبَلُ الْأَرْضَ عَنِّي وَهِيَ نَائِبَتِي
وَهَذِهِ وَقْفَةُ الْأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ فَأَمْدُدُ يَمِينَكَ كَيْ تَحْضِيَ بِهَا شَفَتِي³

"فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف، فقبلها. وفي معجم الشيخ برهان الدين البقاعي⁴، قال: "حدثني الإمام أبو الفضل بن أبي الفضل النُّوَيْرِيُّ أن الشيخ نور الدين، ولد الشريف عفيف الدين، لما ورد إلى الروضة المشرفة، وقال: السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته، سمع من كان بحضرته، قائلاً، يقول من القبر: يقول: عليك السلام يا ولدي"

¹ ينظر: جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك، في رؤية النبي والملك، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م، ص:26، بنفس اللفظ.

² أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي؛ كان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب، أصله من العرب، وسكن بقرية يقال لها: أم عبيدة، وانضم إليه خلق عظيم من الفقهاء وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه. والطائفة المعروفة بالرفاعية. توفي سنة 578هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/171-172؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص:93-101؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج2/25.

³ وردت هذه الأبيات في: الرفاعي، ديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي، طبع في قسطنطينية، 1298، ص: 88 مع اختلاف في لفظ واحد، مثل: "هذه نوبة" عوض "هذه وقفة"؛ ونفس الاختلاف في: جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك، ص:51.

⁴ أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المصري الشافعي مؤرخ أديب سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة. وله عدة مؤلفات؛ منها: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". توفي سنة 870هـ. ترجمته في السخاوي، الضوء اللامع، ج1/101؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/619-620؛ والزركلي، الأعلام، ج1/56؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج1/71.

قال أبو سعيد الصوفي الكرخي¹: "حججت وزرت النبي ﷺ، فبينما أنا جالس عند الحجرة، إذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكري، ووقف بإزاء وجه النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فسمعت صوتا من داخل الحجرة، يقول: وعليك السلام يا أبا بكر، وسمعه من حضر"².

"وقال الشيخ تقي الدين، في رسالته، قال الشيخ أبو العباس الحرار: "دخلت على النبي ﷺ، فوجدته يكتب مناشر الأولياء بالولاية، فكتب لأخي محمد، منهم منشورا، قال: وكان أخو الشيخ كبيرا في الولاية، وكان في وجهه نور لا يخفى على أحد، أنه ولي، فسأله الشيخ عند ذلك، فقال: نفخ/396/ النبي ﷺ في وجهي، فأثرت النفخة هذا النور"³، وقد صح عن كثير من الأولياء رؤيتهم له، وتحديثهم معه. "وكان الشيخ أبو العباس المرسي، إذا سلم على النبي ﷺ، رد عليه السلام، ويجاوبه إذا تحدث معه"⁴.

"قال الشيخ ابن عطاء الله، في "لطائف المنن": "قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي: صافحني بكفك هذه، فإنك لقيت رجالا. فقال: والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله ﷺ"⁵.

وقيل في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى¹: "كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ، يقظة ومناما، ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، وقال له في إحداهن: يا خليفة، لا تضجر

¹ أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن أبي سعد الصوفي الكرخي ثقة له آراء مختلفة في المذاهب. ينظر: جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك في رؤية النبي والملك، ص: 53.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك، ص: 53.

³ نفسه، ص: 47.

⁴ نفسه، ص: 40.

⁵ نفسه، ص: 40.

مني، فإن كثيرا من الأولياء مات بحسرة رؤيتي"²، ورؤيته ﷺ، ولو مناما من أسنى المواهب، وأرفع المناقب، وهي معدودة من الكرائم العظام، والفضائل الجسم، وفي هذه الأنقال رد على من أنكر رؤيته ﷺ، يقظة، وحجته أن الحي لا يرى الميت في عالم الشاهد، وأن العين الفانية لا ترى العين الباقية، والرد عليه أن قوله لا يرى الميت ليس كذلك، بل هو حي، أُعطي التصرف في العالم العلوي والسفلي، وكذلك سائر الأنبياء أحياء، دلت على ذلك الأحاديث الواردة في شأن ذلك.

وقد ألف الجلال السيوطي، في ذلك جزءا سماه "الأذكياء لحياة الأنبياء"، وقوله: "إن العين الفانية لا ترى العين الباقية، فجوابه، ما قال ابن الحاج³ في المدخل ناقلا عن الشيخ ابن أبي جَمْرَةَ، ونصه: قد كان سيدي أبو محمد بن أبي جَمْرَةَ يحل من الإشكال، ويرده بأن المومن إذا مات يرى الله تعالى، وهو لا يموت، والواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة"⁴انتهى. فطوبى لعين رأت المحاسن الزواهر، وهنيئا لمقلة نظرت ذلك الوجه النائر، الذي هو أضوأ من الشمس، البدر الباهر، والله درمن قال:

¹ الشيخ الخليفة بن موسى الهرملي كان من أعيان مشايخ العراق ونبلاء العارفين صاحب المقامات الفاخرة والكرامات الظاهرة والمعارف الزاهرة. له السبق في القدم في مدارج الفتح الإلهي والجمع بين أطراف الكشف الرباني، وهو أحد أركان هذه الطريقة وأئمة ساداتها علما وعملا وحالا، انتهت إليه تربية المريدين في وقته ببلده، صحب أبا سعيد القيولي. ترجمته في: محمد التادفي الحنبلي، قلاند الجواهر، في مناقب القطب عبد القادر الجيلالي، ص: 122-123.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك، ص: 39.

³ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج؛ كان فاضلا عارفا يقتدى به أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة. توفي سنة 737 هـ. ترجمته في: ابن الحاج، مقدمة كتابه المدخل، الجزء الأول؛ وعبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، ج 1/363.

⁴ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: جلال الدين السيوطي، تنوير الحلك، ص: 27.

[الطويل]

هَنِيئًا لِعَيْنٍ قَدْ رَأَتْ وَجْهَ أَحْمَدَ وَفَارَتْ جِهَارًا مِنْهُ بِالْحُسْنِ وَالرُّؤْيَا
وَقَدْ أَسْعَدَ الرَّحْمَانَ عَبْدًا دَعَا لَهُ فَأَضْحَى سَعِيدًا فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْمُحْيَا
وَبَدَّلَ بَعْدَ الْبُؤْسِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَبَلَغَ مَا يَهْوَى مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا
وَفَازَ بِرُؤْيَا الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الْوَرَى نَبِيِّ حَبَاهُ اللَّهُ بِالرُّتْبَةِ الْعُلْيَا
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا طَافَ طَائِفٌ بِمَكَّةَ بَيْتِ اللَّهِ قَصْدًا أَتَى سَعْيَا
وَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَرَّتِ الصَّبَا وَمَا سُرَّ مُشْتَاقٌ بِرُؤْيَاهُ وَاللُّفْيَا
صَلَاةً شَدَاهَا عَطَّرَ الْكَوْنَ جَهْرَةً فَمَنْ قَاسَهَا بِالْمِسْكِ يَوْمًا فَمَا¹ اسْتَحْيَا/397/

ومن كراماته : ما حدثني به سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، شيخ المشايخ،
وصاحب المواهب والأسرار والشرف الباذخ، سيدنا المعطى، أدام الله النفع به، قال: "كان
الشيخ مارا في بعض طرق مراکش، ومعه ولده المعطى، الموفق بحمد الله المرتضى أبو
عبد الله سيدي الصالح، وكان صغيرا، فرأى صبيانا يلعبون، فأراد أن يلعب معهم،
فنهاه، فاعتذرله، بأنه يريد حاجة، ثم ذهب إلى الصبيان، وأخذ في اللعب معهم، فكان
من قدر الله أن كان عندهم بارود يلعبون به، فقام فيه البارود، وحرق وجهه، فلما قدم
على والده، قال له: وهل رأيت ما وقع بك؟.

تكميل ما تقدم في وصف هذا الولي ووالده نفعنا الله بهما، من زهدهما في الدنيا
وشهواتها على الدوام، وممر الليالي والأيام، وتعلق قلوبهما بخدمة رب الأنام، ومن يرجى
خيره في يوم العرض والزحام، ذلك وصف الأكابر العارفين، والأولياء والصالحين، لما ورد
في الخبر، (لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى الْكَافِرُ مِنْهَا جُرْعَةً

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج2/281.

ماء¹. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرًّا عَلَيْهَا يَتَكَوَّنُونَ زُخْرَفًا وَإِنْ كُنَّا لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾². وقال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْصَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ كَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَالِ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ بَخِيلٌ مِّنْ كُنْزِكُمْ لِلْكَافِرِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِكِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّصَفَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ﴾³؛ ولذلك لم يرضها سبحانه دار جزاء لأوليائه، لأن الدنيا إنما هي دار عمل والآخرة دار الثمرة والجزاء.

"وقد كان سيدنا زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب⁴، رضي الله عنهم أجمعين، يصلي كل ليلة ألف ركعة، ولا يدع صلاة الليل في الحضر والسفر. وكان إذا توضأ اصفر لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، ف قيل له: "ما لك؟ قال: أتدرون بين يدي من أقوم؟ وكان، إذا هاجت الريح، سقط مغشيا عليه. ووقع حريق في بيت هو فيه، وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله، النار، فما رجع رأسه حتى طفئت، ف قيل له في ذلك، فقال: ألهمتني النار الكبرى". وكان، يقول: "إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة، فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبده رغبة، فتلك عبادة التجار، وقوما

¹ السيوطي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح: 3 ص: 64

² سورة الزخرف، الآية: 34

³ سورة آل عمران، الآية: 15

⁴ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزین العابدين. ولد بالمدينة في سنة 38هـ وكان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا. توفي سنة 95هـ ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج9/103-115؛ ونعمة الله الجزائري، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ج2/13-66.

عبدوه شكرا، فتلك عبادة الأحرار"¹. فانظر رحمك الله هذا التقسيم الحسن/398/ من ولد سيد الأنام، مع كثرة عبادته على ممر الدهور والأيام.

ولنتعرض لبعض مآثره على سبيل الاختصار، بقصد التبرك بها، وإن كانت لا تستوعبها الدواوين الكبار، فقد كان كثير الصدقة، لا يستقر بيده مال، ولكن كان ييسرها حتى يظن الجاهل بحاله، أنه بخيل لعدم علانيته بالصدقة. "وكان ناس من أهل المدينة يعيشون، ولا يدرون من أين معاشهم، فلما مات، فقدوا ما كان يأتهم بالليل، فعلموا أنه الذي كان ينفق عليهم، وبعد موته وجدوه كان ينفق في حياته على أهل مائة بيت"². "ودخل على محمد بن أسامة بن زيد، في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال له زين العابدين: "ما شأنك؟ قال: علي دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: هي علي"³، "وخرج يوما من المسجد، فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال لهم زين العابدين: كفوا عن الرجل، ثم أقبل عليه، وقال له: ما ستر الله عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟، فاستحسن الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك، يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول"⁴. قال صاحب "الرياض" بعد هذا الكلام، قلت: لا يتوهم أنهم كانوا أهل دنيا ينفقونها، إنما كانوا أهل سخاء، وقدوة، وفضل، ومروءة، وجود، كانت تأتهم الدنيا، فيخرجونها في العاجل"، وفيهم يصدق قول القائل:

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والسبعون)، ص:55.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج9/105.

³ نفسه، ج9/105.

⁴ ينظر: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والسبعون)، ص:55 بنفس اللفظ.

[الطويل]

وَيَسْتَأْنِفُونَ الصَّبْرَ فِي آخِرِ الصَّبْرِ
عَلَيْهِ فَلَمْ تَدْرِ الْمُقِلَّ مِنَ الْمُثْرِ¹

وَهُمْ يُنْفِقُونَ الْمَالَ فِي أَوَّلِ الْغِنَى
إِذَا نَزَلَ الْحَيُّ الْغَرِيبُ تَفَارَعُوا

وقال آخر:

[الطويل]

تَنَاهَى لِقَبْضِ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهُ
لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقَى اللَّهَ سَائِلُهُ²

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ

وقال الآخر:

[البيسيط]

حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ
زُرُقُ الْوُجُوهِ عَلِمَهَا أَعْيُنُ سُودٍ³

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيَخْفِي عَنْكَ عُسْرَتُهُ
وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلٌّ

ولله درمن قال:

[مجزوء البيسيط]

وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ
فَضُلُّ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ
فَلَا أُبَالِي إِذَا جَفَانِي

مُلِئْتُ وَبِالْقُوتِ مِنْ زَمَانِي
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا
وَكُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا

¹ ينظر: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والسبعون)، ص: 56 بنفس اللفظ.

² نفسه، ص: 56.

³ نفسه، ص: 56.

وَمَنْ رَانِي بِبَعْضِ نَقْصِ رَأْيْتُهُ بِالَّذِي يَرَانِي¹

وقال سيدنا حسان، : "لما قال رسول الله ﷺ، لحي من الأنصار: (مَنْ سَيِّدِكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟ قَالُوا: جَدُّ بِنِ قَيْسٍ، غَيْرَ أَنَّهُ بَخِيلٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدِكُمْ عُمَرُ بْنُ الْجَمُوحِ)² الطبراني، فسمع حسان³، مقالة رسول الله ﷺ، وأنشأ يقول:

[الطويل]

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ
فَقُلْنَا لَهُ: جَدُّ بِنِ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي
فَقَالَ: وَأَيُّ الدَّاءِ أَدْوَى مِنَ الَّتِي
وَسُوْدَ عَمْرُو بِنِ الْجَمُوحِ لِجُودِهِ
إِذَا جَاءَهُ السَّوَالُ أَنهَبَ مَالَهُ
فَلَوْ كُنْتَ يَا جَدُّ بِنِ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي
مَقَالَ لَنَا مَنْ ذَا تَعُدُّونَ سَيِّدًا/399
بِبُخْلِهِ فِينَا، وَقَدْ نَالَ سُودَدَا
رَمَيْتُمْ بِهَا جُدًّا وَغُلًّا بِهَا يَدَا
وَحَقًّا لِعَمْرُو ذِي النَّدَى أَنْ يُسَوِّدَا
وَقَالَ خُدُوهُ إِنَّهُ عَايَنَ غَدَا
عَلَى مِثْلِهَا عَمْرًا لَكُنْتَ الْمُسَوِّدَا⁴

فتبسم رسول الله ﷺ، من شعره، وقال: (إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمًا)⁵. وروي لحكمة.

¹ وردت هذه الأبيات في: ديوان الشافعي، تحقيق عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1405هـ-1985م، ص116، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل "قنعت" عوض "مليئت"، و"بعين" عوض "ببعض".

² الطبراني، المعجم الاوسط، باب من اسمه مقدم، ح-8913، ج373/8.

³ أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول ﷺ. عاش في الجاهلية، وفي الإسلام، كان شجاعا، ولقد سجلت كتب الأدب والتاريخ، الكثير من الأشعار التي ألقاها في هجاء الكفار ومعارضتهم. توفي سنة 54هـ ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2/512-532.

⁴ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص: 926.

⁵ العقيلي، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي أمين قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، -حديث: 374، ج1/300.

ومن مكارم أخلاقه أنه تكلم رجل فيه، وافترى عليه، فقال له زين العابدين: "إن كنت كما قلت فأستغفر الله، وإن لم أكن كما قلت، يغفر الله لي ولك [فقام الرجل إليه، وقبل رأسه، وقال: جعلت فداك لست كما قلت، فاغفر لي، قال: غفر الله لك]¹، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته، ولقد أحسن القائل، حيث قال:

[الطويل]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ	شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمٌ
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ ²	وَأَتَّبَعُ ³ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا	تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْحُرَّ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ	مَقَالَتِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ
سَأَلْتُمْ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ	وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الْجَرَائِمُ ⁴

"وأقبل خادم لزين العابدين، مسرعا بشواء من التنور، لضيف عندهم، فسقط على بُيِّ له، فأصاب رأسه، فقتله، فقال زين العابدين: أنت حر، إنك لم تتعمده، وأخذ في جهاز ابنه"⁵.

وقال ابن المبارك: "سخاء النفس عما في أيدي الناس، أفضل من سخاء النفس بالبذل"¹، "وكان يقول: عجبت للمتكبر الفخور، الذي كان بالأمس نطفة، وغدا جيفة،

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

² في النسختين (ج) و(د): "حقه".

³ في النسخة (د): "واعرف".

⁴ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والسبعون)، ص: 54.

⁵ ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والسبعون)، ص: 55. بنفس اللفظ؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج9/107، مع اختلاف في الرواية.

وعجبت كل العجب لمن شك في الله تعالى، وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب، لمن أنكر
النشأة الأخرى، وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب، لمن عمل لدار الفناء، وترك
دار البقاء". وقال ابنه سيدي محمد الباقر رضي الله عنه وأرضاه: "أوصاني أبي، فقال:
لا تصحبن خمسة [ولا تحادثهم]² ولا ترافقهم في طريق، لا تصحبن فاسقا؛ فإنه يبيعك
بأكلة فما دونها، قلت: يا أبت وما دونها، قال: يطمع فيها، ثم لا ينالها، ولا تصحبن
البخيل؛ فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، ولا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السَّرَاب،
يبعد عنك القريب، ويقرب منك البعيد، ولا تصحبن الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك
فيضرك. وقد قيل: عدو/400/ عاقل خير من صديق أحمق، ولا تصحبن قاطع رحم،
فإني وجدته ملعونا في كتاب الله عز وجل، في ثلاثة مواضع"، وسمي ولده محمد بالباقر
لتبْقُرِهِ وتوسعه في العلم، يقال: بقرت الشيء بقرا أي فتحته ووسعته، وسمي الأسد
باقرا، لأنه يبقر بطن فريسته.

ومناقب سيدنا زين العابدين كثيرة، جليلة خطيرة، ولنقتصر على هذا النزر
اليسير، بقصد التبرك والتوسل لمولانا العليم الخبير، وأرضاه، وجعلنا في حصنه
الحصين وحماه. آمين.

حكاية في التحذير من الدنيا: "روي أن عيسى عليه السلام، صحبه رجل، فقال: "يا
نبي الله أكون معك، فانطلقا، فأتيا إلى شط نهر، فجلسا يتعبدان، ومعهما ثلاثة أرغفة،
فأكلا رغيفين، وبقي رغيف، فقام عيسى إلى النهر، فشرب ثم رجع، فلم يجد الرغيف،

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: القشيري، الرسالة القشيرية، ص:254؛ وأسعد اليافعي، روض الرياحين في
حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والسبعون)، ص: 56.

² سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ح).

فقال للرجل: من أكل الرغيف؟ فقال: لا أدري، فانطلق ومعه الرجل، فرأى ظبية ومعهما ولدان لها، فدعا واحدا فأتاه، فذبحه واشتوى منه، وأكل منه هو وذلك الرجل، ثم قال له: قُمْ يَا ذن الله، فقام، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية، من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، فانطلق حتى انتهى إلى مغارة فجمع عيسى ترابا، ثم قال له: كن ذهباً بإذن الله تعالى، فصار ذهباً، فقسمه ثلاثة أقسام، وقال: تلك لي، وتلك لك، وتلك للذي أخذ الرغيف، فقال: أنا أخذت الرغيف، قال: فَكُلُّهُ لَكَ. وفارقه عيسى عليه السلام، فانتهى إلى رجلين في مغارة، ومعه الذهب، فأراد أن يأخذه منه، ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً، ففعلاً ذلك، فقال: يذهب واحد إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً، فذهب واحد، واشترى طعاماً، وقال في نفسه: لأي شيء أقاسمهما هذا المال؟ إنما أجعل في هذا الطعام سما فأقتلها، وأخذ المال جميعه، فجعل فيه السم، وقالها فيما بينهما: لأي شيء نجعل له ثلاثاً؟ إذا رجع إلينا، قتلناه، واقتسمنا المال نصفين، فلما رجع إليهما قتلاه، ثم أكلا الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المغارة، وأولئك الثلاثة قتلى عنده. فمر عيسى عليه السلام على تلك الأموات، فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها"¹.

"وروي أن عيسى عليه السلام، كشف له عن الدنيا في صورة عجوز شمطاء، عليها من كل زينة، فقال لها: "كم تزوجت؟"، فقالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم ماتوا عنك، وكلهم طلقك، قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بئس لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضيين، كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد، كيف لا يكونون

¹ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثانية والعشرون بعد الثلاثمائة)، ص: 149

منك على حذر"¹. فإيا للعجب ممن يركن إليها أو تعتكف نفسه عليها، مع قوله عليه السلام: "الدنيا جيفة قدرة"، وقال: "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة² ماء". وفي الحديث (الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ)³، ولها يجمع من لا عقل له، فالافتخار بشيء منها من/401/ النهاية في الخساسات والردالات، عند من أخذ منها على قدر الحاجة والضرورة، دون مبالاة، كالطائر إذا ساقه إليها الاضطرار، ونزل وأخذ منها على قدر الحاجة، فعافها فطار، أولئك هم العارفون الأقلون عددا، وأولئك هم الزاهدون الأكثرون مددا، المنزهون عنها بالقلوب، وإن لمسوها بأيديهم وصرفوها في طاعة علام الغيوب، إذ الزهد كما يرضاه عالم الغيب خروجها من القلب لا من الجيب، بل كيف يفتخر بحمل شيء من الجيفة على الأعناق من يطوف بها للزيادة بالكد والتعب في الأسواق، أم كيف يفرح بها وهو لا بد من الحساب عليها دون إشفاق، أم كيف يطمئن إليها، وهو عما قليل راحل عنها ليوم التلاق، أم كيف لا يتفكر هذا الساعي فيما غايته الموت، فينتهز الفرصة قبل الغوث، أم كيف لا ينته من سنة الغفلة والغرور وداعي المنون ينادي جهارا على القبور.

[المتقارب]

وَدَاعِي الْمُنُونِ يُنَادِي جَهَارًا⁴ أَنْفَسًا تَطِيبُ بِنَيْلِ الْمُنَى

¹ وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثانية والعشرون بعد الثلاثمائة)، ص:149

² في النسختين (ج) و(د): "جرعة".

³ السبكي، طبقات الشافعية، كتاب ذم الدنيا، ج6/344.

⁴ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: محمد حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ-2007م، ج2/452.

ولله در من قال:

[البسيط]

يَا أَهْلَ لَدَّةٍ لَّهُوَ لَا تَدُومُ لَهُمْ إِنَّ الْمَنَايَا تُبِيدُ اللَّهُوَ وَاللَّعِبَا
فَمَنْ رَأَيْتَاهُ مَسْرُورًا بِلَدَّتَيْهِ¹ أَصْبَحَ فَرْدًا عَنِ الْأَهْلِينَ مُغْتَرِبًا²

أم كيف يطمئن بهذه الدار، وهو راحل عنها، إما إلى الجنة وإما إلى النار، قال عليه السلام: "فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار"، فسبحان من أكرم قوماً، وأكمل عقولهم، ورفاههم دنيا وأخرى إلى أعلى المنازل، وحط قوماً مع مساواتهم لهم في الصورة البشرية إلى أرذل شيء من الحضيض السافل، وملكهم لأحق شيء وهو النفس والهوى والشيطان. وعرضهم دنيا وأخرى لأسباب الخزي والهوان، وحسبوا بعى بصائرهم أنهم على شيء وما هم على شيء، وليس الخبر كالعيان. نسأل الله السلامة في الدارين، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، بجاه سيد الأرسال عليه أفضل الصلاة والصحب والآل، آمين، يا رب العالمين. والله در من قال:

[الطويل]

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسْرُهُ فَسَوْفَ لِعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا
إِذَا أَدْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيرًا هُمُومَهَا³

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د)

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: جلال الدين السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، دار المدني، جدة، ص: 217.

³ وردت هذه الأبيات في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة عشر بعد المائتين)، ص: 109، بنفس اللفظ؛ والحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/212، مع اختلاف في لفظ واحد، مثل: "لشيء" عوض "لعيش".

رجوع وانعطاف، إلى ما كنا بصدده من مآثر سيدي محمد المعطى، ومحاسن الأوصاف، فأقول، وبالله المنى والسؤل: "مما يدل على اتساعه في العلوم، وأنه من أرباب الإشارات، وسنِّي العبارات، وجودة القريحة والفهم، ابتداء تأليف له، لم يكمل. وأردت أن أثبته هنا ليستدل به العارف بالفن عن كماله وسيادته، وعلو مرتبته، ونباهته، وأنه ممن حاز علو السند، وغزير المدد، والرتبة العظمى، والجناب العزيز الأحمى. ونص ما وجدت من ذلك، [وإن كان في خله بياض، فإني أترك محله كذلك]^{1/402}: "بسم الله الرحمان الرحيم، وأفضل الصلاة والتسليم على مولانا محمد الكريم، الحمد لله الذي لا يستحق الحمد سواه، ولا نستعين إلا به، ولا نعبد إلا إياه، وصلى الله على سيدنا محمد، نبيه ومصطفاه، وخيرته من خلقه ومجتاباه، ورضي الله عن آله وأصحابه، الذين تحققوا بمحبته ورضاه، ووصلوا به كل من نهج منهجه القويم واقتفاه، بما نظموا من سلسلة الحديث، وأورثوه من كلام نبهم أي توريث، وعن التابعين ومن تبعهم في هذا المجد الأثير، والفضل الأثيث، وبعد، فلما ورد عنه ﷺ: (مَنْ أَدَّى إِلَى أُمَّتِي حَدِيثًا لَتُقَامَ بِهِ سُنَّةٌ، أَوْ يُرَدَّ بِهِ بِدْعَةٌ فَلَهُ الْجَنَّةُ)². وورد أيضا عنه ﷺ: (مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي حَدِيثًا وَاحِدًا كَانَ لَهُ أَجْرُ أَحَدٍ وَسَبْعِينَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)³، ذكرهما العارف بالله تعالى، سيدي عبد الله بن أبي جمرة، رضي الله تعالى عنه، في كتابه "بدء الخير وغايته"⁴، وورد أيضا عنه

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

² ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ 2002 م، ج 1232، ج 167/2.

³ ورد هذا الحديث ضمن حديث رقم 2465 (بصيغة من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعث يوم القيامة فقيها). العجلوني، كشف الخفاء، ومزيل الإلباس، ج 246/2.

⁴ العنوان الكامل: جمع النهاية في بداية الخير والغاية، لابن جمرة الأزدي، تحقيق، أبو الهيثم الشهبائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة، 1428 هـ-2007 م.

ﷺ: (كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبِيَّ وَنَسَبِي)¹ أخرجه الطبراني، عن ابن عباس،.

كان في تحمل حديثه ﷺ، والانتظام في سلك سنده الذي هو أحد أسبابه الموصلة به أعظم زلفى، وفيه من الفضل العظيم، والثواب الجسيم، ما لا يعد كثرة ولا يخفى، فأحبت أن أضع تأليفا إن شاء الله تعالى، أسميه "بالموائد السنية، والأسانيد السنية"، أذكر فيه ما تحملته من أحاديثه الشريفة، وأسعى من رويت ذلك عنه، منتظما في سلك سلسلتهم المنيفة"، هذا وإن لم أكن منهم، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، بل محبتهم في ذلك كافية، وباللحوق بهم إن شاء الله جديرة وافية. فقد روينا من طريق البخاري، رحمه الله تعالى، يرفعه إلى أنس، (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةً؟، قَالَ: وَيَلِّكَ وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟، قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: إِنَّكَ مَعَ مَنْ أُحِبُّت. فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا)²، وكذا عنده أيضا يرفعه إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله تعالى عنه، قال: قيل للنبي ﷺ: (الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)³. وكذا عنه أيضا من طريق عبد الله بن مسعود، رضي الله تعالى عنه، بلفظ آخر، انتهى.

¹ الطبراني، المعجم الأوسط، باب من إسمه محمد، ح:6609، ج:357/6؛ وابن الهيثمي، مجمع الزوائد، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، ومرهف حسين أسد، دار المنهاج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، جدة، الطبعة الأولى 1436 هـ -2015م. كتاب المناقب، باب فضل أهل البيت رضي الله عنهم، حديث رقم:15016، ج:483/18.

² البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل "ويلك"، ح: 6167، ج:122/4.

³ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، لقوله تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، ح: 6170، ج:123/4.

قلت: قال الحافظ ابن حجر، في شرحه لهذا المحل: "وفي طرق بعض حديث صفوان بن عباس عن أبي نعيم، ولم يعمل بمثل عملهم، وهو يفسر المراد، قال: "وقد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه كتاب "المحبين مع المحبوبين"، انتهى. وإلى هذا المعنى أشار سيدي إبراهيم التازي، بقوله:

[الطويل]

403/ وَنَصَّ عَلَى مَدْحِ التَّشْبُهَةِ شَهْمُهُمْ أَبُو مَدِينٍ غَوُثُ الْمُعَاصِرِ وَالتَّالِي
وَقَدْ قَالَ: حُبُّ الْأَوْلِيَاءِ وَوَلَايَةُ وَلِيِّ الْإِلَهِ الشَّاذِلِيُّ ابْنُ بَطَّالٍ¹

فيا لها من نعمة من الله سبحانه، ألحقت المحبين بالمحبوبين، وهم على فرشهم نائمون، وجعلتهم من السابقين، وهم في سيرهم واقفون.

[الرجز]

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَلِّلِ تَمْشِي رُؤَيْدًا² وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ³

وقال إبراهيم بن أدهم، رضي الله تعالى عنه: "رأيت ليلة كأن ملكين نزلا من السماء يكتبان، فقلت: ما تكتبان؟ قالوا: أمرنا أن نكتب المحبين، قلت: مثل من؟ قالوا: مثل مالك بن دينار، وفلان وفلان، قلت: وأنا، قالوا: ما أمرنا بك، قلت: إذا كتبتما فاكتباني في أسفلهم: محب المحبين، فإذا الوحي نزل أن اكتباه في أولهم"، والحكاية ذكرها صاحب "التحبير"، إلا أنني لم أتقن لفظها لطول العهد بها.

¹ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، ثم البلنسي الحافظ المحدث الراوية الفقيه، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم. اتفق المترجمون له على أن له شرحا لصحيح البخاري. توفي سنة 449هـ. ترجمته في: ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ضبط نصه، أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ج1/11-15؛ والزركلي، الأعلام، ج4/285، وكحالة، معجم المؤلفين، ج7/87.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان إبراهيم التازي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، ص:5.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3/138.

وقال العارف بالله تعالى ابن أبي جمرة، رضي الله تعالى عنه، في شرح حديث أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه، وهو: "(أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ: صِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ)"¹ ما نصه: وفيه بحث، وهو أنه يجوز الافتخار بصحبة المباركين، إلا أنه بشرط النسبة بينهم، ولو في وجه ما. ويكون الافتخار بنية الشكر، لقوله عليه الصلاة والسلام: (ذِكْرُ النَّعْمِ شُكْرٌ)²، لا على وجه المباهاة والرفعة، يوخذ ذلك من قول أبي هريرة: خليلي. انتهى.

قلت: وبحسب هذا فأنا أذكر مع شيوخ الإسناد من صحبته من المباركين كقدوتي وعمدتي، ومن إليه في طريق القوم نسبي، معرفا به وبفضله، وإذا ذكرت من أخذت عنه من الشيوخ، وما استفدت منه أعقبته بالتعريف بنسبه وبلده، وفضله، وسؤدده، ومن وقع له منهم من أهل زمانه ما يوهم غضا في مرتبته، أو ارتيابا في مزيتته، أخذت في الذب عنه بوجه واضح، ودليل لائح، ولنا في كل ذلك إن شاء الله، متجر رابح، ومغنم رائح، لقوله ﷺ: (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضٍ أَحِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)³. ذكره السيوطي، رحمه الله تعالى، في جامع "الصغير". وإن لاح في أثناء ذلك ما له بمبانيه اشتباك، وبجواهر معانيه تناسب وارتباك، فلا غرو في استطراده، وتشنيف المسامع بإيراده، كما قيل:

¹ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب صيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، ح: 1981، ج2/54.

² أبو بكر البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: مختار الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، 1423هـ-2003م، حديث 4106، ج 243/6.

³ جمال الدين بن محمد الزيعلي، تخريج الأحاديث والآثار في تفسير الكشاف للزمخشري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م، ح: 972، ج 60/3.

[الطويل]

تَعَرَّضَ مُجْتَازًا فَكَانَ مُذَكَّرًا بِعَهْدِ اللَّوَى وَالسَّيِّءِ بِالسَّيِّءِ يُذَكَّرُ¹

لأنه أكمل في الفائدة، وأجدر بنيل الجدوى والعائدة، وأبعث للنفوس من أحداث فتراتها الخاملة، وإلى الله تعالى أرغب في إصلاح النيات، وتبديل السيئات بالحسنات، لا إله غيره، ولا خير إلا خيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، صلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله أفضل صلاة، وأكمل تسليم.

فممن رويت عنه، واستفدت بالحضرة المراكشية منه/404، الشيخ الصالح البركة النحوي اللغوي، المحدث الصوفي، أبو محمد سيدنا محمد بن سعيد المرغيثي، أبقاه الله، علم الأعلام، ونفع به المسلمين والإسلام، ترددت إلى مجلسه أعواما عديدة، لاقتباس علومه الشديدة، واستماع تقريراته المفيدة، فقرأت عليه ختمة من كتاب الله عز وجل، كان يقرأ معي فيها، ويعلمني مخارج الحروف، وسمعت عنه جل صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وجملة وافرة من صحيح مسلم بن الحجاج، رحمه الله، وكتاب "الموطأ"، لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، رحمه الله، فأجازني فيها، وفي بقية كتب الحديث الستة، التي هي كف الإسلام ومعصمه، وهي: سنن أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، وسنن أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وسنن أبي داود. المِعْصَمُ هو "الموطأ"، والكف هو الخمسة المذكورة معه، وكذلك أجازني في سنن محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (...)² أبي حاتم ابن حبان، وغيرها من مصنفات الحديث ومسائده، كمسند الإمام أحمد بن حنبل، والدارمي وغيرهما، وجميع علوم

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أحمد المقري، نفع الطبيب، ج4/494.

² بياض في الأصل قدره كلمة.

الحديث على العموم، بل وجميع علوم الإسلام إجازة عامة، أُرُوِيَ ذلك بها عنه، وأُرُوِيَ من شئتُ، من هو أهل للتحمل والرواية، وسمعت عليه كثيرا من "شفاء" القاضي عياض، و"الجامع الصغير" للإمام السيوطي، رحمه الله، وجملة من "شمائل" الترمذي، و"الأنوار السنية" لأبي القاسم بن جزي¹، و"التنبيه" لابن عباد، و"شرح حكم" ابن عطاء الله، و"النصيحة الكافية" للشيخ زروق، وقرأت عليه قصيدة أبي إبراهيم الإشبيلي²، في ألقاب الحديث التي أولها:

[الطويل]

غَرَامِي صَحِيحٌ وَالرَّجَا فِيكَ مُعْضِلٌ

وقرأت أيضا [عليه، تأليفه في "اختصار السيرة اليعمرية"، وسمعت تقريره "لصغرى" الإمام السنوسي، إلى آخر التبريرات³ تقريراً حسناً، ينه فيه على أبحاث غامضة، وينقل عليها من حاشية شيخه، أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السجستاني⁴، وحضرت أيضا¹ عنده صدرا من "ألفية ابن مالك"، كان يقرأها قراءة

¹ أبو القاسم محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي الكلي الغرناطي الأندلسي فقيه من العلماء بالأصول وباللغة، خطيب الجامع الأعظم بغرناطة. ولد سنة 693هـ، كان فقيهاً جليلاً أستاذاً مقرئاً خطيباً عالماً مصنفًا، مالكي المذهب، قتل سنة 741هـ، من مصنفاته: "التسهيل لعلوم التنزيل" وغيرها. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 41/2؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 263-264؛ وعبد الحى الكتاني، فهرس الفهارس، ج 306/1؛ والزركلي، الأعلام، ج 325/5؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 11/9.

² شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد، اللخمي، الإشبيلي الشافعي، ولد بإشبيلية في سنة 625هـ. وكان حافظاً ديناً زاهداً متورعاً. وأخذ عن عز الدين بن عبد السلام، والكمال الضير، وغيرهما بالقاهرة، توفي سنة 699هـ ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 29-26/8؛ وابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج 191/8؛ والزركلي، الأعلام، ج 194-195.

³ في النسخة (ج) "النبويات".

⁴ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن بن عيسى الرجراجي النسب السجستاني النشأة، كان إماماً وقته في فنون العلم، بارعاً في علم الأصول والعربية والفقه، مشاركاً في غيرهما من الفنون مشاركة معتبرة، درس بمراكش، ثم ولي قضاء الجماعة بسوس، انتقل لمراكش فولي قضاء الجماعة أخذ عن المنجور، وسيدي الحسن الدراوي، والقصار، وغيرهم؛ من تصانيفه: "حاشية على شرح أم البراهين" للسنوسي في العقائد، ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة

بحث وتحقيق، ثم قطعها لسفر أوجبته عليه الدولة السعودية، تقبل الله ذلك منا بفضلله أحسن قبول، ونفع به السائل والمسؤول، آمين. أما سندنا عنه حفظه الله في كتاب الله العزيز²[...]

(...)³

405/وأما سندنا عنه في صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رحمه الله، فحدثه به شيخه الحافظ الفقيه الماهر مولاي عبد الله بن طاهر الحسيني السجلماسي، سماعا عليه من أوله إلى كتاب البيوع، وإجازة لسائره عن أبي عبد الله القصار، وأبي القاسم بن عبد الجبار الفكيكي⁴، والشيخ أبي العباس المنجور وغيرهم، قال: "حدثنا به أبو عبد الله محمد بن عبد الفضل خروف التونسي، وقال ابن عبد الجبار عن عمي، قال: أعني عمه وخروفا، عن قاضي القضاة كمال الدين الطويل القادري⁵ التونسي، عن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد القادر بن طريف

من انتشر، ص: 206-207؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9/413-414؛ وابن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 124.

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

² سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

³ بياض في الأصل قدره أربعة أسطر. وفي طرة الكتاب: "كذا وجدت هذا البياض في الأصل المنتسخ منه. ونبه عليه بأنه وجده كذلك بخط مؤلفه". ينظر: حسن المعداني، الروض البانع الفائح، ص: 406.

⁴ أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الفجيكي الوردغيري، الرحالة المحدث الناظم الناثر، كان فقيها عارفا أدبيا شاعرا، أخذ بمدينة فاس عن الأستاذ الصغير، وعن الشيخ ابن غازي، وأحمد الونشريسي، ولقي بتلمسان، شيوخا كالإمام محمد بن يوسف السنوسي، والعقباني، وأخذ بمصر عن جلال الدين السيوطي، وبالمدينة المشرفة عن السخاوي، توفي في أوائل الرابعة ببلاد فجيج. ترجمته في: ابن عسکر الشفشاوني، دوحه الناشر، ص: 119، وابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص: 99-101.

⁵ لعله يقصد كمال الدين الطويل الظاهري، الشافعي، قاضي الشافعية بالديار المصرية. ولد سنة 846هـ، أخذ العلم، والحديث عن الشريف المناوي، والشمس الحجازي، والشيخ محمد بن كتيلة وغيرهم. وسمع صحيح مسلم

الشاوي الحجازي المصري¹، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي
المجد الخطيب الدمشقي، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن النعمة الحجار
الصالح²، المعروف بابن الشحنة، عن الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى
الزبيدي، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي الصوفي، عن
أبي الحسن بن عبد الرحمان بن محمد بن مظفر الداوودي، عن أبي محمد عبد الله بن
أحمد بن حمويه السرخسي³، عن الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن
صالح بن بشر الفَرَبْرِي، عن المؤلف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة بن بردزية بن الأحنف البخاري الجعفي، موله، قراءة منه عليه، مرتين مرة بفربر
سنة ثمان وأربعين ومائتين، ومرة ببخارى سنة اثنين وخمسين ومائتين، قال: "بسم الله
الرحمان الرحيم، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (الخ)". قال شيخنا، أعني: أبا
عبد الله بن سعيد: وهذا أعلى الأسانيد في الدنيا إلى البخاري، كما نص عليه شيوخ
شيوخنا رحمهم الله تعالى".

وغيره على قطب الدين الخيضي. توفي بالقاهرة سنة 936هـ. ترجمته في: نجم الدين محمد الغزي، الكواكب
السائرة، بأعيان المائة العاشرة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،
1418هـ-1997م، ج2/45-46.

¹ أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف القاهري، ولد سنة 794هـ. وحدث بالبخاري، وأسمع على
ابن أبي المجد الصحيح وعلى التنوخي والعراقي وغيرهم، وكان محبا للطلبة، متوددا إليهم حافظا لنكت ونوادير
وفوائد لطيفة، ترجمته في: السخاوي، الضوء اللامع: ج1/351-352.

² أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان ثم الصالحي الحجازي المعروف بابن
الشحنة وسمع من ابن الزبيدي وابن الليثي وأجاز له من بغداد القطيعي وابن روزبه وآخرون. ترجمته في: ابن
كثير، البداية والنهاية، ج14/150؛ وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1/141-143.

³ تاج الدين أبو أحمد عبد الله بن عمر بن محمد بن حمويه السرخسي، ولد سنة 572هـ، شيخ الشيوخ بدمشق،
أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين، له كتاب في ثمان مجلدات ذكر فيه أصول الأشياء، وحفظ القرآن، وسمع
الحديث، وقد سافر إلى بلاد المغرب، وقدم مصر. توفي سنة 642هـ. ترجمته في: أحمد المقري، نفع الطيب،
ج3/99-104؛ والزركلي، الأعلام، ج4/110.

[وأما سنده في صحيح مسلم، رحمه الله]¹

(.....)²

وأما سندننا في المصافحة عن طريقته، فقد صافحنا حفظه الله، قال: "صافحني الإمام الحافظ، شيخنا أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني، قال: صافحني الشيخ أبو العباس المنجور الفاسي، قال: صافحني الإمام شيخنا زين الدين أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن سقين، قال: صافحني الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، إلى آخر سنده السابق في ذكره في أشياخ ولده سيدنا الصالح، /406/ نفعنا الله به". ثم قال، بعد أن ختم السند: تنبيه يحتوي على كفيتهما، وفائدة متصلة بهما، أما الكيفية، فإنه لما صافحني، وضع كفه في كفي، وبسط بإبهامه على ظاهر كفي، من بين أصلي السبابة والإبهام، تقابل الكوع، وبسط سبافته على باطن المعصم، متوسطة بين الكرسوغ والكوع، وأحنى بأصابعه الثلاثة على ظاهر الكف من أصل الخنصر، وأمرني أن أقبض أنا على كفه كذلك، ولم أسأله عن مستنده في هذه الكيفية، والله تعالى أعلم. وأما الفائدة فينبغي للمتصافحين أن يحمدا الله تعالى عند المصافحة، لقوله: (أَيُّمًا مُسْلِمِينَ اتَّقِيَا، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَ اللَّهُ، تَفَرَّقَا وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا خَاطِئَةٌ)³، رواه أحمد في مسنده. وأما روايتنا عنه في الفقه فيرويه عن شيوخ عدة، منهم الإمام الحسيني المذكور عن الشيخ المنجور، عن الإمام السيد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، عن الإمام بن غازي، قال: "لازمت مجلس شيخنا الإمام أبي عبد الله

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

² بياض في الأصل بمقدار أربعة أسطر تقريبا.

³ السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1425هـ-2004م، حديث رقم 2977، ص 178.

محمد بن قاسم القوري المكناسي¹، في المدونة أعواما، وكان ينقل عليها كلام المتقدمين والمتأخرين، ويرويها عن شيخه أبي موسى عمران بن موسى الجاناتي²، وهو عن أبي عمران موسى العبدوسي³، وهو عن أبي فارس عبد العزيز القروي⁴، وهو عن أبي الحسن الصغير⁵، وهو عن أبي الفضل راشد⁶، وهو عن أبي محمد صالح¹، وهو عن أبي القاسم²

¹ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القوري اللخمي نسبة المكناسي مولدا ودارا ومسكنا، الأندلسي أصلا الفاسي نصه وقرارا، اشتهر بالقوري نسبة لبلدة قريبة من إشبيلية، كان فقيها صدرا وحيدا علامة جامعا مشارا إليه في تحقيق علوم النقل والعقل. أخذ عن عمران الجاناتي وأبي الحسن التلاجدوتي وابن جابر الغساني والحاج عزوز، وعن ابن غياث السلوي الطب، وعن الفقيه عبد الله العبدوسي، استفاد منه كثيرا، كان متقدما في حفظ المتون وفقهها. وممن أخذ عنه إبراهيم بن هلال وعبد الله الزموري وأبو الحسن الزقاق والقاضي المكناسي وغيرهم. توفي سنة 872 هـ. ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج2/295-296؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2/184-185؛ ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج3/686-688.

² عمران بن موسى الجاناتي المكناسي، كان فقيها حافظا، علامة مجيدا، مدرسا نافعا، صدرا معتمدا. أخذ عن أبي عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي وهو عمدته ومعتمده في المدونة. أخذ عنه الإمام القوري ومن في منطقتة. توفي سنة 830 هـ ترجمته في: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2/498؛ وابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5/582-583.

³ أبو عمران موسى بن محمد بن معطي، العبدوسي علامة محصل، ناقد خبير متضلع، مفت مدرس، انتهت إليه رئاسة العلم والفتيا في زمنه، آية في المدونة، وكان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، أخذ عن عبد العزيز القوري، وأبي زيد عبد الرحمن الجزولي وغيرهما، والآخرين عنه، منهم الإمام ابن عباد، وأبو حفص الرجراجي، وأبي عبد الله الهواري، وابن الخطيب القسماطيني وعمران بن موسى الجاناتي. وكان يعظم أبا يعزى كثيرا ويكثر ذكر أحواله في مجلسه، توفي سنة 776 هـ ترجمته في: احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2/242-243؛ وابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج4/420-421.

⁴ أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفقيه الصالح، وهو أكبر أصحاب أبي الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير، أخذ عنه جماعة منهم موسى بن معطي العبدوسي، توفي بمدينة فاس سنة 750 هـ ترجمته في: ابن القاضي، جذوة الاقتباس ج2/451.

⁵ أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي الصغير، الفقيه المالكي الحافظ المحصل، ولي قضاء مدينة فاس. وكان أحد الأقطاب الذي تدور عليهم الفتيا بالمغرب، أخذ عن الفقيه راشد الوليدي. توفي بمدينة فاس 719 هـ ترجمته في: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2/472؛ والزركلي، الأعلام، ج4/334.

⁶ أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي، وهو مؤلف كتاب "الحلال والحرام"، وأخذ عن صالح الهسكوري وغيره، توفي بمدينة فاس سنة 675 هـ ترجمته في: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1/196-197.

بن زانيف، وأبي موسى الماموني³، وأبي الحسن بن بقال، ثلاثهم عن الإمام بن بشكوال، عن أبي محمد بن عتاب⁴، عن أبيه أبي عبد الله، عن أبي محمد مكي⁵، عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني⁶، عن أبي بكر بن اللباد⁷، عن يحيى بن عمر، عن الإمام سحنون¹، عن

¹ لعله يشير للعالم أبو محمد صالح بن ينصار بن غيفان بن الحاج يحيى بن يلاخت الماجري، ولد سنة 550هـ. كان من أعيان المشايخ وأكابر العارفين وإمام أئمة السلوك المحققين وصدر صدور العلماء العاملين صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة، وأخذ التصوف عن شيخه عبد الرزاق الجزولي وأرسله الجزولي إلى شيخه أبي مدين. ترجمته في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 125؛ ومحمد الكانون العبدي، البدر اللائح والمتجر الراجح في مآثر آل أبي صالح، الطبعة الأولى، 2011.

² أبو القاسم عبد الرحمان بن يوسف بن الحسن شهر بابن زانيف الفقيه الحافظ، من أعيان فقهاء فاس، تشد إليه الرحال من المذهب، قائما على المدونة مع حظ في الحديث وغيره. توفي سنة 612هـ. ترجمته في: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج 2/396؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 1/261؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 243.

³ الشريف الحسيني، أبو موسى المومنانى، الفقيه الإمام المفتي المدرس القاضي، من أهل مدينة فاس، وولي القضاء بقرطبة وبمراكش في دولة الموحدين. وكان فقيها إماما عالما مقدما في الفتيا عارفا بالفقه وبأصوله وفروعه وبالحدِيث. ترجمته في: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج 1/215-216؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 1/309.

⁴ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي، فقيه مالكي، وعالم بالقراءات والتفسير واللغة، ولد سنة 433هـ. وتوفي سنة 520هـ. ترجمته في: البغدادي، هدية العارفين، ج 1/518.

⁵ أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ. ولد سنة 355هـ. ونشأ بالقيروان، وسافر إلى مصر. ثم ارتحل إلى الأندلس، وجلس للقاء جماع قرطبة فانتفع به خلق كثير ووجدوا عليه القرآن، وله تصانيف كثيرة فمنها: "الهداية إلى بلوغ النهاية" في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه، و"منتخب الحجة"، و"الموجز في القراءات" جزءان. و"المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره" عشرة أجزاء، وغيرها. توفي سنة 437هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5/274-277.

⁶ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي شيخ المالكية بالمغرب، جمع مذهب الإمام مالك وشرح أقواله. وكان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعفة وورع، توفي سنة 389هـ. ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17/10-13؛ وابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج 4/250.

⁷ أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد من أكبر أعلام المدرسة المالكية، بالقيروان، في القرنين الثالث، والرابع/التاسع والعاشر. فقد كان فقيها، جليل القدر، عالما صالحا، من أهل الحفظ والذكاء والفهم، بحرا من بحور العلم، تشد إليه الرحلة من شتى البلاد، لعلمه وفضله ودينه. وأهم مؤلفاته: "الفرائد والآثار"، وهو يشتمل على عشرة أجزاء، و"إثبات الحجة في بيان العصمة"، و"فضائل مالك"، وغيرها. توفي سنة 333هـ. ترجمته في: ابن اللباد، الرد على الشافعي، تحقيق عبد المجيد بن حمده، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م. ص: 10-13.

ابن القاسم، عن مالك بن أنس، رحمه الله تعالى، وشفعنا ببركاته، أمين (...)² بهذا الشيخ رضي الله تعالى عنه، ولد في المحرم سنة سبع وألف بالحضرة المراكشية، وبها نشأ، وهو الآن مسن، ينيف على الثمانين سنة، وكان قد خرج عنها في طلب العلم، فجاب بلاداً، ولقي عبادة، ثم رجع إلى حضرته، وتولى الإمامة بها، والخطابة بأحد مساجدها الكبار، ولأزمه بتعميره بأنواع الطاعات، وضروب العبادات، منذ أعوام كثيرة، إلى الآن له دين متين، وصالح ويقين، متبع للسنة، مجتنب للبدعة، منفر عنها غاية التنفير، كثير المحبة للنبي ﷺ، ولقد رأيتُه يغلبه الوجد في بعض الأحيان من ذكره، فيرتعد ويتغير لونه، وقد قالوا: "من علامات محبته، أن يلتذ مُحَبُّهُ بذكره الشريف، ويضطرب عند سماع اسمه المنيف". وله أصحاب وأتباع، نفعهم الله تعالى/407/ بمحبته، وله حظ من الفهم والكشف على طريقة القوم، "ولقد لقيته يوماً بسوق هذه الحضرة الكبير، وهو يريد حجاً ما يحلق رأسه، وهو يتكلم مع صاحب حانوت هناك، وكان بالقرب منهما رجل يصفر في زمارة، ويلعب بها، فبعدهما صدرنا من عند صاحب الحانوت، قال لي: هل سمعت ما تقول تلك الزمارة؟ فقلت: لا، وطلبته بذلك، فسكت عني حتى خرجنا من العمارة، ودخلنا موضعاً خالياً في الطريق، وقبض على يدي، وقال لي: كانت تقول: مولى الموالي"³، وفهمت أن السر في تأخير ذلك عني إلى الموضع الخالي، ستر علي من أن يدركني حال بين الناس عند سماع هذه المقالة، فكان ذلك من جودة عقله، وحسن سياسته رعاه الله".

¹ أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون- واسمه عبد السلام- بن سعيد بن حبيب التنوخي مولده بالقيروان سنة 202هـ. كان إماماً في الفقه، ثقة، عالماً بالأثار. توفي سنة 256هـ، له مؤلفات عديدة، منها: "الجامع"؛ و"المسند" في الحديث، و"تفسير الموطأ" وغيرها، ترجمته في: محمد بن سحنون، آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، 1972/1392، تونس، ص: 15-30؛ والزركلي، الأعلام، ج4/5..

² بياض في الأصل بمقدار كلمة.

³ وردت هذه الحكاية في: محمد العبدوني؛ يتيمة العقود الوسطى، ص: 81 (ب)، مع اختلاف يسير في الرواية.

ولقد أخبرني أخونا الفقيه الصالح سيدي أحمد بن إبراهيم، المعروف بالعطار، وفقه الله تعالى، من أهل الأندلس، وحوتمهم بمراكش، عن الأستاذ التقي الخفي سيدي محمد بن عبد الله، عن أهل جنان بن شُكْرَا، حومة بمراكش، وكان من أهل العلم والصلاح، رحمه الله تعالى، وأنه رآه بعد موته، فسأله عن حاله، فذكر خيرا، وإن الله غفر له، فسأله عن السبب، فقال: "بتريدي إلى مجلس بن سعيد، قلت: وقد كنت أرى هذا السيد رحمه الله، يحضر مجلس هذا الشيخ المذكور في التصوف، فيجلس في آخر المجلس، حتى أني رأيتَه يجلس حيث يطرح الناس أنعلتهم لا يتكلم في المجلس مع أنه له مشاركة في العلوم، إلا أنه أثر الخمول على الشهرة والظهور"، في الحديث من صحيح مسلم، أنه ﷺ، قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ)¹، انتهى. فقيل: معنى الغني؛ أي غنى النفس، وقيل: غنى المال بقدر الكفاية، أو بصرف الزيادة في الطاعة، والخفي بالخاء المعجمة على الرواية المشهورة، من يعتزل على الناس للعبادة، وقيل: بالحاء المهملة وهو من يرحم الضعفاء" انتهى. قلت: تفسير الغني بغنى النفس هو أولى، لقوله، (لَيْسَ الْغِنَى عِنْدَ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)²، ومن مستحسن ما قيل في مدح الخمول:

[البسيط]

عِشْ حَامِلَ الدِّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ وَارْضَ بِهِ
مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لَمْ تَسْلَمْ دِيَانَتُهُ
فَذَاكَ أَسْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
وَلَمْ يَزَلْ بَيْنَ تَحْرِيكِ وَتَسْكِينِ³

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، ح: 2965، ج 2277/4.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، ح: 151، ج 726/1.

³ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح: الشيخ زروق، ص: 37؛ وابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص: 53.

وما أحسن قول سيدي عبد الرحمان المجذوب،: "الخمول كله نعمة، والنفوس كلها تأباه، والظهور كله نقمة، والنفوس كلها تمهواه"¹، وأرفع من هذا مقام الرضى والتسليم لمن استبد بالتدبير والاختيار، ﴿وَرَبِّمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾². كما/408 قال الشيخ أبو العباس المرسي، رضي الله تعالى عنه،: "من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أو أخفاه"³. ومن هذا المعنى ما يحكى عن أبي ذرّ، رضي الله عنه، أنه لما قال: "الفقر أحب إلي من الغنى، والذل أحسن عندي من العز، والمرض خير من الصحة"، فبلغت مقالته الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال: "رحم الله أبا ذر، أما أنا، فأقول: من اتكل على اختيار الله له، لم يخترا إلا ما اختاره الله له، ولا يحب إلا ما أحبه، فقد سقط تمييزه، فبلغ ذلك أبا ذر، فقال: صدق الله ورسوله، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾"⁴. انتهى.

وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى:

[الطويل]

فَلَا الرَّفْعَ أَبْتَغِي وَلَا الْخَفْضَ أَتْقِي وَلَكِنِّي مَنْصُوبٌ لِكُلِّ الْعَوَامِلِ

ولنرجع إلى صاحب الترجمة، فنقول: "إنه حسن العهد، كريم المعاشرة، فيه دعاية يدخل بها السرور على من يباسطه من جلسائه، وفي إدخال السرور على قلب المسلم أجر كبير، حتى قال بعض الفقهاء في قضية معلومة: إدخالك السرور على أخيك المسلم خير من صيامك، وله في ذلك إسوة في رسول الله ﷺ، فإنه، كان يمازح ولا يقول إلا حقاً"،

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص: 53.

² سورة القصص، الآية: 68.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن عطاء الله السكندري الحكم، شرح الشيخ زروق، ص: 196.

⁴ سورة الأنعام، الآية 124.

كما روي (أَنَّ عَجُوزاً أَتَتْهُ، فَقَالَ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ، فَبُكْتُ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَسْتِ يَوْمَئِذٍ بِعَجُوزٍ")¹. قال الله تعالى: ﴿إِذَا أَنْشَأْنَاهُ بِنِشَاءٍ فَجَعَلْنَاهُ بُنَكَارًا عَرَبًا﴾²، (أَتَتْهُ ﷺ أَمْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: "إِنَّ زَوْجِي يَدْعُوكَ، فَقَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ أَهُوَ الَّذِي بَعَيْنِهِ بَيَاضٌ؟، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا بَعَيْنِهِ بَيَاضٌ، فَقَالَ: بَلَى إِنَّ بَعَيْنَيْهِ بَيَاضًا، فَقَالَتْ: لَأَ، وَاللَّهِ، فَقَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَعَيْنَيْهِ بَيَاضٌ")³. أراد به البياض المحيط بالحدقة، وجاءته أخرى، (فَقَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِلْنِي عَلَى بَعِيرٍ، فَقَالَ: أَحْمِلْكَ عَلَى ابْنِ الْبَعِيرِ، فَقَالَتْ: مَا أَصْنَعُ بِهِ؟ لَا يَحْمِلُنِي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا وَهُوَ ابْنُ بَعِيرٍ")⁴، وكان يمنح⁵. ويقصد بذلك عليه السلام، إدخال السرور على جلسائه، لأنه مطلوب عند أرباب المعارف والقلوب، وكذلك أمره الله بمشاورة أصحابه الكرام، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾⁶، مع أنه، أرجح ذوي النهى، وأرشدهم عقلا، بل قيل: "إن نسبة عقول الخلائق إلى كريم عقله، كنسبة رملة واحدة إلى جميع رمال الدنيا". وفي الحديث (المُشَاوِرَةُ حِصْنٌ مِنَ النَّدَامَةِ، وَأَمْنٌ مِنَ الْمَلَامَةِ)⁷. وورد فيه: "نقحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة". وقال عمر بن عبد العزيز: "المشاورة [والمناصرة]⁸ بأبي رحمة، ومفتاح

¹ أبو الفضل زين الدين العراقي، تخریج إحياء علوم الدين المسمى المغني عن حمل الأسفار، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م، ح: 2920، ج 795/2.

² سورة الواقعة، الآية: 35.

³ زين الدين العراقي، تخریج إحياء علوم الدين، ح: 2921، ج 796/2.

⁴ زين الدين العراقي، تخریج إحياء علوم الدين، ح: 2922، ج 796/2.

⁵ في النسخة (د): "يخرج"

⁶ سورة آل عمران، الآية: 159.

⁷ ورد هذا الحديث في: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، من نثر الدرر، منشورات وزارة الثقافة، المختار من التراث العربي، دمشق 1997، ج 102/1.

⁸ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

بركة، لا يضل معهما رأي، ولا ينقد معهما حزم". وفي الحديث أيضا: (استشيروا العاقل
ترشدوا، ولا/409/ تعصوه فتندموا)¹. أو كما قال. وأنشدوا:

[البسيط]

الرأي كَاللَّيْلِ مَسْوَدُّ جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يَنْجَلِي إِلَّا بِإِصْبَاحِ
فَاضْمُمٍ مَصَابِيحِ آرَاءِ الرِّجَالِ إِلَى مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَزْدَدُ ضَوْءَ مِصْبَاحِ

وحضرت يوما مجلس الشيخ، وهو يمازح السيد محمد، المعروف بالحكيم، من
أطباء مراكش، وكان اشتكى هو أو غيره، بالبرغوث، فقال الشيخ: "إقبضه بالشبكة،
فقال له: يا سيدي كيف يقبض البرغوث بالشبكة؟، فقال له الشيخ: فلم تدعى حينئذ
بالحكيم؟، فلما اشتد مرض الحكيم على معرفة ذلك، قال له الشيخ: الشبكة التي
يقبض بها البرغوث، هو أنك إذا أتيت فراشك فتلطف في ثوب قدر ما يجتمع عليك فيه
البراغيث، ثم تنسل منه، وتلفه، وتجعله بمعزل منك في ناحية، ثم تنام في ثوب آخر،
فتجد الراحة منه، فضحكنا من أجل ذلك في تلك الساعة".

وقد أتى بعض الطلبة يوما إلى والدي، رعاه الله بمصحف قديم، وفي آخره أن
كاتبه أبان بن عثمان²، [وقال الطالب لوالدي: "إنه عرضه على سيدي محمد بن سعيد،
فقال له: إنه أبان بن عثمان بن عفان الصباحي]³، فاشتدت رغبة والدي في اشترائه
وبعثني به، أسأل الشيخ عن ذلك، فذهبت به إليه، وحكيت له مقالة الطالب عنه،

¹ محمد المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ج:975، ص:1، ج:625، بلفظ:
(استرشدوا العاقل)

² أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان، الإمام الفقيه، الأمير، أبو سعد بن أمير المؤمنين أبي عمرو الأموي، سمع
أباه، وزيد بن ثابت، كان ثقة، وأحد رواة الحديث النبوي، وأول من روى أحاديث في السيرة النبوية، وحدث بها.
توفي سنة 15 هـ ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج:352-353.

³ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

فقال لي: كذب نعله الله، فكرر ذلك، فقلت في نفسي: كيف يسرع إلى لعن المسلم؟ فقال لي: أنا ما لعنته، وإنما قلت: نعله الله، أي: جعل له نعالا. ونقلت الحكايتين غالبا بالمعنى لطول العهد، وقال لي: في أبان هذا لعله أبان بن عثمان، أحد فقهاء الأندلس"، إلى غير ذلك من ممازحته العجيبة وغيرها من حكاياته المفيدة الغريبة، يأتي بها في أثناء مجالسه العلمية، يكون بها ترويح للنفوس من الملل، وتنشيط لها من العجز والكسل. كما قال أبو الفضل عياض، رحمه الله، في حديث "أم زرع": إن من الفقه التحدث بملح الأخبار، وظرف الحكايات، تسلية للنفوس، وجلاء للقلوب"، انتهى. لكن من شرط الممازح أن لا يقول إلا حقا، ولا يُؤذ به قلبا، ولا يفرط فيه، بأن يقتصر عليه في بعض الأحيان دون بعض وإلا ربما أفضى به إلى المنع والإثم، ويقال: "المزاح مسلبة للبهاء، ومقطعة للأصدقاء".

وأما أشياخه الذين أخذ عنهم، فمنهم الشريف الحسيني مولاي عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي وعليه اعتماده في النقل، وكثيرا ما أسمعته يقول: "قال سيدي، وإياه يعني، قال لنا: صحبتته سنتين غير ربع، ولو طالت صحبتي إياه لرجعت من عنده بعلم عظيم، ما تراه ساكتا إلا متفكرا في آية من كتاب الله، أو حديث من سنة رسول الله ﷺ"، ومنهم/410/ الحاج المبرور سيدي أبو بكر السجستاني، من جلة فقهاء مراکش، والقاضي المشهور بها، أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السجستاني، وشيخ جماعتها الأستاذ سيدي محمد بن يوسف التاولي، وغيرهم من الأئمة.

وأخبرني أن انتفاعه في طريقة القوم بشيخه الصالح، الناسك الناصح، سيدي أحمد بن إبراهيم، المشهور بدرعة، تفنن في العلوم، فأخذ منها بالحظ الأوفر، واتسع في

الأدب فاقتطف منها الجناء الأزهر، إلا أنني أدركت غالب تدريسه في علمي الحديث والتصوف، بعد أن سلك طريق القوم في المجاهدة¹، ونهج منهجهم في التفرد والعبادة، فاستفاد وأفاد، وتحقق بحقائق أولى الرشد والسداد، له تأليف عديدة، ومختصرات سديدة، من منظوم ومنثور، أجازني في جميعها، نفعه الله بها، منها اختصار "اليسيرة اليعمرية"، و"نظم أسماء النبي ﷺ"، والتوسل بها، و"المشيرة إلى طريق الهدى المنيرة". نظم فيها أصول الطريقة لسيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى، و"الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة"، و"المقنع في اختصار أبي مقرع" وشرحه الكبير وغيره، ونظم "إكمال الربع المجيب"، وسماه "بمعونة الحيسوب في التوقيت بالجيوب"، ونظم شرح سيدي محمد بن سعيد السملالي فيه، وقصيدة لامية في اختصار "علم الجدول الخمس" مفيدة في فنها (...)² ومختصر في الفقه للنساء والصبيان والعوام، ألفه لابنته رحمة، رحمها الله تعالى، (...)³، خالط هذا الشيخ السلاطين، وقبل جوائزهم، توجه إليه الاعتراض، ممن يزعم أن له إصابة في الرد والانتقاض، كما هو شأنهم في التدقيق على من انتسب إلى سواء الطريق، وتبعهم في ذلك بعض من ينتحل الفقر، وغيرهم من العوام. والقول الفصل في ذلك والله أعلم، أن الناس بالجملة ثلاثة أصناف، صوفي، وفقهه وغيرهما. فطريق الأول معروف، وكلام الثالث محذوف إذ حسب الغير الاستماع، الذي هو وظيفة الاتباع. وأما الصوفي فلا يسعه على طريقته الإنكار، لتحققه بمن إليه

¹ المجاهدة: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال، ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص:63.

² بياض في الأصل وباقي النسخ.

³ بياض في الأصل وباقي النسخ.

الخلق والاختيار، فهو أبدا يلتمس المعاذير، لمقتضيات المقادير، فالتماس الأعذار أصل من أصولهم، التي عليها مبني طريقتهم.

قال أبو القاسم النصرآبادي¹: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمان المشايخ، ورؤية أعذار الخلائق، والمداومة على الأوراد، وترك الرخص والتأويلات².

قال سيدي زروق رحمه الله: "وهذه هي الأصول، التي من ضيعها حرم الوصول، وأكثر أهل الزمان على ذلك إلا/411/ من عصمه الله، وقليل ما هم"³

وقال حمدون القصار⁴: "إصحب الصوفية، فإن للقبیح عندهم أوجهها من المعاذير، وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به". قال ابن عباد⁵: "أشار إلى أن العجب بالعمل منفي في صحبتهم".

¹ أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمد بن النصرآبادي، شيخ خراسان في وقته، نيسابوري الأصل، والمنشأ، والمولد. وكان أحد المشايخ علما وحالا. صحب أبا بكر الشبلي، وأبا علي الروذباري، وأبا محمد المرتعش، وغيرهم. ومات سنة 367هـ. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 484-488.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 488؛ وأحمد زروق، عدة المرید الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ص: 37.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد زروق، عدة المرید الصادق، ص: 37.

⁴ أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار، شيخ أهل الملامة نيسابور، صحب أبا تراب النخشي، وعليها النصرآبادي، وكان عالما فقيها، توفي سنة 271هـ. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 123-129؛ وابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج4/109-110.

⁵ محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يحيى "الشهير" بابن عباد"، وأنه يكنى بأبي بكر عبد الله النفزي، ولد برندة سنة 733هـ. وقد انتهى إلى المدرسة الفقهية المالكية، التي وجدت في ذلك العصر في المغرب. وله الفضل في حفظ تراث الطريقة الشاذلية من خلال مشاركته بشرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري وذلك في التعريف بأراء الشاذلية، وأتاح بهذا الشرح أن تذاق آراء الشاذلية في المغرب

وبالجملة فقد قال بعضهم: "ارتفعت همم أهل الله عن الالتفات إلى محاسن الخلق، فكيف بالالتفات إلى مساوئهم.

أما الفقيه فلا سبيل له إلى الحكم على مجرد الخلطة من غير ما يعرض لها بدم أو مدح، إذ الأحكام الشرعية غالبا منوطة بالتعليل من درء مفسدة، أو جلب مصلحة، إلا الحكم التعبدي منها، وهو ما لا يعقل معناه، فيتمسك بمقتضى صيغته ومبناه، فمما استأثر الشارع بعلمه، وأما مع وجود العارض، فللفقيه في ذلك تفصيل، فأما من رق دينه، وضعف يقينه، بحيث لا حامل له على غشيان مجالسهم، إلا الظفر بخصوصية الشهوانية، واكتسابه الخطط الدنيوية، ذاهلا عما يجب من صلاح المسلمين، غافلا عن قول سيد المرسلين: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَخَاصَّتِهِمْ)¹، فيجب لذلك نفع المسلمين، بما أمكن، ونصح أمرائهم، وتذكيرهم كيف ما أمكن من وجوه السداد، وتنبيههم على ما استحفظوه من أمور العباد. لقوله: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالِإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)² ويكون ذلك برفق في الكلام، وملاينة في الخطاب، لقوله تعالى: ﴿الْمَعْرُوفِ سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾³، وفي وقت إقبالهم، فإنه أنفع وأنجح فيهم. فمن لم يكن قصده هذا، وإنما غلبت عليه رقة الديانة، كما قدمنا، فهو الذي يتوجه إليه الذم والعتب وعليه يحمل نحو حديث: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمَنَاءُ الرَّسُلِ، مَا لَمْ

وفي الأندلس وحفظ تراثها الروحي لكل من جاء بعده من الشاذلية المتأخرين في المغرب، بل وفي المشرق أيضا: ترجمته في: ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، شرح ابن عباد الرندي، ص: 25-31.

¹ الطبراني، المعجم الأوسط، ح: 3769، ج4/122.

² البخاري، كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده، ح: 2409، ج2/179.

³ سورة النحل، الآية: 125.

يميلوا إلى الدنيا أو يُدَاخِلُوا السَّلَاطِينَ، فَإِذَا مَأَلُوا إِلَى الدُّنْيَا، أَوْ خَالَطُوا السَّلَاطِينَ،
فَاخْشَوْهُمْ فِي دِينِكُمْ)¹، الحديث، وفي مثله تنشد المملوك، تحذيرا من شره.

[مجزوء الكامل المرفل]

قُلْ لِلْمُلُوكِ نَصِيحَةٌ لَا تَرْكُنَنَّ إِلَى فَقِيهِهِ
إِنَّ الْفَقِيهَ إِذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهِ²

لأنه ليس في صحبته إياهم إلا غشهم، والإضرار بهم من حيث لا يشعرون بسكوته
عما يرتكبونه من المخالفات، ومداهنته فيما يصدر عنهم من المنهيات، لنيل حظه
العاجل، والاتصال بمقصوده الباطل، فبمداهنته إياهم يهون عليهم ما ارتكبه من
المخالفات، ولا يبقى له في قلوبهم كبير موقع، لأنهم يعتقدون أن هذا الفقيه من العلماء
بالله المراقبين لله، وأنه ما أقدم على ذلك إلا لسهولة في الأمر (...)³ ولم يعلموا/412/ بأنه
ليس له من العلم إلا اسمه، ولا من الفقه إلا رسمه، وإنما هو فتنة في الدين، ووبال على
المسلمين، كما قيل:

[البسيط]

إِنْ قِيلَ لِلنَّاسِ إِنَّ الْهَرَجَ يُوبِقُكُمْ قَالُوا الْفَقِيهَ فُلَانٌ قَبَلْنَا صَدَمًا

وإنما أهل العلم بالله، هم أهل الخشية لله، والعمل بأوامر الله، والشفقة والنصح
لعباد الله، وهم الذين يقصدون بمخالطتهم المملوك، ما يعود عليهم نفعه في الدين من

¹ العجلوني، كشف الخفاء، ح: 1748، ج2/65. مع اختلاف بسيط في الرواية.

² وردت هذه الأبيات في: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1384هـ-1965م، ج2/260، مع اختلاف في لفظ واحد، وهو: "قل للأمير"، عوض: "قل للملوك".

³ بياض في الأصل.

مصالح المسلمين، كتفريج كرب المكروبين، وتفريج المحزونين، بإبلاغ حوائجهم، ودفع المضار عنهم، بالاستشفاع لهم، فتتأكد في حق من قويت ديانتته من هؤلاء، وتحقق سلامة دينه معهم، فبالنفع المتعدي إلى المسلمين تحصل الخيرية للنافع، ويحصل له العون من الله تعالى، في حوائجه، لقوله: (خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ)¹. وقال: (مَنْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ يَكُنِ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ)² وبتفريج المحزونين، يستوجب المغفرة من رب العالمين". قال: (إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ، إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ)³، وبالتفريج عن المكروبين، يفرج الله عنك كرب الدارين". قال: (مَنْ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَرَجًا مُسْلِمًا، فَرَجَّ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)⁴، وإبلاغ حوائج [المسلمين]⁵ العابرين (...)⁶.

فمثل هذا الترغيب القوي الصادر من النبي الأمي، صلوات الله وسلامه عليه، يحمل هؤلاء السادات على مخالطة الملوك وملاطفتهم، والتنازل معهم في حفظ الشريعة، والقيام بأحكامها في أثناء ذلك كله، حتى روي أن نبيا عليه السلام، كان يأخذ بركاب بعض الملوك لقضاء حوائج الناس، ولذلك كان شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة الشاذلي، رضي الله تعالى عنه يواجههم، ويتقدم إليهم حتى أشكل أمره بذلك على كثير من الناس، فقال: "لكل ولي حجاب، وحجابي مخالطة الملوك"، ولما مات بعض الأولياء المعاصرين له، ممن أقامهم الله للشفقة على الخلق، وقضاء حوائجهم،

¹ السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ح: 4044، ص 246. (عن جابر).

² السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ح: 9111، ص 546. (عن جابر).

³ أبو النعيم، حلية الأولياء، ج 7/90.

⁴ السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ح: 8305، ص 507. (عن الحسن بن علي رضي الله عنه).

⁵ سقط ما بين معقوفتين عن النسخين (ج) و(د).

⁶ بياض في الأصل وباقي النسخ.

حتى كان يفرح برؤيته المسلمون واليهود والنصارى، ويدعون بطول بقائه، كتب له بعض الكتاب في ورقة مذهبته، على باب خلوته (...)¹.

[الرجز]

يَا فَاعِلَ الْخَيْرِ عِشْ هَنِيئًا فَإِنَّ عُقْبَانَ لِسَلَامَةٍ
وَفَاعِلُ الشَّرِّ مَا يَهْنَأُ فَإِنَّ عُقْبَاهُ لِلنَّدَامَةِ²

ذكره ابن مغيزل، رحمه الله، في "الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة"، قال: "وكان هذا الشيخ يلبس الثياب الجميلة الأنيقة الغالية الأثمان، وينكح النساء المنعمة، ويركب الخيول المسومة"³، وكان رجل من أهل /413/ العلم والصلاح، يظن الأولياء هم أهل التقشف فقط، وكان يرى أن الأستاذ المذكور ما هو إلا ملك من الملوك، فرأى رؤية عجيبة وفي آخرها أنه رأى النبي ﷺ، في المنام، وهو يقول لأبي الحسن الشاذلي، رحمه الله: "إني لا أحب من أتباعك هذا الرجل إلا عمامة الزعراء، أوقال: الصَّمَّاء، أبدلك إلى الشيخ⁴ المذكور⁵"، [وقال: في هذه الرؤية للرجل الصالح المذكور الذي كان]⁶ ينكر على الشيخ...⁷ قلت: وعلى مثل هذه الطريقة الصالحة، والباعث

¹ بياض في الأصل وباقي النسخ.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 271.

³ ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 270، بنفس اللفظ.

⁴ لعله يقصد الشيخ خير الدين بن محمد بن قطب الزمان شاذلي عصره ووقته الشيخ شمس الدين الحنفي قدس الله روحه سنة 874هـ وأخذ عنه الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذكر. ينظر: ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 272.

⁵ ورد هذا النص في: ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 272، مع اختلاف في بعض العبارات، مثل: "أشار بذلك إلى الشيخ شمس الدين الحنفي" عوض "أشار بذلك إلى الشيخ المذكور".

⁶ سقط ما بين معقوفتين من الأصل والنسخة (ب)، والإكمال من النسختين (ج) و(د).

⁷ بياض في الأصل.

الشرعي، تحمل مخالطة شيخنا للملوك، فكم من مَسْرَّة أدخلها، وكُرْبَة فرَّجها، وشفاعة انتهرها بتردده إليهم، بل من المعلوم أن جماعة من الفقراء المتعلقين به، لم يجر عليهم شيء من المطالب السلطانية، ولا الكلف المخزنية، مستظلين بظله [داخليين¹] تحت كنفه وفضله، فجزاه الله تعالى خيرا، وكتب له بِنِيَّتِهِ الصالحة أجرا وذخرا. وأما ما أنكروا عليه من قبول الجوائز منهم، فاشتهاره بالعلم والعمل، وانتهاجه السبيل الأقوم، يوجب حمله في ذلك عن الهداية، وأنه ما فعله رماية في عماية، فلا يحمل مع القاصر عن رتبته على المساواة، إذ الأعمال قد تتحد أعيانها، وتختلف أحكامها باختلاف النيات. قال: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى)². الحديث. فلمنصب مالك في الدين لم يُعَبَّ عليه تركه الجُمَع والجماعات. ويرحم الله سراج الدين البلقيني³، حيث قال في جوابه لابن عرفة، لما انتقد على الشيخ الدكالي⁴، رحمهم الله تعالى:

[البسيط]

وَقَالَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ: إِذَا عُلِمَتْ عَدَالَةُ الْمَرْءِ فَلْيُتْرَكْ وَمَا عَمَلًا⁵

¹ سقط بين معقوفتين من الأصل والنسخة (ب)، والإكمال من النسختين (ج) و(د).

² الطبراني، المعجم الوسيط، ج: 40، ج1/17.

³ أبو حفص سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني البلقيني الشافعي، نسبة إلى بلقينه بمصر، ولد سنة 724هـ كان فقيها واسع العلم، من مصنفاة: "الأجوبة المرضية عن المسائل الملكية". "التدريب في الفقه الشافعي المسعى بـ"تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي"، وغيرها. توفي سنة 805هـ ترجمته في: سراج الدين البلقيني، التدريب في الفقه الشافعي "المسعى تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي"، ص: 44-52.

⁴ أبو عبد الله محمد بن عبد الصادق الدكالي الفرجي، قرأ على سيدي الحسن بن رحال، كان يدرس بمساجد القرويين مختصر خليل. وكان من المرجوع إليه بفاس في الفتيا بين الخصوم. توفي سنة 1175هـ. ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق، محمد حجي، ج6/2212.

⁵ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: أبو النجا السهري، تيسير الملك الجليل لجمع الشروح وحواشي خليل في الفقه المالكي، تحقيق عبد المحسن العتال، ج1/625.

إلى أن قال:

نَعَمْ وَقَدْ كَانَ فِي الْأَعْلَىٰ مَنْزِلَةً مَنْ جَانَبَ الْجَمْعَ وَالْجُمُعَاتِ مُعْتَرِلًا
كَمَالِكٍ غَيْرِ مُبْدٍ فِيهِ مَعْدِرَةٌ إِلَى الْمَمَاتِ وَلَمْ يُثَلِّمْ وَمَا عُدْلًا¹

أنظر رده على من أنكرتك ما علم وجوبه من الدين ضرورة، فكيف في الحكم المختلف فيه، لولا مروق هذا المتفقه من الدين، وولوعه بهتك [أعراض]²المسلمين. ففي شرح الإمام المواق، عند قول خليل: "فإن فات مضى المختلف فيه". ما نصه، قال عياض: "لا ينبغي للأمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يحمل الناس على اجتهاده ومذهبه، وإنما يغير منه ما اجتمع على إنكاره"، ورشح محي الدين النووي³، كلام عياض، ونصه: أما المختلف فيه، فلا إنكار فيه، وليس للمفتي أن يعترض على من خالفه، إذا لم يخالف النص أو الإجماع. قال القرافي: "وعز الدين بن عبد السلام: "من أتى شيئاً مختلفاً فيه، يعتقد تحريمه أنكروه عليه/414/ لانتهاكه الحرمة، وإن اعتقد تحليله، لم ينكر عليه إلا أن يكون مدرك التحليل ضعيفا، ينتقض الحكم بمثله لبطلانه في الشرع". انتهى.

ولندكر ما يرجح قبوله للجوائز للغير، المفتقد فيه، مما وجهه بعض أهل العلم، والصلاح، وذلك ما وقفت عليه لبعض الفقهاء الفاسيين، إن الولي الصالح، العالم الناصح، سيدي يوسف الفاسي، رحمه الله تعالى، كان يقبل ما يفتح عليه من الظلمة، وأهل الولايات، ويتصرف في ذلك على وجه علمي، وطريقة معروفة في الفقه، وأنه كان

¹ ورد هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبو النجا السنهوري، تيسير الملك الجليل لجمع الشروح وحواشي خليل في الفقه المالكي، ج1/625.

² سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

³ محي الدين يحي بن شرف النووي شيخ الشافعية، الإسلام القدوة الزاهد، ترجمته في: تنسيق وتحقيق محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج1/427.

يقول: "إن هذا المال جهلت أربابه، وتعذر رده إليهم، فإن رددته إليهم، يعني إلى الظلمة وأهل الولايات لم يردوه إلى أربابه قطعاً، بل استعانوا به على فجورهم وطغيانهم، وإقامة أهوائهم، وأنا قد مكنتني الله منه، وقدرت على استخلاصه من أيديهم، فتعين علي أخذه ليلاً أعينهم على صرفه فيما لا يجوز، وأدفعه للمساكين المحتاجين الذين هو مباح لهم، لأن من اتصل بشيء من خلال المصالح، تعين صرفه في ذلك، وإن كان اختلف فيه، هل يعرفه مصرف الفيء، أو مصرف الزكاة، وأيا ما كان، فقالوا: لا يجوز رده إليهم، بل يجب صرفه مصرفه، وإلا يكن مضيعاً له، كالواجد لقطة يتحقق ضياعها إن لم يلتقطها". ثم نقل المؤلف بعد هذا الشيخ زروق، "إن السلطان أعطى كسوة للشيخ ابن عباد ولبعض الصالحين، كان في وقته كسوة أخرى، فقبلها الشيخ، وردها الآخر، فقبل لبعض أهل البصائر في وقته:"من على الصواب؟، قال: الورع مندوب، وجبر قلب الملك واجب، بإجماع العلماء وغيرهم، وأنتم ترون من أولى بالصواب الأخذ بمندوب؟، أو القائم بواجب؟، ثم قال: رأيتم لو أن الملك دخل في ذلك الوقت مكروباً، فدبر أمر المسلمين، وخرج على غير الصواب في ذمة من يكون؟¹ انتهى.

قلت: ما ذهب إليه الشيخ الفاسي، هو مقتضى ما لابن عرفة، رحمه الله، من قوله: إن من اتصل بشيء من أموال مستغرق الذمة، لا يرده إليهم، فإن رده إليهم ضمنه للمساكين، أو كما هو لفظه نقله عنه المواق، وقوله: هل يصرف مصرف الفيء أو الزكاة الفيء، هو كل ما فتحه الأئمة، مما لم يُوجَفْ عليه بخيل ولا ركاب، والوجيف سرعة السير، أي: لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل، ولا حصلوه بقتال".

¹ ورد هذا النص في: أحمد زروق، مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على بعض ما يتعلق بالحكم (الشرح السادس عشر، تحقيق، محمد طيب، ص: 63، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "إجماع العقلاء" عوض "إجماع العلماء".

قال ابن جزي، في الأموال التي تؤخذ من الكفار: "منها ما يخمس، وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال، ومنها ما لا يخمس، بل يكون جميعه لمن أخذه، وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف، وما طرحه العدو خوف الغرق، ومنها ما يكون جميعه/415/ للإمام، ويأخذ منه حاجته، ويصرف (سائره)¹ في مصالح المسلمين، وهو الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب".

قال الشيخ بهرام² عند قول خليل: (فخراجها والخمس والجزية، لاله عليه الصلاة والسلام، ثم للمصالح)³. وكلامه هذا فيه نظر، مع قوله في المدونة: والفيء والخمس يجعلان في بيت المال، ويعطي الإمام أقرباء النبي ﷺ، ثم قال: وجزية الجماجم، وخراج الأرضين، والعنوة، والصلح، وعشر أهل الذمة، كذلك موكول إلى اجتهاد الإمام، إن شاء دفعه كله لهم [أو لغيرهم، أو دفع بعضه لهم أو بعضه لغيرهم⁴]، وظاهر كلامه هنا أنه يدفعه أولاً، لاله ﷺ، فإن لم يجد منهم أحداً، أو فضل عنهم شيء أرسده للمصالح، وليس له أن يجعل ذلك للمصالح إلا بعد فقدهم". انتهى.

وقال الشيخ سالم⁵، عند قوله: "ونقل للأحوج الأكثر وفيها الممالك يبدأ في الفيء بالفقراء، فما بقي كان بين الناس بالسوية، إلا أن يرى الإمام حبسه لنوائب المسلمين،

¹ في النسخة (د): "جميعه".

² أبو البقاء بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض بن عمر السلي، الدميري، المصري، المالكي. ولد سنة 734هـ، وأخذ عن الشيخ خليل وغيره وشرح مختصره. ترجمته في: بهرام الدميري، الدرر في شرح المختصر، ص: 97؛ والسخاوي، الضوء اللامع، ج3/19-20.

³ ورد هذا النص بنفس العبارة في: خليل ابن إسحاق المالكي، مختصر العلامة خليل، دار الفكر، الطبعة 1401هـ-1981م، ص 106.

⁴ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

⁵ لعله يشير إلى الشيخ أبو النجا السنهوري، المصري، المالكي، الإمام الكبير، المحدث، توفي سنة 1016هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 127.

ابن القاسم، وعربهم، ومولاهم سواء"، انتهى. وقول بعض أهل البصائر فيما تقدم:
"الورع مندوب، وجبر قلب الملك واجب، يعني بالورع هنا، التنزه عن أخذ أموال
السلطين، وحقيقته عندهم ترك ما يستراب منه، أن يكون غير حلال، ولاشك أن أموال
السلطين هي مظان الشبه لتنوع الداخل بأيديهم إلى حلال؛ كأخماس الغنائم، وجزية
الجماجم، وخراج الأرضين غير المملوكة، وأعشار الحريين، وغير ذلك وإلى حرام كالزائد
على المقدّر شرعا، مما يأخذونه من زكاة المسلمين، وسائر الوظائف المخزنية الظاهرة
التحريم كالأماكس وغيرها، لكن لا ينبغي إطلاق القول بأن ترك أموالهم من باب الورع
فقط، والله أعلم، بل لا بد في ذلك من تفصيل يختلف الحكم فيه باختلاف تمحض
الحلال أو الحرام، أو غلبة الحلال على الحرام أو العكس، إما أن تمحض الحلال بحيث
لا يأخذ السلطان الأموال إلا من الأوجه المتقدمة شرعا ونحوها، وكان عدلا في قسمها،
عالمًا بمصارفه، فهذا لا يكون تركه ورعا، لعدم صدق حقيقته عليه بل قد يكون أخذه
مستحبا بشرطه، لقوله ﷺ: (...)1... ولكن لا مطمع في هذا القسم، من لدن الصحابة،
رضوان الله عليهم، والخليفة عمر بن عبد العزيز، من بعدهم إلى ظهور المهدي الذي يملأ
الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا.

قال الإمام السنوسي، رحمه الله: "ولا مطمع فيه إلى زمان نزول عيسى ابن مريم،
عليه السلام"، وأما أن تمحض الحرام بحيث لا يدخل بأيديهم شيء إلا من المطالب
الظلمية الظاهرة التحريم فهنا/416/ يحرم الأخذ إلا إن علم الإنسان من نفسه قوة
دين، تحمله على رده لربه، إن علمه، وإن تعذر صرفه مصارفه [فيتعين أخذه]² على ما

¹ بياض في الأصل.

² سقط ما بين معقوفتين من الأصل والإكمال من باقي النسخ.

تقدم من التوجيه. وأما إن كان الحرام أقل، فيجوز الأخذ لقول سحنون: "وأما جوائز الخلفاء فجائزة لاشك فيها، إلى أن قال: ممن يرضى منهم، وممن لا يرضى، وما يظلم فيه قليل في كثير، وفي هذا القسم يكون الترك ورعاً، وانظر إن كان الحرام أكثر، هل الحكم كذلك لعدم التعيين، أو يحرم الأخذ لقوة الحرام؛ كمعاملة من جل ماله حرام، فإنه حرام على المشهور، وهذا ما لم يكن المأخوذ عين الحرام بنفسه، فيحرم التمسك به قولاً واحداً". ولابن رشد تقسيم حسن في حكم معاملة الناس بحسب اختلاف ما بأيديهم من الحلال والحرام، ينبغي للمتدين الاطلاع عليه ليعمل. انتهى ما وجد من هذا التأليف المبارك، بعضه بخط مؤلفه، وبعضه بغير خطه، نفعنا الله بمؤلفه. آمين.

وكتب على أول ورقة منه الشيخ الجليل العارف الموصل الأصيل، الولي الصالح، الكامل الناصح، سيدنا الصالح، ما نصه: "الحمد لله، ابتداءً التأليف المسطر على ظاهر أول ورقة منه، الإمام الهمام، التقي النقي، والدنا سيدي محمد المعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر الشرقي، برياط الفتح، أدامه الله للإسلام، انتهى بلفظه. وكتب أسفله شيخنا الإمام العارف الهمام، خديم الجناب المصطفوي، عليه أفضل الصلاة، وأزكى السلام ما نصه: "الحمد لله، الخط أعلاه لوالدي سيدي محمد صالح بن المعطى، برد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وكتب عبيد ربه المعطى بن الصالح، أصلح الله حاله، وأناله مما يرتجي من بركاتهما، سؤله وآماله، انتهى من خطه نفعنا الله بلفظه. وله رضي الله عنه وأرضاه، وجعل في أعالي الفرديس قراره ومثواه، هذا الكتاب الجليل القدر، والعظيم المكانة، والخطر في شراء المغصوب بنية الفداء، على ما شاع بين الناس وبدا، أتى فيه، بفوائد تنبئ عن غزارة علمه، وجودة فهمه. وجدته بخطه نفعنا الله به، ونصه: "الحمد لله وحده، صلى الله على مولانا محمد المصطفى الكريم، وآله، وسلم تسليماً، وعلى أخينا السيد أحمد البدوي، السلام ورحمة الله وبركاته في كل

محفل ومقام؛ وبعد: فقد بلغني منك الكتاب، فاعلم هداي الله، وإياك إلى الصواب، أن تحقيق الأشياء، وتصحيح العلم بها، هو الناهض في التقوى والانتفاع، ومجانبة الهوى والابتداع، وأما من استقل بنفسه، واعتمد على عقله وحده، فقد هلك وأهلك، وضل وأضل بما سلك، ولا ميز السقيم من الصحيح ولا أدرك، بل كما قال/417/ النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ إِنْزَاعًا يَنْزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)¹، انتهى، ولبعض أولي النهى:

[الطويل]

أَلَا إِنَّ دُونَ الْعِلْمِ بَحْرًا غَطْمَطًا	مِنَ الرَّعْمِ وَالْأَوْهَامِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ مُؤَيَّدٌ	بِتَوْفِيقِ هَادٍ ضَلَّ عَن قَصْدٍ وَارِدٍ
وَمَنْ لَمْ يَسُسْهُ عَارِفٌ مُتَأَدِّبٌ	بِآدَابِ الْخَلْقِ لَيْسَ بِرَاشِدٍ

فكيف اتسعت في اشتراء المغصوبات، وصرتم فيها قادة وسادة لأهل الجهالات، واتخذتم قولهم اشتراء المغصوب بنية الفداء من الغاصب جائز، حجة لأنفسكم ولغيركم ممن تبعكم، واقتدى بكم، وزعمتم دعوى النية في ذلك منجية لكم عند ربكم، أما علمتم أن النية الحسنة ليست لفظا باللسان، ولا استعمالا في الجنان، بل هي نفحة من الرحيم الرحمان. وقد قال الشيخ سيدي أبو العباس الحضرمي، رضي الله تعالى عنه: "النية نفحة من نفحات الله، يخص بها الله من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم".

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، في آخر الزمان، ح: 2673:

واعلم أن النية المعتبرة عندهم هي الباعث على فعل الشيء، والحامل عليه حتى أنه لولا مجرد ذلك الباعث ما نهض إليه، ولا حرص عليه، فلينظر الناصح لنفسه المشفق على دينه، والخائف من ربه، هل ما حمله على اشتراء المغصوب إلا إرادة التفريج عن أخيه المكروب، وما أودع الله في قلبه من الشفقة عليه من تلف ماله، والحرص عليه في الاتصال¹ بحقه، وجبر باله حتى إنه من شدة اهتمامه بأمر أخيه يدفع حلاله الذي لا شبهة فيه، ويأخذ عنه عوضاً عند رده عليه مختلفاً فيه لاختلافهم في المفدى هل يأخذه ربه بالفداء، ورجح وهو الأحسن عندهم، أو يأخذه مجاناً، ورجح أيضاً وهو القياس عندهم، وعند ذلك تلوح عليه شواهد الدعوى وإلا كانت ابتلاء له وبلوى، فعند الزيادة في بيعه، يتقاصر فيه شفقة على أخيه لا على نفسه، حتى أنه لو ساومها غيره، وادعى دعوته فيها، لفرح بذلك، وسلمها له، ولو زاد عليه فيها ولو درهما، وهو يعلم أخذه لها دونه كان بذلك ظالماً.

قال أبو محمد الشَّيبِيُّ²، في فتواه "بالأخذ بالفداء إلا أن يكون لربها القدرة على الخلاص مجاناً، فلا شيء للفادي" انتهى. فالذي يشتري له يتنزل منزلته، فلا تجوز مزاحمته في الزيادة، إلا أن يعلم عجزه فيها، أو عدم الثقة به، ثم عند تحصيله يبحث على صاحبه جهده ليأخذه، وتبرأ ذمته منه، ويود أن لا يمكث عنده ولو ساعة واحدة، فإن أكرهه أو استأجره، ولم يخش عليه ضياعاً، فمنافع/418/ كل ذلك لربه، فإن أتى أخذه، وما استغل منه، وإن يؤس منه صرف الزائد على ما دفعه من يده في الرقبة أو

¹ في النسخة (د): "الاتصاف".

² أبو عبد الله بن يوسف البلوي الشيبلي فقيه واعظ من علماء المالكية، كان مفتي القيروان، وهو شيخ أبي القاسم البرزلي، وابن ناجي، له شرح الرسالة ابن أبي زيد "في الصادقية". توفي بالقيروان. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 224-225؛ والزركلي، الأعلام، ج4/148.

النفقة، مصرف الزكاة، والفيء على الاختلاف في ذلك، فإن تساهل واستعمله لنفسه، فكل ما ينوبه في الكراء والإجارة مخلد في ذمته ضربة لازب، ولا يبريه منه إلا الواجب، من رده لربه، أو صرفه للخلائق على ما سبق من التفصيل السابق، أمّا إن لم يستعمله فعلى رأى ما عالم نبيل، تلزمه الغلة بالتعطيل، لكن المشهور في المختصر خلافه، والدين يعتبر كل ذلك مما يتوقع منه ويخافه، وما ذكرنا إنما هو حال من طلب الحق بالحق للحق، وتحقق في ذلك بحقيقة أهل الصفا والصدق. وأما الجاهل المغرور فيقول في نفسه: إني أشتري هذا المغصوب، بنية الرد على مالكة المغلوب. فإن عثر عليه وعرفه، فإن شاء أعطاني ما اشتريته به وأخذه، ويشهد على نفسه بذلك، وفي الحقيقة لولا استحسانه في نفسه، ومحبة الانتفاع به، وقضاء غرضه منه لما اشتراه، ولا دفع ولو أبخس سوم، فليس هذا من النية الصحيحة المعتبرة في شيء، نعم لما أشهد على ذلك، فعند قيام صاحب المتاع في متاعه ينفعه في رد ثمنه عليه على ما استحسنت من الخلاف المتقدم خليل، والأحسن في المفدي من لص أخذه بالفداء، وهذا لأن الشرع العزيز إنما يحكم بالظواهر، وإما ﴿يَوْمَ تُبْلَوُ السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾¹.

ففي الصحيح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ)²، انتهى الحديث الكريم.

¹ سورة الطارق، الآية: 10.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأفضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، ح: 1713، ج: 1337/3.

وانظر قول السوداني في المسألة: "الفاسق يشهد أنه أفداه لصاحبه، لسد الباب، فينتفع به، فإذا وجد من يشتري باع، وهو من حيل الفجار" انتهى. وإنما أتكلم مع من أنصف، وبالديانة تمسك واتصف، وأما من عاند فصدف، فالأمر فيه كما أفاد المكودي¹ وكشف:

[الكامل]

وَأَتْرَكَ أَخًا مِّنْ هَذِهِ سِيرَتُهُ وَاهْجُرُهُ فِي اللَّهِ وَدَعَاهُ وَالْعَمَى
وَلَا تَهَابَنَّ ذَوِي الْجَهْلِ وَإِنْ رَأَقَكَ مِنْهُمْ مُنْتَدَى وَمُنْتَمَى²

وقال مولانا عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنَّا وَلَمْ يَلْمِ إِلَّا أَلْحِيَالَةَ الْكُذِبِ
عَلِمًا مِّبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾³. وأما مسألة نفي التطبع بالطبيعة، فأخشى أن تكون منك غير
سميعه، لقوله (المرء على دين خليله)⁴، وقول الورثة من بعده: "من تحقق بحالة لا
يخلو حضوره منها، وسريان الطباع في التشبه والمضاهاة، واقتباس الأخلاق بعضها من
بعض، مما يخفى على أولي الألباب، فكيف بنا، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ
السَّحَابِ﴾⁵/419. وبحسب تأكيد المحبة الطينية، والمقابلة الضدية، يتماثل الدثار

¹ أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي، كان إماما في النحو واللغة والعروض، وسائر فنون الأدب، درس كتاب سيبويه بمدرسة العطارين بفاس، وبعده صار العمل على ألفية ابن مالك، ومن كتبه غير شرح الألفية "شرح الأجرومية"، وغيرها، توفي سنة 807 هـ ترجمته في، عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1/210.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1396 هـ-1972 م، ص: 379.

³ سورة النجم، الآية: 28-29.

⁴ أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الانزويط ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دارالرسالة العالمية، دمشق، طبعة خاصة 1430 هـ-2009 م- ج: 4833. ج7/204، (بصيغة الرجل على دين خليله).

⁵ سورة النحل، الآية

والشعار، ويكاد اشتعال بعضها من بعض، ﴿وَلَوْ لَمْ تُمْسَسْهُ نَارٌ﴾¹؛ ولذلك جعلوا الصحبة أصلاً كبيراً في الخير والغير، قال بعضهم: "عليك بصحبة من يدلّك على الله بحاله ومقاله، فإن لم تجد فبحاله، فإن لم تجد فبمقاله، فإن لم تجد فالوحدة خير من جليس السوء. فاحفظ هذه المسألة وحقّقها، ولا تكن في غفلة عنها، فإنها مهمة جداً، إن كرهت مماتك، وأردت حياتك ونجاتك."

[الطويل]

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ
وَدُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى النَّوَى يَظُنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ²

وليس حفظها حملها، إنما حفظها العمل بها، إن الله لا يعبأ بصاحب رواية ولا حكاية، وإنما يعبأ بصاحب فقه ودراية، نسأله تعالى طهارة السر والعلانية، وأسنى المقاصد، وحسن النية، فإنها كما قيل: "إكسير الأعمال ومزلة أقدام الرجال"، نسأله تعالى الحفظ في الأقوال والأعمال، والحظ من مقامات عَوَالٍ، وأحوال غَوَالٍ، فإنه تعالى لا يتعاضمه شيء، وهو الكبير المتعال، ونتوسل إليه تعالى في قضاء المآرب، وبلوغ الآمال بجاه سيدنا ومولانا محمد ﷺ، الرسول الحاتم، الفاتح الخاتم. والسلام. أخوكم محمد بن عبد الخالق، عفا الله تعالى عنه، انتهى من خطه نفعنا الله به، فتأمل رحمك الله هذه المباحث الحسان، وتحقيق النية التي تخلص الأعمال لمولانا الرحيم الرحمان، وتخليص ما ينفع المرء يوم قدومه على الملك الديان، [والتنقيير]³ على دسائس النفس

¹ سورة النور، الآية: 35.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، زهرة الأكم في الأمثال والحكم، ج1/175.

³ سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

وشهواتها، التي هي من أسباب الخزي والخذلان، هكذا يكون العلم النافع عند الله، والعمل الصالح الخالص الذي ينجي صاحبه يوم الورود على الله. اللهم بجاهه عندك، وبجاه جميع الأولياء والأحظياء والأتقياء، والملائكة والرسل والأنبياء، وفقنا لطاعتك بخالص النية وجميل الاعتقاد، واجعلنا من الأمنين عند الموت والقبر، ويوم الحشر والتناد، وسامحنا فيما ضيعنا من حقوقك، وأدِّ عَنَّا حقوق العباد، بفضلك وكرمك، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

[وقد] كتب أيضا نفعنا الله به لوالده، كتابا حفيلا¹، بلفظ بليغ جزيل، ينبئ عن فصاحته وأدبه وبلاغته، كتبه لوالده الأرضي النزيه الأجل المرتضى سيدي عبد الخالق، ونصه: "الحمد لله وحده. صلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه، سيدي ووالدي حفظ الله تعالى لنا وجودك/420، وأدام في السعادة ترقيك وصعودك، السلام عليك، ورحمة الله وبركاته، وبعد، فنحن على خير وعافية لله الحمد، وقد سمعنا بتوجهك إلى بلاد تادلا، جمع الله شملنا على بساط اللطف والعناية (...)² وتلاقينا محفوفًا بالحفظ والرعاية، وقد كتبت لنا بأنك أزمعت على الظعن عن أخيك، وتزوجت (...)³ أبيك. فأجلّ، فتالله، لقد تحتمّ ووجبّ، ولم يبق للثواء معه مأرب ولا مرغّب، بما نكبّ عن جنب الإيحاء والسغب، وإنما المرتحل هو ينالك، شهد لسان حاله وأعرب إذا ارتحلت عن أقوام، وقد قدروا ألا تفارقهم، فالراحلون هم، وكان اللائق بكل لودعي نبيه، وأمعي

¹ هكذا جاء في الأصل. بينما الصواب نحويا هو: "كتابا جزيلا"، لكنه حرصا منه على السجع قال: "كتب أيضا نفعنا الله به لوالده، كتابا حفيلا بلفظ بليغ جزيل".

² بياض في الأصل.

³ بياض في الأصل.

وجيه، إفراغ الوسع في جمع شمل أخيه، وأن يكون له (...)¹ من حذا، وأرفق من غدا، لأنه إنما انتظم أمر من انتظم، وعز شأنه والتأم، حتى لا يخشى لومة لأسع، ولا يدين لدانٍ ولا شاسع، باقتفاء القبيلة، وملاءمة الأهل والعشيرة، كما قيل:

[الطويل]

وَمَا جُمِعَتْ ذَاؤٌ وَلَا عَزٌّ أَهْلَهَا مَنِ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَا² وَالْقَنَايِلِ³

وكيف لا، وقد قال ﷺ: (يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ)⁴. ونص العلماء على أنه مهما كثر أولاد الرجل وأقاربه، كانوا له مثل الأعين والأيدي، فيتيسر له من الأمور المهمة، والمسائل المعضلة، ما لو انفرد وحده لطال شغله، وعظم تكلفه، لكن لما استحوذ ود الدنيا على القلوب فحجبت، وبزغت كواكب الرغبة على أناسها فعميت، أدركت الأمور على خلاف ما هي عليه، فالتذت بالمنافرة، مع أن محلها الموافقة والألفة.

[الوافر]

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الرَّزَالَا⁵

وها أنت حفظك الله وسددك، وأنار في الدارين سؤددك، وافيت عترتك فامتحنهم، وزنهم بلبك واستبنهم، فإن من ارتحلت عنه أسوأ ممن انتقلت إليه، ومع ذلك فقد اهتمتك الستر، وانعقدت بينكما البغضاء والوتر، وبلت منه العضعاض العضال، ولحقك

¹ بياض في الأصل.

² القنا: الرماح.

³ وردت هذه الأبيات في: الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج1/174، مع اختلاف يسير في لفظ واحد، "وما منعت" عوض "وما جمعت".

⁴ الطبراني، المعجم الأوسط، ح: 6405، ج277/6.

⁵ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص: 939.

منه ما لم يلحقك من عشيرة أو آل، فتأن في الانتقال، فيحسن التأنى تسهل المطالب،
وبالتفكر في صيور الخطب، تحمد العواقب، ومن قاس الأمور، علم المستور، كما قيل:

[السريع]

تَأَنَّ بِالشَّيْءِ إِذَا رُمْتَهُ لَتَعْرِفَ الرُّشْدَ مِنَ الغَيِّ¹

وقس على الشيء بأشكاله، فإن الشيء يعرف بالشيء، فاسبر القرائح، يكثر لك
الشائل والراجح، ويسفر التيق² منهم والكاشح، فإن رأيت عليهم، سيما الحجى، وطلاوة
نجوم الدجى، فما عليك في الأزدمال بشملهم، والانتظام في سمطهم، فإن التجلي في
بحبوحة الأهل حرز، والتجلي بإكليل (...)³ جمال وعز، كما قيل: /421/:

[الطويل]

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الهَيْجَا بغيرِ سِلَاحٍ⁴

¹ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيبولطفي الصقال، مطبوعت مجمع اللغة العربية، دمشق، 1410هـ-1989م. ص: 310. وهو أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي شاعر عصره وكتابه. ولد في خرسان، فمات غربيا في بلدة "أوزجند" ببخارى، له "ديوان شعر" صغير، فيه بعض شعره، ترجمته في: الزركلي، الأعلام، ج4/326.

² كلمة غير مقروءة.

³ بياض في الأصل.

⁴ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري، وخليل إبراهيم العطية، الطبعة الأولى، 1389هـ-1970م، مطبعة دار البصري، بغداد، ص: 10. واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. كان أحد سادات بني دارم وشعرائهم المجيدين، كما كان بينه وبين الفرزدق والأخطل وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص وعبد الرحمن بن سنان وشائج مودة وتبادل وهجاء. توفي سنة 89هـ. ترجمته في: مقدمة ديوان مسكين الدرامي؛ وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق، عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص: 232؛ وعبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، ج3/69.

وإن رأيت صغيرهم لا يوقر كبيرهم، وكبيرهم لا يرحم صغيرهم، وكل يريد الاستقلال بعقله، وغايته الإعجاب برأيه، فأين من حوائجهم، وأنا عن (...) ¹ هم وعارهم، فقد قيل:

[الرجز]

بُعْدُ يُورَثُ الصَّفَا _____
خَيْرٌ مِنْ قُرْبِ يُورَثُ الْجَفَا ²

لأن الأقارب صاروا عقارب، إلا اليسير، ذوو الحلم الغزير، وقليل ما هم، وها أنت قد جربت، وتجرعت في كأس عداوتهم ما تجرعت، وليس الخبر كالعيان، ولا عداوة الغير كمشاحنة الإخوان، فاخْبُرُ الباقيين، فإن لمحت منهم ما قدمناه من الأوصاف، واستشفت فيهم وَسَمَ الإنصاف، وعدم التلون والانحراف، فالانسياب في زمرة أولى، والازدلاف منهم أسنى وأعلى، وإلا فإن كان خيرهم أسرع من لا، وسجاياهم نشأت بين أف وكلا، ففي الحديث الكريم، على صاحبه أفضل الصلاة، وأزكى التسليم: إن البلاد، بلاد الله، وإن العباد عباد الله، فحيثما وجدت خيرا، فأقم واحمد الله، ونظرك أوسع، ورأيك في الأمور أنجح وأنفع، والله يحمي من التنافر جمعكم، ويحرس من المعاطب شملكم"، والسلام. وفي التاسع من المحرم، كتب أخوكم محمد بن عبد الخالق، لطف لله تعالى به، ووفقه، انتهى من خطه نفعنا الله به آمين.

وقد كتب له بعض الأجلة، البدور الأهلة، كتابا، ونصه: " الحبيب الأصفي، والخليل الأوفى، الفقيه النبيه، المحقق النزيه، الولي الصالح، الناسك الناصح، العلامة

¹ بياض في الأصل وباقي النسخ.

² ينظر: شهاب الدين الأشبهي، شرحه ووضع هوامشه، مفيد محمد قميحة، ص: 22، مع اختلاف يسير، مثل: "يوجب" عوض "يورث".

سيدي محمد بن عبد الخالق المعطى، سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، كيف أنتم سيدي؟ وكيف أحوالكم المرضية؟ وأخلاقكم السنّية السُنّية، جعلها الله تعالى جارية على وفق مرضاته، سامية على مدارج الكمال ومرقاته، وكيف وجدت نفسك مع المرض الصائل، والدَّنف الذي هو بفضل الله عرض زائل، جعله الله تعالى منماة للأجور، ومرقاة لمراتب المواهب يوم النشور، فالكامل من لا تخامر باطنه الأوصاب، والمتيقظ من لا تذهله المصائب، وهو يعلم أن المومن مصاب، وقد بلغنا انتقالك إلى حوز زاويتكم المعمورة، حقق الله رجاءكم في عاقبته التي هي الشفاء، وذهاب الألم وجعله انتقالا في مقامات الإحسان، إلى أعلى علم، بمنه، ونسلم على والدكم المرعي الجنب، المحفوف بالفضائل الوقور المهاب، الولي الصالح، البركة سيدي عبد الخالق، وعلى النَّجَبَةِ أولادكم المحفوظين بالله، أصلحهم الله، وأثمر أغصانهم، ومن جميع المكاره كالأهم وصانهم، بمنه. هذا، ومازلتُ منذ قدمتُ على الوالد/422/ رحمه الله، أقاسي شجون أمراضه الهائلة، وأساور نكبات آلامه القابلة، غير مكثرت بحال ولا مال، دائم الكآبة منكسف البال، إلى أن قضى الله تعالى عليه بالجِمام الذي كل الناس إليه صائرون، وشاء انتقاله من خراب دار الدنيا إلى عمارة المقابر، فقبض رحمة الله علينا وعليه، وسار إلى ربه ليلة السبت الرابع عشر من شهر ربيع الثاني، وقت العتمة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾¹، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده. أحسن الله عزاءنا، وإياكم وجميع المسلمين في مفارقتة، وأعظم أجورنا وأجوركم في المصيبة به بمنه وكرمه أمين، فنب عنا، ولكم الأجر، في تعزية والدكم، وجميع السادات من إخوانكم وأعمالكم، والتمس لنا منهم الدعاء

¹ سورة الزخرف، الآية : 14.

الصالح، أن يرزقنا الله الصبر عنه، وأن يجعلني ممن تعلق بمولاه، وأعرض عما سواه، إنه ولي ذلك بفضلته، وقد تذاكرت حالكم مع الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم، وما أنتم عليه من القلق والفرق، فقال: "لم أمنعه من المجيء مطلقاً، وإنما قال: أريد أن أقدم لزيارتك، فقلت له: لا تقدم لزيارتي، ثم أمسك عن الخوض، فأمسكت عنه، والسلام. محبكم، بل خويدمكم الطالب منكم، أن لا تنسوه من زكوات أدعيتكم، أنه الآن أحوج منه، آمين، وإلى الله ترفع الحوائج والخصائص، "محمد بن محمد بن سعيد المرغيثي، ثم السوسي، لطف الله به، آمين".

ونص كتاب آخر كتبه له أخوه الصالح الإمام، العارف الهمام، سيدي أحمد العطار، نفعنا الله به، بعد تقطيع في أوله، وعلّة الزلازل القافي، والحلال المصافي، الأخ في ذات الله تعالى، والحبیب من أجله، أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الخالق، أزكى سلام، وأتم تكريم، وأسبغ إنعام، من أخيه المعترف له بالسيادة، والتقدم في مراتب الفضل، عبد ربه امحمد بن إبراهيم العطار، كيف أنتم سيدي وكيف حالكم في مكابدة ذلك السقم؟ وما هو في الحقيقة إلا فائدة وغنم، عافاك الله وشفاك، وأراحك مما أهملك دينا ودنيا وكفالك. هذا ولما ورد علينا مكتوبك الذي رَقَّتْ منازعه فَرَّاقَ، أمتع بلطائف جزالة لفظه الأذان والأحداق، عزمت على أن نوجه إلى سيادتكم كتاباً أطيل فيه النفس، وأناجيك في ضمنه بكل ما خطر لي وهجس، فما لبثت أن جاء صاحبك يخبرني بوجوده لرفعة زاعما أنه لا يمكنه التخلف عنها، فلم يكن يسعني إذ ذاك لضيق الوقت، إلا إعلامكم بما لا غنى عن الإعلام به، فمن ذلك ومن محاسن الاتفاق، أني وجدت داراً في هذه الأيام القريبة بجوار دار المسجد التي بها/423/ الآن سكناي، وبقرب المسجد أيضاً، وهي مع ذلك بديعة في جنسها، ومن الدرر التي يشار هناك إليها، فوضعت اليد عليها، رجاء أن ينتج ما كنت وعدت به من التوجه إلى هذه الحضرة، ما رفعت اليد

عنها، إلى أن وقفت على البطاقة الصغيرة التي جعلتها حشو كتابك الوارد التي ضمنتها ما يؤذن بالرجوع عن ذلك، وانحلال العزم والفقْد، فله الأمر من قبل ومن بعد، ثم نعيد السلام على والدك وعلى جملة أولادك خصوصا سيدي الصالح، أصلح الله الجميع بمنه، والسلام عائد عليكم. انتهى من خط صاحب الكتاب الأول والثاني نفعنا الله بهما، آمين.

قلت: وهذا الولي العارف الناسك المكاشف، سيدي محمد المعطى، هو من أشياخ الولي الصالح، العالم الناسك الصالح، حافظ وقته، ومن شهد بكمال علمه، أبناء جنسه، صاحب المطالعة والإتقان، والنقل والتحرير، الذي تحار فيه الأعيان، من تقاصر عن علمه القاصي والداني، العلامة الدراكة سيدي الحسن بن رجال المعداني، نفعنا الله به وبعلومه، وأفاض علينا من أسراره وفهومه، حسبما وجدت ذلك، بكتاب بخطه، كتبه لولده العارف الناصح، الكامل الصالح، أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح. ونص الكتاب: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، نجل الأخيار، وسلالة الأبرار، والماجد الأجل، والمفلح المفضل، العابد الناسك، والصالح المشارك، السيد الصالح، بن سيدنا وشيخنا الولي الأكبر سيدي محمد المعطى، سلام على سيادتكم سيدي، ورحمة الله وبركاته، ونعمته تشملكم وتغمركم، وسيول فضله تغطيكم في الدارين بمنه سبحانه وامتنانه، وطوله وإحسانه، وبعد فإنني أحمد إليكم سيدي الله، الذي لا إله إلا هو على ما أولاكم من نعماه، وأسبل عليكم من سحب رضاه، جعل الله ظننا في ذلك كذلك إنه جواد، ودود كريم مجيد، وثانيا كيف أنتم سيدي من جهات لا يمكن حصرها في هذا القرطاس، من أمور الدين والناس؟ ونحن نسأل عنكم كل وارد جاء من ناحيتكم المباركة، ونفرح بما نسمعه عنكم مما يسر من الأمور التي امتن الله عليكم بها، زادكم الله من خيره ونواله، بكرمه وأفضاله، بحرمة

أوليائه، وأحبائه وأصفيائه، فالله سبحانه مفيض الرحمات على جميع المخلوقات، بلا احتيال ولا حركات، يزيدكم من إحسانه العميم، وامتنانه العظيم، ويجمعنا بكم عن قريب، إنه سميع مجيب، نحن نطلب من سيادتكم أن تدعوا لنا بالمتاب من الذنوب، والمغفرة لله تعالى، ورسوله الكريم، عليه من صلواته، عدد موجوداته، ولنا فيكم وداد/424/ قديم، وقصد عجب عجيب، وذلكم من أسلافكم لما أسلفوه لنا من تعليم ما قدره الله، فكيف وأنتم والحمد له على سننهم القويم، فالحمد لله، عدد جواهر الموجودات وأعراضها، وعدد حركات الحيوانات وأغراضها، وكيف بكم لا تكتبون لنا بكتاب، ولو بعتاب، كأنكم سمعتم عنا شيئاً، فإن سمعتم [عَنَّا شَيْئًا فَكَذِبٌ وَبُهْتَانٌ]¹، وحق خالق الإنس والجان، وعلى تقدير وجود البعيد، فأنتم نسل أب مجيد، لا تؤاخذون من قد سقط، ولكن حاشا الله، وأنتم الإخوان والأحبة والخلان، وحق خالق الجميع، ورازق الجميع، وإن شككتكم في شيء من هذا، فذلك أمر غير مظنون بطويتكم السنية، ونيتكم الطيبة، وسلم على إخوانكم الأقربين كثيراً كثيراً، ونب عنا لله تعالى في بعض تأدية حقوقهم الواجبة على العبد الكاتب، فإن الكاتب خديم الدار، ومن جملة العيال، وكيف وأنتم نسأل من قد علم، واصرف لنا شيئاً من الدنيا مما تيسر من ناحيتكم، ولا بد ولا بد لتتبرك كذلك. والسلام. خديم الدار الشرقية، المباركة السنية، الحسن بن رجال المعداني، لطف الله تعالى به، انتهى من خطه المبارك بحذف ما لا تعلق له بذلك.

ونص كتاب كتبه الشيخ الهمام، العارف الإمام سيدي محمد المعطى، لوالده، فأردت أن نثبته هنا لما اشتمل عليه من الفوائد: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً، حفظ الله تعالى

¹ سقط بين معقوفتين من النسخة (د).

السيادة الفاضلة، والأبوة الكاملة، البركة الأجل، والعالم الأفضل، سيدنا ووالدنا، السلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا وقد ورد علي زبورك، وفيه من التحذير والتنفير، ما كاد أن يصدني عما أردت أن أبين لك ليعلم في أي فريق صح، أن تعدني، إلا أنني أتحقق منك أنك لا تحب لي إلا أن أكون من أعالي الناس، لا من أسافلهم، وهل أمر معجون في الطينة، ومركوز في الطبيعة، ككل والد مع ولده، وإن كان كل بحسب نيته ومقصده، فنقول له: "إن الناس من حيث الجملة على فريقين: أهل دنيا، وأهل آخرة، فأعظم أهل الدنيا ذكرا، وأشهرهم صيتا وفخرا، الملوک من غير تردد فيهم، فمن سيرتهم اللائقة بهم، وسياستهم الخاصة بهم، الانقباض عن الناس والاحتجاب عنهم، لأن ذلك أبقى لهيبتهم، وأصون لأهبتهم، وأحذر من التجاسر عليهم، وأحفظ لرتبتهم وحرمتهم، ثم جرى على سننهم في ذلك الخلفاء والوزراء على اختلاف طبقاتهم، ثم تمذهب بمذاهبهم من أهل الأموال العريقة، والدثور البسيطة، فمن لهم عبید وخدم يجولون بينهم/425، وبين مادهم الداخلة والخارجة، ولهم مع ذلك مساكن واسعة، ومجالس يانعة، يجتمعون فيها مع أحباب وأصحاب، ويتداولون فيها، ما يوتر من الآثار، ويستظرف من الأخبار، لأن ذلك أزيد في لذتهم، وأنفى لوحشتهم، وأعون على وحدتهم، وقل أن توجد زمرة على تلك الحالة، كما قيل:

[الوافر]

وَلَمْ يَبْقَ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلَّا
مُجَالَسَةُ الرَّجَالِ ذَوِي الْعُقُولِ
وَقَدْ كُنَّا نَعُدُّهُمْ قَلِيلًا
فَصَارُوا الْيَوْمَ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ¹

¹ وردت هذه الأبيات في: حاتم الضامن وضياء الدين الحيدري، شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي، مطبوعات الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، مطبعة المعارف، بغداد، 1393هـ-1973م، ص: 20 مع اختلاف في بعض

وهذا الفريق لا قدرة لي على اللحوق به، ولا الاتصاف بوصفه، إذ الحالة كما تعلم قد بلغت سن الشيخوخة على قول، وظهر الشيب في رأسي تحقيقا، وصرت جدا قوة لا فعلا وتصديقا، والله تعالى، يقول: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً﴾¹، وإلى الآن ليس لي على وجهها حجر ولا شجر، لله تعالى الحمد وله الشكر، فحينئذ لا أجد بدا من الخروج إلى السوق لقضاء حوائجنا، واستيفاء أغراضنا، أنا أو أولادي، بل لَوُ دعتني الحاجة إلى استعمال نفسي، أو أجد منهم في شغل من الأشغال للتكسب مثلا، لما وسعني في الشرع العزيز إلا ذلك، بل لو تعذرت علي الأسباب من كل وجه، وأحوجني الحال إلى السؤال لسألت، لقوله ﷺ: (مَنْ جَاعَ فَلَمْ يَسْأَلْ، فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ)²، وليس لنا إلا نحط رقابنا بأبواب الاستسلام، والله يلفظ، فإن استنكفت من ذلك، تعرضت لعذاب الله تعالى الشديد، يا ترى إن حل بي من يقدر على أن ينقذني منه، نعوذ بالله من سوء القضاء.

الفريق الثاني: أهل آخرة، وأعلامهم وأسناهم، وأحلامهم وأبهاهم، الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وبحر جودهم، وإنسان عين وجودهم، سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ.

[البسيط]

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ

الألفاظ، مثل: "وما بقيت من الندوات إلا "عوض" ولم يبق من اللذات إلا"، و"قد كانوا إذا عدوا قليلا"، عوض "وقد كنا نعدهم قليلا".

¹ سورة العنكبوت، الآية: 58.

² ورد هذا الحديث في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م، ج 11/1.

ومعلوم عندنا من السنة أن أكابر أسلافنا، الذين بهم عزنا وشرفنا، لو بلغ أحدهم من أحوال عوال، ومقامات غوال، ما عسى أن يبلغ ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه، لخبر: (لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ، مِثْلُ أُحَدٍ)¹. الحديث بتمامه، وأين نحن من حالة والدنا الشيخ سيدي أبي القاسم، الذي أنهى الشيخ الشرقي، رضي الله تعالى عنهما، حسنة من حسناته قطعاً، وقد كان يتولى سياسة غنمه بيده، ويلبس ثوب الشعر على بدنه، فمن ادعى منا بنوته، فليسر سيرته، وليتفت فتوقه، وإلا فمن لا يرث أباه، فحكم الشريعة أباه. نعم.

[الطويل]

وَقَدْ يَرِثُ الْإِنْسَانَ أَنْثَى وَعَاصِبٌ وَخُنْثَى وَأَسْهُمُ الثَّلَاثَةِ تُخْبِرُ

فلما عاصبه المصرصر، فقد أشرق نوره ففكر، وأما الخنثى والأنثى فوجوده المشكل مشكل، وصدق الثاني علينا غير متعطل، ثم لا جرم أن البعد عن الناس أحوط إن أمكن، [فإن لم يمكن]²، فالوقوف مع الحدود معهم شرط إن تمكن، وهو الغاية القصوى، والداء العُضَال، الذي أعى الأطباء علاجه، وفسد على كل متغلب فيه خلطه ومزاجه. هذا حكم ما يتعلق بالمسألة في الظاهر، وأما في الباطن فأقول لنفسي: "يا نفسي تعلمي ولا تجهلي، إن الوجود الحسي فرع عن العدم الأصلي. فلا يمكن أن يوجد أحد، إلا بعد سبق العدم المحض عليه، إلا الله تعالى القديم الباقي، فكذلك لا يوجد أحد وجوداً خاصاً، إلا بعد تقدم عدم خاص عليه، وإلا فيبقى في حيز الوجود العام للحيوان المهيبي

¹ تمام الحديث: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفهم) ينظر: شروح ابن ماجة، حققها ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، الأردن، طبعة عام 2007م، حديث: 161، ص 124.

² سقط بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

وغيره، وأي مزية للعاقل حينئذ إن لم يتميز عن المهيمة من الوجود المشترك بينهما، بل هو أخس¹ منها، وأضل لحمله أعباء التكليف دونها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَاللَّذَلَّالِمْ بَلًّا هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾²، والذي نعنيه بالعدم الخاص، هو المعبر عنه بالفناء عند الخواص، وحرام على من لم يبلغه تصديقا وإيمانا بداية³، وذوقا ووجدانا غاية ونهاية، أن يوجد، أو يحن أو يسمع، أو يرى أو يعير، أو يهدي أو يهتدي، إلا أن يجتبي فيقرب، ويراد فيرغب، فيكون حينئذ من المجذوبين المحمولين بالحال، والمواجهين بالعناية في كل حال، وهو أن ذلك العدم الخاص، المعبر عنه بالفناء أن تكون نفسه، وسائر الخلق عنده في حيز الطرح/427/ ويرى الكل كالهباء في الهواء، فلا يبالي بهم في إقبال ولا إدبار، ولا منع أو عطاء، ولا ذم أو مدح، ولا نفع أو ضرر، إلا من حيث الواجب الشرعي، وإن كانت معه بقية أو قوة، وإن شردمته الحقيقة، فهو ساقط التكليف، وحكمه عندهم معروف.

[الطويل]

فَلَا تَلِمِ السُّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْرِهِ قَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا⁴

وهذا يكون من المؤمنين حقا، المسلمين صدقا. وهذا المعنى والله تعالى أعلم هو الذي أراد سيدي محمد الشرقي، فيما بلغني عنه أنه قال يوما لأولاده: "يا أولادي خوطبت فيكم البارحة، كما خوطب يعقوب في أولاده"، فلعله أراد قوله تعالى فيما أخبر به، عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ إِصْطَفَىٰ لَكُمْ الدَّيْرَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

¹ في النسخة (د): "أخص"

² سورة الفرقان، الآية: 44.

³ في النسخة (ج): "ذاته".

⁴ ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: ديوان أبي مدين شعيب الغوث، تحقيق عبد القادر سعود وسليمان القرشي،

الطبعة الأولى، 1432هـ-2011، ص: 38.

مُسْلِمُونَ¹، فإن قيل: "فأين خاطبه الحق تعالى بذلك؟ قلنا: معلوم أنه رسول لا يبلغ إلا بعد المخاطبة، بما أمر بتبليغه، والإسلام الذي أمرهم به، وأخذ العهد عليهم فيه، من معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾²، والخطاب للخليل عليه السلام. وبهذا الإسلام، كانت الوصية لبنيه وبني بنيه، لقول تعالى: ﴿وَأَوْصَىٰ بِنهَا إِِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾³ الآية. ولا معنى لأن يخاطب الخليل بالإسلام المشاع، الحاصل لكل واحد من الأتباع، بل والله تعالى أعلم، أنه أراد سبحانه منه إسلاما خاصا، وإذعانا تاما، يخرج من الاختيار، ويغنيه عن مشاهدة الأعيان، ولذلك وفي عليه الصلاة والسلام، بقوله: "أسلمت". فلما زج به في المنجنيق إلى النار، تلقاه جبريل في الهواء، بإذن من الملك العلي الأعلى، فقال له: ألك حاجة؟ قال: أما إليك؛ فلا، وأما إلى الله؛ فبلى. قال: فسله إذن، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، ففني عليه السلام عن نفسه، وعن أهل سرادقات قدسه، ولم يتعلق في موضع الخنق، إلا بالملك الحق، فعلى هذا يكون الشيخ رحمه الله تعالى، أمر أولاده أن يسلموا ليسلموا، ويبلغ الشاهد منهم الغائب، فيعملوا لتقر عينه، وتكون ذريته ذرية بعضها من بعض، ففي البخاري في "التفسير"، قال الحسن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَكَرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾⁴ في طاعة الله، وما شيء أقر لعين العبد من أن يرى حبيبه في طاعة الله، فإن قيل: يبعد أن يخاطبنا الشيخ بهذا،

¹ سورة البقرة، الآية: 131.

² سورة البقرة، الآية: 130.

³ سورة البقرة، الآية: 131.

⁴ سورة البقرة، الآية: 74.

فإنه مرتقى صعب، على رأس جبل وعر أجبنا [أقبلوا¹] انتهى. ما وجد من خطه، نفعنا لله به، ولعله سقط تاممه، فمن وجده فليضيفه لمحلّه، راجيا من الله التواب.

وقد وقفت على جواب للعالم الإمام الإمام القدوة/428 البركة الهمام، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التمكين والرسوخ، سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، نفعنا الله بهما، ومنحنا من سرهما، أجاب به الصالح العلامة العارف الدراكة الفهامة سيدي محمد المعطى، نفعنا الله به، ونصه: "الحمد لله صلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، الفقيه الجليل، الماجد النبيل، الفهامة الأمعي، الخاشع الزكي، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الخالق، سلام على سيادتكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد، فقد ورد علينا كتابكم في شأن المسألة النازلة، فلم أجد مندوحة عن إسعافكم في الجواب، وإن كنت في غاية الضعف عن القيام بالواجب في ذلك، معترفا بالتقصير والعجز عن تحرير تلك المسالك، وها أنا آتي بجهد المقل، فأقول: "الذي تحصل عندنا من مقتضى الأدلة الشرعية، من الأحاديث النبوية، ونصوص الأئمة، أن النطق ب"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"، مما يكفي في الدخول في الإسلام"، ففي حديث وفد عبد القيس في صحيح البخاري²، (هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ قَالُوا: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)". وفي صحيح مسلم، أنه، (قَالَ: "أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د)

² البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ح: 4368، ج 167/3؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله، وشرائع الدين والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه، ح: 17، ج 48/1.

حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ¹ لا يلقى بهما غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة". حديث عبادة، قال رسول الله: (مَنْ قَالَ: "أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَإِبْنُ أُمَّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)².

وحاصل الأمر أن من نظر في الأحاديث، وتتبع الروايات، فلم يرتب في أن هذا ونحوه كاف، وأظن أن الخلاف بينهم، إنما هو في غير العبارة التي فيها لا إله إلا الله بحروفها، ولا علينا في الزيادة مثل وحده أو أشهد ونحو ذلك، وكذا محمد رسول الله أو عبده ورسوله حتى يكون الضمير متعينا، وإنما كلامهم أوسع من ذلك، كما يظهر من كلام الحلبي³، والنووي، والأبي⁴ وغيره. ونص الإمام النووي، في شرحه على صحيح مسلم، وأما إذا أقر

¹ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم. ح: 25، ج 24/1؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا الجميع ما جاء به النبي، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، وولت سريرته إلى الله تعالى. وقاتل من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام. ح: 22، ج 53/1.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ح: 28، ج 57/1.

³ أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه الشافعي وهو معروف بالحليمي الجرجاني، كان مولده في سنة 338هـ في مدينة جرجان وتقع في الجنوب الشرقي لبحر قزوين (الخرز)، في بيت معروف بالعلم والفقه والأدب، وكان محدثا، متكلم أديبا، عالما ورعا. وكان من رؤساء المذهب الشافعي في عصره، ورئيس أهل الحديث في بخارى وإماما معظما بما وراء النهر. توفي سنة 403هـ في مدينة بخارى. ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية، ج 4/333-343.

⁴ أبو عبد الله محمد بن خليفة بن عمر التونسي، المشهور بالأبي، محدث، حافظ، فقيه، مفسر، ناظم. من تصانيفه: "كمال الإكمال في شرح مسلم"، شرح المدونة في فروع الفقه المالكي، وتفسير القرآن. توفي سنة 827هـ ترجمته في: محمد الشوكاني، البدر الطالع، ج 2/169؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 9/287.

بالشهادتين بالعجمية، وهو يحسن العربية، فهل يحصل بذلك مسلما؟ فيه وجهان لأصحابنا، الصحيح منهما أنه يكون مسلما لوجود الإقرار، وهذا الوجه، هو الحق ولا يظهر إلا خروجه، وقد بيّنتُ ذلك مستقصى في شرح المذهب، انتهى.

وفي "حاشية" شيخ شيوخنا أبي زيد عبد الرحمان¹، على شرح "الصغرى" ما نصه: قال الأبي: "لا يشترط لفظ التشهدين، ولا النفي والإثبات/429، بل لو قال: الله واحد، ومحمد رسوله كان مسلما"، انتهى.

وقال البكي²: "اختلفوا هل يتعين هذه الكلمة للدخول في الإسلام أو يكفي كل ما يدل على الإسلام من قول أو فعل، ومبنى الخلاف على أن المقاصد معتبرة، بما يدل عليها كيف كان لفظيا أو غيره، بأي لغة أو لابد من اللفظ المشروع، والأصل في ذلك: "أُمرتُ أن أقاتل الناس". الحديث، وحديث خالد، حيث قتل من قال: "صبأنا"، انتهى ما نقله في الحاشية المذكورة. وفي كتاب "الزواجر" لابن حجر الهيثمي، ما نصه: ويشترط ترتيب الشهادتين، لا الموالاة بينهما، ولا النطق بها بالعربية، لكن بشرط فهم ما تلفظ به، انتهى. فأنت تراه مع كونه ذهب إلى القول باشتراط الترتيب، الذي هو مبني على التعبد، لم

¹ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي أخو يوسف الفاسي. ولد بالقصر الكبير سنة 972هـ .. كان إماما عالما، متبحرا، محققا في جميع العلوم، عارفا بالنحو واللغة، والفقه والأصول، والكلام والمنطق والبيان...، ولزم أخاه الشيخ أبا المحاسن، فأخذ عنه كثيرا من التفسير، والحديث، والتصوف وغير ذلك. ومن تصانيفه: حاشية على "الحزب الكبير" وحاشيتان على "شرح الصغرى". توفي سنة 1036هـ ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 207-209؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 164-166؛ ومحمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 88-89؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج1/266-269.

² أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم البكي (شهرة) الكومي نسبا، العلامة الصوفي المحقق. تولى قضاء الجماعة بحاضرة تونس. له شرح على عقيدة ابن الحاجب، سماه "تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب"، توفي سنة 916هـ ترجمته في: أبو عبد الله محمد البكي الكومي، مقدمة تحرير المطالب تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ص: 13-21.

يشترط الموالاتة والاتصال، وغاية ما بحث الشيخ السنوسي، مع النووي، إنه حاول على أن يكون لذلك القول الذي زيفه النووي وجه ما، ولا يلزم من كونه له وجه مساواته للقول الآخر، فضلا عن أن يكون أرجح منه، فإنه لم يتعرض لترجيحه، على أن ما أبداه من التوجيه بالتعبد معارض بما أشار إليه آخر كلامه، حيث قال: "وقد يستدل للحليمي، باختلاف الروايات إلى آخره، وأما قوله: بعد، والجواب أن سائر الروايات لكونها مجملة ترد إلى الأولى، لأنها مفسرة أو مقيدة، فقد ينظر فيه بمنع الإجمال؛ إذ المجل ما لم تتضح دلالته، ودلالة ما ذكر واضحة، والعموم والإطلاق لا يوجبان الإجمال، ويمنع التقييد، لما ورد من نحو حديث الشريف بن سويد الثقفي: (إِنَّ أُمَّهُ أَوْصَتْهُ أَنْ يَعْتِقَ عَنْهَا رَقَبَةً، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: "إِنَّ أُمَّي أَوْصَتْني أَنْ أَعْتِقَ عَنْهَا رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، وَعِنْدِي جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ نَوْبِيَّةٌ، أَفَأَعْتِقُهَا؟ قَالَ: أَدْعُ بِهَا، فَدَعَوْتُهَا فَجَاءَتْ، فَقَالَ: قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ رَبُّكَ؟ فَقَالَتْ: اللَّهُ، قَالَ: فَمَنْ أَنَا، قَالَتْ: رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: إَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)¹. رواه أبو داود والنسائي.

وأما ما ذكره عن ابن مرزوق²، من اعتراضه، فغاياته البحث في مرادفة ما ذكره من العبارات، ولا يلزم من نفي المرادفة عدم الاكتفاء بها، وحصول المقصود بالذات منها، والإيهام الذي ألزمه في بعضها قد تدفعه القرائن، ويختلف باختلاف المقامات والأحوال،

¹ أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م، كتاب الأيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة، ح: 3283، ج: 438/2.

² أبو محمد بن أحمد بن بكر بن محمد بن مرزوق بين عبد الله المجيسي التلمساني المالكي المعروف بابن مرزوق، ولد سنة 766هـ، وقرأ على البلقيني وابن الملقن والعراقي وغيرهم. وله تصانيف منها: "المتجر الربيع والمسعى الرجيح" و"المرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح" و"إظهار المودة في شرح البردة"، وغيرها. توفي سنة 842هـ. ترجمته في: السخاوي، الضوء اللامع، ج: 50/7-51؛ ومحمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج: 119/2-120.

وكون العدول، عما اشتهرتهم وريبة قد لا يطرد، وتنتفي التهمة والريبة في صورة مثلا، إذ ذلك كله عارض، وكلامنا إنما هو عند الخلو عن هذه العوارض، وما حكاه من القول بأن إيمان فرعون إنما لم يقبل، لأنه لم ينطق بلفظ الله، يبعد الاستدلال به من جهة، إنه لا يتم إلا بعد ثبوت إن الأمم السالفة من العجم وغيرهم/430/ يتعبدون بالنطق بهذه العبارة العربية، وهي: لا إله إلا الله، والذي يظهر خلافه، وإنما كانوا يعبرون بلغتهم على الأصل، الذي اقتضاه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾¹، وكلام الشيخ السنوسي هذا ذكره في مكمله أولا في حديث جبريل، ثم اعترض أيضا على الأبي، بعد ذلك في باب الدليل، على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، فقال "بأثر الكلام الذي تقدم، نقله عن الأبي، قلت: فيه نظر؛ لأن المحل محل تعبد"، إلى آخر كلامه، ويرد على ما ذكره من التعبد ما أشرنا إليه، وأخذناه من كلامه قبل". وأما بحث التتائي² مع الأبي، أيضا فيما استدل به من حديث بني خزيمة³ وقولهم: "صبأنا"، فإنه إنما اكتفى منهم بذلك، لأنهم كانوا لا يعرفون الشهادتين"، إلى آخره، ففيه شبه مصادرة وأيضا لم يعلمهم إذ النطق بها، أسهل شيء لاسيما على العربي، ولم لم يبين النبي عليه السلام ذلك، وظاهر الحديث أنهم لو قالوا: "أسلمنا لقبها منهم، لأن الذي فيه ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، ولم يقل: ولم لم يحسنوا أن يقولوا: لا إله إلا الله، ونقل الأبي، وكذا السنوسي، عن القرطبي، في باب من "مثل بعد أن قال: لا إله إلا الله، في حديث المقداد

¹ سورة إبراهيم، الآية : 4

² أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي، قاضي قضاة مصر. ومن شيوخه البرهان اللقاني والسنتهوري والشيخ داوود وأحمد بن يونس القسطنطيني وغيرهم. وله شرحان على المختصر سماهما فتح الجليل، ومختصره، جواهر الدرر، توفي سنة 942هـ . ترجمته في: ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/397هـ، وأحمد بابا التبكي، نيل الابتهاج، ص:588؛ وأحمد بابا التبكي، كفاية المحتاج، ج2/223-224.

³ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب بعث النبي، خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ح: 4335، ج3/160.

على قوله، فقال: أسلمت، قال القرطبي: يحتمل أنه من تعبير المقداد، فيحتج به للدخول في الإسلام، بكل ما يدل على الدخول فيه من قول أو فعل، مما يتنزل منزلة النطق بالشهادتين، وقد حكم النبي ﷺ، بإسلام بني خزيمة، الذين قتلهم خالد، وهم يقولون: صبأنا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، ثم قال الأبي، قلت: وكان الشيخ يقول: كلمة أسلمت، توجب الكف عن القتل، ثم ليستفهم بعد ذلك، وهو خلاف ما دل عليه الحديث"، انتهى.

وقال ابن مرزوق، في نكاح المدونة وغيرها، "ما يدل على أن نحو الصلاة يدخل به في الإسلام، كأحد الوجهين عند الشافعية، لقوله: لا توطأ الأمة المجوسية حتى تجيب إلى الإسلام بأمر يعرف كصلاتها ونحوه"، انتهى.

قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمان: "وتأمله مع قول خليل، لا الإسلام، ولعل ما في المدونة من صحة الاغتسال، وجواره الوطاء مبني على مراعاة الخلاف"، انتهى.

وأما مسألة الاكتفاء بخبر الواحد في النطق بالشهادتين، فإن كان في حق من كان كافرا بالأصالة، أو ثبتت رده بموجب الثبوت، واحتيج إلى إثبات إسلامه، ليبني عليه ما يترتب عليه من الحقوق المالية وغيرها كالميراث والنكاح، وغير ذلك، فهذا مما يترافع فيه إلى الحكام، فتطلب فيه الشهادة لا مجرد الخبر، وإن كان ذلك في حق من ليس كافرا بالأصالة، ولا تثبت رده بشهادة مفصلة بأمر لاشك فيه ولا احتمال، فيكفي في ذلك خبر الواحد، بل إخبار عن نفسه، بأنه/431/ لم يزل مسلماً كاف، إذا لم يتحقق له كفر صريح، وهو ممن نشأ في الإسلام، والله تعالى أعلم.

ولصاحبنا الفاضل العلامة سيدي عبد الله العياشي، كلام مناسب لمسألتنا في تأليف له في الرد على بعض المعاصرين، ممن ذهب إلى أن الأصل اليوم في العوام الكفر

لغلبة الفساد، وعدم التفرقة بين الرسول والمرسل، وإنهم لا يعاملون معاملة أهل الإسلام إلا بعد البحث عن عقائدهم ببسط الكلام جدا، وأطال في قريب من خمس عشرة كراسة، وأذكر منه بعض ما يليق بالمحل باختصار كثير من عبارته، قال: "وأكثر ما أخشى على بعض العوام الجهل، بمحمد ﷺ، إلا أنني أرجو أن التصديق به، واعتقاد الدخول في أمته، والانقياد له مع خلو الذهن من مناقض لذلك، ربما يخلص من ورطة الكفر، فالأولى أن يعلم وهو مرخي عليه ستر الإسلام، ولا يبحث عما كان عليه في الماضي، لأنه إذا كان مؤمنا فلا كلام، وإن كان كافرا فالإسلام يجب ما قبله فيما بينه وبين الله، وأحكام الإسلام تجري عليه بما ظهر من الإسلام، مادام لم ينطق بما يكفر، ففي الخطاب، وأما الشاك من غير أن يتلفظ بشكك، فهو وإن كان كافرا، لا يُشَكَّ فيه، لكنه لا يوجب الحكم بكفر ظاهرا، إلا بعد التلفظ بما يقتضيه، "انتهى.

قال بعض: "فإجراء أحكام الدنيا على كل ناطق بكلمة التوحيد أمر مجمع عليه، لأن النطق مظنة الإيمان، ولهذا، قال: (هَلَّا شَقَّقْتَ عَلَيَّ قَلْبِهِ)¹، وقال: (نَحْنُ نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ)² انتهى". وقال أيضا: "المطلب الرابع في أن الأحكام الدنيوية، إنما يشترط فيها الإسلام الظاهر، ولنا في إثبات هذا المطلب مسالك، ثم ذكر في المسلك الثاني أن النبي ﷺ، قد علم بفساد عقود المنافقين، بما أعلمه الله، ومع ذلك ما قطع ميراثهم، ولا فسخ أنكحتهم ولا منعهم من الدفن مع المسلمين، لحرمة ما تلبسوه به من ظاهر الإسلام، وقد نهاه الله عن الصلاة عليهم، ولم ينهه عن دفنهم مع المسلمين، ولا عن توريثهم ومناكحتهم، ثم قال: المسلك الثالث في نقل بعض النصوص الدالة على أن الأحكام الدنيوية منوطة

¹ نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب: فيمن شهد أن لا إله إلا الله، ح: رقم: 61، ج 222/1.
² زين الدين العراقي، تخریج أحاديث مختصر المنهاج في أصول الفقه، تحقيق صبيح البدر السامرائي، دار السنة المحمدية للطباعة، مصر، ح: 78، ص: 30.

بالظاهر، فمن ذلك قوله عليه السلام: (مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ)¹. وقال عليه الصلاة والسلام: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)² الحديث، فإذا عصموا من النبي ﷺ إلا بحقها، فكيف يجوز لغيره، انتهاكها بالظن؛ والظن ليس من الحق، إذا كان في مقابلة اليقين والعصمة، تثبت بالقول بيقين؛ وظنُّ الفساد لا يرفع هذا/432/ اليقين، ثم نقل كلام الغزالي في "قواعد العقائد"، ونصه: الدرجة السادسة: أن يقول بلسانه: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولكن لم يصدق بقلبه، فلاشك أن هذا في حكم الآخرة من الكفار، وأنه مخلد في النار، ولا يشك في أنه في حكم الدنيا، الذي يتعلق بالأئمة والولادة من المسلمين، لأن قلبه لا يطع عليه، وعلينا أن نظن أنه ما قاله بلسانه، إلا هو منطو عليه في قلبه، وإنما نشك في أمر ثالث، وهو الحكم الديني، فيما بينه وبين الله تعالى، وذلك بأن يموت له في هذه الحال، قريب مسلم، ثم يصدق بعد ذلك بقلبه، ثم يستفتي، ويقول: "كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت، والميراث الآن في يدي، فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى، أو ينكح مسلمة، ثم صدق هل تلزمه إعادة النكاح؟ هذا في محل النظر، فيحتمل أن يقال: أحكام الدنيا منوطه بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً، ويحتمل أن يقال: يناط بالظاهر في حق غيره، لأن باطنه غير ظاهر لغيره، وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى، وإلا ظهر، والعلم عند الله تعالى، أنه لا يحل له ذلك الميراث، ويلزمه إعادة النكاح، ولذلك كان حذيفة، لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين، وعمر رضي

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، يستقبل بأطراف رجليه، قال أبو حميد: عن النبي، ح: 391، ج/1-145-146.

² البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، يستقبل بأطراف رجليه. قال أبو حميد: عن النبي، ح: 392، ج/1-146.

الله عنه، كان يراعي ذلك، فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة، والصلاة فعل ظاهر في الدنيا، وإن كان من العبادات، والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله تعالى، كالصلاة، وليس هذا مناقضا لقولنا: إن الإرث حكم الإسلام، وهذا استسلام، بل الاستسلام التام، مما يشمل الظاهر والباطن، "انتهى المراد من كلام حجة الإسلام الغزالي. ثم ذكر بعد نقله هذا أنه يؤخذ من كلامه أن أحد الاحتمالين، أن الأحكام تمضي في حقه، وفي حق غيره الذي لا علم له، ولا تمضي في حق نفسه، لعلمه بما احتوى عليه باطنه من عدم التصديق، فقد اتفق الاحتمالان على إمضاء الأحكام في حق غيره، والعلة عدم العلم، واختلف الاحتمالان في حق نفسه، وعلمه بذلك، هو علة عدم الإمضاء في حق نفسه، فالجاهل الذي نطق، وصدق بقلبه فيما يعتقد، فإنه لا يعلم من نفسه تكديبا أصلا، ثم بعد أن بين له أهل العلم ما يجب اعتقاده وما لا يجوز تبين له أنه كان منطويا على اعتقاد فاسد، لا شعور له بفساده، ولا بأنه يلزم من التكذيب، فقد تقدم عن صاحب "المواقف"، أن من يلزمه الكفر، ولا يعلم به ليس بكافر، ثم نقل عن ابن حجر الهيتمي، ما نصه، قيل: "لو أجريت عليه بنطقه بلسانه أحكام الشرع، وهو كافر باطنا، كنيكاح مسلمة، وأخذ ميراث مسلم، ثم زال كفره القلبي احتمال/433 حل الوطاء، والأخذ للمال لقيام المتلفظ به، المقتص لإجراء الأحكام عليه، وإلا ظهر عدم حل الوطاء، إلا بعد تجديد النكاح، وعدم حل الأخذ من التركة، لا تألم نواخذة أولا، بما في باطنه لعدم ظهور لغيره، وما بالنسبة له فهو ظاهر ونظيره الحكم بشاهدي زرو في النكاح، فإنه لا يحل فيمن علم بالزور العمل بمقتضى ذلك الحكم على الصحيح عند أكثر العلماء، انتهى. وقد بالغ صاحبنا المذكور في تأليفه في الإنكار على من يسأل العوام بالأسئلة المستبشعة، والعبارات المستفضة كقولهم: "الله خالق أو مخلوق، أو مكسوُّ أولا، وهل محمد، ابنه أو ابن عمه؟ إلى غير ذلك من العبارات والأسئلة التي لا تصدر عن

معظم للشريعة، محترم لاسم الله، واسم رسوله. وقال بعد كلام: ولا يشك عالم أن هذا السؤال مما يسخط الله تعالى، قال: ومن المعلوم ضرورة أن شخصا لو قال: بمرأى ومسمع من ملك جبار، لأحد عبيد الملك، ما تقول في الملك: هل هو أْبْرَصُ؟ أو مجذوم أو أحمق معتوه يبول على ساقه؟ لم يشك عاقل أنه يسطو به، ويسخط عليه. ويدل على ما ذكرناه خبر اليهودي الذي سأله، وقال له: صف لنا ربك، هل هو من ذهب أو من كذا، فنزلت صاعقة من السماء، فأحرقته، قال: ومن المعلوم عند البيانين أن "هل" إنما يسأل بها عن التصديق، ولاشك أنه لا يسأل إلا عند أمر يجوز وقوعه عند السائل، ولو لم يجز لم يسأل عما علم أنه غير واقع، وأنه ممتنع الوقوع، فإذا كان لا يجوز فما باله ينطق بألفاظ الكفر عبثا، وإن كان يجوز، فهو كفر، وأخف من ذلك لو ردد بين أمرين، أحدهما مستحيل، والآخر ليس بمستحيل، كما لو قال: هل هو من ذهب؟ أو هو منزه عن الجسمية، فإن غالب العوام، إذا سمع هذا تنبه لأنه منزه، وأما من حيث يطوي السائل القسم الصحيح قصدا للإخفاء والتعمية، فلا يبقى فكر العامي إلا في الطرفين المسؤول عنهما، يجيب فيتحير فكلما أجاب بواحد منهما كفر، وما أوقعه في الكفر، إلا الذي طلب منه النطق،" انتهى، باختصار كثير، ولم أنقل كلام الشيخ السنوسي، الذي وقع الكلام معه أولا، اكتفاء بإطلاعكم عليه، لأنني كتبت عن عجل، ومزاحمة شواغل، والله تعالى أعلم بالصواب، وكتب عبيد الله سبحانه، محمد بن عبد القادر، غفر الله له، طالبا دعاءكم الصالح، ويسلم عليكم سيدنا الوالد حفظه الله"، انتهى.

الفصل الثالث من الخاتمة: في ذكر نسبه المعظم

وعموده الجليل المفخم، وما لهم في ذلك من التوارث والجاه، بمحض الفضل والكرم من الله، وذكر بعض كرامات/434/ الشيخ الكامل الموصل الواصل، سيدي محمد الشرقي، للتبرك بسيادته الجليلة، العلية الحفيلة. فأقول: "هو الولي الصالح، العارف الناصح، سيدنا ومولانا أبو عبد الله محمد المدعو بالصالح، ابن العارف الإمام، العلامة الهمام، فريد عصره، ویتيمة دهره، إمام الزهاد، وقدوة العارفين والعباد، صاحب الفراسة التي لا تخطئ، سيدنا ومولانا محمد المعطى، بن المرابط الأصيل، والمجد الأثيل، سيدي عبد الخالق، بن القدوة البركة، العالم الهمام، المقتدى به في السكون والحركة، نخبة الزمان، وبقية الإخوان، صاحب المفاخر، سيدي عبد القادر، بن العارف الكبير، والغوث الشهير، صاحب الأسرار، والمواهب العظام، والعارف والمعارف والخوارق الجسم، البحر الزاخر، وسر الله الذي ليس له أول ولا آخر، ومعدن النفائس والذخائر، صاحب الأحوال الربانية، والعناية السلطانية، الذي لم يزل بمدده الرباني، يمد ويسقي، سيدي ومولاي سيدي محمد الشرقي، بن العارف الكبير، الولي الشهير سيدي أبي القاسم، وما زاد على ذلك، فقد وجدت بخط سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا الصالح، ما نصه: "أما نسبه المتصل بسيدنا عمر بن الخطاب، فهو أبو عبد الله سيدي محمد، الملقب بالشرقي بن أبي القاسم بن محمد الزعري بن عمر بن حَمُّ بن مهدي بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن سمير بن يعقوب بن فاضل بن عمر بن موسى بن أحمد بن محمد بن مرداس بن هلال بن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال بعد هذا ما نصه: "هكذا وجدته بخط ولد الشيخ المذكور، وهو عمنا محمد التونسي، قائلا: كتبت هذه السلسلة المباركة، أواخر شعبان عام خمسة وتسعين وتسعمائة، ومثل هذا في إجازة الأستاذ البركة المنور المبجل

ابن عمنا سيدي محمد المفضل، وعلما من خطوط قضاة أئمة فاس عدة، شاهدناها عند أولاده، وكذا وقفت عليه في إجازة بخط العالم، التقي الورع أبي عبد الله سيدي محمد المكناسي¹ بن الشيخ سيدي ومولاي أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، في صحيح الإمام أبي عبد الله سيدي محمد إسماعيل البخاري وهي والمجيز من ذرية الولي العارف أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي جمرة، نفعنا الله به، وهي مشتملة على عدة أوراق، تضمنت الأسانيد، وعمم له في الإجازة في كل ما يصح له، وعنه روايته في أثنائها حين ذكر المجيز اسم المجاز المتقدم، ونسبه ما نصه العمري الفاروقي.

وحدثت عن هذا المجاز المذكور، أنه أدرك العلم الظاهر والباطن/435، وهو ابن بضع وثلاثين سنة، وأنه كان كثير التأدب مع والده، بحيث استوجب بذلك رضاه، وكان يثني عليه والده بالدين والتقوى، ويعد مصيبة موته في حياته من عظيم البلوى، انتهى من خطه. ووجدت بخط سيدنا الإمام، الزاهد العارف الهمام، سيدنا الصالح في موضع آخر من كناشه أيضا ما نصه، وجدت بخط بعض أولاده، وهو عمنا السيد عبد السلام ما نصه، توفي البركة الإمام، العالم العلامة الهمام، القطب الجامع الضياء اللامع، فريد دهره، ووحيد عصره، أبو عبد الله سيدي محمد الشرقي لقباً، العمري نسباً، التباعي مدداً، ليلة الأحد، ودخل قبره يوم الأحد بين صلاة الظهر، وصلاة العصر، آخريوم من النحر، ودخل قبره آخر أول يوم من المحرم فاتح عشرة وألف سنة، عرفنا الله خير، وفي آخره وكتب عبد السلام بن محمد الشرقي، انتهى لا بلفظه من خطه، نفعنا الله به،

¹ أبو عبد الله محمد المكناسي بن محمد الشرقي من أشيخ الزاوية، كان عالماً عاملاً، واصلاً فاضلاً. أخذ صحيح البخاري في طبعته للمشرق عن بعض أعيان علماء مصر من ذرية الولي العارف بالله أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي حمزة، وكتب له الإجازة في جميع ما يصح له. اهتم بتدريس القرآن قراءة وحفظاً وشرحاً ينظر: أبو حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 360؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/213.

فأنت ترى تصريحه بالنسبة العمرية أيضا، كما سبق عند غيره، والكل من أهل الثقة والأمانة والديانة والصدق والعدالة، رحم الله السلف، وبارك في الخلف.

ووجدت في موضع آخر بخط سيدنا الناسك العابد الناصح العارف الكامل، سيدنا ومولانا الصالح، أيضا ما نصه، ووجد بخط ولد أخ الشيخ المذكور، وهو الفقيه النبيه سيدي عبد الحميد، هذا المجلد المبارك المحتوي على شرح الإمام الزركشي، لإيضاح ما وقع في صحيح الإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، نفعنا الله بهم، وهو ملك لوالدنا الجليل البركة الضابط للعلوم العقلية والنقلية حسن العبارة، ولطيف الإشارة، عبد الله محمد بن سعيد العمري، نفع الله به، وبعلمه، آمين.

وكتب ولده الطالب عن الله رضاه، عبد الله تعالى عبد الحميد، وفقه الله بمنه، انتهى من خطه بلفظه نفعنا الله به، ووجدت بخط سيدنا ومولانا الصالح، أيضا ناقلا عن بعض التأليف الموضوعة في الشيخ الكامل، وحبل الله الموصل الواصل، سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، بعد أن نقل نسبة الشيخ لسيدنا عمر، وتكلم بكلام، قال بعده: "ولا يخفى الغرض الحامل على جلبه، ووضعها هنا وكتبه. فإن الشيخ الموضوع هذا التأليف برسمه لم توجد هذه النسبة العمرية بخطه فيما عثرنا عليه، أما بنوا أخيه، وأولاده هو وحفدته، فقد وجدت بخط الثقة منهم، وتواتر نقلها عنهم، وكتبت في إجازاتهم، وكذلك في تمليكاتهم، وقال قبل ذلك: "ولمثل هذه النسبة العمرية، نسب المؤلف المذكور الشيخ الصالح، العابد الناصح، أعجوبة الزمان، ومن لا يختلف في أفضليته اثنان أبا عبد الله محمد، الملقب بگذار بالقاف/436/ المعقودة، قائلا بعد تعداد آبائه: يعرف مجدهم في بني مالك، بأولاد أبي حصيب، ولبني مالك ينتسبون، وقد لبسوا جلدتهم، وهم ينتسبون إلى عمر بن الخطاب، ولا يدفعون عنه. وكثيرا ما يقع في إن المعدود في قبيلته ينتسب في غيرها، ويظهر الوجه في ذلك بما قال ابن خلدون في

جانب مهدي الموحدين، ونصه: وأما إنكار نسبه في أهل البيت، فلا يعضده حجة، مع أنه إن ثبت إنه إدعاه، وانتسب إليه، فلا دليل يقوم على بطلانه، لأن الناس مصدقون في أنسابهم، وإن قالوا: إن الرياسة لا تقع على قوم في غير جلدتهم، كما هو الصحيح، والرجل قد رأس سائر المصامدة، ودانوا¹ باتباعه، والانقياد إليه إلى عصابته، حتى تم الأمر في دعوته، ثم أعلم أن هذا النسب الفاطمي، لم يكن أمر المهدي يتوقف عليه، ولا أتبعه الناس بسببه، وإنما كان أتباعهم له العصبية الهرعية والمصمودية، ومكانه منها، ورسوخ شجرته فيها، وكان ذلك النسب الفاطمي، لم يكن قد درس عند الناس، فيكون النسب الأول كأنه انسلخ عنه، ولبس جلدة هؤلاء، وظهر فيها، فلا يضره الانتساب الأول في عصبيته، إذ هو مجهول عند أهل العصبية، ومثل هذا يقع كثيرا، إذ كان الأول خفيا" انتهى.

قال صاحب التأليف المذكور، قلت: ويحتمل أن يكون الشيخ ترك هذا الانتساب تورعا منه، كما فعل الشيخ عبد الرحيم بن الحسين، فقد نص المناوي في شرح "ألفيته" على ذلك، عند التعريف به، ونصه: والناظم هو الشيخ الإمام الحبر الهمام، جمال الحفاظ، إلى أن قال المعروف بالزين العراقي: نسبه إلى عراق العرب: قال: "حدثني شيخ الإسلام، قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي، رحمه الله، نسبه متصل بالفاروق، رضي الله عنه، لكن الشيخ كان لا يذكر ذلك تورعا"، انتهى منه بلفظه، انتهى من خط سيدنا الصالح، نفعنا الله به.

¹ في النسخة (ج): "دانوا".

وقد نظم الأديب الفاضل، الحاج الناسك العامل، أبو العباس أحمد بن فتوح التازي، نسب الشيخ الواصل الجليل، الكامل المكمل الأثيل، أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، في مقصورة، فقال:

[الرجز]

إِمَامَنَا الشَّرْقِيَّ السُّنِّيَّ نِسْبَةً	الْعُمَرِيُّ الْقُرَشِيُّ الْمُنتَهَى
نَجْلُ أَبِي الْقَاسِمِ خَيْرِ سَالِكٍ	الطَّيِّبِ الْأَصْلِ رَيْسِ الْبَدَلَا
وَالِدُهُ الزَّعْرِيُّ مُحَمَّدُ الَّذِي	أَبَاؤُهُ غُرٌّ سُرَاهُ نُجَبَا
ابْنُ عُمَرَ الْمُقْتَنِي سَمَاحَةً	نَجْلُ السَّرِيِّ حَمُّ مَانِعِ الْحَيَا
وَالِدُهُ مَهْدِيُّ الزَّكِيِّ نَشَاءً	نَجْلُ حَمَامَةَ الْمُحَلَّى بِالسَّخَا/437
نَجْلُ سَعِيدِ اللَّيْثِ فَاعْرِفْ حَقَّهُ	وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَامِلِ الْحَيَا
ابْنُ عُمَرَ اللَّوْدَعِيِّ الْأَمْعِيِّ	نَجْلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَاذِلِ الْقِرَى
نَجْلُ مُحَمَّدِ الْحَمِيدِ فِعْلُهُ	مَا أَجْمَلَ الْفَخْرَ بِمَنْصِبِ التُّقَى
ابْنُ سُلَيْمَانَ السَّدِيدِ رَأْيُهُ	وَالِدُهُ يَحْيَى الْمُحَلَّى بِالْحَيَا
نَجْلُ يَعْقُوبَ خَيْرُ رَهْطِ رَهْطُهُ	وَهُوَ ابْنُ فَاضِلِ الْمُفَضَّلِ الْفَتَى
وَالِدُهُ نَجْلُ الْكَرَامِ عُمَرُ	نُخْبَةٌ مَجْدٍ مِنْ عَنَاصِرِ الصَّفَا
ابْنُ مَسْعُودِ الْعَدَوِيِّ الْقُرَشِيِّ	نَجْلُ الْكَيِّ مَوْسَى مَانِحِ النَّدَى
وَهُوَ ابْنُ أَحْمَدَ النَّدِيِّ كَفُّهُ	نَجْلُ مُحَمَّدِ سَلِيلِ النَّبَلَا
ابْنُ مَرْدَاسَ الْحَامِي مَجْدُهُ	هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَاضِحِ السَّنَا
فَأَعْظَمُ بِعَبْدِ اللَّهِ مَا أَكْرَمُهُ	أَبَا لَهُ مِنْ صُلْبِ فَخْرٍ قَدْ نَشَا
الصَّحَابِيُّ الْحَبْرُ خَيْرُ حَامِلٍ	لِوَاءِ عِلْمٍ وَكَمَالٍ وَتُقَى
فَاسْأَلْكَ سَبِيلَهُ تَفُزْ إِنَّهُ	عَزِيزُ فَضْلٍ وَصَلَاحٍ وَوَلَا

نَجَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ
مَنْ شَيَّدَ الْحَقَّ وَأَوْهَى ضِدَّهُ
بِهِ أَعَزَّ اللَّهُ دِينَ أَحْمَدِ
وَكَمَّ غَدَا لِرَبِّهِ مُوَافِقًا
إِذَا ذَكَرْتَ الصَّالِحِينَ حَمَلْ
مَنْ حُبُّهُ دِينِي وَرُوحُ مُهْجَتِي
جَلَّتْ مَائِرُ الْإِمَامِ رُتْبَةً
بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ السَّمِيِّ مَنْصِبًا
فِيهَا لَهَا مِنْ نِسْبَةٍ جَلِيلَةٍ
قَدْ نَالَهُ الشَّرْقِيُّ الْهَمَامُ غَوْثَنَا
الْعَدَوِيُّ الْأَصْلِ شَامِخُ الدُّرَا
وَجَدَّالُ الْكُفْرِ بِالسَّيْفِ وَالْقَنَا
حَتَّى سَقَى الْهَوَانَ دِينَ قَيْصَرَ
فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُهْتَدَا
بِهِ فَإِنَّهُ الْهَمَامُ الْمُرْتَضَى
السَّيِّدُ الْأَوَابُ مَسْقُطُ الثَّنَا
حَيْرُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ الْفُضَّلَا
فَعَظَّمْ قَدْرَهُ عَلَى جَمْعِ الْمَلَا
يَا حَبَّادَا الْفَخْرُ الْجَمِيلُ الْمُفْتَتَى
وَكَهْفُنَا مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وَبَلَا¹

انتهى المقصود من المقصورة، ولكن في بعضها مخالفة مع ما تقدم في أول الفصل،
مما وجد بخط الشيخ الهمام، العارف المكاشف الإمام، سيدنا الصالح، نفعنا الله به،
فقد وقع في مقصورة أبي العباس مهدي، مكان محمد، الذي في خط الشيخ. [وفي
المقصورة زيادة عمر قبل عبد العزيز، وذلك ساقط من خط الشيخ]² وفي المقصورة يحيى
مكان سمير/438/ في خط الشيخ. وفي المقصورة أيضا زيادة مسعود قبل موسى، وذلك
ساقط من خط الشيخ نفعنا الله به. قلت: وهذا شأن الأنساب، الزيادة والنقصان على
ما هو المعهود والمعروف، وفي الأبيات الأخيرة من المقصورة إشارة إلى ذكر شيء من
مناقب سيدنا عمر بن الخطاب، وقد تقدم شيء من مناقبه عند ذكره في الكتاب. وأما

¹ وردت هذه الأبيات غي: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج1/180، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، مثل، "رتبة"
عوض "نسبة"؛ و"نسبة" عوض "نشأة".

² سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

نسبه فهو الإمام، أبو حفص عمر بن الخطاب، بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، فهو يلتقي مع رسول الله في كعب، "وأما ذكري لما مر من النسب، فلفوائد منها أن يعرف من يقف عليه، من ذوي القرابة للتوصل إلى صلة الرحم والموآرثة، والعاقلة، وغير ذلك من الأحكام، وهذا مما لا بد منه، وقد قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (تَعَلَّمُوا مِنَ الْأَنْسَابِ، مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَمَكُمْ)¹ وقد حمل الأمر في كلامه على الوجوب، وذلك أصله. الثاني: أن يعلم انقطاع النسبة عند انتهائه إلى القرى، فيظهر معنى قول مولانا عمر، أيضا، فيما يؤثر عنه، أنه قال: "تعلموا أنسابكم ولا تكونوا كلقبط ينتسبون إلى القرى"، وليس هذا مخصوصا بالقبط، بل المدن، كلها تتلف الأنساب كما قال العراقي، رحمه الله تعالى:

[الرملة]

ضَاعَتِ الْأَنْسَابُ فِي الْبُلْدَانِ فَنُسِبُ الْأَكْثَرُ لِلْأَوْطَانِ²,

وسبب ذلك أن الإنسان، إنما احتاج للتمدن للقيام بالمتاجر، والحرف وسائر الأسباب التي ينتظم بها أمر المعاش، والتعاون على المنافع الدينية والدنيوية، ولا يتأتى ذلك عادة إلا بكثرة الناس، لتحصل عمارة الأسواق، ويحصل من كل حرفة وصناعة وسبب وعمل عارف أو أكثر يقوم بها، ولا يكون ذلك من عشيرة واحدة، بل ولا من قبيلة وعمارة، بل من أخلاط شتى، وأفواج جمّة، وذلك لسببين: أحدهما: إن هذا مظنة الكثرة

¹ الترمذي، جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، ح: 1979، ص: 331؛ والطبراني، المعجم الأوسط، ح: 8308، ج: 172/8.

² ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: أبي زكريا السنيكي، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، تحقيق حافظ ثناء الله الزاهدي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، ص: 647؛ والحسين اليوسي، المحاضرات، ج: 37/1

الكافية، فيما ذكر، الثاني: إن عادة الله تعالى لم يجر باختصاص رهط أوحى واحد من الناس بالتفرد بالمعارف والاستقلال بالمصالح الدينية والدنيوية من دون سائر أصناف الخلق، حتى ينتظم بهم الأمر، وتحصل لهم المزية بذلك، والذكر فيه دون من سواهم، بل بث الله تعالى، بلطف حكيمته الخصائص والمزايا في الناس، فيوجد في هذا الرهط عالم، وفي آخر شاعر، وفي آخر صانع أو تاجر، ليتم التعاون ويحظى الخلق كلهم، من مائدة الله تعالى في باب الخصوصية تعصيب.

ولما كانت المدينة تجمع أخلاط الناس صار ساكنها في الغالب غريبا عن نسبه، فقد لا يكون بينه ولا بين جاريه نسب ولا معرفة فإذا (...) ^{1/439} انتسبوا غالبا إلى البلد، لا إلى قومهم من وجهين: أحدهما: أنه لا يعرف غالبا غيره، أن الله تعالى حبب إلى الناس منازلهم ليلازموا، فتنظم عمارة الأرض، على قدر الله تعالى، كما قال: (اللَّهُمَّ حَبِّبْتَ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، كَحُبِّنَا مَكَّةَ وَأَشَدُّ)². الثاني: الإلف الطبيعي فإن كل واحد يألف تربته كإلفه لأمه وأبيه، ولذا لا يزال يحن إلى مسقط رأسه، ومحل لهوه وأنسه، وقالوا: "الكريم يحن إلى وطنه، كما يحن النجيب إلى عطنه"³. قال الأعرابي:

¹ بياض في الأصل وباقي النسخ. وبعد رجوعنا إلى كتاب المحاضرات للحسن اليوسي وجدنا مكان هذا البياض العبارة التالية: "فإذا نشأ نسله". ينظر: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/38.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفى الخبث، ح: 1889، ج2/27.

³ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/37-39.

[الطويل]

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ إِلَيَّ وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادُهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَائِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا¹

وقد أسلم سيدنا عمر بن الخطاب، رابع أربعين رجلا، وقيل: بعد بضعة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. وسببه فيما ذكر أهل السير، أنه قال يوما للناس: "أتحبون أن أعلمكم، كيف كان بدء إسلامي؟ فقالوا: نعم، قال: "كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فبينما أنا في يوم حار، شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من بعض قريش، فقال: أين تذهب يا بن الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك، قال: قلت: وما ذلك؟ قال: أختك قد صبت، فرجعت مغضبا، وقد كان رسول الله ﷺ، يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة، فيكونان معه، ويصيبان من طعامه، قال: وقد ضم الزوج وأختي رجلين. قال: فجئت حتى قرعت الباب، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: وكان القوم جلوسا يقرؤون في صحيفة معهم، قال: فلما سمعوا صوتي، تبادروا واختفوا، وتركوا، أو نسوا الصحيفة من أيديهم. قال: فقامت المرأة، ففتحت لي، قال: فقلت لها: يا عدوة نفسها، قد بلغني عنك أنك صبوت، قال: فأرفع شيئا في يدي فاضربها به، قال: فسال الدم. قال: فلما رأت المرأة الدم بكت، ثم قالت: يا بن الخطاب، ما كنت فاعلا فافعل، فقد أسلمت، قال: فدخلت وأنا مغضب، فجلست على السرير، فنظرت، فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطيني: فقالت: لا أعطيك، لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج3/1.

تتطهر، وهو ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُصَفَّرُونَ﴾¹، قال: فلم أزل بها حتى أعطتني، فإذا فيه، "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قال: فلما مررت "بالرحمن" ذعرت، ورميت بالصحيفة من يدي، قال: ثم رجعت إلى نفسي، فإذا فيها ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ/440/الْحَكِيمُ﴾²، فكلما مررت باسم من أسماء الله تعالى، ذعرت، ورميت بالصحيفة من يدي، قال: ثم رجعت إلى نفسي، حتى بلغت: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾³ حتى بلغ إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁴. قال: فقلت: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. قال: فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني، وحمدوا الله عز وجل، ثم قالوا: يا بن الخطاب، أبشر، فإن رسول الله ﷺ، دعا يوم الاثنين، (فقال: اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلامَ بأحدِ الرجلين، إما بأبي جهل، وإما بعمر بن الخطاب)،⁵ وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك، فأبشر. قال: فلما أن عرفوا مني الصدق، قلت لهم: أخبروني بمكان رسول الله، قالوا: هو في بيت في أسفل الصفا وصفوه، فخرجت، حتى قدمت الباب، قيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: وقد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ، [وَلَمْ يَعْلَمُوا إِسْلَامِي]⁶، قال: فما اجتراً أحد منهم أن يفتح الباب، قال: فقال: رسول الله ﷺ، افتحوا له، فإنه إن يرد الله به خيرا يهده، قال: ففتحو لي، وأخذ رجلان بعضدي، حتى دنوت من رسول الله ﷺ،

¹ سورة الواقعة، الآية: 82

² سورة الحديد، الآية: 1

³ سورة الحديد، الآية: 7

⁴ سورة الحديد، الآية: 8

⁵ أبو عيسى الترمذي، الجامع الكبير، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، ح: 3681، ج 6/56-57.

⁶ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

قال: أرسلوه. قال: فأرسلوني، فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع قميصي يجذبني إليه، قال: أسلم يا بن الخطاب، اللهم اهده، قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة، قال: وقد كان الرجل إذا أسلم استخفى، ثم خرجت، فكنت لا أشاء أن أرى رجلا إذا أسلم ضرب إلا رأيت، قال: فلما رأيت ذلك، قلت: لا أحب أن لا يصيبني ما يصيب المسلمين. قال: فذهبت فأتيت خالي، وكان شريفا فيهم، فقرعت الباب عليه، فقال: من هذا؟ قلنا: ابن الخطاب، قال: فخرج إلي، فقلت له: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: أوفعلت؟ فقلت: نعم، قال: لا تفعل، فقلت: بلى قد فعلت. قال: لا تفعل، وأجاب الباب دوني وتركني، قال: قلت: ما هذا بشيء، قال: فخرجت حتى جئت رجلا من عظماء قريش، فقرعت عليه الباب، قال: من هذا؟ قلت: عمر بن الخطاب، قال: فخرج إلي، فقلت له: أشعرت إنني قد صبوت؟، قال: أوفعلت؟ قلت: نعم، قال: فلا تفعل، قلت له: قد فعلت، قال: لا تفعل، ثم قام ودخل وأجاب الباب دوني، قال: فلما رأيت ذلك انصرفت. فقال لي: رجل: تحب أن يعلم إسلامك؟، قال: قلت: نعم، قال: إذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا، أتيت فلانا، رجلا لم يكن يكتم السر، فاصغ إليه، فقل له: فيما بينك وبينه، أني قد صبوت، فإنه سوف يظهر عليك ذلك ويصيح ويعلنه، قال: فلما اجتمع الناس في الحجر، جئت إلى الرجل، فدنوت منه، فأصغيت فيما بيني وبينه، فقلت: أعلمت أني قد صبوت؟، قال: فقال: صبوت، قلت: نعم، فرفع صوته بأعلاه، فقال: ألا إن ابن الخطاب قد صبا، فما زال الناس يضربونني وضربتهم، قال: فقال خالي/441/ ما هذا؟ فقيل: ابن الخطاب، قال: فقام على الحجر، فأشار بكّمه، فقال: ألا إنني قد أجرت ابن أختي، فانكشف الناس عني، قال: وكنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب، إلا رأيت، وأنا لا أضرب، قال: فقلت: ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما أصاب المسلمين، قال: فأمهلت حتى جلس الناس في

الحجر، وصلت إلى خالي، فقلت له: اسمع، فقال: ما أسمع؟ قال: قلت: جوارك عليك رد. قال: فقال: لا تفعل يا ابن أخي، قال: قلت: بل هو ذلك. فقال: ما شئت. فمازلت أضرب حتى أعز الله الإسلام"¹، انتهى من ابن سيد الناس بواسطة. وذكر غير واحد من أهل السير سبب إسلامه، وفيه زيادات، وقوله في المقصورة:

مَنْ شَيَّدَ الْحَقَّ وَأَوْهَى ضِدَّهُ وَجَدَلَ الْكُفْرَ بِالسَّيْفِ وَالْقَنَا

يشير إلى ما وقع من نصرته لسيد الأنام، وحماية أصحابه وعترته، وإعلاء دين الحق بسببه، وصدعه بالحق على ممر الليالي والأيام، وعزته للإسلام، وهدمه لدين الكفر بعد تشييد بنائه، واشتعال ناره وإفشائه، ولله در الإمام البوصيري، حيث يقول في همزته:

[الخفيف]

وَأَبِي حَفْصِ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرُّقَبَاءَ
وَالَّذِي تَقَرَّبَ الْأَبَاعِيدُ فِي اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَبَعْدُ الْقُرَبَاءَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ قَوْلِهِ الْفَصْلِ وَمِنْ حُكْمِهِ السَّوِيِّ السَّوَاءُ
فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُوقًا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ انْبِرَاءُ

فقد اتضح الإسلام في ولايته، وفتحت الأمصار في خلافته، وجاهد أهل الكفر والضلالة، وهو، بعد أبي بكر، أفضل الصحابة. فتأمل رحمك الله هذه النسبة العالية، والمنزلة السامية، التي تفضل بها الرب سبحانه على هذا الشيخ الكريم، صاحب المآثر السنية والقدر الفخيم، أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، وأرضاه،

¹ ورد هذا النص في: محمد رضا، الفاروق عمر بن الخطاب، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر، 1355هـ-1936م، ص: 11-14، مع اختلاف يسير في الرواية.

وجعل في أعالي الفراديس قراره ومثواه. وله ﷺ، نسبة أخرى هي أشرف من الأولى، وأرفع وأعلى، وأغلى وأنفع، فله بها أسنى المناصب، وأكمل المناقب، وأفضل الذخائر والمواهب، وهي الاتصال بسيد الأنام، ومن يظهر فضله على الخاص والعام، وعلى جميع الأنبياء والرسل الكرام في يوم العرض والزحام، سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، من جهة أمه الشريفة، الدِّيَّنة الصالحة الخيرة العفيفة، سيدتنا رحمة، لأنها رضي الله عنها شريفة النسب، طاهرة الحسب، متصلة بسيدنا الحسن رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا في حيطته وحماه، أمين يا رب العالمين.

واختلاف العلماء رضوان الله عليهم، في ثبوت النسب الشريف، من قبل الأم مشهور. وقد وجدت بخط سيدنا ومولانا، ونعمة الله، التي أولانا الولي الصالح، سيدنا /442/ ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح، ما نصه: "وأما أمه فهي السيدة رحمة بنت¹ حمزة، وكانت رضي الله عنها من إماء الله الصالحات الزاهدات، نفعنا الله بها. يحكى أنها وهبت كل مالها من الحلي من صداقها لما دخلت به على نساء الولي الصالح سيدي عثمان أمسناو²، وفي قصة معلومة، وكما سمعناه من بعض العلماء الموثوق بهم، إنها كانت ممن تطوى لها الأرض نفعنا الله بها. وللنبي ﷺ عليها ولادة من جهة أبيها الولي

¹ رحمة بنت حمزة بن يعيش بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن ميمون بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن الشيخ يعقوب بن يوسف الكانوني. وقد وصفها عبد الخالق العروسي بقوله: "وكانت من الصالحات ظهرت عليها أمارة من الخير والفلاح وكانت تذهب مع زوجها الشيخ سيدي أبي القاسم لزيارة الشيخ أبي عثمان وتتلذت عليه، وكانت تكثر من زيارته". وما تزال قبة قائمة على قبرها على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع مقابلة لقبة ضريح سيدي بلقاسم على الضفة اليسرى للنهر. ترجمتها في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 45(ب)؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 385/1؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 181-183.

² أبو عثمان سعيد أمسناو نزيل أسردون من حوز تادلا، من أصحاب الشيخ عبد العزيز التابع. كان فاضلا زاهدا ذا شوكة وعناية. توفي في العشرة الخامسة، ودفن بزوايته، ولم يعقب. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحه الناشر، ص: 87؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 10/139-140.

الصالح سيدي حمزة، وقبره معروف بتأشرافت على قرب من أبي الجعد، حرسه الله، وعليه مقبرة كبيرة، وقد زرتة، وشاهدته، وكذلك حكى لي عن أبيه سيدي يعيش.

وأما شرفه فبشهادة الولي الصالح ولدها سيدي محمد الشرقي، وشهادة ولي الله سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي، حسبما وقفت على هذا بخط العلامة الأوحدي سيدي محمد بن عبد الرحمان، القاطن الآن بالصومعة، في كتاب كتبه ينبه على ذلك، ويوصي بعض القضاة بالوقوف مع بعض من ذرية سيدي حمزة المذكور، لتصحيح عقود الشرف والرسوم التي بيده.

ورأيت بخط بعض أعمامنا وهو السيد الدين البركة، عمنا أبو العباس أحمد المرسي، ونص شهادته الموجودة بخطه، ليعلم الواقف على هذا المكتوب، أننا يعلم الله، الذي هو عالم الخفيات، أنا سمعنا من الوالد البركة الصالح المرحوم بكرم الله، سيدنا أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم، الملقب بالشرقي، رحمه الله، ورزقنا رضاه دنيا وأخرى، أن أولاد يَسُومَر، هم من الشجرة الطيبة المباركة... العلية الزكية الجليلة الفاضلة الإدريسية، وهي شجرة النبوة التي من لاذ بها، لاذ بالفضل العظيم، فضلا عن من هو من ذريتها، فقد فاز من الله بالتواب الجسيم. وقد وقفت على رسم قديم، بأيدي الشرفاء أحوالنا أولاد كانون، وهو بخط الشريف الحسين، الأصيل السيد المزوار مزوار الشرفاء، وذلك الخط له نحو الثمانين سنة في تاريخه، وبأن من الشجرة المباركة السيد يسومر، هو جدهم أولاد كانون، وأولاد يسومر، المعروفون بالنزول مع قبيلة الزوائر، وإنما هم قدماء في الشرف، فمن وقف على هذا من أئمة الإسلام، والسادات الأعلام، فليعمل بمقتضاه، والعمل على صحته، وهذه شهادتنا لله تعالى، وهم إخواننا أولاد

كانون، وأولاد يسومر، لا فرق بينهما، ولا يجوز للإنسان أن يلقي الله بشهادة، فما بالك بهذه لقوله : (لَعْنُ اللَّهِ الدَّاخِلُ فِيْنَا بَغْيِرِ نَسَبٍ، وَالدَّاخِرُ مِنَّا بَغْيِرِ سَبَبٍ)¹ والسلام.:

وكتب من وقف على ذلك عبد الله أحمد المرسي بن محمد الشرقي، وفقه الله، وكتب أخوه جدنا سيدي عبد القادر، شاهدت ما رسم أعلاه في شجرة الشرف التي بيد أولاد كانون و(...)²/443 في الشجرة المذكورة، وكتب عبد القادر بن محمد الشرقي، عامله الله بلطفه، ثم كتب وكذا بأيدي إخوانهم الثلاثة السيد يسومر، والسيد كانون والسيد (...)³ أخوه، والنسب الشريف سمعت ذلك وبطرته في الشجرة المكتوبة، والسلام، أحمد المرسي، وتحت الوضع المتقدم خط القاضي الأرفع سيدي أحمد بن سعيد، وسيدي محمد بن طاهر الحسني الجوطي، وفي التعريف بأولاد الشيخ أعلام السيد عبد الله اللمطي، القاضي بالقطر التادلي فيما سلف، وفيه بلا شك ولا ريب التعريف بهذا الخط أيضا، وفيها أيضا خط مولاي محمد بن مبارك بن حسن الحسني، وعلى عمود النسب خط السيد عبد الرحمان بن إسماعيل، وسيدي عبد الحلیم بن عبد القادر، والفقیه سيدي الغزواني بن ولي الله (...)⁴ ابن أحمد العباس، وسَرْدُهُمْ: يَسُومَر بن محمد بن محمد بن موسى ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن رح بن عيسى بن بلقاسم بن مروان بن

¹ نجم الدين محمد الدمشقي، إتيان ما يحسن، من الأخبار الدائرة على الألسن، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة-النشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م، ج: 1404، ج2/440.

² بياض في الأصل وباقي النسخ.

³ بياض في الأصل وباقي النسخ.

⁴ بياض في الأصل وباقي النسخ.

حيدرة بن علي بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. من خط مولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا الصالح نفعنا الله به.

ويحكى عن الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، دفين الجزائر أنه كان كثير الفرح والسرور، فسئل ذات يوم عن سبب انبساطه وسروره، فأجاب كيف لا أنبسط وأفرح وجدتي السابعة لأمي بنت لرسول الله.

وقال العلامة سيدي أحمد بابا، في "ذيل الديباج" في التعريف بالإمام السنوسي، ما نصه: "هو محمد بن يوسف بن محمد بن شعيب السنوسي، وبه عرف، نسبة إلى قبيلة بالغرب، الحسيني نسبا للحسن بن علي، من جهة أم أبيه"¹، وفي "المواهب اللدنية: في المناقب السنوسية"، لما عد تأليفه، ومنها شرحه "للجرومية"، سماه "الدُر المنظوم في شرح قواعد ابن أجروم"، رأيته بخطه غير مكمل، قال في أوله: "قال الفقير لرحمة ربه وغفرانه، محمد بن يوسف السنوسي القبيسي الشريف القرشي، لطف الله به، صح من خطه رحمه الله، ورضي عنه، ونفعنا به، وسئل سيدي العقباني، عن من أمه شريفة، هل يجب له من التوقير والاحترام، ما يجب للشرفاء من آبائهم أم لا؟ وهل يدخل تحت عموم الشرفاء، ويدعى به أم لا؟ فأجاب: "الحمد لله. يجب من توقيره ما للشريف من أبيه؛ إذ هو من جملة الشرفاء، يعمه من أمر النبوة، مثل ما يعمهم، والله تعالى أعلم".

¹ ينظر: أحمد بابا التنيكتي، كفاية المحتاج، ج2/200، بنفس اللفظ.

وأجاب سيدي أبو علي بن منصور الزواوي¹، فقال: "الحمد لله. للمتأخرين قولان في إثبات الشرف من قبل الأم. والمختار/444/ عن أئمتنا ثبوته، لأن حقيقة الشرف من للنبي عليه ولادته، فعلى هذا المذهب هو شريف، يجب له ما للشرفاء، ويمتنع عليه ما يمتنع عليهم، ويدعى بالشريف، ويستجيب إذا دعي به، وغير ذلك، والله أعلم.

وأجاب سيدي علي الأشهب: يثبت له ولذريته، والله تعالى أعلم. وأجاب شيخنا سيدنا أبو القاسم الفضل العقباني²، للشريف للام، وما للشريف للأب، إذ قد حصل للنبي ولادة، وذلك عين الشرف، وإذا قد تحقق ثبوت الوصف له صح لك أن تدعوه، وصح له أن يستجيب، ولا حرج على واحد من المتخاطبين. والله ولي التوفيق. وأجاب الإمام سيدي أبو يحيى الشريف: إذا ثبت الشرف المذكور للمرأة، بحق النسب، يثبت لولدها بحق الولادة، وذلك شرف عظيم، ومزية عالية، فعلى من علم ذلك من خواص المسلمين وعوامهم مراعاة حقه، والقيام بواجب أمره، وأدلة ذلك ثابتة في الكتاب والسنة، وفي صحيح عقائد الأمة، والله سبحانه وتعالى أعلم. وأجاب سيدي أبو عبد الله الشريف، بهذا الجواب أيضا، وهو: "الحمد لله، يثبت له ذلك شرف النسب، بل الرحم وهو دون شرف النسب، وإذا ثبت له ذلك جاز أن يدعى به لثبوت الصفة المدعوبها له من غير أنفة تلحقه بها، بل له فيها فخر وله فيها إليها ميل طبيعي، وكذلك له أن

¹ أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي نزيل تلمسان. كان فقيها مقرئا أصوليا نحويا مدرسا. مولده في حدود 710هـ، أخذ عن والده، علي بن عبد الله والإمام منصور المشدالي وابن المسفروأبي علي بن حسين. له إطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق والكلام ودعوى في الحساب والهندسة والآلات، ترجمته في: أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج، ج2/249.

² أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني الحافظ القدوة علامة المحققين وصدر الأفاضل المبرزين، عكف على تعليم العلوم. توفي سنة 854هـ. ترجمته في: ابن مريم الملقبي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 147-149.

يستجيب، والله تعالى ولي التوفيق. وسئل عن ذلك أبو عبد الله الشريف التلمساني¹، من أمه شريفة من ذريته، هل يثبت له بذلك الشرف أم [لا]،² فأجاب، بأن قال: "لا أرى في المسألة نصاً للمتقدمين أصحابنا المالكية، ولا المتأخرين إلا ما وقفنا عليه للتونسيين والبجائيين، ورئيس التونسيين القاضي أبو إسحاق بن عبد الرفيق³، وهو يذهب إلى أن الشرف [لا يثبت من جهة الأم، ورئيس البجائيين الشيخ أبو علي ناصر الدين⁴، وهو يذهب إلى أن الشرف من جهة الأم]⁵، ثم أطل في ذلك. انتهى".

وقد نقل سيدي علي الأجهوري، لما أجاب عن عدة مسائل منها هذه المسألة، قال: "وابن الشريفة ذهب الإمام ابن عرفة ومن وافقه، إلى أنه ليس له الشرف الخاص الحاصل لمن أبوه شريف، وخالفه جمع من محققي المشايخ التلمسانيين" انتهى. وسئل أبو السعود، رحمه الله، عن ثبوت الشرف من جهة الأم، هل هو صحيح أم لا؟ وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الأب أم لا؟ وهل لمن شرفه من جهة الأم أن يضع العلامة التي

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف التلمساني، ولد سنة 710هـ، إمام في التفسير، عالم بقراءته ورواياته، ومحدث في علوم الحديث، كثير المعرفة بسير الأعلام من الفقهاء والصالحين، والمذاهب الصوفية، من كتبه: "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول"; و"شارات الغلط في الأدلة"، وغيرها. توفي سنة 771هـ. ترجمته في: أبي عبد الله التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحقيق محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

² سقط ما بين معقوفتين من النسخة: (د).

³ أبو إسحاق إبراهيم حسن بن علي بن عبد الرفيق الربيعي، قاضي الجماعة بتونس، الفقيه المدرس الخطيب المفتي، ولد سنة 639هـ. ومن تأليفه: "الأربعون حديثاً"، و"معين الحكام"، وغيرها. توفي سنة 733هـ. ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج1/177-178.

⁴ أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشندالي، ولد سنة 631هـ. كان فقيهاً محصلاً متقناً. رحل للشرق، وبه قرأ وتفقه، وسمع بالشام ومصر، ولزم العز بن عبد السلام وانتفع بعلمه. توفي سنة 731هـ. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2/247-249؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/312.

⁵ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

يتميز بها عن العامة أو لا؟ وما دليله وتعليقه؟ أجيبونا مأجورين. الجواب: نعم، ثبوت الشرف من جهة الأم، صحيح معتدُّ به شرعا، واجب قبوله شرعا وعرفا، فإن ثبت لامرأة أنها شريفة صحيحة النسب، كان أولادها لبطنها ذكورا وإناثا أشرافا ثابتا شرفهم من قبلها، مع قطع النظر عن آبائهم وإن كانوا أرقاء، أو/445/ عتقاء، ولا يضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم، وثبت لهم من السيادة ما ثبت لها، وتعين تميزهم على غيرهم، ممن لا شرف له بوضع العلامة خوفا من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة، فمن كانت أمه شريفة ثبت له الشرف ولأولاده ونسله وعقبه، وانتظم في سلك الأشراف. والأدلة على ذلك كثيرة، يضيق عنها المقام، ويكفي الإشارة إلى بعضها، وهي أن جميع الأشراف الموجودين في مشارق الأرض ومغاربها إنما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء، من السيدين الجليلين الحسن والحسين، وهما إنما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنها إلا من جهة علي، وإلا كان أولاده من غيرها كابن الحنفية أشرافا. وليس بخفي أن بعض علمائنا جعل في ذلك قياسا منطقيا من القرب الأول، من الشكل الأول مركبا من صغرى وكبرى، وتحريره: إن الولد بضعة من الأم، والأم بضعة من أبيها، فكيف لا يثبت له ما ثبت لها؟ ولهذا حكمنا بشرف السيدين الجليلين الحسن والحسين، وقد أفردت هذه المسألة بالتصنيف، وخصصت بالتأليف، وفيه كفاية، والله الموفق.

قلت: وهذا الشيخ الكبير، والعلم الشهير، أبو عبد الله سيدي محمد الشرقي، ممن عظم به الانتفاع، وكثرت له الأتباع، وشاع صيته في جميع الأقطار والبقاع، وظهرت على يديه خوارق العادات، وفشت وتكاثرت له الكرامات، مما يبهر العقول، وتعجز عنه أكابر الفحول.

من كراماته : ما حدثني سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أولانا، سيدنا المعطى، نفعنا الله به، فقال أدام الله عافيته: "كان رجل من أصحاب سيدي محمد الشرقي، يسرح البقر، إلى أن كانت ليلة السبعة والعشرين من رمضان، فقال له أرباب البقر: يا فلان، تصلي بنا الليلة، استهزاء به، لأنه كان عامياً، لا يحسن قراءة أصلاً، ثم إنه لما رأى سخريتهم به، قدم على الشيخ ، وذكر له مقالتهم، وما أرادوا بذلك من السخرية، ثم إن الشيخ ضربه على ظهره، وقال له: قل: نقرأ. فقالها، ثم ضربه ثانياً، وقال له: قل: نقرأ، فقالها، ثم ضربه ثالثاً، وأعاد المقالة ثالثاً، فأعادها الرجل، ثم قال له: اذهب وصل بهم، فذهب وصلى بهم، فإذا به يقرأ القرآن على أحسن حال، ولم يتقدم له تعلم قبل ذلك، وهذه من أكمل الكرامات، وأجلّ خوارق العادات.

ومن كراماته: ما حدثني به سيدنا أيضاً، قال : "ورد على الوالد سيدنا الصالح، نفعنا الله به، رجل ادعى أنه من نسل الرجل السابق صاحب الحكاية، قبل هذا مع الشيخ، فقال للوالد: "كنت أقرأ القرآن، وأكثر من الدرس، ولا أحفظ شيئاً، وأخذ في نداء الصالحين، وأتضرع بهم إلى الله تعالى في الفتح، وأبتدئ /446/ بالشيخ سيدي محمد الشرقي، وأختم به، ثم إنني يوماً كنت أقرأ لوحتي إلى أن تعبت، ثم وضعت اللوحة عند رأسي، ونمت فإذا بالشيخ سيدي محمد الشرقي، وقف علي في قُشَابَةٍ¹، وعلى رأسه شبه الكرزية²، فقال لي: يا هذا لم تنادي علي؟ فقلت له: يا سيدي أردت القراءة، ولم أحفظ شيئاً، وصعب علي الأمر، وأردت أن تفعل لي ما فعلت لجدي، فقال لي قل: نقرأ، فقلتها، وكررها علي مرارا، ثم استيقظت فمن ذلك اليوم، ما سمعت شيئاً إلا وحفظته من بركة

¹ القشابة: وهي لباس من الصوف يشبه الجلباب غير أنه قصير الطول.

² يطلق اسم الكرزية في المغرب على حزام من الصوف تشد به المرأة على بطنها فوق الثياب.

الشيخ، قال سيدنا أدام الله علاه، وجعل في أعالي الفراديس قراره ومثواه، سمعتها من الرجل وهو يقصها على الوالد سيدنا الصالح، نفعنا الله به".

ويحكى أن ولي الله تعالى، العارف بالله المجذوب سيدي بندأوود¹، دفين أزرارك²، من البلاد التادلية، أشار إلى ما يؤول إليه أمره في صغره من طريق الكشف أتمَّ إشارة، لما أتاه والده سيدي أبو القاسم به إليه ليزوره. ويحكى أن أباه سيدي أبا القاسم لما أتى به لبعض الواردين عليه من الأولياء، واشتكى عليه من أن يأكله الوادي، أعني: وادي أم الربيع، قال له: "لا تخف عليه، فإنه لو فتح فاه للوادي لشربه كله ونشف".

وعن سيدي الصغير بن منيار³، تادلة مضمونة، وضامنها صحيح، ومن رمى كعبته فيها تنكسر، ومن مد يده فيها تنقطع، فقال الحاضرون: ومن يكسرهما يا سيدي؟ فقال: أبو عبيد، وأنهى ما أخبر به من الضمان إلى فضل كثير، وكل ذلك في جانب الله سهل يسير". انتهى. من خط سيدنا ومولانا سيدنا الصالح نفعنا الله به، ثم قال بعده، قلت: "وهذا الولي من فضل الله تعالى، جد لنا، فإننا من ذرية بنته، السيدة دامية، وما بينها

¹ أبو عبد الله محمد بن داوود، من أولاد بورزق ثم أولاد بوزيري من الشاوية دفين أزرارك قريبا من اشقندة، ومن قرية اغرم لعلام تادلة، من مشايخ الصوفية أخذ عن الشيخ عبد العزيز التابع، وانتفع الناس به، وله مآثر جملة ومناقب كثيرة مشهورة. توفي في العشرة الرابعة، وقبره مزارة عظيمة مشهورة، ترجمته في: ابن عسكرا الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 287 ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 49-50؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 377-379؛ ومصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة، ص: 42.

² توجد منطقة ازرارك اليوم إلى جانب الطريق الثانوية الرابطة بين القصبية وغرم لعلام، في المنتصف تقريبا، تمر بجانبها ساقية ماء كبيرة، تنبع من ضواحي القصبية بإقليم بني ملال. ينظر: مصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة، ص: 42.

³ أبو عبد الله محمد المدعو بالصغير بن محمد الشهير بالمنيار بن أحمد بن الولي الصالح علي بن إبراهيم البوزيدي، دفين أكرض من بلاد تادلا، كان أستاذا مقرئا حريصا على تعليم الطلبة، توفي عام 1056 هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 15/160؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 2/34-35.

وبينه إلا أب واحد، فإنها بنت خمليش بن بنداود، نسأله سبحانه أن يرزقنا حضا وافرا من سره، بأن يعيننا على امتثال أمره، واجتناب نهيه، فمن لم يرث أباه، فحكم الشريعة بأباه"، انتهى من خطه أيضا نفعنا الله به.

ومن كراماته: ما وجدته بخط الشيخ أيضا، قال: "ويحكى: وسمعت من والدي، والله أعلم، أن بعض الزائرين طال به انتظار نوبته في زيارته الشيخ المذكور، فجرى في خاطره أن يتسبب في العطاس، قائلا: إن شمتني الشيخ ودعا لي بالرحمة، فذلك المراد، فبينما هو يتردد في ذلك إذ ناداه الشيخ، رحمك الله يا فلان".

ومن كراماته رضي الله عنه وأرضاه، ومنحنا من الخيرات ببركته فوق ما أملناه: "أنه لما نزل به نازل، أما من الملوك أو من أجنادهم، فاقترحوا عليه في الضيافة اختبارا له الطعام بالزيت، فأمر بالسقي من وادي أم الربيع، فانقلبت الأعيان من بركته، وصار الماء بالسقي زيتا، فأخبر رضي الله /447/ عنه بأن الوادي تلك الليلة، لم يبت يجري إلا بالزيت".

ومن كراماته رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا ممن احتفى بحماه المتواترة، قصة السفيناني، فإنها لشهرتها صارت كالنار على علم، فشا الأخبار بها في كل مكان، وانتشر في كل أوان. وذلك أنه صنع له طعاما بالدجاج، فوضع له سمًّا فيه، فلما كشف الغطاء عنها، وجد أفعى فوق الطعام، فأمر بإعادة الغطاء ثانيا، فكشف عنها بعد، فإذا بالدجاج كما كان أولا، فأمر الشيخ بالأكل من ذلك، وقال: "كلوا فمن أكل منه، حرمت عظامه على النار، أو كما قال: أنتم تأكلونه وهو يموت بالسم، فالحاضرون يأكلون، وهو يصيح من السم، ولحمه يتساقط إلى أن مات، "انتهى. من تقييد بخط سيدنا الإمام، القدوة البركة الهمام سيدنا أبي عبد الله محمد صالح، ابن سيدنا العارف، الصالح

الإمام المكاشف، سيدي محمد المعطى، نفعنا الله بهما، ومنحنا من خيرهما وسرهما،
أمين يا رب العالمين.

وقد مدح بعض الأجلة هذا الشيخ الهمام بقصيدة قافية، وهي هذه، وهي للفقير
سيدي عبد القادر بن شقرون:

[الطويل]

إِذَا غَرَبَتْ بِالْغَرْبِ شَمْسُ هِدَايَةِ وَعَمَّ سَحَابُ الْجَهْلِ فَافْرَعُ إِلَى الشَّرْقِ
هُنَالِكَ نُورُ الْعِلْمِ لَأَحْ مَنَارُهُ وَسَاعَدَهُ الْفَتْحُ الْمُبِينُ عَلَى وَفْقِ
فَلِلنَّاسِ فِيهِ كَعْبَةٌ جَلَّ رُكْنُهَا وَفِيهِ مَقَامٌ حَجَّهُ أَسْعَدُ الْخَلْقِ
فَطُفُ وَاتَّبِعْ مَنْ قَبَلَ الرُّكْنَ سَاعِيًا وَقَفَ دَاعِيًا بَعْدَ الطَّوَافِ عَلَى شَوْقِ
وَنَادِ جَوَادًا أَحْجَلَ الْبَحْرَ جُودُهُ وَأَزْرَتْ عَطَايَاهُ بِمُنْهَمِرِ الْوَدْقِ
وَقُلْ يَا لَعُوْثِ عَمَّرَ الْأَرْضَ غَيْثُهُ إِذَا شَامَ لَيْلًا وَارِدٌ لِمَحَّةِ الْبَرْقِ
بِبَابِكَ سَاعٍ كَسَرَ الدَّهْرُ ظَهْرَهُ فَكُلُّ فَقَارٍ بَيْنَ الصَّدْعِ وَالشَّقِّ
أَخُو سَغَبٍ أَوْدَى بِهِ أَكْلُ مَيْتَةٍ حَلِيفُ الطَّوَى يَرْضَى بِسُورٍ مِنَ الْمَدْقِ
كَتَيْبٌ فَقِيرٌ حَانَهُ الدَّهْرُ وَالْوَرَى بِلَا رَأْسِ مَالٍ يَبْتَغِي الرِّيحَ فِي الصُّفْقِ
أَتَى حَبَبًا يَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَنْ بِهَيْمَتِهِ يُسْدِي الْوَرَى أَنْفَسَ الْعَلْقِ
يُرْجِي عِلَاجَ الْكَسْرِ بَلْ جُودَ فَاضِلٍ يُعَامِلُ بِالْمَعْرُوفِ وَاللُّطْفِ وَالرِّفْقِ
تَسَامَى عَلَى سَمَكِ السَّمَاءِ سُمُوهُ وَحَازَ سَنَا الْعِرْفَانِ وَالزُّهْدِ وَالصِّدْقِ
وَأَصْبَحَ فِي أَوْجِ الْعُلَى مُتَجَاوِزًا مَرَاتِبَ أَهْلِ الْغَرْبِ وَالسِّرِّ وَالذُّوقِ
[فَيَا لَوْلَى اللَّهِ أَنْجِلْنِي

فَمَنْ يُعْتِقُ الظَّمَانَ بِالْوَشْلِ الرَّثْقِ]¹/448

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ج) و(د).

فَهَلْ فَاضِلٌ يَسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍ
فَبَحْرِكَ يُرْوِي فَيْضُهُ كُلَّ وَارِدٍ
فَكُنْ لِي مُغِيثًا عِنْدَ كُلِّ مُلَمَّةٍ
وَكُنْ خَيْرَ حَامٍ إِنْ سَطَّتْ زُمْرُ الْعِدَى
فَمَا لِي سِوَى رُحْمَاكَ يَا خَيْرَ مُوْتَلٍ
فَمَنْ لِي إِذَا لَمْ تُدْرِكْنِي بِهِمَّةٍ
مَدَحْتِكَ لَكِنْ لَسْتُ أَقْدِرُ قَدْرَ مَنْ
فَلَا زِلْتَ شَمْسًا نُورَهَا غَيْرُ آفِلٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا انْهَلَّ وَابِلٌ

وللفقيه الأجل، الأديب الناظم الناثر الأمثل، سيدي عبد القادر بن شقرون، أيضا

في الشيخ نفعنا الله به، هذه القصيدة المباركة،

[الكامل]

يَمَّمُ دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ نَجْدٍ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِأَرْضِهِ سَحْرًا
أَحْسِنُ بِهَا أَرْضًا غَمَائِمَهَا
وَتَوَضَّعْتُ طَيْبًا أَزَاهِرَهَا
نَثَرْتُ دَرَاهِمَ نُورِهَا طَرِبًا
وَشَدَا الْهَرَارُ عَلَى خَمَائِلِهَا
فَاطْلُبْ قِبَابَ الْحَيِّ مُعْتَسِمًا
لِمَ لَا يَطِيبُ وَعَرَفُ سَاكِنِهِ
فَاقْصِدْ حِمَى الشَّرْقِيِّ عَلَى شَغَفٍ
وَسَلِ الْمَرَّاسِمَ عَنْ أَبِي الْجَعْدِ
فَاشْهَدْ لَوَامِعَ طَالِعِ السَّعْدِ
جَادَتْ مِثْلَ جَوَاهِرِ الْعِقْدِ
وَتَبَسَّمَتْ لِمُقَهِّقِهِ الرَّعْدِ
مِنْ كُلِّ غُصْنٍ مَائِسِ الْقَدِّ
فِي الرُّوضِ بَيْنَ الْأَسِي وَالرَّنْدِ
فَالْحَيُّ نَشْرُ نَسِيمِهِ يُهْدِي
يُزْرِي بِعَرَفِ الْمِسْكِ وَالنَّدِّ
رُكْنِ الصَّلَاحِ وَكَعْبَةِ الزُّهْدِ

عَظْمٌ حِمَاهُ وَكُنْ أَخَا أَدَبٍ
وَقُلِ السَّلَامُ عَلَى سَيَادَتِكُمْ
أَنْتُمْ شُمُوسٌ فِي عُلَا أَفْقٍ
مَا زَالَ نُورُ جَمَالِ طَلْعَتِكُمْ
وَالْمَجْدُ نَالَتْ مِنْكُمْ شَرَفًا
يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَتْ سَيَادَتُهُمْ
يَا صَفْوَةَ مَحْمُودٍ نَائِلُهُمْ
مُنُوا عَلَى عَبْدٍ بِبَابِكُمْ
أَشْكُو إِلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي سَفَهٍ
وَعَتُو أَوْعَادٍ لَهُمْ غَلَبٌ
صِلْ غُرْبَتِي يَا خَيْرَ مُعْتَمِدٍ
خَلِّصْ أَسِيرًا ذَابَ مِنْ شَجِنٍ
وَأَرَأْفَ بِمَقْصُوصِ الْجَنَاحِ وَكُنْ
لِي أَفْرُحُ زُعْبُ حَوَاصِلُهُمْ
فَارْدَعُ أَخَا نَابٍ وَذَا ظُفْرِ
وَاحْلُلْ وَثَاقِي وَقَوِّ لِي مَدَدًا
مَوْلَايَ لَأَزَالَتَ مَائِرِكُمْ
أَرْكِي سَلَامٍ زَانَهُ مَدَدٌ
مُتَجَدِّدٌ مِنِّي لِحَضْرَتِكُمْ

وَاضْرَعُ هُنَالِكَ بَاسِطَ الْخَدِّ
يَا مَنْ رِضَاهُمْ مُنْتَهَى قَصْدِي
فِي الْفَضْلِ لَأَنَارٌ عَلَى طُودٍ
يَهْدِي الْوَرَى لِمَحَجَّةِ الرُّشْدِ
لَمَّا امْتَطَيْتُمْ ذِرْوَةَ الْمَجْدِ
مِنْ غُرِّ آبَاءٍ وَمِنْ جَدِّ
قَدَمًا أَعِدَّ لِطَالِبِ الرَّفْدِ/449
وَلْتَهَضُّوا لِإِعَاثَةِ الْعَبْدِ
نَذِلْ عَنَا مُتَجَاوِزِ الْحَدِّ
صَالُوا عَلَيَّ صَوْلَةَ الْأُسْدِ
سَلِّكَ الْهُدَى قَدْ كَانَ فِي الْمَهْدِ
يَدْعُوكَ فِي صَدْرٍ وَفِي وَرْدٍ
رِذَاءٌ عَلَى مَا نَابَ مِنْ جَهْدٍ
أَجْسَامُهُمْ عَجَفَتْ مِنَ الْكَدِّ
يَنْوِي تَخَطُّفَهُمْ مِنَ الْبُعْدِ
إِنِّي ضَعِيفٌ عَادِمُ الْجَهْدِ
فِي الْبَدْلِ تُحَمَّدُ أَيَّمَا حَمْدِ
لَا يَنْتَهِي بِالْحَصْرِ وَالْعَدِّ
كَالْعَنْبَرِ الشَّحْرِيِّ وَالْوَرْدِ

وللشيخ الإمام العارف الهمام، سيدنا الصالح، في الشيخ الكبير، والعلم الشهير،
سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، هذه الأبيات:

[الوافر]

أَيَا سُلْطَانَ أَهْلِ اللَّهِ يَا مَنْ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ حُسْنِ الصِّفَاتِ
وَيَا إِنْسَانَ عَيْنِ الْغَرْبِ يَا مَنْ تَبَدَّى الْيَوْمَ مُغْنٍ لِلْعُقَاةِ
قَرَعْنَا الْبَابَ عَنْ عُسْرِ وَضْنِكِ وَقَرَعُ الْبَابِ مِنْ شَأْنِ الرُّقَاتِ¹
وَأَمْلَنَّاكَ يَا مَوْلَايَ فَاْمُنُّ بِمَا يُرْضِينَا مِنْ بَدْلِ الصِّلَاتِ
وَلَا تَحْرِمْنَا مَنْ جَدْوَاكَ وَانْهَجْ بِنَا (...) ²إِلَيْهَا نَهَجَ الْهَدَاةِ
وَقَابِلْنَا بِعَيْنِ الْحِفْظِ وَاكْفُفْ أَدَى الْمُؤَدِّي مِنْ كُلِّ الْعَدَاةِ
بِحَقِّ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَالصَّحْبِ الثَّقَاتِ

ومن كراماته رضي الله عنه: لما ظهر أمره، وشاع ذكره، بعث له السلطان مولانا
أحمد المنصور، نفرا من خواص بطانته، يختبرون أمره، وينظرون أمحق هو أم مبطل،
فأضمر كل واحد منهم حاجة في نفسه، فقال أحدهم: "تركت جارية لي مريضة، وأريد أن
يخبرني بأمرها، وقال الآخر: اشتييتُ خُبْرَ خَالِصٍ وَدَلَّاعَةً، وذلك في غير إبانه، ولم يكن
جعيدان بمكانه، فلما انتهوا إليه، خرج إليهم في لباس رفيع، فقال بعضهم: /450/ هذا
لباس الملوک، فكيف يكون هذا وليا، فلما استقر بهم المجلس، قال للمتكلم بذلك: أنا
قطب وقتي، وهذا هو اللباس اللائق بي، وأخبر الآخر عن جاريته، وأنها عوفيت، وكان

¹ في النسخة (ج): "السعات" وفي النسخة (د): "الشعات".

² بياض في الأصل.

رجل قد خبا له دلّاعة من الصّيف، فأتاه بها ذلك اليوم، واستحضر خبرا على الوصف المذكور، فقال للمشتري: تطلب ما لا يكون، فهذا هو ذا قد جاء الله به".

ومن كراماته نفعنا الله به: أنه جاءه رجل فاشتكى إليه الفقر، فقال له: "اذهب قد رفع الله عنك الفقر، فذكر ذلك لسيدي محمد أبي بكر الدلائي، فقال: كلام الشيخ لا مطعن فيه، ولكن يا عجباً، أين يذهب الفقر عن فلان؟، فهذا لا بد له من مخرج، قال: فلم يلبث ذلك الرجل أن مات عاجلاً، فكان ذلك هو ارتفاع الفقر عنه، واستراحته منه"،

قلت: ومن هذا المعنى كرامة للشيخ الجليل سيدي محمد بن ناصر، ذكرها أبو علي في "المحاضرات"، قال: "وقد شاهدت أنا بعض الناس ممن كان ذا رياسة، ودنيا فذهب ماله، فكتب معي كتاباً للشيخ يشكو له بما ناباه وما خافه من العيلة والضيعة، فأجابه بكتاب، وفيه: فلا تخش الفقر، فاتفق أن مات ذلك الرجل عن قريب، فكان ذلك راحة لما خاف، "انتهى".

ومن كراماته: أنه قدم جماعة عليه، فخرج إليهم، وحرك الفقراء السماع، [فلم يشعروا به، إلا وهو في وسط السماع]¹، وليس عليه إلا القميص، فقال بعض الجالسين الآخرين: "هذا رجل خفيف، فإذا هو في الفور تكلم على خواطرهم، فقال:

الله الله يَا اللهُ اللهُ اللهُ
الله الله يَا اللهُ اللهُ اللهُ
الله الله يَا اللهُ اللهُ اللهُ
الله الله يَا اللهُ اللهُ اللهُ

¹ سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).
² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج1/288؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/120-121.

وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، يوما جالسا مع جماعة من إخوانه، فحان وقت الصلاة، فجاء المؤذن يوذنه بالصلاة، فتغافل عنه، ثم رجع له ثانيا وثالثا، فلما ضاق الأمر بالمؤذن، شرع في إقامة الصلاة من غير إذن، فقال له الشيخ: "ما أعجلك، إن الصلاة تقضى وتدرك، ومجلس الأحباب لا يقضى"، انتهى.

ومن كراماته نفعنا الله به: قضيته مع الإمام أبي العباس أحمد المنجور الفاسي، وذلك أن الشيخ المنجور، بعث بضاعة له مع رجل ليشتري له بها غنما برسم¹ التجارة، فعبر الرجل بعض الأودية في حال امتلأته، فذهب الوادي بالبضاعة، فرجع الرجل للشيخ المنجور، وأخبره بذلك، فأسف لذلك جدا، وكان ولد الشيخ صاحب الترجمة، يقرأ عليه بفاس، وهو سيدي الغزواني، [فأخبره الخبر]²، وقال له: لو ذهبت لأبيك عسى أن يكون على يديه فتح، فجاء الولد لأبيه، فلما جلس بين يديه، أخرج له البضاعة بنفسها، قبل أن يخبره بشيء، فذهب بها لشيخه المنجور، وهناك قدم المنجور لزيادة صاحب الترجمة، ومدحه بقصيدته، التي يقول فيها:

[الطويل]

وَهَذَا مُحَالٌ فِي زَمَانِكَ كُلِّهِ سِوَى فَضْلِ شَيْخٍ هُوَ بِالْغَرْبِ⁴ كَوَكْبُ/451
 إِمَامُ التُّقَى وَابْنُ التُّقَى شَيْخِهِ³ التَّقِيُّ وَلِيِّ الْإِلَهِ حَقًّا قُطْبٌ مُقَرَّبُ
 يُلَقَّبُ بِالشَّرْقِيِّ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا وَفِي مَدْحِهِ عَرَفٌ وَمِسْكٌ مُطَيَّبُ

¹ في النسخة (د): "بقصد".

² سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

³ في النسخة (ب): "سجية".

⁴ في النسخة (ب): "في زمانك".

توفي الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، في اليوم الأخير من ذي الحجة، ودفن في اليوم الأول من المحرم، فاتح عشرة بعد الألف، بين صلاة الظهر والعصر، كذا بخط الشيخ الخليل سيدنا، الصالح، ناقلا عن ولد الشيخ نفعنا الله بالجميع، ولما توفي وقع بين أولاده رضي الله عنهم، اختلاف في الوارث، فقام إليهم صاحبه، الولي الصالح سيدي محمد بن سليمان الشاوي، الزياني¹، دفين عين الشعراء، موضع بطرف تامسنا، وقبره بها معلوم، وعليه قبة حافلة مزاراة للناس، وكان حاضرا معهم، فقال لهم: "يا سادتي، سيدي ترك عندي لوحا، فمن عرف ما فيه هو الوارث. يشير إلى أن الشيخ، ترك عنده سرا، فمن كشف له عن حقيقته هو الوارث، فقام إليه أبو محمد سيدي الغزواني، وكشف له عن حقيقته". وحدث بعض الطلبة، أن الشيخ نفعنا الله به، لما مات قام سيدي عبد السلام بعده، فكان يظن نفسه هو الوارث، فكتب إليه أخوه سيدي الغزواني مخاطبا، وإجراء للكلام بينهما بيتين من المحلون، وهما هذان:

أَدَاعٍ بِالْمَعَالِجِ مَنْ جَاءَ عَلِيْلٌ صَفَّ قَلْبُكَ لَا يَصِيْرُ إِلَّا بَدْوَاهُ
اعْشَابُ الطَّبِّ كَمْ هُمَا يَا مَسْكِيْنُ الْوَارِثُ فِي مَقَامِ سَيِّدِي مَا رِيْنَاهُ²

فأجابه سيدي عبد السلام، بقوله:

إِذَا قُلْتُ نَاقِيْتِي مَا لَقَحْتُ شَنْ حَتَّى التَّلْبُ الكَبِيْرُ عَادَمْ تَلْقَاحُ
غَيْرُ أَنْتَ بَبْصِيْرَتِكَ مَا شُفْتُ شَنْ بِيْتِكَ مَغْلُوْقٌ وَلَا وُجِدْتُ مِفْتَاحُ

¹ أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاوي الزياني وهو من أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي الولي الصالح، وهو من أولاد العباس، دفين عين الشعرة، موضع بتامسنا، وقبره مزاراة للناس، وشاهد الناس بركته، وكان، رحمه الله، على محبة عظيمة لشيخه. ترجمته في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج2/580؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرفاوية دارعلم ودين وصلاح، ص: 101.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص 357.

أَعَى مَنْ لَا يُشُوفُ الْأَنْوَارَ يُلُوحُ¹.

فأجابه سيدي الغزواني، بقوله:

اعَى مَنْ لَا يُشُوفُ مَنْ مَدْرَارُ رُقِيْقُ
لَاشْ يُقُولُ أَنَا وَرِيْثُ أَهْلِ زُمَانِي
لَاشْ يُقُولُ بِيْدِي مِفَاتِحَ سَبْعَ طَبَاقِ
لَاشْ يُقُولُ أَنَا مُخَمَّرُ رُوْحَانِ²

بُعَيْبِي شَفْتَكُ فِي الرَّدِيْفِ الْوَرَّانِ

يقال: "إن سيدي عبد السلام، سلم لسيدي الغزواني³، رضي الله عنهما، ويقال: إن الشيخ سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، قال لهؤلاء الثلاثة: وهم سيدي الغزواني، وأخوه سيدي عبد السلام، وتلميذه سيدي محمد بن أبي بكر المجاطي، أما الغزواني فقد أعطيته الشاقور، يعني أنه لا يقدر أحد أن يتراى عليه، أو يطوف بساحته، بقصد التعرض والإذاية. وأما عبد السلام، فقد أعطيته الفخار يريد بذلك كونه يطعم الطعام للزوار، وأما محمد بن أبي بكر، فقد أعطيته العصا؛ يريد /452/ بذلك الإمارة في بنيه، وكان الأمر كما ذكر الشيخ، نفعنا الله بجمعهم. ويقال: إن الشيخ، لما أعطى لكل واحد من الثلاثة ما أعطاه، قال: يا صاحب العصا احذر من صاحب الشاقور، ويا صاحب

¹ وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص 357؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/98.

² وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص 357، وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/98.

³ أبو بحر، سيدي الغزواني بن سيدي محمد الشرقي تتلمذ على يد والده بزايته، ثم رحل إلى فاس ليأخذ على أحد كبار علمائها وفقائها وهو الإمام أحمد المنجور، وبعد أن أتم تكوينه في علم الظاهر (علم الشريعة) رجع ليأخذ طريقة القوم على يد والده، إلا أن ظروفًا ما أحدثت ما يشبه الوحشة أو النفور بين الأب والابن السالك، وكأنه لم يكتف بوالده، وأراد إغناء الطريقة، وإثرائها بكثرة الروافد، فراح يطوف على صلحاء الوقت، ترجمته في: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، ص: 41.

القدرة احذر من صاحب العصا، فيذكر أن صاحب العصا، لم يتسع له الأمر، ولم يتمهد له، حتى توفي سيدي الغزواني " انتهى.

وفي كتاب "صفوة من انتشر من أخبار صلحاء أهل القرن الحادي عشر"، لما ذكر سيدي عبد السلام، هذا ابن سيدي محمد الشرقي، قال: "كان رحمه الله، من أهل العناية الربانية، والأسرار النورانية، ويذكر أن أمه لما حملت به، لم يدخل عليها دارها سيدي محمد الشرقي قط، فعذلته في ذلك، فقال: سلطانان لا يجتمعان بدار واحدة، وإن الذي في بطنها من سلاطين أولياء الله تعالى، فنشأ باهر الأحوال، فائض المواهب، يتصرف في الكون بما يشاء بأشياء من ولاية وعزل، أخذ عن أبيه، وتلمذ له قوم ظهرت عليهم أنوار الصديقية، وغالب من أخذ عنه، مجازيب"¹، منهم، العارف المجذوب، المحب المحبوب سيدي قاسم بن اللوشي²، "ويقال له: بوعسرية، لكونه كان يستعمل يده اليسرى كثيرا، السفيناني، " كان رحمه لله من الموليين في ذات الحق سبحانه، ومن أهل الأحوال الصادقة، والشطحات الربانية، تثبتت عند الخاص والعام ولايته، واشتهرت في المشارق والمغرب خصوصيته، وكان في ابتداء أمره معدودا من شجعان قبيلته، ومن أهل الفروسية التامة فيهم، فلما أملت به الواردات الربانية، وجذبتة العناية النورانية، هام في البرية على وجهه، وصار يألف الوحوش، ويأنس بالانفراد، وربما انقطع خبره عن أهله السنة والسنتين وأكثر، فلا يعرفون له قرارا، إلى أن يأتيهم صياد، أو بعض الرعاة، فيذكر

¹ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 275.

² أبو القاسم بن أحمد بن اللوشة السفيناني وأصحابه يلقبونه بأبي عسرية، لأنه كان يعمل بشماله أكثر، كان من الموليين في ذات الحق سبحانه، ومن أهل الأحوال الصادقة، والشطحات الربانية، ومن عجيب أمره أنه كان إذا اعتراه الحال، يمزق ثيابه ويبقى متجردا. توفي سنة 1077هـ. ترجمته في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص:

275-277، وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/153.

لهم نعته، فيركبون في طلبه، فيأتون به، فيمكث معهم أياما، ثم يعود لمثلها، إلى أن استقر حاله للجلوس في وطنه، وفترت عنه الأحوال قليلا. فصار يجلس مع الفقراء، ويتحدث معهم ويفاوضهم، فإذا اعتراه الحال انقبض عنهم وفروا منه، ومن عجيب أمره أنه كان إذا اعتراه حال يمزق ثيابه، ويبقى متجردا، ومع ذلك لا ترى عورته، وكل من أراد أن ينظر عورته لا يراها ولو أجهد نفسه في طلب رؤيتها، ومن قضي عليه برؤيتها عمي من حينه، وقد عمي بسبب ذلك أقوام حتى شاع ذلك بين الناس، وصاروا يتحامون ذلك، وكان في أول أمره، يمكث في المروج والحياض والخلجان المدة المديدة لعظم ما ينزل به من الأنوار، فيتبردها بملازمة الماء، حتى تزول عنه، ثم في آخر أمره، سكن حاله، وغلب عليه الصحو، ورجع إلى حسه، ولما شاع خبره أتى الناس لزيارته، والأخذ عنه، وقصدوه أفواجا، وذهبوا له مشاة وركبانا¹.

"ومن كراماته/453/: إن رجلا ركبته ديون عريضة، فسمع بخبره، فقصد زيارته، فلما أراد أن يوادعه، أخذ الشيخ حفنة من تراب وجعلها له في طرف ثوبه، فلما بلغ الرجل داره، وجد التراب عاد تبرأ، وانقلب بقدره الله ذهباً². قال في "صفوة ما انتشر": "وهذه الحكاية صحيحة شهيرة، وكراماته، أكثر من أن تحصى. ويقال: إنه حمل وهو صبي صغير للشيخ الكامل الموصل الواصل، سيدي محمد الشرقي، فبرك عليه، ودعا بقرب من الماء، فصبت عليه، وقال: لولا أننا بردنا هذا الصبي لحرقتة الأنوار³. فكان سيدي قاسم،" يهتف بأبي عبيد كثيرا وينادي باسمه، وينسب جميع ما يظهر على يديه لأبي عبيد، ولقي أيضا سيدي يدير بفاس، توفي رحمه الله في شعبان سنة سبع وسبعين

¹ ورد ذكر هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 275.

² ورد ذكر هذه الكرامة بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 276-277.

³ ورد ذكر هذه الحكاية بنفس اللفظ في: محمد الإفرائي، صفوة من انتشر، ص: 277.

وألف، ودفن على ضفة وادي ارضم¹، وبنيت عليه قبة حافلة². ومن أصحابه الشيخ الصالح سيدي أحمد بن خضرا³، "أحد المجاذيب الذين لاحت عليهم أنوار الخصوصية، وظهرت عليهم الأحوال الربانية، كان من أهل الملامتية⁴، دائم الغيبة، توثر عنه كرامات، وله أتباع يبالغون في تعظيمه، وكان أسود اللون، أخذ عن سيدي عبد السلام بن الشيخ سيدي محمد الشرقي، عند أبيه، وله كلام ملحون، يخبر فيه بمغيبات ظهر أكثرها، توفي رحمه الله عام خمس وسبعين وألف، ودفن داخل مدينة مكناسة الزيتون، وقبره مزارة عظيمة بها"⁵. ومما أنشده الصالح الإمام سيدي أحمد بن عبد الله العربي، في مدح الولي الكبير، العالم الشهير، المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله به، في شهر شعبان المبارك، عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف:

¹ وارضم من روافد نهر بهت من بلاد أزغار سهل الغرب، ينظر: الهامش رقم (6)، ص: 277، من كتاب صفوة من انتشار لمؤلفه محمد الإفراني.

² ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفراني، صفوة من انتشار، ص: 277.

³ أحمد بن خضراء المكناسي الولي الشهير، المجذوب الكبير، كان من الهاليل المجذوبين، وحالته حالة أهل الغيب، أخذ عن سيدي محمد الشرقي، له كرامات كثيرة. توفي سنة 1075هـ، ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج2/147؛ وابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج1/384، وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/152.

⁴ الملامتية تيار صوفي ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في مدينة نيسابور بخرسان ويهدف إلى مجاهدة النفس ورياضتها مجاهدة ورياضة تؤديان بالسالك إلى إنكار الذات، ومحو علائم الغرور الإنساني، وإطفاء جذوة الرياء في القلب، وسمي أتباع هذا المذهب بالملامتية لأنهم يظهرون للناس قبائح ما فيهم ويكتمون محاسنهم. فكانوا يلومون أنفسهم على بواطنهم؛ ينظر: أبو العلا عفيف، الملامتية والصوفية، وأهل الفتوة، منشورات الجمل، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى.

⁵ ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفراني، صفوة من انتشار، ص: 278.

[الخفيف]

فَتَنَاهَتْ لِبَيْنِهَا الْآلَامُ
وَعَرَاراً بِهِ تَرُوقُ¹ الْأَكْـمَامُ
أَلَمَ الْبَيْنِ وَاعْتَرَبَهَا كِـلَامُ
وَلَهُ نَوْرٌ مُهْجَةٍ وَابْتِسَامُ
وَاطْلُبِ الْأَهْلَ أَيْنَ كَانَ الْمُقَامُ
فِيهَا لِلْعَاشِقِينَ اعْتَصَمَامُ
إِنَّمَا مَجْمَعُ الْأَدَابِ احْتِشَامُ
لَيْسَ فِيهَا يُرْضِي الْحَبِيبَ مَالَامُ
مِنْهُ قَدْ يَعْتَرِي الْمُحِبَّ حِمَامُ
وَكَسَاهَا مِنَ الْإِلَهِ احْتِرَامُ/454
قَانِتٌ وَافِرُ الْعَطَايَا هَمَامُ
وَلَنَا مِنْهُ حُرْمَةٌ وَذَمَامُ
قَيَّدَتْنِي الدُّنُوبُ وَهِيَ عِظَامُ
وَلَنَا فِيكَ لَوْعَةٌ وَغَرَامُ
إِنَّمَا أَنْتَ لِلْمَرْأَى خِتَامُ
كُلَّ حِينٍ تَحِيَّاهُ وَسَالَامُ

صَاحِ عَرِجٍ عَلَى رُبُوعٍ تَنَاءَتْ
وَاعْكُفْنِ مُسْتَنْشِقًا لِرُبَاهَا
وَاسْكُبِ الدَّمْعَ مِنْ جِفَانِ عَرَاهَا
وَاسْأَلِ الرَّبِّعَ بَعْدَهُمْ كَيْفَ يَسْأَلُو
وَاعْمَلِ الْجِدَّ تَارِكًا رَأْيِي وَاشِ
وَصَلِّ رُبُعَهُمْ فَإِنَّ رُبُوعَ الْجَنَى
وَاسْعَ بِالْبَابِ خَاضِعًا لِسَنَاهُمْ
وَتَذَلِّ الْمَنَّ تَجِبُ وَتَهْوَى
وَاخْشَ مِنْ هَيْبَتِهِ اللَّقَا صَدَعِ قَلْبِ
هَذِهِ رَوْضَةٌ تَسَامَى عَلَاهَا
رَوْضَةٌ حَلَّهَا إِمَامٌ جَلِيلُ
قُطْبُ دَائِرَةِ الْوُجُودِ دَعَانَا
أَيُّهَا الشَّرْقُ نَجْلُ مِصْبَاحِ غَرْبِ
وَدَنُونَا مِنَ الْمَقَامِ جُلُوسًا
فَارْضَ عَنَّا وَعَمَّنَا بِنُـوَالِ
وَعَلَيْكَ مِنَ الْمُهَيَّمِنُ تَثْرَا

ومما مدحه به الأديب الأريب سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن السيد

الحسني رضي الله عنه، هذه القصيدة:

¹ في النسختين (ج) و(د): "تدون".

[الطويل]

وَعَنْ شَمَّهَا بِالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ جَلَّتِ
فَأَزَوْتُ رِيَاضَ الْعَرَبِ مِنْ حَيْثُ دَلَّتِ
بِإِشْرَاقِ نُورِهِ انْجَلَّتْ كُلُّ ظُلْمَةٍ
بِشَرْقِ وَعَرَبٍ ثُمَّ جَوْفٍ وَقِبْلَةٍ
وَسَاقِي ظُمَامَةِ الرُّشْدِ فِي كُلِّ حَضْرَةٍ
رَقَّتْ¹ رَائِمِيهَا وَأَنْتَحَتْ سَهْمَ حُرْمَةٍ²
لَهُ فِي انْتِشَارِ الْهَدْيِ مَا مِنْ تَنْبُتٍ
لِنَائِيهِ فِي كُلِّ قَطْرِ وَوَجْهَةٍ
وَطَوَى بُنُودَ الزَّبِيعِ صَاحِبَ هِمَّةٍ
فَكَمَ دَالٌ³ أَمْرُهُمْ عَلَيْهِ بِوَقْفَةٍ
عَلَيْهَا وَكَمْ جَابُوا لَهَا مِنْ مَحَجَّةٍ
لَهُمْ مِنْ ذَكَاهُ مِنْ دَلِيلِ وَحُجَّةٍ
سِوَى قَطْرَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ أَرَوْتِ
سِوَى بَعْضِ مَا أَحْيَاهُ مِنْ نُورِ فِطْنَةٍ
سِوَى بَعْضِ مَا أُتِيحَهُ مِنْ هَدِيَّةٍ
أَتَاخَ سَمَاءَ عِلْمِهِ بَعْضَ ذُرْوَةٍ
وَمَا ضَاعَ بَلٌ لِلْخَلْقِ جَاءَ بِنَفْحَةٍ

مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ جَلَّتِ
وَأَدَلَّتْ دِلَاءَهَا إِلَى بَحْرِ طَيْبَةٍ
وَجَالَتْ فَحَالَتْ أَنْ تَحُلَّ سِوَى الَّذِي
إِمَامٌ أَيْمَّةِ الْوِلَايَةِ كُلِّهِمْ
وَمَوْقِفِ أَسْرَارِ السِّيَادَةِ وَالْهَدْيِ
وَكَاشِفِ أَسْتَارِ الْعَوَارِفِ حَيْثُمَا
هُمَامٌ قَوِي بَارِعٌ مُتَوَرِّعٌ
وَبَحْرٌ خِضَمٌ طَالَمَا قَدْ تَنَاطَرَتْ
حَسِيبٌ نَسِيبٌ لَا يُرَامُ عِلَاؤُهُ
وَقُطْبُ رَحَى أَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْمُنْتَهَى
وَكَعْبَةٌ أَهْلِ اللَّهِ كَمْ طَابَ جَمْعُهُمْ
وَبُرْهَانُهُمْ عِنْدَ التَّحَاجُّجِ كَمْ بَدَا
فَمَا حِكْمُ الْعِرْفَانِ مِنْ بَعْضِ حُكْمِهِ
وَمَا ذَلِكَ الْإِحْيَاءُ فِي عِلْمِ دِينِنَا
وَمَا مِنْنُ الْأَلْطَافِ وَالْفَضْلِ وَالْعَطَا
وَمَا الشَّمْسُ شَمْسٌ لِلْمَعَارِفِ غَيْرَ أَنْ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْمِسْكُ ضَاعَ بِغَرْبِنَا

¹ في النسختين (ج) و(د): "رمت".

² في النسختين (ج) و(د): "حرمة".

³ في النسختين (ج) و(د): "دار".

وَمَا إِنَّ مَوَاهِبُ الْعَطَايَا لِفَضْلِهِ
وَمَا ارْعَوَى حُجْبِ الْجَلَالِ لِقَوْلِهِ
وَمَا إِنَّ عَرَّتِ الْقَطْعَ عَنِ سُلُوكِهِمْ
وَمَا غَيْبَةٌ فِي الْقُدْسِ غَيْرَ حُضُورِهِ
وَمَا إِنَّ قَاصِدًا لَهُ غَيْرُ رَاشِدٍ
وَمَا حَصْرٌ وَصَفٍ فَضْلِهِ غَيْرُ كُفَّةٍ
وَمَا إِنَّ ذُلَّ الْقَاصِدِينَ لِبَابِهِ
فَوَا عَجَبًا ذُلُّ لَهُ عَيْنُ عِرَّةٍ
قَصَدْتُكُمْ يَا مَنْ يُحَاشَى عُلَاهُ أَنْ
فَمَنْ يَشْرَحِ الصَّدْرَ لِلْعِلْمِ وَالتُّقَى
سَلَامٌ عَلَى هَذَا الضَّرِيحِ مَعْنَبَرٍ

سَوَى تَبِعَ فحَيْثُمَا حَلَّ حَلَّتْ /455/
سَوَى فِي انْفِعَالٍ حَيْثُمَا شَاءَ حُلَّتْ
لَهُمْ غَيْرَةٌ يَكْسُوهُمْ وَصَلَ حُلَّةٍ
وَمَا إِنَّ حُضُورًا فِي الْوَرَى غَيْرُغَيْبَةٍ
فَكَمْ فَازَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِمَنْيَةٍ
فَكَمْ فِيهِ أَقْلَامُ الْكِتَابَةِ كَلَّتْ
بِذَلِّ وَلَكِنْ ارْتِقَاءَ لِعِرَّةٍ
وَوَاعَجَبًا خَفَضَ لَهُ عَيْنُ رِفْعَةٍ
يُضَامَ لَهُ جَارٌ وَيَحْظَى بِحُرْمَةٍ
وَوَالِ بِمَالٍ ثُمَّ جَاهٍ وَرِفْعَةٍ
يُطَيَّبُ مِنْ ذَا الْمَدْحِ بَدْءِي وَخَتْمِي

اللهم إني أسألك بحرمة أصفياك، وأهل خدمتك من أحظياك، وأتقيائك
وأولياك، ورسلك وأنبيائك، أن تصلي على سيد الأنام، ومصباح الظلام، سيدنا ومولانا
محمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الكرام، وصحابته الأعلام، وأن تبلغني في
الدارين أمني، وتتقبل مني عملي، وتغفر لي زلي، وتحشرني مع الذين أنعمت عليهم من
النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. اللهم لك الحمد، لا إله
إلا أنت، يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعل
لنا اللطف في القضا، والعفو عما مضى، والستر فيما بقي، والسلامة في الدين، والبركة
في العمر والزرق، والموت على الشهادة، والنجاة من النار، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا
رب العالمين.

قال مؤلفه أكرمه الله بتقواه، وجعل الجنة قراره ومثواه: "هنا وقف القلم، بحسب ما سبق في سابق القدم، وكمل المنى والغرض، وأرجو من الله سبحانه أن يؤدي به المفترض، وأن يكون وسيلة وسببا لنيل كل أمل وغرض. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾¹. والحمد لله الذي اختارنا لخدمة أوليائه، والتعلق بأذيال أصفياه، فضلا وكرما من الله، ﴿كَلِمَاتٍ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَوُّ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾² وقد جمعنا فيه من الأخبار المتناسقة، والفوائد التي أدواها ناسقة، ما يسر أهل الإنصاف، من أهل الديانة والصيانة والعفاف، وانتخبنا فيه من العبارات أوضحها، ومن الكلمات أفصحها، والغرض من ذلك كله تعظيم ذلك الجنب، وتفخيم من ركن لله في معاملته/456/ وأنا، وطمعا في ثواب حفظ تلك الفوائد وتخليدها، وجمع مفترقها، وتقييد شريدها، وعلى من وقف عليه، إن رأى نقصا أو تقصيرا، أو ما هو لعدم المناسبة يصير، أن يحسن في التاويل، لا يجعل على التخطئة التعويل، وصلى الله على سيدنا ومولانا، محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، انتهى الكتاب بحمد الله، وحسن عونه وتوفيقه، تقبله الله بأحسن قبول، وجعله سلما لبلوغ المنى والسؤل، بجاه أفضل نبي ورسول، وآخر دعوانا، أن الحمد لله رب العالمين. ووافق الفراغ منه يوم الخميس الثامن من جمادى الأولى ستة تسع وسبعين ومائة ألف، رزقنا الله خيره، ووقانا غيرَه، بجاه الأنبياء والصالحين، آمين يا رب العالمين، على يد كاتبه ومؤلفه الحسن بن محمد بن الهداجي المعداني، كان الله له وليا، وبه حفيا، في حالتي البعد والتداني، آمين يا رب العالمين، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى، ونعم النصير،

¹ سورة الأعراف، الآية: 43.

² سورة الجمعة، الآية: 4.

وصلى الله على سيد الأنام، ومسك الختام، سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام.
تم بحمد الله إثر العصر، يوم الأحد التاسع والعشرين من رمضان، عام ثلاثة وتسعين
ومائة وألف. اللهم اغفر لمؤلفه وكاتبه وناظره ولوالديهم، آمين يا رب العالمين.

خاتمة:

قادنا الجهد الذي صرفناه في تحقيق الكتاب المخطوط ودراسته، واستخراج مضامينه وموضوعاته، ورصد منهج المؤلف فيه، وطريقته في جمع المادة العلمية، والاستدلال عليها من أصولها المعتمدة، قرآناً وسنة وشعراً وحكمة وأمثالاً، إلى استخلاص نتائج نسوقها كآتي:

- تبين أن الكتاب ينطوي على قيمة علمية، لا تخفي ثراءها النوعي، إذ ترقى إلى مستوى المظان والذخائر التراثية، فالكتاب إضافة رائدة في بابه مادة ومحتوى في مجال التصوف، والمناقب، وتراجم الرجال، وبهذا فهو قيمة مضافة في مجال التراث الجهوي خاصة، والتراث المغربي عامة.

- مكنتنا مادة الكتاب بتنوعها من الانفتاح على سياقها التاريخي بكل حمولاته وتفاعلاته، إذ يلقي الضوء على علاقة المخزن العلوي بمؤسسة الزوايا، بما يكشف عن طبيعة هذه العلاقة، التي يتضح أنها تميزت بالقرب والتفاعل والتجاوب والتأييد. وذلك بتشجيع السلطة السياسية للعلم والعلماء.

- مثلت ظواهر الإنعام والتوقير والإجلال التي حازتها الزاوية الشرقاوية مدخلا يظهر مدى إسهامها في تحقيق الأمن الاجتماعي والروحي، نظراً لما نهضت به الزاوية من مهام وأدوار في تدبير الشأن الديني والعقدي.

- ولعل أهم استقراء يمكن الوقوف عنده ما تميز به الكتاب من دلالات صريحة تقرر بالاستقرار الروحي والفكري والسياسي، الذي تعكسه علاقة المولى إسماعيل بالشيخ محمد الصالح الشرقاوي، إذ يتضح مدى متانة العلاقة بين الزاوية الشرقاوية والسلطة العلوية، حيث كان الشيخ محمد الصالح نموذجا للولاء التأييد.
- شكل الكتاب مادة مصدرية في علم التصوف، ورجالاته ومصطلحاته ومسالكه وأسانيده وطرقه، وما يستلزم ذلك من أورد وأذكار وأنظام وأشعار واستغفارات ووصايا ونصائح، وهذا ما نهتدي إليه من خلال أسلوب الشيخ محمد الصالح التربوي والتعليمي ومرتبته في القطبية الصوفية، ومكانته العلمية بين علماء الصوفية في عصره.
- كما أبان الكتاب عن كونه نموذجا قويا في التعريف بالتصوف التادلي الذي يستمد طريقته من نهج الجزولية الشاذلية التي تصل بالسند المتصل بالتصوف السني الجنيدي، ثم إلى زهد الصحابة رضوان الله عليهم.
- إن الكتاب بالرغم من كونه كتاب تصوف وكرامات ومناقب، إلا أنه يعد مصدرا من المصادر الأساسية في استقصاء المناحي التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية والأنثروبولوجية لمنطقة تادلا.
- تضمن الكتاب مخاطبات ومكاتبات ومراسلات وإجازات وأسانيد، وهي مادة علمية غنية بموضوعاتها المتنوعة والمتعددة، ألفت بضوئها على العلاقات التي جمعت بين الشيخ محمد الصالح وفقهاء عصره وشيوخ التصوف الآخرين ببقية مناطق المغرب. كما بينت التواتر الإسنادي في العلوم ومذاهب التصوف وطرقه، وأصول المذهب المالكي، بما يرسخ استمراره واستتبابه في المغرب.

- لم تكن الكرامات في الكتاب مجرد عنوان لترقي الشيخ في السلوك الصوفي والقطبية والغوتية، بل جسدت مدى مئانة الزاوية الشرقاوية في محيطها، وبيان إشعاعها وفضائلها على الأفراد والجماعات والقبائل.

- تميز منهج المؤلف في كتابه بطابعه المناقبي، وتؤكد ذلك في التصنيف بوضوح العبارة، وسلاسة الأسلوب، وتنوع مسالك الاستدلال والحجاج، معتمدا على مصادر متنوعة، لهذا كانت منهجيته متنوعة عرضا ومناقشة وتعليقا واستنتاجا وترجمة للأعلام وتوثيقا لمعظم الشواهد في الأسانيد والرسائل والتقايد.

- تعتبر أشعار الشيخ محمد الصالح ومنظوماته في هذا الكتاب، مادة أدبية قوية في الشعر الصوفي، تحتاج إلى دراسة خاصة تبرز قيمتها وأهميتها في الأدب الصوفي وآداب الزاوية وأشياخ التصوف. تبين لنا الموهبة البيانية والبلاغية، والملكة الشعرية والإقناعية وقوة العارضة الأدبية والفنية للشيخ محمد الصالح.

- أثبت الحسن بن محمد المعداني مفهوم الكرامة، وأصل لها بمنهج استدلالى ينطلق من دليل القرآن والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح. وأورد مجموعة من كرامات الأنبياء والصحابة والأولياء الصالحين. مما يدل على تمكنه العلمي، حيث يجدر بالباحثين الالتفات إليه بالدراسة والتحليل.

- فتح موضوع الكرامات الواردة في الكتاب أمامنا أفقا واسعا، نتطلع إليها ونستشرفها من خلال ما أنجزناه تحقيقا، والتي يمكن أن ينكب عليها الباحثون والمهتمون بتقليب النظر فيها دراسة وتحليلا برؤى مختلفة، ومقاربات جديدة ومتنوعة تروم الكشف عما ضمنه من جوانب تراثية عامة وجهوية خاصة.

- مكننا هذا العمل من الوقوف على مدى أهمية القيمة الصوفية والمناقبية للكتاب بالجهة، في نهاية القرن السابع عشر الميلادي وبداية القرن الثامن عشر الميلادي، ونأمل أن يتحقق ما يعد به من تفكير عميق في ظواهر التراث الجهموي وقضاياها. وأن يسهم في بناء الصرح العلمي وخدمته، وتعم فائدته أجيالا من الباحثين في مجال الثقافة والتراث بإذن الله.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.¹

والله ولي التوفيق

¹ سورة الكهف، الآية: 10